

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon
Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8



http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر مجيء المَلَك إلى رسول الله ﷺ برسالات ربه تعالى

خرج البخاري ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته كذا ، أنها قالت : كان أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي[1] الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – قال : والتحنث : هو التعبد – الليالي ذوات العدد ، وقال مسلم : أولات العدد – قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : ﴿ اقرأ ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقاريء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ ﴾ ، فقلت : ما أنا بقاريء ، فقال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ ﴾ ، فقلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فعطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق**

---

(١) (من الوحي) : يحتمل أن تكون « من » تبعيضية ، أي من أقسام الوحي ، ويحتمل أن تكون بيانية ، ورجحة محمد بن جعفر القيرواني أبو عبد الله التيمي القزاز ، صاحب [الجامع في اللغة] .
والرؤيا الصالحة ، وقع في رواية معمر ويونس عند المصنف في التفسير : « الصادقة » ، وهي التي فيها ضِغْث ، وبُديء بذلك ليكون تمهيداً ، وتوطئة لليقظة ، ثم مهَّد له في اليقظة أيضاً رؤية الضوء ، وسماع الصوت ، وسلام الحجر .
قوله : « في النوم » ، لزيادة الإيضاح ، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة لجواز إطلاقها مجازاً .
قوله : « مثل فلق الصبح » ، يُنصب « مثَل » على الحال ، أي مشبهة ضياء الصبح ، أو على أنه صفة لمحذوف ، أي جاءت مجيئاً مثل فلق الصبح ، والمراد بفلق الصبح : ضياؤه . وخص بالتشبيه لظهوره الواضح ، الذي لا شك فيه .
قوله : « حُبِّبَ » ، لم يُسمَّ فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك ، وإن كان كل من عند الله ، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر ، أو يكون ذلك من وحي الإلهام ، و« الخلاء » بالمد ، الخلوة ، والسرُّ فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه إليه ، وحراء : جبل معروف بمكة ، والغار نقبٌ في الجبل ، وجمعه غيران .
قوله : « فيتحنث » ، هي بمعنى يتحنف ، أي يتبع دين الحنفية ، وهي دين إبراهيم ،

....

= و « الفاء » تبدل « ثاء » في كثير من كلامهم ، وقد وقع في رواية ابن هشام في (السيرة) : « يتحنف » بالفاء . أو التَّحَنُّث إلقاء الحِنْث وهو الإثم ، كما قيل : يتأثم ، ويتحرج ، ونحوهما .

قوله : « هو التعبد » ، هذا مدرج في الخبر ، وهو من تفسير الزهري ، كما جزم به الطيبي و لم يذكر دليله ، نعم في رواية المؤلف من طريق يونس عنه في التفسير ما يدل على الإدراك .

قوله : « الليالي ذوات العدد » ، يتعلق بقوله : يتحنث ، وإبهام العدد لاختلافه ، كذا قيل ، وهو بالنسبة إلى المدد التي يتخللها مجيئه إلى أهله ، وإلا فأصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر ، وذلك الشهر كان في رمضان ، رواه ابن إسحاق . والليالي منصوبة على الظرف ، وذوات منصوبة أيضاً ، وعلامة النصب فيه كسر التاء .

قوله : « لمثلها » أي الليالي ، والتزود استصحاب الزاد .

قوله : « حتى جاءه الحق » ، وفي التفسير : حتى فجئة الحق – بكسر الجيم وهي الرواية التي أثبتها المقريزي – أي بغته ، وإن ثبت من مرسل عبيد بن عمير أنه أُوحي إليه بذلك في المنام أولاً قبل اليقظة ، أمكن أن يكون مجيء الملك في اليقظة عقب ما تقدم في المنام ، وسمي حقاً لأنه وحي من الله تعالى ، وقد وقع في رواية أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : إن النبي ﷺ كان أول شأنه يرى في المنام ، وكان أول ما رأى جبريل بأجياد ، صرخ جبريل : « يا محمد » ، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ، فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال : « يا محمد ، جبريل جبريل » ، فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئاً ، ثم خرج عنهم ، فناداه فهرب ، ثم استعلن له جبريل من قبل حراء ، فذكر قصة إقرائه ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، ورأى حينئذ جبريل له جناحان من ياقوت يختطفان البصر ، وهذا من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود ، وابن لهيعة ضعيف .

وقد ثبت في صحيح مسلم من وجه آخر عن عائشة مرفوعاً : « لم أره – يعني جبريل – على صورته التي خُلق عليها إلا مرتين » ، وبيَّن أحمد في حديث ابن مسعود ، أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خُلق عليها ، والثانية عند المعراج .

وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة : « لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين : مرة عند سدرة المنتهى ، ومرة في أجياد » ، وهذا يقوى رواية ابن لهيعة ، وتكون هذه المرة غير المرتين المذكورتين ، وإنما لم يضمها إليها لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته ، والعلم عند الله تعالى .

ووقع في السيرة التي جمعها سليمان التيمي ، فرواها محمد بن عبد الأعلى عن ولده معتمر بن سليمان عن أبيه أن جبريل أتى النبي ﷺ في حراء وأقرأه : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ثم انصرف ، فبقى مُتردّداً ، فأتاه من أمامه في صورته ، فرآى أمراً عظيماً .

قوله : « فجاءه » ، هذه الفاء تسمى التفسيرية وليست التعقيبية ، لأن مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى تعقب به ، بل هو نفسه ، ولا يلزم من هذا التقرير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه ، بل التفسير عين المفسَّر به من جهة الإجمال ، وغيره من جهة التفصيل .

قوله : « ما أنا بقارىء » ثلاثاً ، « ما » نافية ، إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء ، وإن حُكي عن الأخفش جوازه فهو شاذ ، والباء زائدة لتأكيد النفي ، أي ما أُحْسِنُ القراءة ، فلما قال ذلك ثلاثاً قيل له : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ أي لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك =

الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[1] ، فرجع بها[2] رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضي الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع – وقال مسلم : حتى ذهب عنه ما يجد من الروع – ثم قال لخديجة : أي خديجة ! مالي قد خشيت على نفسي ؟ وأخبرها الخبر فقالت له خديجة : ....

وإعانته ، فهو يعلمك ، كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر ، وَعَلَّم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية . ذكره السهيلي .

وقال غيره : إن هذا التركيب – وهو قوله : ما أنا بقارىء – يفيد الاختصاص .

وردَّه الطيبي بأنه إنما يفيد التقوية والتأكيد ، والتقدير : لستُ بقارىء البتّة . فإن قيل : لم كرر ذلك ثلاثاً ؟ أجاب أبو شامة بأن يُحمل قوله أولاً : « ما أنا بقارىء » على الامتناع ، وثانياً : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً : على الاستفهام . ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ . وفي مرسل الزهري في (دلائل البيهقي) : كيف أقرأ ؟ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية . والله أعلم .

قوله : « فغطني » ، بغين معجمة وطاء مهملة . وفي رواية الطبري : « فغتني » بتاء مثناة من فوق ، كأنه أراد ضمني وعصرني ، والغط : حبس النَفَس ، ومنه : غطه في الماء ، أو أراد غمني ، ومنه الخنق ، ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن : فأخذ بحلقي .

قوله : « حتى بلغ مني الجهد » ، روى بالفتح والنصب ، أي بلغ مني غاية وسعي . وروى بالضم والرفع ، أي بلغ مني الجهد مبلغه ، وقوله : « أرسلني » أي أطلقني ، ولم يذكر الجهد هنا في المرة الثالثة ، وهو ثابت عند البخاري في (التفسير) .

(1) الآيات من أول سورة العلق .

(2) قوله : « فرجع بها » ، أي بالآيات أو بالقصة .

قوله : « فزملوه » ، أي لفوه ، والرَّوع بالفتح : الفزع .

قوله : « لقد خشيتُ على نفسي » ، دلَّ هذه مع قوله : « يرجف فؤاده » على انفعال حصل له من مجيء الملك ، ومن ثم قال : « زملوني » . والخشية المذكورة اختلف العلماءُ في المراد بها على اثني عشر قولاً :

[١] الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة ، جاء مصرحاً به في عدة طرق ، وأبطله أبو بكر ابن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصوله العلم الضَّروريّ له ، أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى .

[٢] الهاجس ، وهو باطل أيضاً ، لأنه لا يستقر ، وحصلت بينهما المراجعة .

[٣] الموت من شدة الرعب . [٤] المرض ، وقد جزم به ابن أبي جمرة .

[٥] دوام المرض . [٦] العجز عن حمل أعباء النبوة .

[٧] العجز عن النظر إلى الملك من الرعب .

كلا[1] ، فأبشر ، فوالله لا يخزيك الله ....

---

[٨] عدم الصبر على أذى قومه .

[٩] أن يقتلوه . [١٠] مفارقة الوطن . [١١] تكذيبهم إياه .

[١٢] تعييرهم إياه .

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، وأسلمها من الارتياب ، الثالث واللذان بعده ، وما عداها فهو معترض . والله الموفق : (فتح الباري) : ١ / ٢٨ – ٣٢ ، كتاب بدء الوحي ، حديث رقم (٣) .

(١) « كلا » ، معناها في العربية على ثلاثة أوجه : حرف ردع وزجر ، وبمعنى حقاً ، وبمعنى إي : فالأول كما في قوله تعالى : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ ، إشارة إلى قَوْل القائل : ﴿ **رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت** ﴾ [الآية ١٠٠ / المؤمنون] ، أي انْتَهِ عن هذه المقالة ، فلا سبيل إلى الرجوع .

والثاني : نحو ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى** ﴾ [الآية ٦ / العلق] ، أي حقاً ؛ لم يتقدم على ذلك ما يُزجر عنه ، كذا قال قوم ، وقد اعترض على ذلك بأن حقاً تُفْتَحُ « أنَّ » بعدها ، وكذلك أما تأتي بمعناها ، فكذا ينبغي في « كلا » ، والأَوْلى أن تُفسَّر « كلا » في الآية بمعنى ألا التي يُستفتح بها الكلام ، وتلك تكسر ما بعدها « إنَّ » ، نحوَ : ﴿ **ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم** ﴾ ، [الآية ٦٣ / يونس] ، والثالث : قبل القسم ، نحو ﴿ **كلا والقمر** ﴾ [الآية ٣٢ / المدثر] ، معناه إي والقمر ، كذا قال النضر بن شميل ، وتبعه جماعة منهم ابن مالك ، ولها معنى رابع ، تكون بمعنى ألا . (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب) : ١٥ .

وقال العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : وهي « أي كلا » عند سيبويه والخليل والمبرِّد والزَّجّاج وأكثر نحاة البصرة ، حرف معناه الرّدْع والزجر ، لا معنى له سواه ؛ حتى إنهم يجيزون الوقف عليها أبداً والابتداء بما بعدها ، حتى قال بعضهم : إذا سمعت « كلا » في سورة ، فاحكم بأنها مكية ، لأن فيها معنى التهديد والوعيد ، وأكثر ما نزل ذلك بمكة ، لأن أكثر العتوّ كان بها . وفيه نظر ، لأن لزوم المكية إنما يكون عن اختصاص العتوّ بها لا عن غلبته . ثم إنه لا يظهر معنى الزجر في « كلا » المسبوقة بنحو ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾ [الآية ٨ / الانفطار] ، ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ [الآية ٦ / المطففين] ، ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ [الآية ٣٠ / القيامة] .

وقول من قال : فيه ردع عن ترك الإيمان بالتصوير ، في أَيِّ صورة شاء الله ، وبالبعث ، وعن العجلة بالقرآن ، فيه تعسّف ظاهر . ثم إن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق ، ثم نزل : ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى** ﴾ [الآية ٦ / العلق] ، فجاءت في افتتاح الكلام ، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعاً ، كلها في النصف الأخير .

ورأى الكسائيُّ وجماعة أن معنى الردع ليس مستمراً فيها ، فزادوا معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها ، ويُبتدأ بها ، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال : فقيل : بمعنى حقاً ، وقيل بمعنى ألا الاستفتاحية ، وقيل : حرف جواب بمنزلة إي ونَعَمْ ، وحملوا عليه : ﴿ **كلا** =

أبداً[1] ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة - أخي أبيها - وكان امرءًا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم -

---

والقمر ﴾ [الآية ٣٢ / المدثر] ، فقالوا : معناه إي والقمر ، وهذا المعنى لا يتأتى في آيتي المؤمنين والشعراء : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ [الآية ١٠٠ / المؤمنون] ، ﴿ **كلا إن معي ربي** ﴾ [الآية ٦٢ / الشعراء] .

وقول من قال : بمعنى حقاً ، لا يتأتّي في نحو : ﴿ **إن كتاب الفجار** ﴾ ، ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ [الآيتان ٧ ، ١٥ المطففين] ، لأنّ « إنَّ » تُكسر بعد ألا الاستفتاحية ، ولا تُكسر بعد حقاً ، ولا بعد ما كان بمعناها ، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم .

وإذا صلح الموضع للردع ولغيره ، جاز الوقف عليها ، والابتداء بها ، على اختلاف التقديرين . والأرجح حملها على الردع ؛ لأنه الغالب عليها ، وذلك نحو : ﴿ **أطَّلَعَ الغيْب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتُب ما يقول** ﴾ [الآيتان ٧٨ ، ٧٩ مريم] ، ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزّاً كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ [الآيتان ٨١ ، ٨٢ / مريم] .

وقد يتعين للردع أو الاستفهام نحو : ﴿ **رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ [الآية ١٠٠ / المؤمنون] ، لأنها لو كانت بمعنى حقاً لما كُسرت همزة إنَّ ، ولو كانت بمعنى نعم لكانت للوعد بالرجوع ، لأنها بعد الطلب ، كما يقال : أكرم فلاناً ، فتقول : نعم . ونحو : ﴿ **قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين** ﴾ [الآيتان ٦١ ، ٦٢ / الشعراء] ، وذلك لكسر إنَّ ، ولأن نَعَمْ بعد الخبر للتصديق .

وقد يمتنع كونها للزجر والردع ، نحو : ﴿ **وما هي إلا ذكرى للبشر كلا والقمر** ﴾ [الآيتان ٣١ ، ٣٢ / المدثر] ، إذ ليس قبلها ما يصح رَدُّهُ .

وقُرِيء : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ [الآية ٨٢ / مريم] بالتنوين ، إما على أنه مصدر كَلَّ إذا أعيا ، أي كَلُّوا في دعواهم وانقطعوا ، أو من الكلّ وهو الثِّقل ، أي حملوا كلاً . وجوَّز الزمخشري كونه حرفَ الردع نُوِّن كما في ﴿ **سلاسلاً** ﴾ [الآية ٤ / الإنسان] ، ورُدَّ عليه بأن ﴿ **سلاسلاً** ﴾ لاسم أصله التنوين فرُدَّ إلى أصله ، ويُصحح تأويل الزمخشري قراءة من قرأ ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ [الآية ٤ / الفجر] إذا الفعل ليس أصله التنوين .

وقال ثعلب : كَلَّا مركب من كاف التشبيه ولا النافية ، وإنما شُددت لامُها لتقوية المعنى ، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين ، وعند غيره بسيطة كما ذكرنا ، والله تعالى أعلم . (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ٤ / ٣٨١ - ٣٨٣ .

(١) قوله : « فوالله لا يخزيك الله أبداً » لغير أبي ذر بضم أوله ، والخاء المعجمة ، والزاي المكسورة ، ثم الياء الساكنة ، من الخزي ، ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي ،

وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب ، وإما بالبدن أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره أو بمن لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفه به و « الكَلّ » بفتح الكاف هو من لا يستقل بأمره ، كما قال تعالى : ﴿ **وهو كَلٌّ على مولاه** ﴾ [الآية ٧٦/ النحل] .

و « تكسب المعدوم » : في رواية الكشمهيني وتُكسب بضم أوله ، وعليها قال الخطابي : الصواب : المعدم بلا واو ، أي الفقير ، لأن المعدوم لا يكسب . قال الحافظ ابن حجر : ولا يمتنع أن يطلق على المعدم المعدوم لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تَصَرُّفَ له ، والكسب هو الاستفادة ، فكأنها قالت : إذا رغب غيرك أن يستفيد مالاً موجوداً رغبت أنت أن تستفيد رجلاً عاجزاً فتعاونه . وقال قاسم ابن ثابت في (الدلائل) : قوله يكسب معناه ما يعدمه غيره ويعجز عنه يصيبه ويكسبه . قال أعرابي يمدح إنساناً : كان أكسبهم لمعدوم ، وأعطاهم لمحروم .

ولغير الكشمهيني « وتكسب » بفتح أوله ، قال عياض : وهذه الرواية أصح – قال الحافظ ابن حجر : قد وجّهنا الأولى ، وهذه الراجحة ، ومعناها تُعطي الناس مَا لاَ يجدونه عند غيرك ، فحذف أحد المفعولين ، ويقال : كسبتُ مالاً وأكسبته بمعنى . وقيل : معناه تكسب المال المعدوم وتصيب ما لا يصيب غيرك . وكانت العرب تتمادح بكسب المال ، لا سيما قريش ، وكان النبي ﷺ قبل البعثة محظوظاً في التجارة ، وإنما يصح هذا المعنى إذا ضُم إليه ما يليق به من أنه كان مع إفادته للمال يجود به في الوجوه التي ذكرت في المكرمات .

وقولها : « وتعين على نوائب الحق » ، كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم . وفي رواية (البخاري في التفسير) ، من طريق يونس عن الزهري من الزيادة : « وتصدق الحديث » ، وهي من أشرف الخصال . وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة : « وتؤدي الأمانة » .

وفي هذه القصة من الفوائد :

* استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه وتهوينه لديه .
* وأن من نزل به أمر استحب له أن يُطْلع عليه من يثق بنصيحته وصحة رأيه .

قوله : « فانطلقت به » ، أي مضت معه ، فالباء للمصاحبة ، وورقة بفتح الراء ، وقوله : « ابن عم خديجة » ، هو بنصب « ابن » ، ويكتب بالألف ، وهو بدل من ورقة ، أو صفة ، أو بيان ، ولا يجوز جره ، فإنه يصير صفة لعبد العُزى ، وليس كذلك ، ولا يجوز كتْبُه بغير ألف لأنه لم يقع بين علمين .

قوله : « تَنَصَّر » ، أي صار نصرانياً ، وكان قد خرج هو وزيد بن نُفيل لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين ، فأما ورقة فأعجبه دين النصرانية فتنصَّر ، وكان لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل ، ولهذا أخبر بشأن النبي ﷺ والبشارة به ، إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل .

قوله : « فكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية » ، وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية ، ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربي ، والجميع صحيح ، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية ، فكان يكتب الكتاب العبراني ، كما كان يكتب الكتاب العربي ، لتمكنه من الكتابين واللسانين . ووقع لبعض الشراح هنا ضبط فلا يُعرَّج عليه .

وإنما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه ، لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسراً كتيسر حفظ القرآن الذي خُصَّت به هذه الأمة ، فلهذا جاء في صفتها : « أناجيلها صدورها » . قولها : « يا ابن عم » ، هذا النداء على حقيقته ، ووقع في مسلم « يا عم » وهو وهَمَ ، لأنه وإن كان صحيحاً لجواز إرادة التوقير ، لكن القصة لم تتعد ، ومخرجها متحد ، فلا يُحْمل على أنها قالت ذلك مرتين ، فتعين الحمل على الحقيقة .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : وإنما جوزنا ذلك فيما مضى في العبراني والعربي ، لأنه من كلام الراوي في وصف ورقة ، واختلفت المخارج فأمكن التعداد ، وهذا الحكم يطرد في جميع ما أشبهه ، وقالت في حق النبي ﷺ : اسمع من ابن أخيك ، لأن والده عبد الله بن عبد المطلب وورقة في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثية في درجة إخوته . أو قالته على سبيل التوقير لسنه .

وفيه إرشاد إلى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يُعرِّف بقدره ممن يكون أقرب منه إلى المسؤول ، وذلك مستفاد من قول خديجة لورقة : « اسمع من ابن أخيك » أرادت بذلك أن يتأهب لسماع كلام النبي ﷺ ، وذلك أبلغ في التعظيم .

قوله : « ماذا ترى » ؟ فيه حذف يدل عليه سياق الكلام ، وقد صرَّح به في (دلائل النبوة) لأبي نعيم بسند حسن إلى عبد الله بن شداد في هذه القصة قال : فأتت به ورقة ابن عمها فأخبرته بالذي رأى .

قوله : « هذا الناموس الذي نزل الله على موسى » . وللكشميهني : « أنزل الله » ، وفي كتاب التفسير « أُنزل » على البناء للمفعول ، وأشار بقوله : « هذا » إلى الملكْ الذي ذكره النبي ﷺ في خبره ، ونزله منزلة القريب لقرب ذكره . والناموس : صاحب السر كما جزم به المؤلف في أحاديث الأنبياء . وزعم ابن ظفر أن الناموس صاحب سرّ الخير ، والجاسوس صاحب سر الشّر ، والأول الصحيح الذي عليه الجمهور ، وقد سوّى بينهما رؤبة بن العجاج أحد فصحاء العرب . والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام . وقوله : « على موسى » ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانياً ، لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام ، بخلاف عيسى . وكذلك النبي ﷺ . أو لأن موسى عليه السلام بُعث بالنقمة على فرعون ومن معه ، بخلاف عيسى . كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة ، وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر . أو قاله تحقيقاً للرسالة ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب ، بخلاف عيسى فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته .

وأما ما تحمل له السهيلي ، من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ، ودعواهم أنه أحد الأقانيم [الثلاثة] فهو محال لا يُعَرَّج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل ، و لم يأخذ عمن بَدَّل . على أنه قد ورد عند الزبير بن بكار من طريق عبد الله بن معاذ عن الزهري في هذه القصة أن ورقة قال : ناموس عيسى ، والأصح ما تقدم ، وعبد الله بن معاذ ضعيف .

نعم في (دلائل النبوة لأبي نعيم) بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة ، أن خديجة أولاً أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال : لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم ، فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس عيسى ، وتارة ناموس

. . . .

موسى عليهما السلام ، فعند إخبار خديجة له بالقصة ، قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية ، وعند إخبار النبي ﷺ له قال له : ناموس موسى للمناسبة التي قدمناها ، وكل صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قوله : « ياليتني فيها جذع » ، كذا في رواية الأصيلي ، وعند الباقين : « ياليتني فيها جذعاً » ، بالنصب على أنه خبر كان المقدرة . قاله الخطابي ، وهو مذهب الكوفيين في قوله تعالى : ﴿ انتهوا خيراً لكم ﴾ [الآية ١٧١ / النساء] ، وقال ابن بري : التقدير ياليتني جعلت فيها جذعاً ، وقيل : النصب على الحال إذا جعلت « فيها » خبر ليت ، والعامل في الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار ، قاله السهيلي . وضمير « فيها » يعود على أيام الدعوة ، والجَذَع - بفتح الجيم ، والذال المعجمة - هو الصغير من البهائم ، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً ، ليكون أمكن لنصره ، وبهذا يتبين سرّ وصفه بكونه كان كبيراً أعمى .

قوله : « إذ يخرجك » ، قال ابن مالك : فيه استعمال « إذ » في المستقبل كإذا ، وهو صحيح وغفل عنه كثير من النحاة ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ [الآية ٣٩ / مريم] ، هكذا رواه ابن مالك ، وأقره عليه غير واحد ، وتعقبه شيخنا شيخ الإسلام بأن النحاة لم يغفلوه بل منعوا وروده ، وأولوا ما ظاهره ذلك وقالوا في مثل هذا : استعمل الصيغة الدالة على المضيّ لتحقق وقوعه فأنزلوه منزلته ، ويقوي ذلك هنا أن في رواية البخاري في (التعبير) : « حين يخرجك قومك » . وفيه دليل على جواز تمني المستحيل إذا كان في فعل خير ، لأن ورقة تمنى أن يعود شاباً ، وهو مستحيل عادة ، ويظهر لي - والكلام للحافظ ابن حجر - أن التمني ليس مقصوداً على بابه ، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبر به ، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به .

قوله : « أوَ مُخْرِجِيَّ هم » ؟ - بفتح الواو وتشديد الياء وفتحها - ، فهُم : مبتدأ مؤخر ، ومخرجيّ : خبر مقدم ، قاله ابن مالك ، واستبعد النبي ﷺ أن يُخرجوه ، لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج ، لما اشتمل عليه ﷺ من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة وصفها .

قوله : « إلا عودي » ، وفي رواية يونس في (التفسير) : « إلا أوذي » ، فذكر ورقة أن العلة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم ، ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك ، وأنه يلزمه لذلك منابذتهم ومُعاندتهم ، فتنشأ العداوةُ من ثمَّ ، وفيه دليل أن المجيب يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضاه المقام .

قوله : « إن يدركني قومك » ، إن : شرطية والذي بعدها مجزوم ، زاد في رواية يونس في (التفسير) : « حيّاً » ، ولابن إسحاق : « إن أدركتُ ذلك اليوم » يعني الإخراج .

قوله : « مؤزَّراً » - بهمزة - أي قوياً ، مأخوذ من الأزر ، وهو القوة ، أنكر القزاز أن يكون في اللغة مؤزر من الأزر ، وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون من الإزار ، أشار بذلك إلى تشميره في نُصرته . قال الأخطل :

* قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم *

قوله : « ثم لم ينشب » - بفتح الشين المعجمة - أي لم يلبث ، وأصل النشوب التعلق ، =

وقال مسلم : أي عم – اسمع من ابن أخيك ، فقال [له] ورقة يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة ابن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل على موسى [بن عمران] ، يا ليتني فيها جذعاً ، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك – وقال البخاري : يا ليتني أكون حياً [إذْ] ... – فقال رسول الله ﷺ أو مُخرجيّ هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي – وقال مسلم : إلا أوذي – وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي [فترة حتى حزن رسول الله ﷺ] .

قال محمد بن شهاب[1] : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن

أي لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات . وهذا بخلاف ما في السيرة لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب ، وذلك يقتضى أنه تأخر إلى زمن الدعوة ، وإلى أن دخل بعض الناس في الإسلام .

قال الحافظ ابن حجر : فإن تمسكنا بالترجيح فما في الصحيح أَصَح ، وإن لحَظْنا الجمع أمكن أن يُقال : الواو في قوله : « وفتر الوحي » ليست للترتيب ، فلعلَّ الراوي لم يحفظ لورقة ذكراً بعد ذلك في أمر من الأمور ، فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى عمله ، لا إلى ما هو الواقع ، وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان ، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع ، وليحصل له التشوف إلى العود ، فقد روى البخاري في كتاب (التعبير) من طريق معمر ما يدل على ذلك .

[**فائدة**] : وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي ، أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين ، وبه جزم ابن إسحاق ، وحكي البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر ، وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة ، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان ، وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين ، وهي ما بين نزول ﴿ **اقرأ** ﴾ و ﴿ **يٰأيها المدثر** ﴾ ، عدم مجيء جبريل إليه ، بل تأخر نزول القرآن فقط ، (فتح الباري) : ١ / ٣٣ – ٣٦ ، كتاب بدء الوحي حديث رقم (٣) .

(١) قوله : « قال ابن شهاب : « وأخبرني أبو سلمة » ، إنما أتى بحرف العطف ليعلم أنه معطوف على ما سبق ، كأنه قال : أخبرني عروة بكذا ، وأخبرني أبو سلمة بكذا . وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن ابن عوف ، وأخطأ من زعم أن هذا معلق ، وإن كانت صورته التعليق ، ولو لم يكن في ذلك إلا ثبوت الواو العاطفة ، فإنها دالة على تقدم شيء عطفته ، وقد تقدم قوله : عن ابن شهاب عن عروة فساق الحديث إلى آخره ثم قال : ابن شهاب – أي بالسند المذكور – وأخبرني أبو سلمة بخبر آخر وهو كذا .

ودلَّ قوله : « عن فترة الوحي » وقوله : « الملك الذي جاءني بحراء » على تأخر نزول سورة المدثر عن ﴿ **اقرأ** ﴾ ، ولما دخلت رواية يحيى بن أبي كثير الآتية في (التفسير) عن أبي سلمة عن جابر عن هاتين الجملتين أشكل الأمر ، فجزم من جزم بأن ﴿ **يٰأيها المدثر** ﴾ أول ما نزل ، ورواية الزهري هذه صحيحة ترفع الإشكال ، وسياق بسط القول في ذلك في كتاب التفسير من (صحيح البخاري) في تفسير سورة ﴿ **اقرأ** ﴾ ، فليراجع هناك . (المرجع السابق) .

عبد الله الأنصاري [رضي الله عنه] ، قال فسلم : وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - وهو - يحدث عن فترة الوحي : قال في حديثه : بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، [فرعبتُ][1] منه فرجعت ، - وقال مسلم : قال رسول الله ﷺ : فخشيت منه فرقاً فرجعت - فقلت : زملوني [زملوني] ، فَدَّثروه - وقال مسلم : فدثروني - فأنزل الله : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** ﴾[2] - وهي الأوثان - قال : ثم تتابع الوحي[3] -

وقال البخاري : قال أبو سلمة : وهي الأوثان التي كانت الجاهلية يعبدون ، قال : ثم تتابع الوحي ، ولم يذكر مسلم : ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ . ذكره البخاري في كتاب التفسير وفي كتاب الإيمان[4] .

وذكره مسلم من حديث معمر عن الزهري[5] ولفظه : أول ما بديء به

---

(1) قوله : « فرُعِبتُ منه - بضم الراء وكسر العين ، وللأصيلي بفتح الراء وضم العين - أي فزعت ، دلَّ على بقية بقيت معه من الفزع الأول ، ثم زالت بالتدريج .

قوله : « فقلت : « زملوني زملوني » - وفي رواية الأصيلي وكريمة « زملوني » مرة واحدة ، وفي رواية يونس في (التفسير) : « فقلت : دثروني » فنزلت : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر** ﴾ ، أي حَذِّر من العذاب من لم يؤمن بك . ﴿ **وربك فكبر** ﴾ أي عظم ، ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ أي من النجاسة ، وقيل : الثياب النفس ، وتطهيرها اجتناب النقائص ، والرجز هنا الأوثان ، والرِّجز في اللغة العذاب ، وسمي الأوثان رجزاً لأنها سببه .

(2) أول سورة المدثر .

(3) قوله : « تتابع » ، تأكيد معنوي ، وتتابع تكاثر . وقد وقع في رواية الكشمهيني وأبي الوقت: « تواتر » ، والتواتر مجيء الشيء يتلو بعضه بعضاً من غير تخلل . (المرجع السابق) : حديث رقم (٤) .

(4) هذا الحديث ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب (٧) حديث رقم (٣٢٣٨) ، وفي كتاب التفسير ، باب (١ ، ٢) حديث رقم (٤٩٢٢) ، (٤٩٢٣) ، باب (٣) ، حديث رقم (٤٩٢٤) باب (٤) حديث رقم (٤٩٢٥) ، باب (٥) ، حديث رقم (٤٩٢٦) ، (٤٩٥٤)، وفي كتاب الأدب ، باب (١١٨) ، حديث رقم (٦٢١٤) . بسياقات مختلفة وتقديم وتأخير .

(5) حديث معمر عن الزهري : رقم (٢٥٣) من كتاب الإيمان ، باب (٧٣) بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، من (صحيح مسلم بشرح النووي) ٢ / ٥٥٩ .

رسول الله ﷺ من الوحي .. وساق الحديث بمثل حديث يونس ، غير أنه قال : فوالله لا يخزيك الله أبداً ، وقال : قالت خديجة أيا ابن العم ! اسمع من ابن أخيك ، وذكره أيضاً من حديث عقيل عن ابن شهاب ، سمعت عروة بن الزبير يقول : قالت عائشة زوج النبي ﷺ : فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده ، فاقتص الحديث بمثل حديث يونس ومعمر ، ولم يذكر أول حديثهما من قوله : أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ، وتابع يونس على قوله : فوالله لا يخزيك الله أبداً ، وذكر قول خديجة : أي ابن عم ! اسمع من ابن أخيك .

وذكر من حديث عقيل عن ابن شهاب[1] قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أي جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينا أنا أمشي .. ثم ذكر بمثل حديث يونس ، غير أنه قال : فخشيتُ منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض . قال : وقال أبو سلمة : الرجز الأوثان ، قال : حمي الوحي بعد ذلك وتتابع .

وذكره من حديث معمر عن الزهري بهذا الإسناد نحو حديث يونس ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ **يأيها المدثر** ﴾ إلى[2] ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ - قبل أن تفرض الصلاة - وهي الأوثان ، قال فخشيت منه كما قال عقيل[3] .

وذكر البخاري في كتاب التعبير حديث عقيل ولفظه[4] : أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم بنحو حديث يونس وقال فيه : حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وقال : فقالت له خديجة : أي ابن عم .. الحديث إلى قوله نصراً مؤزراً ، وقال بعده : ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفي بذروة جبل لكي يلقى [منه] بنفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول

---

(١) حديث عقيل عن ابن شهاب : رقم (٢٥٤) ، (المرجع السابق) .
(٢) أول سورةالمدثر .
(٣) حديث رقم (٢٥٥) ، (المرجع السابق .
(٤) حديث عقيل عن ابن شهاب ، ذكره البخاري في أول كتاب التعبير ، باب أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، حديث رقم (٦٩٨٢) من (فتح الباري) : ١٢ / ٤٣٦ .

الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك[1] .

ترجم عليه أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة .

وذكر في أول حديث عقيل ولفظه : أول ما بديء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم وقال فيه : يرجف فؤاده ، وقال : وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وقال : فقالت له خديجة : يا ابن عم ، وقال : هو الناموس الذي نزل على موسى ، وقال : ليتني أكون حياً إذا يخرجك قومك ، وقال : رجل قط بما جئت به إلا عودي ، قال في التعبير وقال بعد قوله نصراً مؤزراً : ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[2] .

قال ابن شهاب : وأخبرني سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : بينا أمشي إلا سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعتُ فقلت : زملوني زملوني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** ﴾[3] ،

---

(١) زاد بعد قوله : « مثل ذلك » : [قال ابن عباس : فالق الإصباح : ضوء الشمس بالنهار ، وضوء القمر بالليل .

قوله : « فإذا طالت عليه فترة الوحي » ، قد يتمسك به من يصحح مرسل الشعبي في أن مدة الفترة كانت سنتين ونصفاً ، كما نقله الحافظ ابن حجر في أول بدء الوحي ، ولكن يعارضه ما أخرجه ابن سعد من حديث ابن عباس بنحو هذا البلاغ الذي ذكره الزهري .

وقوله : مكث أياماً بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل ، فحزن حزناً شديداً حتى كان يغدو إلى ثبير مرة ، وإلى حراء أخرى يريد أن يُلقي بنفسه ، فبينا هو كذلك عامداً لبعض تلك الجبال ، إذ سمع صوتاً فوقف فزعاً ، ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسيّ بين السماء والأرض ، متربعاً يقول : يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل ، فانصرف وقد أقرَّ الله عينه ، وانبسط جأشه ، ثم تتابع الوحي » ، فيستفاد من هذه الرواية تسمية بعض الجبال التي أُبهمت في رواية الزهري ، وتقليل مدة الفترة . والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) : ١٢ / ٤٤٦ .

(٢) حديث عقيل عن ابن شهاب ، ذكره البخاري في أول كتاب التعبير ، باب أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، حديث رقم (٦٩٨٢) من (فتح الباري) : ١٢ / ٤٣٦ .

(٣) أول سورة المدثر .

فحمي الوحي وتتابع . تابعه عبد الله بن يونس وأبو صالح ، وتابعه هلال بن ردَّاد عن الزهري . وقال يونس ومعمر : بوادره .

وذكر في التفسير من حديث معمر عن الزهري : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي[1] فقال في حديثه : فبينا أنا أمشي إذا سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي إليه ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء على كرسي بين السماء والأرض فَجَئِثْتُ منه رعباً ، فرجعتُ فقلتُ : زملوني زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر** ﴾ ، إلى ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ قبل أن تفرض الصلاة ، وهي الأوثان ، وذكر فيه أيضاً حديث عقيل عن ابن شهاب قال : سمعتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن قال : أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي ، [قال] : فبينا أنا أمشي سمعت تصويتاً من السماء ، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلي فقلت : زملوني زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله : ﴿ **يأيها المدثر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ ، قال أبو سلمة : والرجز : الأوثان ، ثم حمي الوحي وتتابع .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة[2] ، حدثنا

---

(١) « قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه : بينا أمشي » ، هذا يُشعر بأنه كان في أصل الرواية أشياء غير المذكور ، وهذا أيضاً من مرسل الصحابي ، لأن جابراً لم يُدركه زمان القصة فيحتمل أن يكون سمعها من النبي ﷺ أو من صحابي آخر حضرها ، والله تعالى أعلم .

قوله : « سمعت صوتاً من السماء فرفعتُ بصري » يؤخذ منه جواز رفع البصر إلى السماء عند وجود حادث من قبلها ، وقد ترجم له البخاري في (الأدب) . ويستثنى من ذلك رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، لثبوت النهي عنه كما تقدم في (الصلاة) من حديث أنس ، وروي ابن السني بإسناد ضعيف عن ابن مسعود قال : أُمرنا أن لا نتبع أبصارنا الكواكب إذا انقضت .

ووقع في رواية يحي بن أبي كثير : « فنظرتُ عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرتُ أمامي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعتُ رأسي » .

وفي رواية مسلم بعد قوله : « شيئاً » ، « ثم نوديتُ » ، فنظرتُ فلم أر أحداً ، ثم نوديت فرفعتُ رأسي » . (فتح الباري) : ٨ / ٩٣٥ ، حديث رقم (٤٩٥٣) .

(٢) حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، في (دلائل النبوة لأبي نعيم) رقم (١٧٤) بغير هذه السياقة .

منجاب بن الحارث ، حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن عبد الله بن شداد قال : نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فغمه ثم قال له : اقرأ ، قال ما أقرأ ؟ فغمه ثم قال له : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، فغمه ثم قال له : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، قال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ إلى ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ ، فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بالذي رأى ، فأتت ورقة ابن نوفل ابن عمها فأخبرته بالذي رأى فقال : هل رأى زوجك صاحبه في خضر ؟ فقالت : نعم ، فقال : إن زوجك نبي وسيصيبه في أمته بلاء .

وخرج من حديث منجاب قال : حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما أُنزل على رسول الله ﷺ قال لخديجة : لقد خشيت أن أكون كاهناً أو مجنوناً ، قالت : لا والله لا يفعل الله ذلك بك ، إنك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم ، وتؤدي الأمانة ، والله لا يفعل ذلك بك ، فأتت ابن عمها ورقة ابن نوفل وكانت تضيفه إليه ؛ فأخبرته بالذي رأى ، فقال : لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه الناموس الأكبر ؛ ناموس عيسى الذي لا تُعلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم ، ولئن نطق وأنا حيّ لأبلين الله فيه بلاءاً حسناً ، قال أبو نعيم : هكذا رواه علي بن مسهر وأصحاب هشام مرسلاً ، ورواه يعقوب بن محمد الزهري عن عبد الله بن محمد ابن يحيى بن عروة عن هشام متصلاً ، وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ورقة لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل : سُبّوح سُبّوح ، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان ، جبريل أمين الله بينه وبين رسله ، إذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه فتحسّرى فإن يكن من عند الله لا يراه ، ففعلت ، قالت : فلما تحسَّرتُ تغيَّبَ جبريل فلم يره ، فرجعتْ فأخبرتْ ورقة فقال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يُعلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم إلا بالثمن ، ثم أقام ورقة ينتظر إظهار الدعوة ، فقال في ذلك :

لججت وكنت في الذكرى لجوجاً[1] لهَمٍ طالما بعث النشيجا[2]

---

(١) اللجلجة والتلجلج : التردد في الكلام . (ترتيب القاموس) : ٤ / ١٢٤ .

(٢) نشج الباكي ينشج نشيجاً : غُصّ في حلقه من غير انتحاب (المرجع السابق) ٣٧٠ .

ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين[1] على رجائي[2] ... حديثك أن[3] أرى منه خروجاً
بما خبرتنا[4] عن قول قَسٍّ ... من الرهبان أكره[5] أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا[6] ... ويخصم من يكون له حجيجاً
ويظهر في البلاد ضياء نور[7] ... يقيم به البرية أن تعوجا

(١) ثنى « مكة » ، وهي واحدة ؛ لأن لها بطاحاً وظواهر ، وقد ذكرنا من أهل البطاح ، ومن أهل الظواهر ، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة ، وجمعها ، وإنما يقصد العرب في هذه الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة أو بستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها ونظرت إليها يميناً وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قوة ، وصدرك مسرَّة ، وفي التنزيل : ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** ﴾ [الآية ١٥ / سبأ] ، ﴿ **فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خمط وأثل وشيء من سِدْرٍ قليل** ﴾ [الآية ١٦ / سبأ] ، وفيه : ﴿ **جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾ ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً** ﴾[الآيتان ٣٢ ، ٣٣ / الكهف] ، ثم قال سبحانه : ﴿ **دخل جنته** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك** ﴾ [من الآيتين ٣٥ ، ٣٩ ، ٤١ / الكهف] ، فأفرد بعد ما ثني وهي هي ، وقد حمل العلماء على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ [الآية ٤٦ / الرحمن] ، والقول في هذه الآية يتسع . (الروض الأنف) : ١ / ٢١٨ – ٢٢٠ .

(٢) في (خ) : « على رجاء » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) : ٢ / ١٠ ، (البداية والنهاية) : ٣ / ١٥ ، قوله : « حديثك أن أرى منه خروجاً » ، فالهاء في « منه » راجعة على الحديث ، وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة « أن » فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخصص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المفصل وتاه في تضلل ؛ ففي التنزيل : ﴿ **أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ [الآية : ٢ / يونس] ، ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولابد للّامِها هنا أن تتعلق بعجب ، لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها . (المرجع السابق) .

(٣) في (خ) : « لو أرى » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

(٤) في (خ) : « بما خبرتني » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

(٥) في (خ) : « يكره » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

(٦) في (خ) ، (البداية والنهاية) : « سيسود قوماً » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) .

(٧) هذا البيت يوضح لنا معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور =

فيلقى من يحاربه خساراً ويلقى من يسالمه فلوجاً[1]

فياليتي[2] إذا ما كان ذاكم شهدتُ فكنت أولهم ولوجاً

ولوجا[3] في الذي كرهت قريش ولو عجت بمكتها عجيجا[4]

أرجى بالذي كرهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا

وإن يبقوا وأبق[5] تكن أمورٌ يضجّ الكافرون بها ضجيجا[6]

وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفةً خلوجا[7]

= هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ **فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم** ﴾ [الآية ١٧ / البقرة] ، وفيه : ﴿ **جعل الشمس ضياء والقمر نوراً** ﴾ [الآية ٥ / يونس] ، لأن نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، ولا سيما طرفي الشهر ، وفي الصحيح : « الصلاة نور ، والصبر ضياء » ، وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن والذكر ، وفي أسماء الباري سبحانه ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ [الآية ٣٠ / النور] ، ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه . (الروض الأنف) .

(١) فلج : ظَفِرَ ، ويقال : فلج بحاجته ، وبحجته : أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه . (المعجم الوسيط) : ٢ / ٦٩٩ .

(٢) ليتي : بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت رديء ، وهو في لعلّ أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعل ولعن ولأن بمعنى واحد ، وقد حكي يعقوب أن من العرب من يخفف بلعلّ ، وهذا يؤكد حذف النون من لعلني ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إنَّ ، وأنَّ ، ولكن ، وكأنَّ ، لاجتماع النونات ، وحسنه في لعلّ أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفي التنزيل : ﴿ **لعلي أرجع إلى الناس** ﴾ [الآية ٤٦ / يوسف] بغير نون ، ومجيء هذه الياء وليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة ، يَدُلُّكَ على أن الاسم المضمر في ضربني هو الياء ، دون النون كما هو في ضربك ، وضربه حَرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء ، كما قالوا في المخفوض : مني وعني بنونين . نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فإذاً الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض ، وفي حال النصب ، (ابن هشام) : ٢ / ١٢ هامش .

(٣) ولج الشيء في غيره ولوجاً : دخل فيه (المعجم الوسيط) : ٢ / ١٠٥٥ ، وفي التنزيل : ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ [الآية ٦ / الحج] .

(٤) عَجّ عجّاً وعجّة وعجيجاً : رفع صوته وصاح . (المرجع السابق) : ٢ / ١٠٥٥ ، وفي الصحيح : « الحج عجٌّ وثجّ » .

(٥) في (خ) : « ونبق » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (الروض الأنف) ، (البداية والنهاية) .

(٦) ضج ضجيجاً : الصياح عند المكروه ، والمشقة ، والجزع ، (لسان العرب) : ٢ / ٣١٢ .

(٧) في (خ) : « خلوجاً » ، وهو الاضطراب . (المعجم الوسيط) : ١ / ٢٤٨ . وفي (ابن هشام) : « حروجاً » ، وهي الجسيمة (المرجع السابق) : ١ / ١٦٤ .

وخرج أيضاً من حديث الحارث بن أبي أسامة قال : حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا حماد عن أبي عمران الجوى عن يزيد بن بابنوس عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة رضي الله عنها بحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان ، فخرج النبي ﷺ ذات ليلة فسمع : السلام عليك ! قال : فظننتها فجأة الجن ، فجئت مسرعاً حتى جئت إلى خديجة فسجتني ثوباً فقالت : ما شأنك يا ابن عبد الله ؟ فأخبرها فقالت له : أبشر يا ابن عبد الله ، فإن السلام خير ، قال : ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس ؛ جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب ، قال[1] : فهلتُ منه فجئت مسرعاً فإذا هو بيني وبين الباب ، فكلمني حتى أنستُ به ، ثم وعدني موعداً فجئتُ له فأبطأ عليّ فرأيت أن أرجع ، فإذا أنا به وميكائيل بين السماء والأرض قد سدّ الأفق ، فهبط جبريل وبقى ميكائيل بين السماء والأرض ، فأخذني جبريل فاستلقاني لحلاوة القفا[2] ، ثم شق عن قلبي فاستخرج ما شاء الله أن يستخرج ، ثم غسله ، في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأَمَهُ ثم أكفأني كما يُكفأ الأديم ، ثم ضم في ظهري حتى وجدتُ مسَّ الخاتم في قلبي ، ثم قال لي : اقرأ ، ولم أكن[3] قرأتُ كتاباً قط ، فلم أدر ما أقرأ ، ثم قال : اقرأ ، فقلتُ ما أقرأ ؟ قال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[4] ، حتى انتهى إلى خمس آيات منها فما نسيتُ شيئاً بعد ، ثم وزنني برجل فوزنته ، ثم وزنني بآخر فوزنته حتى وزنت بمائة فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة ، فجعلت لا يلقاني حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله حتى دخلت على خديجة فقالت : السلام عليك يا رسول الله[5] .

وفي رواية يونس بن حبيب عن داود : فقال ميكائيل : تبعته أمته ، وقال :

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١ / ٦٩ : « فهللت » كما في أصل الدلائل ، وفي الخصائص « فهلت » ، وفي مسند أبي داود والطيالسي : « فهبتُ منه » .

(٢) في (خ) : « فسبقني بحلاوة القفا » ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « أكُ » ، « فلم أجد ما أقرأ » .

(٤) أول سورة العلق .

(٥) (دلائل أبي نعيم) ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ ، حديث رقم (١٦٣) .

كما يكفأ الإناء ، وقال : أخذ بحلقي حتى اجهشت بالكباء ثم قال لي : اقرأ .. والباقي مثله سواء .

وخرج من حديث إسماعيل بن أبي حكيم عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن [الحارث][1] بن هشام عن أم سلمة عن خديجة[2] رضي الله عنها أنها قالت : قلت لرسول الله ﷺ : يا ابن عم ، أتستطيع إذا جاءك هذا الذي يأتيك أن تخبرني به ؟ قال : نعم ، قالت خديجة : فجاءه جبريل عليه السلام ذات يوم وأنا عنده فقال : يا خديجة ، هذا صاحبي الذي يأتيني قد جاء ، فقلت له : قم فاجلس على فخذي[3] ، فجلس عليهما[4] فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فقلت : تحول فاجلس على فخذي اليسرى فجلس فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت خديجة [فتحسرت][5] فطرحت خماري فقلت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقلت : هذا والله ملك كريم ، والله ما هذا شيطان ، قالت خديجة فقلت لورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي : ذلك مما أخبرني محمد ﷺ ، فقال ورقة :

إن[6] يك حقاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيَّانا فأحمد مرسلُ
[وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي بشرح الصدر مُنزَّلُ][7]
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به العاني الغويّ المضَلَّلُ[8]
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأُخرى بأجواز الجحيم تغلَّلُ[9]

---

(١) في (خ) : « الحرث » وما أثبتناه من (المرجع السابق) .
(٢) كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : « خديجة بنت خويلد » .
(٣) كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : « على فخذي » بالإفراد .
(٤) كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : « عليهما » بالتثنية ، والسياق يقتضي الإفراد .
(٥) زيادة من المرجع السابق .
(٦) في (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٥٠ ، و (البداية والنهاية) : ٣ / ١٦ « فإن يك » .
(٧) هذا البيت ليس في (دلائل أبي نعيم) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) و (البداية والنهاية) .
(٨) (في المرجع السابق) : « ويشقى به العاني الغرير المضلل » .
(٩) أجواز الجحيم : وسط جهنم ، ومفرده « جَوْز » .

إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت   مقامع في هاماتهم ثم تُشعَلُ[1]
فسبحان من تهوى الرياح بأمره   ومن هو في الأيام ما شاء يفعلُ
ومن عرشه فوق السموات كلها   وأحكامه[2] في خلقه لا تُبدَّلُ

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجال وصرف الدَّهر والقدر   وما[3] لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها   وما لنا[4] بخفى الغيب من خبرِ
فكان ما سألت عنه لأخبرها   أمراً أراه سيأتي الناس عن أخرِ[5]
فخبرتني بأمر قد سمعتُ به   فيمامضى من قديم الدهر[6] والعصرِ
بأن أحمد يأتيه فيخبره   جبريل إنك مبعوثٌ إلى البشرِ
فقلت على الذي ترجين ينجزه   لك الإله فرجّى الخير وانتظري
وأرسليه إلينا كي نسائله   عن أمر ما يري في النوم والسهرِ
فقال خيرٌ أتانا منطقاً عجباً   يقفُّ منه أعالي الجلد والشَّعْرِ
إني رأيت أمين الله واجهني   في صورة أكملت في أهيب الصُّوَرِ
ثم استمر فكاد الخوف يذعرني   مما يسلم من حولي من الشجرِ
فقلتُ ظني وما أدرى سيصدقني   أن سوف يُبعث يتلو مُنزل السُّوَرِ[7]

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « مقامع في هاماتهم ثم مزعل » .
(٢) في (البداية والنهاية) ، و (دلائل البيهقي) : « وأقضاؤه » .
(٣) في (دلائل أبي نعيم) ، و (دلائل البيهقي) : « وما لشيء » ، وفي (خ) : « وبالشيء » .
(٤) في (خ) ، (دلائل أبي نعيم) : « وما لنا » ، وفي (دلائل البيهقي) ، « ومالها » ، وفي (البداية والنهاية) :

حتى خديجة تدعوني لأخبرها   أمراً أراه سيأتي الناس من أُخَر

وهذه الأبيات متساوية من حديث عددها (١٢) بيتاً في (دلائل أبي نعيم) و (دلائل البيهقي) ، و (خ) ، لكنها في (البداية والنهاية) : (١١) بيتاً فقط .
(٥) في (دلائل أبي نعيم) : « أمراً رآه » .
(٦) في (دلائل أبي نعيم) : « من قديم الناس » .
(٧) في (دلائل البيهقي) : « أن سوف تُبعث » .

وسوف أوليك[1] إن أعلنت دعوتهم منّي[2] الجهاد بلا مَنٍّ ولا كَدَرِ[3]

وخرج من حديث فليح بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن عبد العزيز الإماميّ عن يزيد بن رومان ، [والزهري][4] عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان جالساً مع خديجة [رضي الله عنها][5] يوماً من الأيام إذ رأى شخصاً بين السماء والأرض فقالت خديجة[6] : لا يزول ، أُدن مني ، فدنا منها ، فقالت له : أتراه ؟ [قال : نعم][7] قالت : أدخل [يدك][8] تحت [الدرع][9] ، ففعل ذلك ، فقالت[10] : أتراه ؟ قال : لا ، قد أعرض عني ، قالت : أبشر فإنه ملك كريم ، لو كان شيطاناً ما استحى . فبينا رسول الله ﷺ

---

(١) في (البداية والنهاية) : « وسوف يليك » ، وفي (دلائل البيهقي) : « وسوف أنبيك » . وما أثبتناه من (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) .

(٢) في (البداية والنهاية)، و (دلائل البيهقي): « من الجهاد »، وما أثبتناه من (خ)، و (دلائل أبي نعيم) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٣ / ١٧ : « هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي في (الدلائل) ، وعندي في صحتها عن ورقة نظر ، والله أعلم » .

(٤) كذا في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) ، وصوابه : « يزيد بن رومان الأسدي أبو روح المدني » (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٢٨٤ ، ترجمة رقم (٥٢٦) روى عن ابن الزبير وأنس بن عبيد الله وسالم ابني عبد الله بن عمر وصالح بن خوات بن جبير ، وعروة بن الزبير والزهري ، وهو من أقرانه ، وأرسل عن أبي هريرة .

وعنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر رضي الله عنه ، وأبو حازم سلمة بن دينار ومعاوية بن ثابت ومالك ويزيد بن عبد الملك النوفلي وجرير بن حازم وجماعة . قال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات .

قال ابن سعد عن الواقدي وغيره : مات سنة ثلاثين ومائة ، وكان عالماً كثير الحديث ثقة . قال الحافظ ابن حجر : وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : ثقة ، وقال غيره : قرأ القرآن على عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة ، وقرأ عليه نافع بن أبي نعيم . (المرجع السابق) .

(٥) زيادة من (خ) .

(٦) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، حديث رقم (١٦٥) : « بين السماء والأرض لا يزول فقالت خديجة » .

(٧) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « فقال النبي ﷺ : نعم » .

(٨) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق) : « رأسك » .

(٩) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق) : « درعي » .

(١٠) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق) : « فقالت خديجة له » .

يوماً من الأيام إذا رأى شخصاً بين السماء والأرض بأجياد[1] إذ بدا له جبريل فسلم عليه ، وبسط بساطاً كريماً مكللاً بالياقوت والزبرجد ، ثم بحث في الأرض فنبع الماء ، فعلَّم جبريلُ رسولَ الله كيف يتوضأ ، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صلى ركعتين نحو [الكعبة][2] مستقبل الركن الأسود ، وبشَّرَه بنبوته ، ونزل عليه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾[3] ثم انصرف منقلباً فلم يمر على شجر ولا حجر[4] إلا وهو يسلم عليه يقول : سلام[5] عليك يا رسول الله ، فجاء إلى خديجة فقال : يا خديجة ! أشعرت [أن][6] الذي كنت أراه قد بدا لي [وبسط لي][7] بساطاً كريماً وبحث من[8] الأرض فنبع الماء فعلمني الوضوء ، فتوضأتُ وصليت ركعتين ، [فقالت][9] : أرني كيف أراك ؟ فأراها النبي ﷺ [وتوضأتْ][10] ثم صلت معه وقالت : أشهد أنك رسول الله .

ولأبي نعيم من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : إني أسمع صوتاً وأرى ضوءاً ، وإني أخشى أن يكون خبل ، فقالت : لم يكن الله ليفعل بك ذلك يا ابن عبد الله ، ثم أتت ورقة ابن نوفل فذكرت ذلك له فقال : إن يك صادقاً إن هذا ناموس مثل ناموس موسى ، وإن يبعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأعينه[11] .

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « بجياد الأصغر » .
(٢) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « نحو القبلة » .
(٣) أول سورة العلق .
(٤) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « حجر ولا شجر » .
(٥) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « السلام عليك » .
(٦) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « بأن » .
(٧) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « قد بدا لي بساطاً كريماً » .
(٨) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « بحث لي » .
(٩) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « فقالت خديجة » .
(١٠) هذه الزيادة ليست في (المرجع السابق) .
(١١) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد فقال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا أبو كامل وحسن ابن موسى ، قالا : حدثنا حماد قال : أخبرنا عمار بن أبي عمار قال حسن عن عمار : قال حماد : وأظنه عن ابن عباس ولم يشك فيه حسن ، قال : قال ابن عباس ، قال أبي : وحدثنا عفان ، =

وله من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحٰق عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حديث أخبرنا عبيد كيف كان بدء ما ابتدأ الله به رسوله من النبوة حين جاءه جبريل ؟ فقال عبيد : وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير وهو من عنده من الناس قال : كان رسول الله ﷺ يجاور[1] في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنثْ به قريش - والتحنث : التبرر[2] - فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر في كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من ذلك الشهر كان أول ما ابتدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التي بُعث فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله ، حتى كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل من الله تعالى[3] .

وقال إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحٰق قال : قال رسول الله ﷺ فجاءني

حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار ، مرسل ليس فيه ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال لخديجة ، فذكر عثمان الحديث ، وقال أبو كامل وحسن في حديثهما : أن النبي ﷺ قال لخديجة : « إني أرى ضوءاً ، وأسمع صوتاً ، وإني أخشى أن يكون بي جنن ، قالت : لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبدالله ، ثم أتت ورقة ابن نوفل ، فذكرت ذلك له فقال : إن يك صادقاً ، فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى ، فإن بُعث وأنا حيّ فسأُعزره ، وأنصره وأومن به » . (مسند أحمد) : ١ / ٥١٢ ، ٥١٣ ، حديث رقم (٢٨٤١) .

(١) الجوار بالكسر في معنى المجاورة ، وهي الاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد ، كذلك قال ابن عبد البر ؛ ولذلك لم يُسَمَّ جواره بحراء اعتكافاً ، لأن حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذي نادى رسول الله ﷺ حين قال له ثبير وهو على ظهره : اهبط عني ، فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأُعذَّب ، فناداه حراء : إليّ يا رسول الله . (الروض الأنف للسهيلي) .

(٢) التبرر : تفعُّل من البر ، وتفعّل : يقتضي الدخول في الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تفقَّه ، وتعبَّد ، وتنسَّك . قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء ، قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : « فُمَّ » في موضع « ثُمَّ » . (المرجع السابق) .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٦٩ ، ٧٠ .

وأنا نائم[1] بنمط من ديباج فيه كتاب[2] ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ[3] قال : فغتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ[3] ، فغتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ[3] ، قال : فغتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا [لأفتدي][4] منه أن يعود لي بمثل ما صنع فيّ ، قال : ﴿ **اقرأ باسم[5] ربك**

---

(١) ليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل نزل بسورة ﴿ **اقرأ** ﴾ كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : « أول ما بُدِيء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح : ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل » .

فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي ﷺ بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشر ضعيف .

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وُكِل به إسرافيل ، فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ، ثم وكل به جبريل ، فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه ﷺ في أحوال مختلفة ، سيأتي شرحها مفصلاً . (المرجع السابق) : هامش ص ٧٠ .

(٢) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمَّته مُلك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زينهم وزينتهم ، وبه أيضاً يُنال مُلك الآخرة ، ولباس الجنة ، وهو الحرير والديباج . (المرجع السابق) هامش ص ٧١ .

(٣) قوله : « ما أنا بقاريء » - على إحدى الروايات - أني أُمِّي فلا أقرأ الكتب ، قالها ثلاثاً ، فقيل له : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، أي : إنك لا تقرؤه بحولك ، ولا بصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ،ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربك ، مستعيناً به ، فهو يعلمك كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم ، ومغمز الشيطان بعد ما خلق فيك ، كما خلقه في كل إنسان .

أما على رواية « ما أقرأ » ، يحتمل أن تكون « ما » استفهاماً ، يريد أي شيء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفياً ، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أي ما أُحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : « ما أنا بقاريء » . (المرجع السابق) .

(٤) في رواية ابن إسحاق : « ما أقول ذلك إلا افتداءً منه » .

(٥) في قوله : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ من الفقه : وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتتح ، حتى جاء البيان بعد في قوله : ﴿ **بسم الله مجريها** ﴾ [الآية ٤١ / هود] ، ثم قوله تعالى : ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ [الآية ٣٠ / النمل] ، ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ، على بعض الآراء . (المرجع السابق) .

الذي خلق ﴾ إلى قوله : ﴿ ما لم يعلم ﴾، قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً ، [قال : و لم يكن من خلق الله تعالى أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون ، كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت : إن الأبعد يعني لشاعر أو مجنون لا يتحدث بهذا قريش عني أبداً إلا عمدت إلى خالق من الجبل ، ولأطرحت نفسي منه فلأقتلنها ولأستريحن][1] ، قال : فخرجت [أريد ذلك][1] حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من [السماء][2] يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : فرفعتُ رأسي إل السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : فوقفت أنظر إليه [فشغلني ذلك عما أردت][3] ما أتقدم ولا أتأخر ، وجعلتُ أصرف وجهي[4] في آفاق السماء ولا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فمازلت واقفاً ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي حتى بعثتْ خديجة [في][5] رسلها في طلبي ، فبلغوا[6] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكان ذلك ثم انصرف عني ، [فانصرفت][7] راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً [إليها][8] فقالت : يا أبا القاسم ! أين كنت : فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا [إليّ][9] ، قال : [قلت لها : إن الأبعد لشاعر مجنون ، قال : فقالت : أعيذك بالله يا أبا القاسم ، ما كان الله تعالى ليصنع ذلك بك مع صدق حديثك وحسن خلقك وعظم أمانتك وصلتك رحمك ، وما ذاك يا ابن عم ؟ لقد رأيت شيئاً ؟ قال : قلت[10] نعم] ، ثم

---

(١) ما بين الحاصرتين من (خ) ، وهو زيادة عن رواية ابن إسحاق .

(٢) زيادة للسياق من ابن إسحاق ، (الروض الأنف) : ١ / ٢٦٩ ، (سيرة ابن هشام) : ٧٢/٢ .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .

(٤) في ابن إسحاق : « وجهي عنه في آفاق السماء » .

(٥) زيادة من (خ) والأولى حذفها .

(٦) في (ابن إسحاق) : « فبلغوا أعلى مكة » .

(٧) في (ابن إسحاق) : « وانصرفت » .

(٨) زيادة للسياق من : (ابن إسحاق) .

(٩) في (ابن إسحاق) : « فرجعوا لي » .

(١٠) ما بين الحاصرتين من (خ) ، وليس في (ابن إسحاق) .

حدثتها الذي رأيت فقالت : أبشر يا ابن العم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده أن تكون نبي هذه الأمة ، قال : ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة ابن نوفل بن أسد[1] وهو ابن عمها – وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة [وأهل] الإنجيل – فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع فقال ورقة[2] : قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي يأتي [به][3] موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له [فليثبت][4] ، فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ [وأخبرته][5] بقول ورقة[6] [وسهّل عليه ذلك بعض ما كان فيه من الهم بما جاءه][7] ، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع فيه كما يصنع ؛ بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة ابن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخي ! أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبَنَّهْ ولتؤذينَّهْ ولتخرجنَّهْ ولتقاتلنَّهْ[8] ولئن أنا أدركت[9] ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدني رأسه [منه][10] فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله . [وقد زاده ذلك من قول

---

(١) زيادة في نسبه من (ابن إسحاق) : « ابن عبد العزي بن قصي » .
(٢) (ابن نوفل) . (٣) زيادة من (خ) .
(٤) زيادة من (ابن إسحاق) .
(٥) في (ابن إسحاق) : « فأخبرته » .
(٦) في (ابن إسحاق) : « ورقة ابن نوفل » .
(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .
(٨) الهاءات الأربعة لا يُنطق بها إلا ساكنة ، فإنها هاءات سكت وليست بضمائر . وفي (خ) بغير هذه الهاءات .
(٩) قوله : « ولئن أنا أدركت » ، وفي رواية « إن أُدرك ذلك اليوم أنصرك نصراً مؤزراً » ، وقال في أخرى : « إن يدركني يومك » ، وهو القياس ، لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده ، كما جاء في الحديث : « أشقى الناس من تدركه الساعة وهو حي » ، وابن إسحاق أيضاً له وجه ، لأن المعنى أنرى ذلك اليوم ، فسمى رؤيته إدراكاً ، وفي التنزيل : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ [الآية ١٠٣ / الأنعام] ، أي : لا تراه على أحد القولين . وقوله : « مؤزراً » من الأزر ، وهو القوة والعون .
(١٠) زيادة من رواية (ابن إسحاق) .

ورقة ثباتاً ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم][1] .

قال أبو نعيم : وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد نحوه مختصراً ، وله من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال : بعث الله محمداً ﷺ على رأس خمس عشرة سنة من بُنيان الكعبة ؛ أراه الله رؤيا في المنام فشق ذلك عليه ، ورأى أنه بينما هو بمكة أتى إلى سقف بيته فنزع شبحة شبحة[2] حتى إذا نزل أدخل فيه سلم من فضة فيما يخيل إليه ، ثم نزل إليه رجلان ، قال رسول الله ﷺ : فأردت أن استغيث فحبساني مكاني ومنعت الكلام ، فقعد أحدهما إليّ والآخر إلى جنبي وأنا فرِق ، فأدخل أحدهما يده في جنبي فنزع ضلعين منه كما ينزل علق الصندوق الشديد ، فأدخل يده في جوفي وأنا أجد بردها ، فأخرج قلبي فوضعه على كفه وقال لصاحبه ، نعم القلب ، وقال : قلب رجل صالح ، ثم أدخلا القلب مكانه وردا الضلعين كما يرد علق الصندوق الشديد ، ثم ارتفعا ورفعا سلمهما فاستيقظت فإذا السقف كما هو فقلت يحلم ، وذكره النبي ﷺ لخديجة بنت خويلد فعصمها الله من التكذيب وقالت : أبشر ! فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، وأخبرها أنه رأى بطنه طهر وغُسل ثم أعيد كما كان ، فقالت : هذا والله خير فأبشر ، ثم استعلن له جبريل وهو بأفلاء مكة من قبل حراء فوضع يده على رأسه وفؤاده وبين كتفيه وقال له : لا تخف ! أنا جبريل ، وأجلسه معه على مجلس كريم كهيئة الدر ، نوره فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشره برسالات الله حتى اطمأن إلى جبريل ثم قال : اقرأ ، قال : كيف أقرأ ؟ قال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ ، فأبدى له جبريل نفسه ، له جناحان من ياقوت يخطفان البصر ، ففتح جبريل عيناً من ماء فتوضأ ، ومحمد ينظر إليه فوضأ وجهه ويديه

---

(١) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس في رواية (ابن إسحاق) .

(٢) المشبَّح : المقشور ، والكساء القوى (ترتيب القاموس) : ٢ / ٦٦٥ وفي (خ) : « شبخة سبخة » ، ولم أدرِ ما المراد بها ، ولعلها « سِجة » من السياج ، وهو الحائط ، وما أحيط به على شيء مثل النخل والكرم ، وقد سيَّج حائطه تسييجاً . (المرجع السابق) : ٢ / ٦٥٥ .

إلى المرفقين ، ومسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ونضح فرجه [وسجد][1] سجدتين مواجه البيت ، ففعل محمد ﷺ كما رأى جبريل يفعل ، وقبل رسول الله ﷺ رسالة ربه ، وسألها الله بحقها ، واتّبع الذي نزل به جبريل من عند رب العرش العظيم ، فلما قضى جبريل الذي أمره به ، انصرف رسول الله ﷺ لا يمر على حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فرجع إلى بيته وهو مؤمن قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة أخبرها ، قال : أرأيتك الذي كنت أخبرتك أني رأيته في المنام ؟ فإنه جبريل قد استعلن لي ، أرسله إليّ ربي عزّ وجلّ ، أخبرها بالذي جاءه من الله وسمع فقالت : أبشر ، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فاقبل الذي أتاك من الله فإنك رسول الله حقاً ، ثم انطلقت حتى أتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس - نصرانياً من أهل نينوى يقال له : عداس - فقالت : يا عدّاس اذكرك بالله ، هل عندك من جبريل علم ؟ فلما سمعها : عداس تذكر جبريل قال : قدوس قدوس ، ما شأنه يذكر بهذه الأرض التي أهلا أهل الأوثان ؟ قالت : أحب أن تحدثني فيه بعلمك ، قال : فإنه أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب عيسى وموسى عليهما السلام .

رجعت خديجة من عنده فأتت ورقة ابن نوفل ، وكان ورقة قد كره عبادة الأوثان هو وزيد بن عامر بن نفيل ، وكان زيد قد حرم كل شي حرمه من الدم والذبيحة ، على النصب ، وكل شيء من أبواب الظلم في الجاهلية ، فلما وصفت خديجة لورقة حين جاءته شأن محمد ﷺ وذكرت له جبريل وما جاء به من عند الله إلى رسول الله ﷺ قال لها : يا ابنة أخي ! والله ما أدري لعل صاحبك الذي ينتظره أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً في الإنجيل ، وأقسم بالله إن كان إياه ثم دعا إلى الله وأنا حيّ لأبلين الله في طاعة رسوله وحُسن المؤازرة والنصرة له ، فمات ورقة[2] .

---

(١) زيادة للسايق .

(٢) ونحوه بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير في (البداية والنهاية) : ٣ / ٢٠ - ٢٣ ، وهي رواية موسى ابن عقبة بمعنى حديث عروة بن الزبير .

ورواه من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة بمعنى حديث عروة بن الزبير من طريق محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه بأتم من روايتي عروة وموسى بن عقبة وأحسن ، فقد اختلفت الروايات في نزول [أول سورة من القرآن على النبي ﷺ][1] .

ذكر الاختلاف في أول سورة من القرآن أُنزلت على رسول الله ﷺ

خرج البخاري في كتاب التفسير من حديث وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال : ﴿ **يـٰأيها المدثر** ﴾ ، قلت : يقولون : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ ، قال : جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة فقلت : دثّروني وصبُّوا عليّ ماءاً بارداً ، فدثَّروني وصَبّوا عليّ ماءاً بارداً ، فنزلت : ﴿ **يـٰأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر** ﴾[2] ، وكرره غير مرة .

وخرجه مسلم من حديث الأوزاعي قال : سمعت يحيى يقول : سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل ؟ قال : ﴿ **يـٰأيها المدثر** ﴾ فقلت : ﴿ **اقرأ** ﴾ ؟ فقال جابر : أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ : قال : جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاسبطنتُ بطن الوادي فنوديت ؛ فنظرت أمامي وخلفي ، وعن يميني وعن

---

(1) زيادة للسياق والبيان .

(2) أول سورة المدثر ، وقوله : ﴿ **يـٰأيها المدثر** ﴾ : أى أنها أول ما نزل حين تتابع الوحي وحمي ، والذين كانوا يقولون : هو ﴿ **اقرأ** ﴾ ، ذكرو ذلك بناء على أنها الأول مطلقاً ، ويحتمل أن بعض الناس ظن ﴿ **اقرأ** ﴾ أول سورة حين تتابع الوحي ، بناء على ظن نزولها مرتين مثلاً ، فهذا ردّ عليهم ، والله تعالى أعلم . (حاشية السندي على صحيح البخاري) : ٣ / ٢٠٩ ، كتاب التفسير .

شمالي فلم أر أحداً ، ثم نوديت ، فنظرت فلم أر أحداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في [الهواء][1] – يعني جبريل عليه السلام – فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت : دثروني ، فدثروني وصبوا عليَّ ماءاً[2] ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يٰأيها المدثر[3] قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر ﴾ .

---

(١) في (خ) : « في الهوى » .
أما قوله : « إن أول ما أُنزل قوله تعالى : ﴿ يٰأيها المدثر ﴾ ، فهو ضعيف بل باطل ، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها ، وأما ﴿ يٰأيها المدثر ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي ، كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ، والدلالة صريحة فيه في مواضع ، منها قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ يٰأيها المدثر ﴾ ، ومنها قوله : ثم تتابع الوحي – يعني بعد فترته — فالصواب : أن أول ما نزل : ﴿ اقرأ ﴾ ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي : ﴿ يٰأيها المدثر ﴾ . وأما قول من قال من المفسرين : أول ما نزل الفاتحة ، فبطلانه أظهر من أن يُذكر . والله أعلم .
وقوله ﷺ : « فاستبطنت الوادي » ، أي صرت في باطنه ، وقوله ﷺ في جبريل عليه السلام : « فإذا هو على العرش في الهواء » ، المراد بالعرش الكرسي ، كما تقدم في الرواية الأخرى « على كرسي بين السماء والأرض » ، قال أهل اللغة : العرش هو السرير ، وقيل : سرير الملك .
قال الله تعالى : ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ [الآية ٢٣ / النمل] ، والهواء هنا ممدود يُكتب بالألف ، وهو الجو بين السماء والأرض كما في الرواية الأخرى ، والهواء : الخالي ، قال تعالى : ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ [الآية ٤٣ / إبراهيم] .
قوله ﷺ : « فأخذتني رجفة شديدة » ، هكذا هو في الروايات المشهورة « رجفة : بالراء » ، قال القاضي : ورواه السمرقندي « وجفة : بالواو » وهما صحيحان متقاربان ، ومعناهما : الاضطراب . قال الله تعالى : ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ [الآية ٨ / النازعات] ، وقال تعالى : ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ [الآية ٦ / النازعات]، وقال تعالى : ﴿ يوم ترجُف الأرض والجبال ﴾ [الآية ١٤/ المزمل] .
(٢) قوله ﷺ : « فصبوا على ماء » ، فيه أنه ينبغي أن يصب على الفَزِعِ الماء ليسكن فزعه . والله تعالى أعلم .
(٣) وأما تفسير قوله تعالى : ﴿ يٰأيها المدثر ﴾ ، فقال العلماء : المدثر ، والمتلفف ، والمشتمل ، بمعنى واحد ، ثم الجمهور على أن معناه المدثر بثيابه . وحكى الماوردي قولاً عن عكرمه أن معناه المدثر بالنبوة وأعبائها .
وقوله تعالى : ﴿ قم فأنذر ﴾ ، معناه حذِّر العذاب من لم يؤمن ، ﴿ وربك فكبر ﴾ أي عظمه ونزهه عما لا يليق به ، ﴿ وثيابك فطهر ﴾ قيل معناه طهرها من النجاسة ، وقيل قصِّرها ، وقيل : المراد بالثياب النفس ؛ أي طهرها من الذنب وسائر النقائص . ﴿ والرجز ﴾ بكسر الراء في قراءة الأكثرين ، وقرأ حفص بضمها ، وفسره في الكتاب الأوثان ، وكذا قاله جماعات من المفسرين . والرِّجز في اللغة العذاب ، وسمّي الشرك وعبادة الأوثان رجزاً لأنه سبب العذاب ، وقيل : المراد بالرجز في الآية الشرك ، وقيل : الذنب وقيل : الظلم . والله أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٢ / ٥٦٥ – ٥٦٧ ، كتاب الإيمان باب (٧٣) حديث رقم (٢٥٧) .

وفي لفظ له : فإذا جبريل جالس بين السماء والأرض[1] ، وفي لفظ البخاري[2] : فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض .

وخرج الحاكم من حديث الحميدي ، حدثنا سفيان عن محمد بن إسحٰق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول سورة أنزلت : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق** ﴾ إلى ﴿ **ما لم يعلم** ﴾[3] .

ذكر الاختلاف في شق[4] صدر[5] رسول الله ﷺ ، متى كان وأين وقع ؟؟

إعلم أن شق صدر رسول الله ﷺ وغسل قلبه وحشوه بالإيمان والحكمة ،

---

(١) في الحديث رقم (٢٥٥) : « جالساً على كرسي بين السماء والأرض . وفي الحديث رقم (٢٥٨) : « فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض » . (المرجع السابق) .

(٢) في الحديث رقم (٤) – كتاب بدء الوحي : « جالسٌ على كرسيّ بين السماء والأرض » (فتح الباري) : ١ / ٣٧ .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٥٧٦ ، كتاب التفسير ، باب (٩٦) تفسير سورة ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، حديث رقم (٣٩٥٣ / ١٠٩١) ، وقال في آخره : (فإذا ابن عيينة لم يسمعه من الزهري) . وحديث رقم (٣٩٥٤ / ١٠٩٢) ، وقال في آخره : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) .

(٤) الشّق : الخرم الواسع في شيء ، يقال : شقّه نصفين . قوله تعالى : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ [١ / القمر] ، كان انشقاقه في زمن النبي ﷺ ، وقيل : انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة ، وقيل معناه : وضح الأمر . والشُّقّة : القطعة المنشقّة كالنصف . والشّق – بالكسر – المشقّة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن ، وذلك كاستعارة الانكسار لها ، قال تعالى : ﴿ **لم تكونوا بالغيه إلا بشِقّ الأنفس** ﴾ [الآية ٦ / النحل] .

والشُّقّة : الناحية التي تلحقك المشقة في الوصول إليها قال تعالى : ﴿ **ولكن بعدت عليهم الشُّقة** ﴾ [الآية ٤٢ / التوبة] ، والشّقاق : المخالفة ، قال تعالى : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ [الآية ٣٥ / النساء] ، وكونك في شِقّ غير شِقّ صاحبك ، أو من شَقّ العصا بينك وبينه .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الله ورسوله** ﴾ [الآية ١٣ / الأنفال] ، أي صار في شِقّ غير شِقّ أوليائه ، وفلان شِقُّ نفسي ، وشقيق نفسي ، أي كأنه شُقّ مني لمشابعة بعضنا بعضاً ، (البصائر) : ٣ / ٣٣٠ – ٣٣١ .

(٥) الصدر : الجارحة ، والجمع : صدور ، ثم استعير لمقدم الشيء ؛ مثل صدر القناة ، وصدر

قال الله تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾[1] ، قال إبراهيم بن طهمان : سألت سعيداً عن قوله تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ قال : فحدثني عن قتادة عن أنس بن مالك أنه قد شق بطنه - يعني النبي ﷺ - من عند بطنه إلى صدره ، فاستخرج قلبه فغُسل في طست من ذهب ثم ملىء إيماناً وحكمة ثم أعيد مكانه ، قد روى من وجوه باختلاف الأماكن والأيام ؛ فروى أن ذلك وقع وهو مسترضع في بني سعد كما تقدم ذكره عند ذكر حليمة في فصل أمهاته من الرضاعة ، وقيل وقع ذلك في موضع آخر في زمان آخر ، فروى أنه أعيد له شرح الصدر بعد أن تم له عشر سنين .

وقد أخرج في الصحيحين أنه شق صدره ليلة المعراج ، وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبيّ بن كعب قال حدثني أبي عن أبيه عن جده أبيّ بن كعب أن أبا هريرة سأل رسول الله ﷺ - وكان حريّاً[2] أن يسأله عن الذي لا يسأله غيره - فقال : يا رسول الله ! ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة ؟ فقال[3] : إذا سألتني إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج ، إذا

= السهم . وسهم مُصَدَّر : غليظ الصدر ، وأخذ الأمر بصدره : بأوله . والأمور بصدورها ، وهؤلاء صُدْرة القوم : مقدَّموهم . وصُدِّر فلان فتصدَّر : قُدِّمَ فتقدَّم ، وصَدَرَه : أصاب صدره ، ومنه رجل مصدور : يشتكي صدره ، فإذا عُدِّي « صدر » بعن اقتضى الانصراف ؛ نحو صدرت الإبل عن الماء صَدَراً .

والمصدر يقال في مصدر صَدَر عن الماء ، ولموضع الصدر ، ولزمانه ، وقد يقال في عُرف النحاة للفظ الذي روعي فيه صدور الفعل الماضي والمستقبل عنه . وقال بعض العلماء : حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ [٣٦ / ق] ، وحيثما ذكر الصدْر ، فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى : من الشهوة ، والهوى والغضب ، ونحوها .

وقوله تعالى : ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ [٢٥ / طه] ، سؤال لإصلاح قواه ، وكذا قوله : ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ [١٤ / التوبة] ، إشارة إلى اشتفائهم ، وقوله : ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [٤٦ / الحج] ، أي العقول التي هي مُندسَّة فيما بين سائر القوى . (المرجع السابق) : ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(١) أول سورة الشرح .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « حريصاً » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « إذ» .

أنا برجلين فوق رأسي ، يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم ، [قال][1] : فأخذاني فلصقاني بحلاوة القفا ، ثم شقا بطني ، [وكان][2] جبريل يختلف بالماء في طَسْت من ذهب ، وكان ميكائيل يغسل جوفي ، فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فإذا صدري [فيما أرى][3] مفلوقاً لا أجد له وجعاً ثم قال : اشقق قلبه ، فشق قلبي ، فقال أَخْرِج الحسد والغل[4] منه ، فأخرج شبه العلقة فنبذ به[5] ثم قال : أَدْخِل الرأفة والرحمة قلبه[6] ، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة ، ثم أخرج ذروراً كان معه فذَّر عليه ثم نقر إبهامي ثم قال : أغد ، فرجعتُ بما لم أغدُ به من رحمتي على الصغير ورقتي على الكبير . قال : أبو نعيم : وهذا الحديث مما تفرد به معاذ ابن محمد [عن آبائه][7] ، وتفرد بذكر السن الذي شق فيه عن قلبه والذي رواه عبد الله بن جعفر عن حليمة السعدية وعبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عتبة ابن عبد ، اتفقا على أنه كان مسترضعاً في بني سعد ، فأما رواية أبي ذر ، فرواه الزهري عن أنس عنه ، قال كاتبه : معاذ مما يروى عن أبيه وعن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، وأبي الزبير المكي وجماعة ، ويروى عنه معاوية بن صالح الحضرمي وعبد الله بن لهيعة ، ومحمد بن عمر الواقدي وآخرون ، ذكره ابن حبان في الثقات .

وفي أفراد مسلم من حديث شيبان بن فروخ قال : حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ثم قال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ ثم أعاده إلى

---

(١) زيادة من (خ) .
(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « فكان » .
(٣) زيادة من المرجع السابق .
(٤) في (المرجع السابق) : « الغل والحسد » .
(٥) في (المرجع السابق) : « فنبذه » .
(٦) في (المرجع السابق) : « في قلبه » .
(٧) زيادة من (خ) .

مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره[1] – فقالوا : إن محمداً قد قُتِل ! فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس : وقد كنت [أرى][2] أثر المخيط في صدره ﷺ[3] .

قال البيهقي : وهو موافق لما هو معروف عند أهل المغازي – يعني وقوع ذلك – وهو مسترضع في بني سعد ، وسيأتي في الإسراء حديث مسلم[4] من طريق سليمان بن المغيرة قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أُتيتُ فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أُنزلت ، وحديث البخاري من طريق سليمان عن شريك بن عبد الله عن أنس ، وحديث البخاري

---

(١) الظئر : المرضع أو الأم من الرضاعة . (٢) زيادة للسياق .

(٣) الحديث الأول في (دلائل أبي نعيم) ، ١ / ٢١٩ – ٢٢٠ ، رقم (١٦٦) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد (المسند) ، ورجاله ثقات ، وثقهم ابن حبان .

والحديث الثاني في (المرجع السابق) ١ / ٢٢١ ، رقم (١٦٨) ، أخرجه مسلم في صحيحه بسنده ومتنه في كتاب الإيمان باب الإسراء ، حديث رقم (٢٦١) ، والبيهقي في (الدلائل) ٢ / ٥ ، باب ما جاء في شق صدر النبي ﷺ واستخراج حظ الشيطان من قلبه سوى ما مضى في باب ذكر رضاعه ، (مسند أحمد) : ٣ / ٦١٧ ، حديث رقم (١٢٠٩٧) .

(٤) قوله ﷺ : « فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت » ، معنى شرح شق ، وقوله ﷺ : « ثم أُنزلْت » ، هو بإسكان اللام وضم التاء ، هكذا ضبطناه ، وكذا هو في جميع الأصوال والنسخ ، وكذا نقله القاضي عياض رحمه الله عن جميع الروايات ، وفي معناه خفاء واختلاف ، قال القاضي : قال الوقشيّ : هذا وهم من الرواة ، وصوابه : تركت ، فتصحَّف ، قال القاضي : فسألت عنه ابن سراج فقال : أُنزلت في اللغة بمعنى تُركت صحيح ، وليس فيه تصحيف . قال القاضي : وظهر لي أنه صحيح بالمعنى المعروف في أنزلت ، فهو ضدّ رُفِعْتُ ، لأنه قال : انطلقوا بي إلى زمزم ثم أُنزلت ، أي ثم صرفت إلى موضعي الذي حملت منه ، قال : ولم أزل أبحث عنه حتى وقعتُ على الجلاء فيه من رواية الحافظ أبي بكر البرقاني ، وأنه طرف حديث ، وتمامه : « ثم أنزلت على طست من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً » هكذا بفتح اللام وإسكان التاء ، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين للحميدي ، وحكى الحميدي هذه الزيادة المذكورة عن رواية البرقاني وزاد عليها ، وقال : أخرج البرقاني بإسناد (مسلم) ، وأشار الحميدي إلى أن رواية (مسلم) ناقصة وأن تمامها ما زاده البرقاني ، والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٢ / ٥٧٣ ، حديث رقم (٢٦٠) ، كتاب الإيمان باب (٧٤) .

ومسلم عن طريق همام عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة[1] ، وفيها شق صدره ليلة الإسراء .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث يونس عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فعرج صدري حتى غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطسْت من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه .

ولأبي داود الطيالسي من حديث عمار بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة ابن الزبير عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ! كيف علمت أنك نبي ؟ وبما علمت حتى استيقنت ؟ قال : يا أبا ذر ، أتاني آتيان وأنا ببطحاء مكة ، فوقع أحدهما بالأرض[2] والآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما للآخر[3] : أهو هو[4] ؟ فقال : فزنه برجل ، [فوزنني برجل][5] فرجحته ، ثم قال[6] : زنه بعشرة ، فوزنني بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنني بمائة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف ، فوزنني [بألف][7] فرجحتهم ، ثم جعلوا يتساقطون[8] على[9] كفة الميزان ، ثم قال أحدهما لصاحبه :

---

(١) حديث مالك بن صعصعة : ذكره (البخاري) في كتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٢) ، حديث رقم (٣٨٨٧) . وذكره (مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٧٤) ، حديث رقم (٢٦٤) . ومالك ابن صعصعة هو مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري ، من بني النجار ، ليس له في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث ، ولا يعرف من روى عنه إلا أنس بن مالك . (فتح الباري) : ٧ / ٢٥٨ .

(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « وكان الآخر بين السماء والأرض » .

(٣) في (دلائل أبي نعيم) : « فقال أحدهما لصاحبه » .

(٤) في (دلائل أبي نعيم) : « أهو هو ؟، قال : هو هو نعم » .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة للبيان من المرجع السابق .

(٦) في المرجع السابق : « قال فزنه بعشرة » .

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة للبيان من المرجع السابق .

(٨) في المرجع السابق : « ثم جعلوا يتساقطون عليَّ » .

(٩) في المرجع السابق : « في كفة الميزان » .

شُقَّ بطنه ، فشقَّ بطني فأخرج قلبي ، فأخرج منه مغمز الشيطان ، وعلق الدم فطرحهما ، فقال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه[1] غسل الملأ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وَوَلَّيا عني وكأني أعاين [الأمر][2] معاينة[3] .

وفي رواية : لو وزنته بأمته لرجحهم ، وقال : واغسل قلبه غسل الماء ، ثم أُتِيتُ بسكينة وهرهرة[4] بيضاء فأُدخلت قلبي .

ولأبي نعيم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتيت في أهلي فأتى بي إلى زمزم ، فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم نزلت طست من ذهب قد ملئت إيماناً وحكمة ، فحشى بها صدري ، قال أنس : فكأني أنظر والنبي ﷺ يُرى الأثر في صدره[5] .

---

(١) في (خ) : « واغسل بطنه » .

(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « أعاين معاينة » ، وما بين الحاصرتين من (خ) .

(٣) الحديث في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢١ ، حديث رقم (١٦٧) .

(٤) تقول : « سمعتُ له هَرْهَرَةً أي صوتاً عند الحلب » (لسان العرب) : ٥ / ٢٦٢ ولم أدر معناها في سياق هذه العبارة من الحديث .

(٥) الحديث رقم (١٦٨) في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢١ ، ٢٢٢ : حدثني عمر بن حمدان قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا هدبة وشيبان قالا : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه ، أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق بطنه ، فاستخرجه ، ثم استخرج من قلبه علقة سوداء ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسل القلب في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ، ثم لأمه . قال أنس : فلقد رأيت أثر المخيط في صدره ﷺ .

وحادث شق الصدر ورد في كتب السيرة باتفاق ، فهو في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ١ / ٢٣٦ ، كتاب الإسراء ، ذكر وصف الإسراء برسول الله ﷺ من بيت المقدس ، حديث رقم (٤٨) ، قال محقق (الإحسان) نقلاً عن الحافظ ابن حجر في (الفتح) : « وجميع ما ورد من شقّ الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم له ، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحيته القدرة ، فلا يستحيل شيءٌ من ذلك . قال القرطبي في (المفهم) : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء ، لأن رواته ثقات مشاهير ، ثم ذكر نحو ما تقدم » ، وفي (المستدرك) : ٢ / ٦٧٣ ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، حديث رقم (٤٤٣٠ / ٢٤٠) ، قال في التلخيص : على شرط مسلم ، وفي (مسند أحمد) : ٣ / ٥٧١ ، حديث رقم (١١٨١٢) ، وفي (طبقات ابن سعد) : ١١٢/١ ، وفي (البداية والنهاية) : ٣٣٥/٢ – ٣٣٧ ، =

وقد ذكر بعضهم أن الله تعالى خلق في قلوب البشر علقة قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت هذه العلقة من قلب رسول الله ﷺ ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي فيه الشيطان شيئاً .

وفي (سيرة ابن هشام : ١ / ٣٠١ .

وقد تكرر هذا الحادث مرتين بعد طفولته المبكرة ، فكانت المرة الثانية لما كان النبي ﷺ ابن عشر سنين ، والمرة الثالثة لما جاوز ﷺ الخمسين من عمره . وقصة شق الصدر هذه تشير إلى تعهد الله تعالى نَبِيَّهُ ﷺ عن مزالق الطبع الإنساني ، ووساوس الشيطان ، وهو حصانة للرسول الكريم التي أضفاها الله عليه ، فإن الله تعالى قد شاءت إرادته أزلاً ، أن يكون محمد ﷺ خاتم المرسلين ، أراد سبحانه أن يجعل منه المثل الكامل ، للإنسان الكامل ، الذي يسير نحو الكمال بطهارة القلب ، وصفاء النفس .

ولما شبَّ رسول الله ﷺ ، كانت مكة تعجّ بمختلف أنواع اللهو والفساد ، والملاذ الشهوانية الدنسة ، كانت حانات الخمر منتشرة ، وبيوت الريبة عليها علامات تُعرف بها ، مع كثرة الماجنات والراقصات ، وغير ذلك من أمور الجاهلية التي كانت تعج بها مكةٍ في ذلك المجتمع الجاهلي ، وتتوجها عبادة الأصنام والأوثان ، والله تبارك وتعالى بَرَّأ رسوله ﷺ واختاره من أكرم معادن الإنسانية ، ثم اختاره لحمل أكمل رسالات السماء إلى أم الأرض ، وتشهد الأثار على ما حباه ربه من العصمة ، فمن ذلك ما سبق أن أوردناه بتمامه مع شرحه من قوله ﷺ : « ما همتُ بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين ، كلتاهما عصمني الله تعالى فيها » ، وقوله ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ما حدثته به أم أيمن رضي الله عنها : « كانت بوانة صنماً تحضره قريش لتعظمه ... إلخ » .

ولا يطمئن بعض الجاهلين ، ومعهم المستشرقين ، إلى حادثة شق الصدر ، واستخراجه ، ومعالجته ، سواء التي حدثت للنبي ﷺ ، وهو عند حليمة السعدية ، أو ما ورد من شق الصدر ، واستخراج القلب في معجزة الإسراء والمعراج .

وابن حبان – منذ أكثر من ألف سنة – يناقش الموضوع ، ويعتبره من معجزات النبوة ، ويقول : « كان ذلك له فضيلة فُضِّل بها على غيره ، وإنه من معجزات النبوة ، إذ البشر إذا شُقَّ عن موضع القلب منهم ، ثم استُخرج قلوبهم ماتوا » ، فهذا فعلاً كان في عصر ابن حبان ، المتوفي سنة (٣٥٤) هجرية ، لا بل هو إلى عهد قريب جداً .

وتقدُّم العلم ، والطب ، والجراحة ، والتخدير ، والعمليات الجراحية صارت تُجرى في غرف معقمة ، وبوسائل مختلفة ، وتقنية ماهرة ، فأمكن للجراحين اليوم من إجراء مختلف أنواع العلميات الجراحية ، في كل موضع من مواضع الجسم ، الهدف منها استئصال الداء وطرحه ، حيث لم تعد تنفع الوسائل الطبية ، حتى أمكن الآن استخراج القلب ، وليس فقط معالجته ، لا بل استبدال قلب سليم من إنسان مات حديثاً ، بالقلب التالف ، أو حتى قلب صناعي ، ثم تُخاط طبقات الجسم وتُعاد ، فلا يموت المريض ! وهذا أصبح في استطاعة الإنسان .

أفما استطاعه الإنسان ، لا يستطيعه الله الذي يقول للشيء ﴿ **كن فيكون** ﴾ ؟ .

ذكر مجيء جبريل عليه السلام
إلى النبي ﷺ في الصورة التي خلقه الله تعالى عليها

خرج الحافظ أبو نعيم من حديث أيوب بن فرقد عن الأعمش عن عبد الله ابن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن أنس رضي الله عنه قال : قال ورقة ابن نوفل لرسول الله ﷺ : يا محمد ! كيف يأتيك الوحي ؟ يعني جبريل عليه السلام ؟ فقال : يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر(١) .

وفي حديث سليمان : سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى : ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ قال زر : قال عبد الله : لقد رأى جبريل له ستمائة جناح .

وفي رواية زرّ عن عبد الله ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾(٢) ، قال رأى جبريل له ستمائة جناح .

وفي رواية : سأل زر بن حبيش عن قول الله عز وجل : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾(٣) قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عليه السلام له ستمائة جناح(٤) .

---

(١) (المرجع السابق) : ١ / ٢٢٢ حديث رقم (١٦٩) وقال في سنده « حدثنا عبد الله بن محمد ابن جعفر قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن رستة ، ومحمد بن نصير قالا : حدثنا سليمان بن داود ، قال : حدثنا أيوب بن فرقد ... » .

(٢) الآية : ١١ / النجم .

(٣) الآية : ٩ / النجم .

(٤) وردت أحاديث هذا الباب بسياقات مختلفة، في بعضها تقديم وتأخير ، وفي بعضها زيادة ونقصان ، وكلها صحيحة إن شاء الله تعالى ، فمنها ما أخرجه (البخاري) في ، باب ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ حيث الوتر من القوس ، حديث رقم (٤٨٥٦): حدثنا أبو النعمان ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الشيباني قال : سمعت زِرًّا « عن عبد الله ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال : حدَّثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح » .

هكذا أورده ، والمراد بقوله : « عن عبد الله ، وهو ابن مسعود أنه قال في تفسير هاتين الآيتين ما سأذكره ، ثم استأنف قال : « حدثنا ابن مسعود » وليس المراد أن ابن مسعود حدَّث عبد الله كما هو ظاهر السياق ، بل عبد الله هو ابن مسعود ، وأخرجه في [الحديث الذي يليه] من وجه آخر عن الشيباني فقال : سألت زِرّاً عن قوله فذكره . ولا إشكال في سياقه ، وقد أخرجه أبو نعيم في (المستخرج) ، من طريق سليمان بن داود الهاشمي ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الشيباني

ولأبي يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عند السدرة وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه تهاويل الدر والياقوت ، قال أبو نعيم : رواه عن عاصم مثله مرفوعاً زائدة وحسين بن واقد . ورواه شريك وغيره موقوفاً على عبد الله . وقال أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل فى خضر معلقا به الدرّ ، وزاد عاصم : وله ستمائة جناح[1] .

وخرج أبو نعيم من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني وآدم عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** ﴾[2] قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته عند السدرة له ستمائة جناح ؛ جناح منها سد الأفق تتناثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه إلا الله[3] .

= قال : « سألتُ زر بن حبيش عن قول الله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ ، فقال : قال عبد الله ، قال رسول الله » فذكره . (فتح الباري) : ٨ / ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، كتاب التفسير ، سورة (٥٣) .

(١) هذا الحديث أخرجه (البخاري) في كتاب التفسير ، باب ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ ، الحديث رقم (٤٨٥٧) : حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة عن الشيباني قال : « سألتُ زِرّاً عن قوله تعالى : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال : أخبرنا عبد الله أنه محمد ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح .

قوله : « أنه محمد » ، الضمير للعبد المذكور في قوله تعالى : ﴿ **إلى عبده** ﴾ ووقع عند أبي ذر « أن محمداً رأى جبريل » وهذا أوضح في المراد ، والحاصل أن ابن مسعود كان يذهب في ذلك إلى أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل ، كما ذهبت إلى ذلك عائشة ؛ والتقدير على رأيه فأوحى ، أي جبريل ، إلى عبده ، أى عبد الله محمد ﷺ ، لأنه يرى أنه الذي دنا فتدلى هو جبريل ، وأنه هو الذى أوحى إلى محمد . وكلام أكثر المفسيرين من السلف يدل على أن الذي أوحى هو الله ، أوحى إلى عبده محمد ، ومنهم من قال : إلى جبريل .

قوله : « له ستمائة جناح » : زاد عاصم عن زِرٍّ في هذا الحديث « يتناثر من ريشه التهاويل من الدرّ والياقوت » . أخرجه النسائيّ وابن مردويه ، ولفظ النسائيّ : « يتناثر منها تهاويل الدر والياقوت » . (المرجع السابق) . ونحوه في كتاب بدء الخلق ، باب (٧) حديث رقم (٣٢٣٢) . (المرجع السابق) : ٦ / ٣٨٥ .

(٢) الآية : ١٤ / النجم .

(٣) أخرج البخاري نحوه في كتاب التفسير ، باب ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ ، حديث رقم (٤٨٥٨) : حدثنا قبيصةُ ، حدثنا سفيان عن الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، « عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ قال : رأى رفرفاً أخضر قد =

....

= سدَّ الأفق » .

قوله : « رأى رفرفاً أخضر قد سدَّ الأفق » ، هذا ظاهره يغاير التفسير السابق أنه رأى جبريل ، ولكن يوضح المراد ، أخرجه النسائي والحاكم ، عن طريق عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود قال : أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض » فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل ، والصفة التي كان عليها .

وقد وقع في رواية محمد بن فضيل عند الإسماعيلي ، وفي رواية ابن عيينة عن النسائي ، كلاهما عن الشيباني عن زرّ عن عبد الله ، أنه رأى جبريل له ستمائة جناح قد سدّ الأفق ، والمراد أن الذي سدّ الأفق الرفرف الذي فيه جبريل ، فنسب جبريل إلى سد الأفق مجازاً .

وفي رواية أحمد والترمذي ، وصححها من طريق عبد الرحن بن يزيد عن ابن مسعود رأى جبريل في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ، وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف وأنه حلة ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان** ﴾ [الآية ٧٦ / الرحمٰن] ، وأصل الرفرف ما كان من الديباج ، رقيقاً حسن الصنعة ، ثم اشتهر استعماله في الستر ، وكل ما فضل من شيء فعطف وثنى فهو رفرف . ويقال : رفرف الطائر بجناحه إذا بسطهما ، وقال بعض الشُّراح : يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته فصارت تشبه الرفرف ، كذا قال ، والرواية التي أوردتها توضح المراد . (فتح الباري) : ٨ / ٧٨٦ ، ٧٨٧ .

ومن أحاديث الباب ما رواه الإمام مسلم في صحيحه ، في كتاب الإيمان ، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ، حديث رقم ٢٨٧ (١٧٧) : « حدثني زهير بن حرب ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود عن الشعبي ، عن مسروق قال : كنتُ متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ماهن ؟ قالت : من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئاً فجلستُ ، فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ، فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين : رأيته منهبطاً من السماء ، سادّاً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ ؟ أو لم تسمع أن الله يقول : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وَحْياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم** ﴾ ؟ قالت : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ **يـٰأيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته** ﴾ ؟ قالت : ومن زعم أنه يُخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ **لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ١٠ – ١٢ .

وأخرج ابن حبان في صحيحه ، باب : ذكر رؤية المصطفى ﷺ جبريل بأجنحته ، حديث رقم (٦٤٢٧) أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحيّ ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شُعبة عن الشيباني ، قال : « سألت زِرّ بن حبيش عن هذه الآية : ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ [١٨ / النجم] قال : قال عبد الله : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح » . وقال في هامشه : إسناده صحيح على شرط الشيخين . والشيباني : هو أبو إسحاق سليمان بن أبي سليمان . (الإحسان) : ١٤ / ٣٣٦ .

ومن طريق إسرائيل عن أبي إسحٰق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلتي رفرف قد سد ما بين السماء والأرض[1] .

ومن حديث قيس بن وهب عن مرة عن عبد الله : ﴿ **ولقد رآه نزلة** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل معلقاً رجليه بالسدرة ، عليهما الدر كأنه قطر المطر على البقل .

ومن حديث سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن علقمة عن عبد الله ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، قال : جبريل في رفرف خضر قد سد الأفق[2] .

---

(١) ونحوه في (صحيح ابن حبان) في باب ذِكر خَبَرٍ أوهَمَ مَنْ لم يُحْكِمْ صناعة العلم أنه مضادٌّ للخبر الذي ذكرناه ، حديث رقم (٥٩) : أخبرنا محمد بن صالح بنْ ذَريح بعكبرا ، حدثنا مسروق ابن المَرْزُبان ، حدثنا ابن أبي زائدة ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد : « عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من ياقوت – وفي رواية غير المؤلف –: في حلة من رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض . قال أبو حاتم : قد أمر الله تعالى جبريل ليلة الإسراء أن يعلِّم محمداً ﷺ ما يجب أن يعلمه كما قال : ﴿ **علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى** ﴾ يريد به جبريل ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ يريد به جبريل ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ يريد به جبريل ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ بجبريل ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ يريد به ربه بقلبه في ذلك الموضع الشريف ، ورأى جبريل في حلة من ياقوت قد ملأ ما بين السماء والأرض على ما في خبر ابن مسعود الذي ذكرناه . (الإحسان) : ١ / ٢٥٥ – ٢٥٧ .

وأخرجه الإمام أحمد بنحوه فقال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يحيى بن آدم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، في قوله : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض . (مسند أحمد) : ١ / ٦٥١ ، حديث رقم (٣٧٣٢) .

(٢) الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٥٠٩ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم ، حديث رقم (٣٧٤٦ / ٨٨٣) : « أخبرنا أبو زكريا العنبري ، حدثنا محمد بن عبد السلام ، حدثنا إسحاق ، أنبأنا يحيى ابن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ ، قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض » وقال في آخره : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

و (الفردوس بمأثور الخطاب) : ٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، حديث رقم (٣١٩٢) عن ابن مسعود « رأيت جبريل واقفاً على السدرة له ستمائة جناح تسد أجنحته ما بين المشرق والمغرب .

ومن حديث عثمان ، حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل منهبطاً قد ملأ ما بين السماء إلى الأرض عليه ثياب سندس معلق به الدر والياقوت[1] .

ومن حديث مسلمة بن أبي الأشعث عن أبي صالح عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لجبريل : وددت أن أراك في صورتك ، قال : أتحب ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : موعدك كذا وكذا من الليل في بقيع الغرقد ، فلقيه النبي ﷺ لموعده ، فنشر جناحاً من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى النبي ﷺ من السماء شيئاً ، وأحب النبي ﷺ عند ذلك[2] .

وللإمام أحمد من حديث أبي بكر بن عياش عن إدريس بن وهب بن منبه عن أبيه وهب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سأل رسول الله ﷺ جبريل أن يراه في صوره ، فقال : ادع ربك ، فدعا ربه فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع فينتشر ، فلما رآه رسول الله ﷺ صعق ، فنعشه فمسح البزاق عن فمه[3] .

---

(١) (المسند) : ١ / ٦٥٢ ، حديث رقم (٣٧٤٠) : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا حجاج ، حدثنا شريك عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : « رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته ، وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم » ، و ١ / ٦٨٠ ، حديث رقم (٣٩٠٥) : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر ، عن ابن مسعود : « أنه قال في هذه الآية : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عند سدرة المنتهى ، عليه ستمائة جناح ، ينشر من ريشه التهاويل ، الدر والياقوت » .

(٢) (الحبائك في الملائك للسيوطي) : ١٦ .

(٣) (المسند) : ١ / ٥٣٠ ، حديث رقم (٢٩٥٩) : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن إدريس بن منبه ، عن أبيه وهب بن منبه ، عن ابن عباس قال : « سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته ؟ فقال : ادع ربك ، قال : فدعا ربه ، قال : فطلع عليه سواد من قبل المشرق ، قال : فجعل يرتفع وينتشر ، قال : فلما رآه النبي ﷺ صُعق ، فأتاه ، فنعشه ، ومسح البزاق عن شدقيْه » .

ولابن حبان من حديث صفوان بن عَمْرو عن شريح بن عبد الله قال : لما صعد النبي ﷺ إلى السماء فأوحى الله إلى عبده ما أوحى ، خرّ جبريل ساجداً حتى قضى الله إلى عبده ما قضى ، ثم رفع رأسه فرأيته في خلقه الذي خلق عليه ، منظوم بالزبرجد ، واللؤلؤ والياقوت ، فخُيِّل إليّ أنَّ ماء عينيه قد سد الأفق ، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صورة مختلفة ، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي ، وكنت أحياناً لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغُربال[1] .

قال أبو نعيم : والروايات تتسع في ترائي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صور مختلفة ، ووجه ذلك : أن يكون لجبريل ضروب من الصور ، فكل مرة يترآا فيها للنبي ﷺ يثبت الله قلب رسوله لرؤيته فيها بقوة يجددها الله له ، وكل حالة إبقاء الله تعالى رسوله على جبلته ، ولا يحدث له فيها قوة ، يضعف ﷺ عن رؤيته ، فيصعق ﷺ حتى ثبته الله تعالى .

* * *

(١) صفوان بن عمر بن هرم السكسكيّ له في صحيح ابن حبان أحد عشر حديثاً لم أجد من بينها هذا الحديث . (الإحسان) : ١٨ / ١٥٦ (فهرس الرواة) .

ذكر كيفية إلقاء الوحي إلى رسول الله ﷺ

خرج البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن الحرث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف كان يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فينفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

وخرجه النسائي أيضاً ، وخرجه البخاري ومسلم من حديث على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن الحرث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ قال : كل ذلك ؛ يأتيني أحياناً مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت ما قال وهو أشده عليّ ، ويتمثل لي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق ؛ وخرجه النسائي عن سفيان عن هشام وقال فيه : وأحياناً يأتيني في مثل صورة الفتى فينبذه إليّ[1] .

وخرجه مسلم من حديث أبي أسامة ومحمد بن بشر عن هشام ولفظه : أن الحرث بن هشام سأل النبي ﷺ : كيف كان يأتيك[2] الوحي ؟ فقال : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أَشَدُّ عليّ ، ثم يفصم عني وقد وعيته ، وأحياناً ملك في مثل صورة الرجال ، فأعى ما يقول .

---

(١) في (خ) « فينبذه مسلم إليّ » وما أثبتناه من (سنن النّسائي) جـ ٢ ص ١٤٧ .

(٢) قوله : « كيف يأتيك الوحي » ظاهره أن السؤال عن كيفية الوحي نفسه لا عن كيفية الملك الحامل له ، ويدل عليه أول الجواب ، لكن آخر الجواب يميل إلى أن المقصود بيان كيفية الملك الحامل ، فيقال : يلزم من كون الملك في صورة الإنسان كون الوحي في صورة مفهوم متبين أول الوهلة ، فالنظر إلى هذا اللازم صار بياناً لكيفية الوحي ، فلذلك قوبل بصلصلة الجرس ، ويحتمل أن المراد السؤال عن كيفية الحامل ، أي كيف يأتيك حامل الوحي . وقوله : « في مثل صلصلة الجرس » يأتيني في صوت متدارك لا يدرك في أول الوهلة كصوت الجرس ، أي يجيء في صورة وهيئة لها مثل هذا الصوت ، =

ولمسلم من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان لَيُنزل على رسول الله ﷺ في الغَداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً .

وله من حديث قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُنزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه ، وفي لفظ : كان النبي ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي نكس رأسه ، ونكس أصحابه رءوسهم ، فلما أُتْلي[1] عنه رفع رأسه .

وفي رواية لغير مسلم : كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وغمض عيينه وتربد وجهه ، فنزل عليه فأمسكنا عنه ، فلما سرى عنه قال : خذوهن اقتلوهن[2] .

ولعبد الرزاق من حديث يونس بن يزيد الأشهلي عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد الله القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عنه دوياً كدويّ النحل .

فنبه بالصوت غير المعهود على أنه يجيء في هيئة غير معهودة ، فلذا قابله بقوله : « في مثل صورة الفتى » ، وعلى الوجهين فصلصلة الجرس مثال لصوت الوحي ، والصلصلة – بصادين مهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة – صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ، والجرس – بفتحتين – الجلجل الذي يعلق في رءوس الدواب ، وجه الشبه هو أنه صوت متدارك لا يدرك في أول الوهلة . وقوله : « فيفصم » يضرب أي فيقطع عني حامل الوحي الوحي ، قوله : « وقد وعيت عنه » أي حفظت عنه ، أي أجده في قلبي مكشوفاً متبيناً بلا التباس ولا إشكال ، قوله: « فينبذه » – كيضرب – أي يلقيه إليّ في صوت إنسان . والله تعالى أعلم (سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي) ج ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١) قوله : « أتلي عنه » هكذا هو في معظم نسخ بلادنا ؛ أُتلي بهمزة ومثناة فوق ساكنة ولام وياء ، ومعناه : ارتفع الوحي ، هكذا فسَّرهُ صاحب (التحرير) وغيره ، ووقع في بعض النسخ : « أُجلي » بالجيم ، وفي رواية ابن ماهان « إنجلي » ، ومعناها : أُزيل عنه وزال عنه ، وفي رواية (البخاري) : « إنجلي » ، والله أعلم . (مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ٨٩ .

(٢) في حدّ الزنا .

وخرجه الترمذي من حديث عبد الرزاق بهذا السند ولفظه : كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دويّ كدويّ النحل[1] ، فأنزل عليه يوماً فمثكنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، ثم قال : أُنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾[2] حتى ختم عشر آيات . قال الترمذي : سمعت إسحٰق بن منصور يقول : رواه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحٰق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن يونس بن سليمان عن يونس بن يزيد عن الزهري هذا الحديث نحوه ، ومن سمع من عبد الرزاق فربما قال لهم : إنما تذكرون فيه عن يونس بن يزيد ، وبعضهم لا يذكر فيه عن يونس بن يزيد ، ومن ذكر فيه عن يونس بن يزيد فهو أصح ، وكذا عبد الرزاق ربما ذكر في هذا الحديث يونس بن يزيد ، وربما لم يذكره وهو عندنا أصح .

وخرجه أيضاً عنه ابن حميد ، وخرجه الحاكم وقال : الإسناد صحيح .

وفي حديث قصة الإفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سُرّي عن رسول الله ﷺ سُرّي عنه وهو يضحك[3] .

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص ، حدثتني عائشة رضي الله عنها قالت : شخص رسول الله ﷺ بصره إلى السقف ، وكان إذا نزل عليه وجد ثقلاً ؛ قال الله تعالى : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾[4] .

---

(١) في (خ) : « سمع عليه وجهه كدوي النحل » ، وما أثبتناه من (مسند أحمد) جـ١ ص ٣٤ .

(٢) من أول سورة المؤمنون .

(٣) (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) عند تفسيره لسورة النور .

(٤) سورة المزمل الآية / ٥ .

وللإمام أحمد من حديث صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد قال : سمعت زيد بن ثابت يقول : كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ ثقل لذلك وتحدر جبينه عرقاً كأنه الجمان ، وإن كان في البرد .

وله من حديث معمر عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال : اكتب ﴿ **لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله** ﴾[1] ، فجاء ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله ، إني أُحب الجهاد ، ولكن بي من الزَّمانة[2] ما ترى ، قال زيد : فثقلت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي حتى خشيتُ أن ترضها ثم قال : اكتب ﴿ **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله** ﴾[3] .

ولأبي نعيم من حديث ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو ابن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قلت لرسول الله ﷺ : هل تحس بالوحي ؟ قال : نعم أسمع صلاصل ثم أسبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلّي إلا ظننت أن نفسي تقبض منه .

ولأبي نعيم من حديث عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم بن كليب قال : حدثني أبي عن خالد الفلتان بن عاصم قال : كنا عند النبي ﷺ وأُنزل عليه ، وكان إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل .

وله من حديث أبي عون عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صدع فعلف رأسه بالحناء .

وله لأحمد بن حنبل من حديث سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : كنت آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ حين نزلت المائدة ، فكاد

---

(١) سورة النساء الآية / ٩٥ .

(٢) الزَّمانة : العاهة (ترتيب القاموس) جـ٢ ص ٤٧٧ .

(٣) أخرجه أيضاً : أبو نعيم في (دلائل النبوة) جـ١ ص ٧٣ .

أن ينكسر عضدها من ثقل المائدة[1] .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، حدثنا حيي عن عبد الله أن أبا عبد الرحمن الجبلي حدثه قال : سمعت عبد الله بن عمرو[2] يقول : أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها[3] .

وللبخاري ومسلم من حديث همام قال : حدثنا عطاء بن أبي رباح قال : حدثني صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة[4] وعليه جبة وعليه أثر الخلوق[5] - أو قال : أثر صفرة - فقال : كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي ؟ قال : فأنزل الله على النبي الوحي [صلواة الله وسلامه عليهما][6] فستر بثوب ، [وكان يعلى يقول][7] : وددت أن أرى النبي ﷺ وقد أنزل[8] الله عليه الوحي ، فقال عمر رضي الله عنه : أيسرك أن ترى النبي ﷺ

---

(1) قال الإمام الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقي في تقدمته لسورة المائدة : « قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو معاوية شيبان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لآخذة بزمام العَضْباء ناقة رسول الله ﷺ ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة » .

« وروى ابن مردويه ، من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول قال : حدثتني أم عمرو عن عمها ، أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها » .

« وقال أحمد أيضاً : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حُيَيّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أُنزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سورة المائدة ، وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله ، فنزل عنها . تفرد به أحمد » . (تفسير القرآن العظيم لابن كثير) : ٢ / ٣ .

(2) في (خ) : « عمر » ، والتصويب من المرجع السابق والمرجع التالي .

(3) (مسند أحمد) : ٢ / ٣٦٨ ، مسند عبد الله بن عمرو ، حديث رقم (٦٦٠٥) .

(4) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، والعراقيون يُشَدِّدون راءها ويكسرون عينها ، أما الحجازيون ، فإنهم يسكنون عينها ويُخففون راءها . (معجم ما استعجم) ٢ / ٣٨٤ .

(5) الخلوق : بفتح الخاء المعجمة ، نوع من الطيب مركب فيه زعفران .

(6) زيادة في (خ) .

(7) كذا في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢٥ ، حديث رقم (١٧٦) .

(8) في (المرجع السابق) : « وقد نزل » .

وقد أنزل[١] عليه الله الوحي ؟ قلت : نعم ، فرفع عمر طرف الثوب ، فنظرت إليه له[٢] غطيط ، قال : وأحسب[٣] قال : كغطيط البكر ، قال : فلما سرى عنه قال : أين السائل عن العمرة ؟ إخلع الجبة واغسل[٤] أثر الخلوق وأنق[٥] الصفرة ، واصنع في عمرتك كما[٦] تصنع في حجك[٧] وقال مسلم : اغسل عنك أثر الصفرة أو قال : أثر الخلوق ، واخلع عنك جبتك ، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجك[٨] . وخرجاه من طُرق مطولاً ومختصراً[٩] .

---

(١) في (المرجع السابق) : « وقد نزل » . (٢) في (المرجع السابق) : « وله » .

(٣) في (المرجع السابق) : « قال همام : أحسبه » .

(٤) في (المرجع السابق) : « واغسل عنك » .

(٥) في (المرجع السابق) : « أو الصفرة ». (٦) في (المرجع السابق) : « ما صنعت ».

(٧) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب العمرة ، باب (١٠) ما يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج ، حديث رقم (١٧٨٩) ، ورواه بسياقة أخرى في كتاب الحج ، باب (١٧) غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ، حديث رقم (١٥٣٦) : قال أبو عاصم : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى أخبره « أن يعلى قال لعمر رضي الله عنه : أرني النبي ﷺ حين يوحي إليه . قال فبينما النبي ﷺ بالجعرانة – ومعه نفر من أصحابه – جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمِّخ بطيب ؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ، فجاءه الوحي ، فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى ، فجاء يعلى – وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أُظِلّ به – فأدخل رأسه ، فإذا رسول الله ﷺ محمرُّ الوجه وهو يغط ، ثم سرِّي عنه فقال : أين الذي سأل عن العمرة ؟ فَأُتِيَ برجل فقال : إغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حَجَّتك » . قلت لعطاء : أراد الإنقاء حين أمره أن يغسل ثلاث مرات ؟ قال : نعم » .

قوله : « يَغطّ » – بفتح أوله وكسر المعجمة وتشديد الطاء المهملة – أي ينفخ ، والغطيط : صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى ، وسبب ذلك شدة ثقل الوحي ، وكان سبب إدخال يعلى رأسه عليه في تلك الحال ، أنه كان يحب لو رآه في حالة نزول الوحي . (فتح الباري) : ٣ / ٥٠٣ .

(٨) (صحيح مسلم) : كتاب الحج ، باب (١) ، ما يُباح للمحرم بحج أو عمرة ، وما لا يُباح ، وبيان تحريم الطيب عليه ، حديث رقم (٦ – (١١٨٠)) .

(٩) فمما أخرجه (البخاري) : كتاب جزاء الصيد ، باب (١٩) ، إذا أحرم جاهلاً وعليه قميص ، حديث رقم (١٨٤٧) ، وفي كتاب فضائل القرآن ، باب (٢) ، نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، ﴿ **قرآناً عربياً** ﴾ ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ ، حديث رقم (٤٩٨٥) ، وفي كتاب المغازي ، باب (٥٧) ، غزوة الطائف في شوال سنة ثمان – قال موسى بن عقبة – حديث رقم (٤٣٢٩) .

ومما أخرجه (مسلم) : كتاب الحج ، باب (١) ، ما يباح للمُحرم بحج أو عمرة ، وما لا يباح ، وبيان تحريم الطيب عليه ، حديث رقم (٦ – (١١٨٠) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، وقال فيه : « خمَّره عمر بالثوب » ، أي غطَّاه ، وأما إدخال يعلى رأسه ، ورؤيته النبي ﷺ في تلك الحال ، وإذن عمر له في ذلك ، فكله محمول على أنهم علموا من النبي ﷺ أنه لا يكره الاطلاع عليه في ذلك الوقت وتلك الحال ، لأن فيه تقوية الإيمان بمشاهدة حالة الوحي الكريم ، والله تعالى أعلم .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال : قال زيد ابن ثابت : إني قاعد إلى جنب رسول الله ﷺ إذ أوحي إليه ، قال : وغشيته السكينة [و][1] وقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة ، [قال زيد][1] : فلا والله ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله ﷺ ثم سرى عنه فقال : أُكتب يا زيد[2] .

وروى الحسين بن إسماعيل المحاملي من حديث أبي الزياد عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت قال : كان إذا أنزل على رسول الله ﷺ السورة الشديدة أخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة ، وإذا أُنزل عليه السورة اللينة أخذ[3] به من ذلك على قدر لينها .

ولابن سعد من حديث صالح بن محمد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي أروى الدوسي قال : رأيت الوحيَ ينزل على رسول الله ﷺ وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها تنفصم فربما بركت وربما قامت موئدة يديها حتى يسرى عنه مثل الوحي ، وإنه ليتحدر مثل الجمان[4] .

وخرج الحاكم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أوحي إليه لم يستطع أحد منا يرفع طرف إليه حتى ينقضي الوحي . قال هذا حديث صحيح

---

(١) زيادة من (مسند أحمد) .

(٢) (مسند أحمد) : ٦ / ٢٤٥ ، حديث رقم (٢١١٥٦) ، وتمام لفظه : « فأخذتُ كتفاً ، فقال : أكتب ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون** ﴾ الآية كلها إلى قوله : ﴿ **أجراً عظيماً** ﴾ ، فكتبتُ ذلك في كتف ، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم – وكان رجلاً أعمى – فقام حين سمع فضيلة المجاهدين ، قال : يا رسول الله ، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى وأشباه ذلك ؟ قال زيد : فوالله ما مضى كلامه ، أو ما هو إلا أن قضي كلامه ، غشيتْ النبيَّ ﷺ السكينة فوقعت فخذه على فخذي ، فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ثم سُرّي عنه . فقال : اقرأ ، فقرأتُ عليه : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون** ﴾ ، فقال النبي ﷺ : ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ . قال زيد : فألحقتها ، فوالله لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف » .

(٣) في (خ) : « أخذا » .

(٤) (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٩٧ ، باب ذكر شدة نزول الوحي على النبي ﷺ .

على شرط مسلم[1] . [ولم يخرجاه][2] .

وله من حديث معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك ، وتلت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ قال : هذا حديث صحيح الإسناد[3] ، [ولم يخرجاه][2] والله الموفق بمنه وكرمه وحسن توفيقه .

* * *

---

(١) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٢ ، حديث رقم (٢٨٨٠ / ٩) .
(٢) زيادة من المرجع السابق .
(٣) (المستدرك) : ٢ / ٥٤٨ ، حديث رقم (٣٨٦٥ / ١٠٠٢) .

ذكر تعليم جبريل عليه السلام
رسول الله ﷺ الوضوء والصلاة

قال أبو عمر بن عبد الله : ومعلوم أن الجنابة لم يفترض الغسل منها قبل الوضوء ، كما أنه معلوم عند جميع أهل السير أن رسول الله ﷺ افترضت عليه الصلاة بمكة والغسل من الجنابة ، وأنه لم يصل قط بمكة إلا بوضوء مثل وضوئه بالمدينة ومثل وضوئنا اليوم ، وهذا لا يجهله عالم ولا يدفعه إلا معاند .

وخرج الإمام أحمد من حديث [ابن] لهيعة عن عقيل عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أن جبريل أتاه أول ما أوحي إليه فعلمه الوضوء والصلاة ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة ماء فنضح بها فرجة[1] .

وروى الواقدي من حديث معمر عن الزهري وقتادة والكلبي قالوا : علم جبريل رسول الله ﷺ الوضوء والصلاة ، واقرأهُ ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[2] ، فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله عز وجل به ، وعلمها الوضوء فصلت معه ، وكانت أول خلق صلى معه[3] .

ومن حديث أبي معشر عن محمد بن قيس قال : فحص جبريل بعقبه الأرض فنبع ماء ، فعلم جبريل رسول الله ﷺ الوضوء ؛ فمضمض ثم استنشق وغسل وجهه وذراعيه ، ومسح رأسه وغسل رجليه ، ثم نضح تحت إزاره ثم صلى ركعتين ، فانصرف رسول الله ﷺ مسروراً فجاء إلى خديجة رضي الله عنها فحدثها وأراها ما أراه جبريل ، ثم صلت معه ركعتين[3] .

وقال الواقدي : وكان علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهما يلزمان

---

(١) (مسند أحمد) : ٥ / ١٦٥ - ١٦٦ ، حديث رقم (١٧٠٢٦) .
(٢) أول سورة العلق .
(٣) سبق الإشارة إليهم في سياق الغزوات .

رسول الله ﷺ ، وكان يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى - وكانت تلك صلاة لا تنكرها قريش - وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد عليٌّ أو زيد يرصدانه[1] .

وروى عن سلمة بن [ ][2] عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك عن بنت أبي بحراة قالت : كانت قريش لا تنكر صلاة الضحى إنما تنكر غيرها ، وكان ﷺ وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فيصلون فرادى ومثنى ؛ قال الواقدي : كانوا يصلون الضحى والعصر ، ثم نزلت الصلوات الخمس قبل الهجرة ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم نزل تمامها بالمدينة للمقيم ، وبقيت صلاة المسافر ركعتين .

وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله تعالى على المسلم في أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالضحى ، ثم فرض الخمس في ليلة المعراج ، وقد جاء أن رسول الله ﷺ صلى عند زوال الشمس في أول النبوة ، ولما نزلت سورة المزمل بمكة كان قيام الليل فرضاً على رسول الله ﷺ ، وكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين ، فشق ذلك عليه وعليهم ، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى نم ثلثي الليل** ﴾[3] .

وقال عطاء بن السائب ومقاتل بن سليمان : نزل قوله تعالى ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل** ﴾[3] بالمدينة ، والأول أصح ، وقيل : نسخ قيام الليل في حقه بقوله تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾[4] ، ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس ، وقيل : نسخ عن الأمة وبقي فرضه عليه ، وقيل : إنما كان مفروضاً عليه دونهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنه : كان بين نزول أول المزمل وآخرها سنة .

---

(١) سبق الإشارة إليهم في سياق الغزوات .

(٢) ما بين القوسين في (خ) كلمة غير واضحة ، لم أجد لها توجيهاً فيمن اسمه « سلمة » ، فيما بين يدي من كتب الرجال .

(٣) سورة المزمل ، آية / ٢٠ .

(٤) سورة الإسراء ، آية / ٧٩ .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السّير أن الصلاة إنما فرضت على النبي ﷺ بمكة في حين الإسراء حين عُرج به إلى السماء ، ولكنهم اختلفوا في هيئتها حين فرضت ، فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيدت في صلاة الحضر، فأكملت أربعاً ، وأقرت صلاة السفر على ركعتين ، وبذلك قال الشعبي وميمون بن مهران ومحمد ابن إسحٰق .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنها فرضت أربعاً وفي السفر ركعتين ، وقال نافع بن جبير : أنها فرضت في أول ما فرضت أربعاً إلا المغرب ، فإنها فرضت ثلاثاً ، والصحيح ركعتين ، وكذلك قال الحسن البصري وهو قول ابن جريج .

وقد روي عن النبي ﷺ من حديث القشيري وغيره ما يوافق ذلك ، ولم يختلفوا في أن جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الزوال عند الإسراء ، فعلم النبي ﷺ الصلاة ومواقيتها وهيئتها .

وقال إسحٰق الحربي : أول ما فرضت الصلاة بمكة ، ركعتان في أول النهار وركعتان في آخره ، وذكر حديث عائشة قالت : فرض على رسول الله ﷺ الصلاة ركعتين ركعتين ثم زاد فيها في الحضر ،هكذا حدث ابن الحربي عن أحمد بن الحجاج عن ابن المبارك عن ابن عجلان عن صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت : فرض على رسول الله ﷺ الصلاة ركعتين ركعتين . الحديث ، وليس في حديث عائشة هذا دليل على صحة ما ذهب إليه من قال : أن الصلاة فرضت ركعتين في أول النهار وركعتين في آخره ، وليس يوجد هذا في أثر صحيح ، بل في حديث عائشة دليل على أن الصلاة التي فرضت ركعتين ركعتين في الصلوات الخمس ثم زيد في صلاة الحضر ، وأقرت صلاة السفر ، لأن الإشارة بالألف واللام إلى الصلاة في حديث عائشة هذا هي إشارة إلى الصلاة المعهودة ، وهذا هو الظاهر المعروف في الكلام ، وقد أجمع العلماء أن الصلوات الخمس إنما فرضت في الإسراء ، والظاهر من حديث عائشة أنها أرادت تلك الصلاة ، والله أعلم .

وأورد من طريق النسائي حديث الوليد بن مسلم قال : أخبرني أبو عمر يعني الأوزاعي أنه سأل الزهري عن صلاة رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة إلى المدينة فقال : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : فرض الله الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما فرضها ركعتين ركعتين ثم أتمت في الحضر أربعاً ، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى[1] ، فهذا ومثله يدلك على أنها الصلاة المعهودة ، وهي الخمس المفترضة في الإسراء به لا صلاتان ، ومن ادَّعى غير ذلك كان عليه الدليل من كتاب أو سنة ، ولا سبيل له إليه .

وقال جماعة من أهل العلم أن النبي ﷺ لم يكن عليه صلاة مفروضة قبل الإسراء إلا ما كان أمر به من صلاة الليل على نحو قيام الليل من رمضان من غير توقيت ولا تحديد ، لا بركعات معلومات ولا بوقت محصورة ، وكان ﷺ يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ، وقامه المسلمون معه نحواً من حول حتى شق عليهم ذلك فأنزل الله التوبة عنهم والتخفيف في ذلك ، ونسخه بقوله تعالى : ﴿ **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن** ﴾[2] ، فنسخ آخر السورة أولها ، فضلاً منه ورحمة ، فلم تبق في الصلاة فريضة إلا الخمس ، ألا ترى إلى حديث طلحة بن عبيد الله في الأعرابي النجدي إذا سأل رسول الله ﷺ عما عليه من الصلاة فقال : الصلوات الخمس ، فقال : هل على غيرها ؟ فقال : لا .

ذكر وكيع عن مسعر عن سماك الحنفي قال : سمعت ابن عباس يقول : لما نزلت ﴿ **يأيها المزمل** ﴾ كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل[3] آخرها ، وكان بين أولها وآخرها حولٌ .

وعن عائشة مثله بمعناه وقالت : فجعل قيام الليل تطوعاً بعد فريضة . وعن الحسن مثله قال : فنزلت الرخصة بعد حول .

قال كاتبه : حديث عائشة خرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت :

---

(١) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ٩٩ ، حديث رقم (٤٤) .
(٢) سورة المزمل ، آية / ٢٠ .
(٣) في (خ) : « نزلت » .

فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر .

وقال البخاري : فرض الله الصلاة حين فرضها ... الحديث مثله ، ذكره في كتاب الصلاة ، وخرجه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان ؛ فأقرت في صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر ... الحديث ، ذكره البخاري في أبواب تقصير الصلاة[1] .

وخرجه مسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر فأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى[2] .

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٧٢٤ ، حديث رقم (١٠٩٠) .

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي) : ٥ / ٢٠١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم (٢) من أحاديث الباب .

اختلف العلماء في القصر في السفر ؛ فقال الشافعي ومالك بن أنس ، وأكثر العلماء : يجوز القصر والإتمام ، والقصر أفضل ، ولنا قول : أن الإتمام أفضل ، ووجه أنهما سواء ، والصحيح المشهور أن القصر أفضل .

وقال أبو حنيفة وكثيرون : القصر واجب ولا يجوز الإتمام ، ويحتجون بهذا الحديث ، وبأن أكثر فعل النبي ﷺ وأصحابه كان القصر .

واحتج الشافعي وموافقوه بالأحاديث المشهورة في صحيح مسلم وغيره ، أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسافرون مع رسول الله ﷺ ، فمنهم القاصر ، ومنهم المتمم ، ومنهم الصائم ، ومنهم المفطر ، لا يعيب بعضهم على بعض ، وبأن عثمان كان يتم ، وكذلك عائشة وغيرها ، وهو ظاهر قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ ، وهذا يقتضي رفع الجناح والإباحة .

وأما حديث : فرضت الصلاة ركعتين ، فمعناه فرضت ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما ، فزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتيم ، وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار ، وثبتت دلائل جواز الإتمام ، فوجب المصير إليها ، والجمع بين دلائل الشرع . (المرجع السابق) : ٢٠١ - ٢٠٢ .

ورواية البخاري : عائشة رضي الله عنها : « فرض الله الصلاة - حين فرضها - ركعتين ، ثم أتمها في الحضر ، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى » ، وفي رواية ، قالت : « فرض الله الصلاة - حين فرضها - ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر » .

وفي أخرى ، قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ، ثم هاجر رسول الله ﷺ ، ففرضت أربعاً ، وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى . قال الزهري : قلت لعروة : ما بال عائشة تُتم ؟ =

وخرجه البخاري من حديث يزيد بن ذريع ، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعاً ، وتركت صلاة السفر على الأولى ، تابعه عبد الرزاق عن معمر ، ذكره البخاري في كتاب الهجرة[1] ، وأما حديث ابن عباس فخرجه النسائي[2] من حديث أبي عوانة عن بكير الأخنس عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : فرضت الصلاة على لسان النبي ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، قال ابن عبد البر : انفرد به بكير بن الأخنس وليس بحجة فيما انفرد به .

وخرج ابن أبي شيبة من حديث عبيدة بن حميد عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فلما أتى النبي ﷺ المدينة زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا المغرب .

قال ابن عبد البر : قول الشعبي هذا أصله حديث عائشة رضي الله عنها ، وقد يمكن أن يأخذه عن الأسود عن مسروق عن عائشة ، فأكثر ما عنده عن عائشة هو عنهما .

قال : تأولت كما تأول عثمان » .

أخرجه البخاري ومسلم . وأخرج الرواية الثانية الموطأ وأبو داود ، وأخرج الثانية والثالثة النسائي

رواه البخاري في الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، وفي تقصير الصلاة ، باب يقصر إذا خرج من موضعه ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ، ومسلم في صلاة المسافرين باب صلاة المسافرين وقصرها ، والموطأ في قصر الصلاة في السفر ، وأبو داود في الصلاة ، باب صلاة المسافر ، والنسائي في الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة – ر : (جامع الأصول في أحاديث الرسول) : ٥ / ١٨٤ – ١٨٥ ، حديث رقم (٣٢٤٩) .

(١) (فتح الباري) : ٧ / ٣٤١ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب التاريخ ، من أين أرّخوا التاريخ ، حديث رقم (٣٩٣٥) ، وقال فيه : « فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي » ، أي بمكة ، وقوله : « تركت » أي على ما كانت عليه من عدم وجوب الزائد ، بخلاف صلاة الحضر ، فإنها زيدت في ثلاث منها ركعتان ، فالمعنى : أقرت صلاة السفر على جواز الإتمام ، وإن كان الأحب القصر .

(٢) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ٩٩ ، حديث رقم (٤٤٢) ، وقال عنه : « صحيح » ، و (صحيح سنن ابن ماجة) : ١ / ١٧٦ ، حديث رقم (١٠٦٨) ، (صحيح أبي داود) : ١ / ٢٢٧ ، حديث رقم (١٠٨٩) : عن أنس بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة ، فكان يصلي ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة ، فقلنا : هل أقمتم بها شيئاً ؟ قال : أقمنا عشراً . ذكر في باب متى يتم المسافر .

وروى يونس بن بكير عن سالم بن أبي المهاجر قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : كان أول الصلاة مثنى ثم صلى رسول الله ﷺ أربعاً فصارت سنة ، وأقرت الركعتان للمسافر وهي تمام . قال ابن عبد البر : وهذا إسناد لا يحتج بمثله ، وقوله : فصارت سنة قول نكر ، وكذلك استثنى الشعبي المغرب وحدها ، ولم يذكر الصبح قول لا معنى له ، ومن قال بهذا من أهل السير قال : إن الصلاة أتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهرٍ وأربعة أيام .

* * *

وأمّا إقَامةُ جِبريل عليه السَّلام
أوقَاتَ الصَّلاةِ للنَّبي ﷺ وأنّه أمَّهُ فِيهَا

فخرج البخاري ومسلم من حديث مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخَّر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخَّر الصلاة يوماً وهو في [الكوفة][١] فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال : ما هذا يا مغيرة ؟! أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ﷺ[٢] ، ثم قال بهذا أُمرت ، فقال عمر[٣] لعروة : انظر ما تحدثت به يا عروة ، أَوَ أَن جبريل هو الذي أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة ؟ فقال عروة : كذلك كان بَشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه ، قال[٤] عروة : ولقد حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ [أنه] كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر[٥] .

وأخرجاه والنسائي من حديث الليث بن سعد عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة شيئاً ، فقال له عروة : أما أن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله ﷺ ، فقال له عمر : اعلم ما تقول يا عروة ، فقال : سمعت بشير بن أبي مسعود يقول : سمعت أبا سلمة مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزل جبريل فأمني فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ؛ ويحسب بأصابعه خمس صلوات .

---

(١) كذا في (خ) ، وفي صحيح البخاري : بدونها ، وفي رواية : « وهو بالعراق » .
(٢) كذا في (خ) ، وفي صحيح البخاري : « ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ » [خمس مرات] .
(٣) يعني ابن عبد العزيز . (٤) بداية حديث آخر في البخاري ، على ما سيأتي شرحه . .
(٥) فتح الباري ٢ / ٤ – ٨ .

قوله : « أُخَّر الصلاة يوماً » : وللبخاري في بدء الخلق من طريق الليث عن ابن شهاب بيان الصلاة المذكور ، ولفظه : « أخَّر العصر شيئاً » . قال ابن عبد البر : ظاهر سياقه أنه فعل ذلك يوماً ما ، لا أن ذلك كان عادة له وإن كان أهل بيته معروفين بذلك ، وكذا في نسخة الصغاني ، وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب : « أخَّر الصلاة مرة » ، يعني العصر .

وللطبراني من طريق أبي بكر بن حزم ، أن عروة حدَّث عمر بن عبد العزيز – وهو يومئذ أمير المدينة في زمان الوليد بن عبد الملك – وكان ذلك زمان يؤخرون فيه الصلاة ، يعني بني أمية . قال ابن عبد البر : المراد أنه أخرها حتى خرج الوقت المستحب ، لا أنه أخرها حتى غربت الشمس . =

....

= ويؤيده سياق رواية الليث المتقدمة . وأما ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب عن أسامة بن زيد الليثي ، عن ابن شهاب في هذا الحديث ، قال : « دعا المؤذن لصلاة العصر فأمسي عمر بن عبد العزيز قبل أن يصليها » ، فمحمول على أنه قارب المساء لا أنه دخل فيه ، وقد رجع عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، فروى الأوزاعي عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز – يعني في خلافته – كان يصلي الظهر في الساعة الثامنة والعصر في الساعة العاشرة حين تدخل .

قوله : « أن المغيرة بن شعبة أخَّر الصلاة يوماً » ، بين عبد الرزاق في روايته عن ابن جريج عن ابن شهاب أن الصلاة المذكورة العصر أيضاً ، ولفظه : « أمسى المغيرة بن شعبة بصلاة العصر .

قوله : « وهو بالعراق » ، في الموطأ ، رواية القعنبي وغيره عن مالك « وهو بالكوفة » ، وكذا أخرجه الإسماعيلي عن أبي خليفة عن القعنبي ، والكوفة من جملة العراق ، فالتعبير بها أخصّ من التعبير بالعراق ، وكان المغيرة إذا ذاك أميراً عليها من قِبَل معاوية بن أبي سفيان .

قوله : « ما هذا » ؟ الأكثر في الاستعمال في مخاطبة الحاضر : « ألست » ، وفي مخاطبة الغائب : « أليس » .

قوله : « قد علمت » ، قال عياض : يدل ظاهره على علم المغيرة بذلك ، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل الظن من أبي مسعود لعلمه بصحبة المغيرة . قلت : ويؤيد الأول رواية شعيب عن ابن شهاب عند المصنف في غزوة بدر بلفظ « فقال لقد علمت » بغير أداة استفهام ، ونحوه لعبد الرزاق عن معمر وابن جريج جميعاً .

قوله : « إن جبريل نزل » ، بين ابن إسحاق في المغازي ، أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فُرضت فيها الصلاة ، وهي ليلة الإسراء ، قال ابن إسحاق : « حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير » ، وقال عبد الرزاق : « عن ابن جريج قال : قال نافع بن جبير وغيره : لما أصبح النبي ﷺ من الليلة التي أسري به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس ، ولذلك سُمّيت « الأولى » أي صلاة الظهر ، فأمر فصيح بأصحابه : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلى به جبريل ، وصلى النبي ﷺ بالناس » ، فذكر الحديث ، وفيه ردّ على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة ، والحقّ أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل ، وبعدها ببيان النبي ﷺ .

قوله : « نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ » ، قال عياض : ظاهره أن صلاته كانت بعد فراغ صلاة جبريل ، لكن المنصوص في غيره أن جبريل أَمَّ النبي ﷺ ، فيحمل قوله : « صلى فصلى » ، على أن جبريل كان كلما فعل جزءاً من الصلاة تابعه النبي ﷺ بفعله . وبهذا جزم النووي .

وقال غيره : الفاء بمعنى الواو ، واعترض بأنه يلزم أن يكون النبي ﷺ كان يتقدم في بعض الأركان على جبريل ، على ما يقتضيه مطلق الجمع ، وأجيب بمراعاة الحيثية وهي التبين ، فكان لأجل ذلك يتراخى عنه ، وقيل : الفاء للسببية كقوله تعالى : ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ . وفي رواية الليث عند المصنف وغيره : « نزل جبريل فأمَّني فصليتُ معه » ، وفي رواية عبد الرزاق عن معمر : « نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ فصلى الناس معه » ، وهذا يؤيد رواية نافع بن جبير المتقدمة ، وإنما دعاهم إلى الصلاة بقوله : « الصلاة جامعة » ، لأن الأذان لم يكن شُرع حينئذ .

واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ، ويُجاب عنه بما يُجاب به عن قصة =

....

أبي بكر في صلاته خلف النبي ﷺ وصلاة الناس خلفه ، فإنه محمول على أنه كان مُبَلِّغاً فقط ، كما سيأتي تقريره في أبواب الإمامة .

واستدلوا به أيضاً على جواز صلاة المفترض خلف المتنفِّل من جهة أن الملائكة ليسوا مكلفين بمثل ما كلف به الإنس ، قاله ابن العربي وغيره .

وأجاب عياض باحتمال أن لا تكون تلك الصلاة كانت واجبة على النبي ﷺ حينئذ ، وتعقبه بما تقدم من أنها كانت صبيحة ليلة فرض الصلاة ، وأجاب باحتمال أن الوجوب عليه كان معلقاً بالبيان ، فلن يتحقق الوجوب إلا بعد تلك الصلاة .

قال : وأيضاً لا نسلم أن جبريل كان متنفلاً بل كانت تلك الصلاة - واجبة علي لأنه مكلف بتبليغها ، فهي صلاة مُفترض بفرض خلف مفترض بفرض آخر .

قوله : « بهذا أُمرتَ » ، بفتح المثناة على المشهور ، والمعنى هذا الذي أمرت به أن تصليه كل يوم وليلة ، وروي بالضم ، أي هذا الذي أمرت بتبليغه لك .

قوله : « كذلك كان بشير » ، هو بفتح الموحَّدة ، بعدها معجمة بوزن فعيل ، وهو تابعي جليل ، ذُكر في الصحابة لكونه ولد في عهد النبي ﷺ ورآه . قال ابن عبد البر : هذا السياق منقطع عند جماعة من العلماء ، لأن ابن شهاب لم يقل : حَضَرْتُ مراجعة عروة لعمر ، وعروة لم يقل : حدثني بشير ، لكن الاعتبار عند الجمهور بثبوت اللقاء والمجالسة ، لا بالصيغ .

وقال الكرماني : اعلم أن الحديث بهذا الطريق ليس متصل الإسناد ؛ إذ لم يقل أبو مسعود : « شاهدت رسول الله ﷺ » ، ولا قال : « قال رسول الله ﷺ » . قلت : هذا لا يسمى منقطعاً اصطلاحاً ، وإنما هو مرسل صحابي لأنه لم يدرك القصة ، فاحتمل أن يكون سمع ذلك من النبي ﷺ ، أو بلغه عنه بتبليغ من شاهده أو سمعه كصحابي آخر . على أن رواية الليث عند المصنف تزيل الإشكال كله ، ولفظه : « فقال عروة : سمعت بشير بن أبي مسعود يقول : سمعت أبي يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول » ، فذكر الحديث .

وكذا سياق ابن شهاب ، وليس فيه التصريح بسماعه له من عروة ، وابن شهاب قد جُرِّب عليه التدليس ، لكن وقع في رواية عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن شهاب قال : « كنا مع عمر بن عبد العزيز » ، فذكره . وفي رواية شعيب عن الزهري : « سمعت عروة يحدث عمر بن عبد العزيز » ، الحديث .

قال القرطبي : قول عروة إن جبريل نزل ليس فيه حجة واضحة على عمر بن عبد العزيز إذ لم يعين له الأوقات . قال : وغاية ما يتوهم عليه أن نبَّهه وذكَّره بما كان يعرفه من تفاصيل الأوقات . قال : وفيه بُعد ، لإنكار عمر على عروة حيث قال له : « اعلم ما تحدث يا عروة » . قال : وظاهر هذا الإنكار أنه لم يكن عنده علم من إمامة جبريل . قال الحافظ ابن حجر : لا يلزم من كونه لم يكن عنده علم منها أن لا يكون عنده علم بتفاصيل الأوقات المذكورة من جهة العمل المستمر ، لكن لم يكن يعرف أن أصله لم يكن بتبيين جبريل بالفعل ، فلهذا استثبت فيه ، وكأنه كان يرى أن لا مفاضلة بين أجزاء الوقت الواحد ، وكذا يحمل عمل المغيرة وغيره من الصحابة، ولم أقف في شيء من الروايات على جواب المغيرة لأبي مسعود ، والظاهر أنه رجع إليه والله أعلم . ...

....

وأما ما زاده عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري في هذه القصة قال : فلم يزل عمر يعلم الصلاة بعلامة حتى فارق الدنيا ، رواه أبو الشيخ في كتاب (المواقيت) له من طريق الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : « ما زال عمر بن عبد العزيز يتعلم مواقيت الصلاة حتى مات » . ومن طريق إسماعيل ابن حكيم « أن عمر بن عبد العزيز جعل ساعات ينقضين مع غروب الشمس » زاد من طريق ابن إسحاق عن الزهري « فما أخَّرها حتى مات » . فكله يدل على أن عمر لم يكن يحتاط في الأوقات كثير احتياط إلا بعد أن حدثه عروة بالحديث المذكور .

وقد نبَّه الحافظ ابن حجر على أنه قد ورد في هذه القصة من وجه آخر عن الزهري بيان أبي مسعود للأوقات ، وفي ذلك ما يرفع الإشكال ، ويوضح توجيه احتجاج عروة به ، فروى أبو داود وغيره ، وصححه ابن خزيمة وغيره من طريق ابن وهب ، والطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب ، كلاهما عن أسامة بن زيد ، عن الزهري هذا الحديث بإسناده ، وزاد في آخره : « قال أبو مسعود : فرأيت رسول الله ﷺ يصلي الظهر حين تزول الشمس » فذكر الحديث .

وذكر أبو داود أن أسامة بن زيد تفرد بتفسير الأوقات فيه ، وأن أصحاب الزهري لم يذكروا ذلك . قال : وكذا رواه هشام بن عروة وحبيب بن أبي مرزوق عن عروة ، لم يذكروا تفسيراً .

ورواية هشام أخرجها سعيد بن منصور في سننه ، ورواية حبيب أخرجها الحارث بن أبي أسامة في مسنده . وقد وجدت ما يُعضد رواية أسامة ويزيد عليها ، أن البيان من فعل جبريل ، وذلك فيما رواه الباغندي في (مسند عمر بن عبد العزيز) ، والبيهقي في (السنن الكبرى) من طريق يحيى ابن سعيد الأنصاري ، عن أبي بكر بن حزم أنه بلغه عن أبي مسعود ، فذكره منقطعاً .

لكن رواه الطبراني من وجه آخر عن أبي بكر عن عروة ، فرجع الحديث إلى عروة ، ووضح أن له أصلاً ، وأن في رواية مالك ومن تابعه اختصاراً ، وبذلك جزم ابن عبد البر ، وليس في رواية مالك ومن تابعه ما ينفي الزيادة المذكورة ، فلا توصف والحالة هذه بالشذوذ . وفي هذا الحديث من الفوائد :

[١] دخول العلماء على الأمراء . [٢] إنكارهم عليهم ما يخالف السنة .

[٣] إستثبات العالم فيما يستقر به السماع .

[٤] الرجوع عند التنازع إلى السنة . [٥] فيه فضيلة عمر بن عبد العزيز .

[٦] فيه فضيلة المبادرة بالصلاة في الوقت الفاضل .

[٧] قبول خبر الواحد الثبت .

[٨] استدل به ابن بطال وغيره على أن الحجة بالمتصل دون المنقطع ، لأن عروة أجاب عن استفهام عمر له لما أن أرسل الحديث بذكر من حدَّثه به فرجع إليه ، فكأنما عمر قال له : تأمل ما تقول ، فلعله بلغك عن غير ثبت . فكأن عروة قال له : بل قد سمعته ممن قد سمع صاحب رسول الله ﷺ ، والصاحب قد سمعه من النبي ﷺ .

[٩] واستدل به عياض على جواز الاحتجاج بمرسل الثقة ، كصنيع عروة حين احتج على عمر قال : وإنما راجعه عمر لتثبته فيه ، لا لكونه لم يرض به مرسلاً . كذلك قال ، وظاهر السياق يشهد لما قال ابن بطال . وقال ابن بطال أيضاً : ....

. . . .

= [١٠] في هذا الحديث دليل على ضعف الحديث الوارد في أن جبريل أَمَّ بالنبي ﷺ في يومين لوقتين مختلفين لكل صلاة ، قال : لأنه لو كان صحيحاً لم ينكر عروة على عمر صلاته في آخر الوقت محتجاً بصلاة جبريل ، مع أن جبريل قد صلى في اليوم الثاني في آخر الوقت وقال : « الوقت ما بين هذين » .

وأُجيب باحتمال أن تكون صلاة عمر كانت خرجت عن وقت الاختيار وهو مصير ظل الشيء مثليه ، لا عن وقت الجواز وهو مغيب الشمس ، فيتجه إنكار عروة ، ولا يلزم منه ضعف الحديث . أو يكون عروة أنكر مخالفة ما واظب عليه النبي ﷺ ، وهو الصلاة في أول الوقت ، ورآى أن الصلاة بعد ذلك إنما هي لبيان الجواز ، فلا يلزم منه ضعف الحديث أيضاً .

وقد روى سعيد بن منصور من طريق طلق بن حبيب مرسلاً قال : « إن الرجل ليصلي الصلاة وما فاتته ، ولما فاته من وقتها خير له من أهله وماله » . ورواه أيضاً عن ابن عمر من قوله ، ويؤيد ذلك احتجاج عروة بحديث عائشة في كونه ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها ، وهي الصلاة التي وقع الإنكار بسببها ، وبذلك تظهر مناسبة ذكره لحديث عائشة بعد حديث أبي مسعود ، لأن حديث عائشة يُشعر بمواظبته على صلاة العصر في أول الوقت ، وحديث أبي مسعود يُشعر بأن أصل بيان الأوقات كان بتعليم جبريل . (فتح الباري) : ٢ / ٣ - ٨ ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب مواقيت الصلاة وفضلها ، حديث رقم (٥٢١) ، وذكر البخاري نحواً منه في كتاب بدء الخلق ، حديث رقم (٣٢٢١) : « أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله ﷺ ، فقال عمر : اعلم ما تقول يا عروة ، قال : سمعت بشير بن أبي مسعود يقول : سمعت أبا مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزل جبريل فأمني فصليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، يَحْسُبُ بأصابعه خمس صلوات .

وذكره البخاري في كتاب المغازي (حديث رقم ٤٠٠٧) : « سمعت عروة بن الزبير يُحدّث عمر ابن عبد العزيز في إمارته : أخَّر المغيرةُ بن شعبة العصر وهو أمير الكوفة ، فدخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاريُّ جد زيد بن حسن شهد بدراً فقال : لقد علمتَ نزل جبريل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ خمس صلوات ثم قال : هكذا أُمِرت ، ذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه » .

ورواه مسلم في المساجد باب استحباب التبكير بالعصر ، والموطأ ١ / ٨ - ٩ في وقت الصلاة ، وأبو داود في الصلاة ، باب في وقت صلاة العصر ، والنسائيّ في المواقيت ، باب تعجيل العصر .

وأما قول عروة : « ولقد حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر » ، فهو الحديث الذي ذكره البخاري برقم (٥٢٢) في كتاب مواقيت الصلاة بعد الحديث السابق شرحه وتخريجه ، وقد ذكر البخاري نحواً منه في باب وقت العصر من كتاب مواقيت الصلاة ، الأحاديث أرقام : (٥٤٤) ، (٥٤٥) ، (٥٤٦) ، بسياقات متقاربة مفادها أن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يصلي صلاة العصر والشمس طالعة في حجرتي ، لم يظهر الفيءُ بعدُ » . قال الحافظ ابن حجر : والحاصل أن أنس بن عياض - وهو أبو ضمرة الليثي - وأبا أسامة رويا الحديث عن هشام - وهو ابن عروة بن الزبير - عن أبيه عن عائشة ، وزاد أبو أسامة التقييد بقعر الحجرة ، وهو أوضح في تعجيل العصر من الرواية المطلقة ، وقد وصل الإسماعيلي طريق أبي أسامة في مستخرجه ، لكن بلفظ « والشمس واقعة في حجرتي ، وعرف بذلك أن الضمير في قوله : =

وقال البخاري والنسائيُّ[1] : أخر العصر شيئاً ، ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق في ذكر الملائكة[2] ، وخرجه في كتاب المغازي من حديث شعيب عن الزهري : سمعت عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز في إمارته : أخَّر المغيرة ابن شعبة العصر وهو أمير الكوفة ، فدخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري جد زيد بن حسن – شهد بدراً – فقال : لقد علمت نزل جبريل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ خمس صلوات ثم قال هكذا أمرت ، كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه . ذكره في الباب الذي بعد باب شهود الملائكة بدراً[3] .

وخرجه قاسم بن أصبغ من حديث سفيان قال : حدثنا الزهري قال : أخَّر عمر ابن عبد العزيز يوماً الصلاة فقال له عروة : أن رسول الله ﷺ قال : نزل جبريل فأمّني فصليت معه ، ثم نزل فأمني فصليت معه ، ثم نزل فأمني فصليت معه ، حتى عد الصلوات الخمس فقال له عمر بن عبد العزيز : اتق الله يا عروة وانظر ما تقول : فقال عروة : أخبرنيه بشير بن أبي مسعود عن أبيه عن رسول الله ﷺ[4] .

قال الحافظ أبو عمر بن عبد [البر][5] : وظاهر مساقه في رواية مالك تدل على الانقطاع لقوله : أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً ودخل عليه عروة ، ولم يذكر فيه سماعاً لابن هشام من شهاب من عروة ، ولا سماعاً لعروة من بشير بن أبي

= « حجرتها » لعائشة ، وفيه نوع التفات ، وإسناد أبي ضمرة كلهم مدنيون ، والمراد بالحجرة – وهي بضم المهملة وسكون الجيم – البيت ، والمراد بالشمس ضوؤها ، وقوله في رواية الزهري : « والشمس في حجرتها » ، أي باقية ، وقوله : « لم يظهر الفيء » ، أي في الموضع الذي كانت الشمس فيه ، ومن طريق مالك عن الزهري بلفظ : « والشمس في حجرتها قبل أن تظهر » ، أي ترتفع ، فهذا الظهور غير ذلك الظهور ، ومحصله أن المراد بظهور الشمس خروجها من الحجرة ، وبظهور الفيء انبساطه في الحجرة ، وليس بين الروايتين اختلاف ، لأن انبساط الفيء لا يكون إلا بعد خروج الشمس . (فتح الباري) : ٢ / ٣١ – ٣٢ ، كتاب مواقيت الصلاة .

(١) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ١٠٨ ، كتاب المواقيت ، باب إمامة جبريل عليه السلام ، للنبي ﷺ ، حديث رقم ٤٨٠ .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٣٧٥ – ٣٧٦ ، كتاب بدء الخلق ، ذكر الملائكة ، حديث رقم (٣٢٢١) .

(٣) (فتح الباري) : ٧ / ٤٠٢ – ٤٠٣ ، كتاب المغازي ، باب رقم (١٢) ، حديث رقم (٤٠٠٧) .

(٤) سبق شرحه وتخريجه.

(٥) في (خ) : « عبد العزيز » .

مسعود ، وهذه اللفظة – أعني أن عند جماعة من [أهل][1] العلم بالحديث – محمولة على الانقطاع حتى يتبين السماع واللقاء ، ومنهم من لا يلتفت إليها ، ويحمل الأمر على المعروف من مجالسة بعضهم بعضاً ، ومشاهدة بعضهم لبعض ، وأخذهم بعضهم من بعض ، فإن كان ذلك معروفاً لم يسأل عن هذا اللفظة ، وكان الحديث عنده على الاتصال ، وهذا يشبه أن يكون مذهب مالك – رحمه الله – لأنه في موطئه لا يفرق بين شيء من ذلك ، وهذا الحديث متصل عند أهل العلم مسند صحيح لوجوه : منها أن مجالسة بعض المذكورين فيه لبعض مشهورة ، ومنها أن هذه القصة قد صح شهود ابن شهاب لما جرى فيها بين عمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير بالمدينة ، وذلك في أيام إمارة عمر عليها لعبد الملك وابنه الوليد ، وهذا محفوظ من رواية الثقات لهذا الحديث عن ابن شهاب .

قال : وممن ذكر مشاهدة ابن شهاب للقصة عند عمر بن عبد العزيز مع عروة ابن الزبير في هذا الحديث من أصحاب ابن شهاب : معمر والليث بن سعد وشعيب ابن أبي حمزة وابن جريج ، فذكروا رواية الليث التي تقدم ذكرها من طريق النسائي إلا أن سياقه عن ابن شهاب أنه كان قاعداً على منابر عمر بن عبد العزيز في إمارته على المدينة ومعه عروة بن الزبير ، فَأَخَّر عمرُ العصرَ ، فقال له عروة : أما أن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله ﷺ فقال له عمر : إعلم يا عروة ما تقول ، فقال : سمعت بُشير بن أبي مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزل جبريل فأمّني فصليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ثم صليتُ معه ، يحسب بأصابعه خمس مرات .

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز فأخر العصر مرة ، فقال له عروة : حدثني بشير بن أبي مسعود الأنصاري أن المغيرة ابن شعبة أخر الصلاة مرة – يعني العصر – فقال له أبو مسعود : أما والله يا مغيرة لقد علمت أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ فصلى الناس معه ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ وصلى الناس معه ، حتى عدَّ خمس صلوات ، فقال له عمر : انظر ما تقول يا عروة ، أو أن جبريل هو سنَّ وقت الصلاة ؟

(١) زيادة للسياق .

فقال له عروة : كذلك حدثني بشير بن أبي مسعود . قال : فمازال عمر يعتلم وقت الصلاة بعلامة حتى فارق الدنيا[1] .

قال عبد الرزاق : أنبأنا ابن جريج قال : حدثني ابن شهاب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يسأل عروة بن الزبير ، فقال عروة بن الزبير : مشى المغيرة بن شعبة بصلاة العصر وهو على الكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال له : ما هذا يا مغيرة ؟ أما والله لقد علمت أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ فصلى بالناس معه خمس مرات ، ثم قال : هكذا أمرت ، فقال عمر لعروة : إعلم ما تقول ، أو أن جبريل هو أقام وقت الصلاة ؟ فقال عروة : كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه فقد بان بما ذكرنا من رواية الثقات عن ابن شهاب لهذا الحديث اتصاله وسماع ابن شهاب له من عروة ، وسماع عروة من بشير ، وبان بذلك أيضاً أن الصلاة التي أخرها عمر هي صلاة العصر ، وأن الصلاة التي أخرها المغيرة تلك أيضاً ، وبان بما ذكرنا أيضاً أن جبريل صلى برسول الله ﷺ الخمس صلوات في أوقاتها ، وليس في شيء من معنى حديث ابن شهاب هذا ما يدل على أن جبريل صلى برسول الله ﷺ مرتين كل صلاة في وقتين .

وظاهر من حديث ابن شهاب هذا [ما][2] يدلك على أن ذلك إنما كان مرة واحدة لا مرتين ، وقد روى من غير وجه في إمامة جبريل للنبي ﷺ أنه صلى مرتين في كل صلاة من الصلوات الخمس في وقتين .

قال : ورواية ابن عيينة لهذا الحديث عن ابن شهاب بمثل حديث الليث ومن ذكرنا معه في ذلك ، وفي حديث معمر وابن جريج أن الناس صلوا خلف رسول الله ﷺ حينئذ ، وقد روى ذلك من غير حديثهما ، ثم ذكر حديث سفيان من طريق قاسم بن أصبغ كما تقدم ذكره ، وقال : فهذا وضح ما ذكرنا من أنه إنما صلى به الصلوات الخمس مرة واحدة ، وهو ظاهر الحديث ، إلا أن في رواية ابن أبي ذؤيب وأسامة بن زيد الليثي عن ابن شهاب في هذا الحديث ما يدل على أنه صلى به مرتين في يومين على نحو ما ذكره عن ابن شهاب في حديث إمامة جبريل ؛

---

(١) سبق شرحه وتخريجه .
(٢) زيادة للسياق .

فأما رواية ابن أبي ذؤيب له ، فإن ابن أبي ذؤيب ذكره في موطنه عن ابن شهاب أنه سمع عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبي مسعود الأنصاري أن المغيرة بن شعبة أخَّر الصلاة ، فدخل عليه أبو مسعود فقال : ألم تعلم أن جبريل نزل على محمد ﷺ فصلى وصلى وصلى وصلى ، ثم صلى ثم صلى ثم صلى ثم صلى ثم صلى [ثم صلى][1] ، ثم قال : هكذا أُمرت .

وأما حديث أسامة بن زيد الليثي أن ابن شهاب أخبره أن عمر بن عبد العزيز كان قاعداً على المنبر ، فأخر العصر شيئاً ، فقال له عروة : أما أن جبريل قد أخبر محمداً ﷺ بوقت الصلاة ، فقال له عمر : إعلم ما تقول ، فقال عروة : سمعت بشير بن أبي مسعود يقول : سمعت أبا مسعود الأنصاري يقول : سمعت رسول الله ﷺ [يقول][2] : نزل جبريل فأخبرني بوقت الصلاة فصليت معه ، ثم صليتُ [معه][3] ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات ، فرأيت رسول الله ﷺ صلى الظهر حين زالت الشمس وربما أخرها حين يشبه الحر ، وروايته : يصلي العصر والشمس مرتفعة بيضاء قبل أن تدخلها الصُّفرة ، فينصرف الرجل من الصلاة فيأتي ذا الحليفة قبل غروب الشمس ، ويصلي المغرب حين تسقط الشمس ، ويصلي العشاء حين يسود الأفق ، وربما أخرها حين يجتمع الناس ، ويصلي الصبح مرة بغلس ، ثم صلى مرة آخراً فأسفر بها ، ثم كانت صلاته بعد ذلك إلى الغلس حتى مات لم يعد يغد إلى أن يسفر .

قال أبو داود : روي هذا الحديث عن الزهري : معمر ومالك وابن عيينة وشعيب بن أبي حمزة والليث بن سعد وغيرهم ، لم يذكروا الوقت الذي صلى فيه [و][4] لم يفسروه ، وكذلك رواه أيضاً : هشام بن عروة وحبيب بن أبي مرزوق عن عروة نحو رواية معمر وأصحابه ، إلا أن حبيباً لم يذكر .

قال ابن عبد البر : هذا كلام أبي داود ، ولم يسبق في كتابه رواية معمر ولا من ذكر معه عن ابن شهاب لهذا الحديث ، وإنما ذكروا رواية أسامة بن زيد هذه

---

(١) كذا في (خ) ، ولعلَّ ما بين القوسين تكرار من الناسخ .
(٢) زيادة للسياق . (٣) زيادة للسياق . (٤) زيادة للسياق .

عن ابن شهاب وحدها من رواية ابن وهب ، ثم أردفها بما ذكرنا من كلامه ، وصدق فيما حكى ، إلا أن حديث أسامة ليس فيه من البيان ما في حديث ابن أبي ذؤيب من تكرير الصلوات الخمس مرتين مرتين ، وكذلك رواية معمر ومالك والليث ومن تابعهم ظاهرها مرة واحدة ، وليس فيها ما يقطع به على أن ذلك كذلك ، وقد ذكرنا رواية معمر ومالك والليث وغيرهم ، وقد روى الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب هذا الحديث مثل رواية ابن وهب عن أسامة سواء .

قال محمد بن يحى الذهلي في رواية أبي بكر بن حزم عن عروة بن الزبير ما يُقَوِّى رواية أسامة ، لأن رواية أبي بكر بن حزم شبيهة برواية أسامة ؛ فيه أنه صلى الوقتين ، وإن كان لم يُسنده عنه إلا أيوب بن عتبة فقد روى عنه معناه مرسلاً يحيى بن سعيد وغيره من الثقات .

قال ابن عبد البر : وقد روى هذا الحديث جماعة عن عروة بن الزبير منهم : هشام بن عروة ، وحبيب بن أبي مرزوق ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهم ، فأما رواية هشام بن عروة عن أبيه ، فذكرها من طريق أحمد بن زهير قال : حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا فليح عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أخَّر عمر بن عبد العزيز الصلاة يوماً فدخلت عليه فقلت : إن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً فدخل عليه أبو مسعود ... فذكر الحديث ، وقال فيه : كذلك سمعت بشير ابن أبي مسعود يحدث عن ابنه ، قال : ولقد حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم تظهر ، وقال أحمد بن زهير : وحدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن المغيرة ابن شعبة كان يوجز الصلاة ، فقال له رجل من الأنصار : أما سمعت أن رسول الله ﷺ يقول : قال جبريل عليه السلام : صل صلاة كذا في وقت كذا حتى عدَّ الصلوات الخمس ؟ قال : بلى ، قال : فاشهد أنا كنا نصلى العصر مع النبي ﷺ ، والشمس نقية بيضاء ، ثم نأتي بني عمرو وإنها لمرتفعة — وهي على رأس ثلثي فرسخ من المدينة .

وأما رواية حبيب بن أبي مرزوق ، فذكرها من طريق الحرث بن أبي أسامة قال : حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر قال : حدثني حبيب بن أبي مرزوق عن عروة بن الزبير قال : حدثني أبو مسعود أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، حتى أتمها خمساً ، فقال له عمر بن عبد العزيز : أنظر يا عروة ما تقول أن جبريل هو الذي وقت مواقيت الصلاة ؟ قال : كذلك حدثني ابن مسعود ، فبحث عمر عن ذلك حتى وجد ثَبْتَهُ ، فمازال عمر عنده علامات الساعات ينظر فيه حتى قُبض .

قال ابن عبد البر : قد أحسن حبيب بن أبي مرزوق في سياقه هذا الحديث على ما ساقه أصحاب ابن شهاب في الخمس صلوات لوقت واحد مرة واحدة ، إلا أنه قال فيه عن عروة : حدثني أبو مسعود ، والحفاظ يقولون : عن عروة عن بشير عن أبيه ، وبشير هذا ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وأبوه أبو مسعود الأنصاري ، اسمه عقبة بن عمر ، ويُعرف بالبدري لأنه كان يسكن بدراً ، واختلف في شهوده بدراً .

وأما رواية أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بمثل رواية ابن أبي ذؤيب وأسامة ابن زيد عن ابن شهاب في أنه صلى الصلوات الخمس لوقتين مرتين ، وحديثه أبين في ذلك وأوضح ، وفيه ما يضارع قول حبيب بن أبي مرزوق عن عروة عن أبي مسعود ، فذكره من طريق على بن عبد العزيز قال : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أيوب بن عتبة ، حدثنا أبو بكر بن حزم أن عروة بن الزبير كان يحدث عمر بن عبد العزيز – وهو يومئذ أمير المدينة في زمن الحجاج والوليد بن عبد الملك ، وكان ذلك زماناً يؤخرون فيه الصلاة – فحدث عمر عروة وقال : حدثني أبو مسعود الأنصاري ، وبشير بن أبي مسعود – قال كلاهما قد صحب النبي ﷺ – أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ حين دلكت الشمس – قال أيوب : فقلت : وما دلوكها ؟ قال : حين زالت – قال : فقال : يا محمد ، صلّ الظهر ، قال : فصلى ، ثم جاءه حين

كان ظل كل شيء مثله فقال : يا محمد ، صلِّ العصر ، فقال : فصلى ، ثم أتاه جبريل حين غربت الشمس فقال : يا محمد ، صل المغرب ، فصلى ، قال : ثم جاءه حين غاب الشفق فقال : يا محمد ، صل العشاء ، فصلى ، ثم أتاه حين انشق الفجر فقال : يا محمد ، صلِّ الصبح ، قال : فصلى ثم جاءه الغد حين كان ظل كل شيء مثله فقال : يا محمد ، صل[1] الظهر ، قال : فصلى ، ثم أتاه حين كان ظل كل شيء مثليه فقال : يا محمد ، صلّ[1] العصر ، قال : فصلى ، ثم أتاه حين غربت الشمس فقال : يا محمد ، صلّ[1] المغرب ، قال : فصلى ، ثم أتاه حين ذهبت ساعة من الليل فقال : يا محمد ، صل[1] العشاء ، قال فصلى ، ثم أتاه حين أضاء الفجر وأسفر فقال : يا محمد ، صل[1] الصبح ، قال فصلى ، قال ثم قال : ما بين هذين وقت ، يعني أمس واليوم . قال عمر لعروة : أجبريل أتاه ؟ قال : نعم .

ففي هذا الحديث وهذه الرواية بيان واضح أن صلاة جبريل بالنبي ﷺ في حين تعليمه له الصلاة في أول وقت فرضها كانت في يومين لوقتين وقتين كل صلاة ، وكذلك رواية معمر عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أن جبريل نزل صلى فذكر مثله سواء إلا أنه مرسل .

وكذلك رواه الثوري عن عبد الله بن أبي بكر ويحيى بن سعيد ، جميعاً عن أبي بكر بن حزم مثله سواء ، أن جبريل صلى الصلوات الخمس بالنبي ﷺ مرتين في يومين لوقتين ، ومراسيل هؤلاء عند مالك حجة ، وهو خلاف ظاهر حديث الموطأ ، وحديث هؤلاء جميعاً بالصواب أولى ؛ لأنهم زادوا وأوضحوا ، وفسروا ما أجمله غيرهم وأهمله ، ويشهد بصحة ما جاءوا به : رواية ابن أبي ذؤيب ومن تابعه عن ابن شهاب ، وعامة الأحاديث في إمامة جبريل على ذلك جاءت مفسرة لوقتين ، ومعلوم أن حديث أبي مسعود من رواية ابن شهاب وغيره في إمامة جبريل وَرُدَّ برواية من زاد وأتم وفسَّر أولى من رواية من أجمل وقصَّر ، وقد رويت إمامة جبريل بالنبي ﷺ من حديث ابن عباس ، وحديث جابر ، وأبي سعيد الخدري على نحو ما ذكرنا .

---

(١) في (خ) : « صلى » ، وما أثبتناه حق اللغة .

فأما حديث ابن عباس رضي الله عنه فذكره من طريق قاسم بن أصبغ قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن الحرث ، ومن طريق أبي بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن ، ومن طريق قاسم : حدثنا أحمد بن زهير ، وحدثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحرث .

قال كاتبه : وخرجه الترمذي من حديث هناد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحرث بن عَيَّاش بن أبي ربيعة عن حكيم بن حكيم – وهو ابن عباد بن حنيف – أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال : أخبرني ابن عَبَّاس أن النبي ﷺ قال : « أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين ، فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك ، ثم صلى العصر حين [كان][1] [ظل][2] كل شيء [مثله][3] ، ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى الفجر حين برق[4] وَحَرُمَ الطعامُ على الصائم ، وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس ، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ، ثم صلى المغرب لوقته الأول ، ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ، ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض ، ثم التفت إلى جبريل فقال : يا محمد ، هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت [فيما][5] بين هذين الوقتين[6] .

---

(١) تكملة من رواية الترمذي .
(٢) زيادة ليست في رواية الترمذي .
(٣) تصويب من رواية الترمذي .
(٤) في رواية الترمذي : « حين برق الفجر » .
(٥) في (خ) : « ما » ، والتصويب من الترمذي .
(٦) قال أبو عيسى : « وفي الباب عن أبي هريرة ، وبُريدة ، وأبي موسى ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي سعيد ، وجابر وعمرو بن حزم ، والبراء ، وأَنَس » .

هذا الحديث أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في مواقيت الصلاة ، حديث رقم (١٤٩) ، قوله : « عن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة » ، قال في التقريب : عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، أبو الحارث المدني ، صدوق له أوهام .

قوله : « عن حكيم بن حكيم وهو ابن بعاد بن حُنيف » ، الأنصاريّ الأوسيّ ، صدوق . قاله الحافظ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قاله الخزرجي . ... =

= قوله : « قال : أخبرني نافع بن جبير بن مطعم » ، النوفلي أبو محمد أو أبو عبد الله المدني ، ثقة فاضل من الثانية ، مات سنة (٩٩) تسع وتسعين ، وهو من رجال الكتب الستة .

قوله : « أمني جبريل عند البيت » ، أي عند بيت الله ، وفي رواية في (الأم) للشافعي رضي الله تعالى عنه : « عند باب الكعبة » .

قوله : « مرتين » ، أي في يومين ليعرفني كيفية الصلاة وأوقاتها .

قوله : « فصلى الظهر في الأولى منهما » ، أي المرة الأولى من المرتين ، قال الحافظ في الفتح : بين ابن إسحاق في المغازي أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة ، وهي ليلة الإسراء ، قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير ، وقال عبد الرزاق : عن ابن جريج قال : قال نافع بن جُبير وغيره : لما أصبح النبي ﷺ من الليلة التي أُسري به ، لم يرعه إلا جبريل ، نزل حين زالت الشمس ، ولذلك سميت الأولى - أي صلاة الظهر - فأمر فصيح بأصحابه : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلى به جبريل ، وصلى النبي ﷺ بالناس .. فذكر الحديث .

قوله : « حين كان الفيء » ، هو ظل الشمس بعد الزوال .

قوله : « مثل الشراك » ، أي قدره ، قال ابن الأثير : الشراك أحد سيور النعل التي تكون على وجهها . وفي رواية أبي داود : « حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك » . قال ابن الأثير : قدره هاهنا ليس على معنى التحديث ، ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل ما يُرى من الظل ، وكان حينئذ بمكة هذا القدر ، والظل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، وإنما يتبين ذلك في مثل مكة من البلاد التي يقل فيها الظل ، فإذا كان طول النهار واستوت الشمس فوق الكعبة ، لم يُر بشيء من جوانبها ظل ، فكل بلد يكون أقرب إلى خط الاستواء ومعدل النهار يكون الظل فيه أقصر ، وكل ما بعد عنهما إلى جهة الشمال يكون الظل أطول .

قوله : « ثم صلى العصر حين كان كل شيء مثله ظل » ، أي سوي ظله الذي كان عند الزوال ، يدل على ما رواه النسائي من حديث جابر بلفظ : « خرج رسول الله ﷺ فصلى الظهر حين زالت الشمس ، وكان الفيء قدر الشراك وظل الرجل » .

قوله : « ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس ، وأفطر الصائم » ، أي غربت الشمس ودخل وقت إفطار الصائم ، بأن غابت الشمس ، فهو عطف تفسير .

قوله : « ثم صلى العشاء حين غاب الشفق » ، أي الأحمر - على الأشهر - قاله القاري ، وقال النووي في شرح مسلم : المراد بالشفق الأحمر ، هذا مذهب الشافعي ، وجمهور الفقهاء ، وأهل اللغة ، وقال أبو حنيفة والمزني رضي الله عنهما وطائفة من الفقهاء وأهل اللغة : المراد الأبيض ، والأول هو الراجح المختار . (انتهى كلام النووي) .

قال المباركفوري : وإليه ذهب صاحبا أبي حنيفة ، أبو يوسف ومحمد ، وقالا : الشفق هو الحمرة ، وهو رواية عن أبي حنيفة ، بل قال في (النهر) : وإليه رجع الإمام ، وقال في (الدر) : الشفق هو الحمرة عندهما ، وبه قالت الثلاثة ، وإليه رجع الإمام كما هو في شروح (المجمع) وغيره ، فكان هو المذهب ، قال صدر الشريعة : وبه يُفتَى ، كذا في حاشية النسخة الأحمدية ، ولا شك في أن =

المذهب الراجح المختار ، هو أن الشفق الحمرة ، يدل عليه حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « الشفق الحمرة » ، رواه الدارقطني ، وصححه ابن خزيمة ، وغيره ، ووقفه على ابن عمر ، كذا في (بلوغ المرام) .

قال محمد بن إسماعيل الأمير في (سبل السلام) : البحث لُغويّ ، والمرجع فيه إلى أهل اللغة ، وابن عمر من أهل اللغة ، ومُخّ العرب ، فكلامه حُجّه ، وإن كان موقوفاً عليه .

ويدل عليه قوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم : وقتُ المغرب ما لم يسقط ثور الشفق ، قال الجزري في (النهاية) : أي انتشاره وثوران حمرته ، من ثار الشيء يثور إذا انتشر وارتفع ... وفي (البحر الرائق) من كتب الحنفية ، قال الشمني : هو ثوران حمرته ... ووقع في رواية أبي داود : وقت المغرب ما لم يسقط فور الشفق ، قال الخطابي : هو بقية حمرة الشفق في الأفق ، وسمي فوراً بفورانه وسطوعه ، وروى أيضاً ثور الشفق ، وهو ثوران حمرته .. وقال الجزري في (النهاية) : هو بقية حُمرة الشمس في الأفق الغربي ، سمي فوراً لسطوعه وحمرته ، ويروى بالثاء ، وقد تقدم .

قوله : « ثم صلى الفجر حين برق الفجر » ، أي طلع ، « وصلى المرة الثانية » أي في اليوم الثاني ، « حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس » ، أي فرغ من الظهر حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الأول ، حينئذ قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : وبه يندفع اشتراكهما في وقت واحد ، على ما زعمه جماعة ، ويدل له خبر مسلم : وقت الظهر ما لم يحضر العصر .

قوله : « ثم صلى المغرب لوقته الأول » ، استدل به من قال : إن لصلاة المغرب وقتاً واحداً ، وهو عقب غروب الشمس ، بقدر ما يتطهر ، ويستر عورته ، ويؤذن ، ويقيم ، فإن أخّر الدخول في الصلاة عن هذا الوقت أثم وصارت قضاءاً ، وهو قول الشافعية .

قال الإمام النووي : وذهب المحققون من أصحابنا ، إلى ترجيح القول بجواز تأخيرها ، ما لم يغب الشفق ، وأنه يجوز ابتداؤها في كل وقت من ذلك ، ولا يأثم بتأخيرها عن أول الوقت ، وهذا هو الصحيح الصواب ، الذي لا يجوز غيره . والجواب عن حديث جبريل عليه السلام ، حين صلى المغرب في اليومين حين غربت الشمس ، من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه اقتصر على بيان وقت الاختيار ، ولم يستوعب وقت الجواز ، وهذا جارٍ في الصلوات سوى الظهر .

والثاني : أنه متقدم في أول الأمر بمكة ، وأحاديث امتداد وقت المغرب إلى غروب الشفق متأخرة في أواخر الأمر بالمدينة ، فوجب اعتمادها .

والثالث : أن هذه الأحاديث أصح إسناداً من حديث بيان جبريل عليه السلام فوجب تقديمها .

قوله : « فقال : يا محمد هذا » ، أي ما ذكر من الأوقات الخمسة ، « وقت الأنبياء من قبلك » ، قال ابن العربي في (عارضه الأحوذي) : ظاهره يوهم أن هذه الصلوات في هذه الأوقات كانت مشروعة لمن قبلهم من الأنبياء ، ليس كذلك ، وإنما معناه : أن هذا وقتك المشروع لك ، يعني الوقت الموسع ، المحدد بطرفين ، الأول والآخر ، وقوله : وقت الأنبياء من قبلك ، يعني ومثله وقت الأنبياء قبلك ، أي صلاتهم كانت واسعة الوقت ، وذات طرفين ، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات

قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن ، وقال ابن عبد البر : لا يوجد هذا اللفظ (وقت الأنبياء قبلك) إلا في هذا الإسناد ، وتكلم بعض الناس في إسناد حديث ابن عباس هذا بكلام لا وجه له ، ورواته كلهم معروفو[1] النسب ، مشهورون[2] في العلم .

وقد خرجه أبو داود[3] وغيره ، وذكره عبد الرزاق عن الثوري ، وابن أبي سبرة عن عبد الرحمن بن الحرث بإسناده مثل رواية وكيع وأبي نعيم ، وذكره عبد الرزاق عن العمري عن عمر بن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن عباس نحوه .

وأما حديث جابر رضي الله عنه[4] فذكره من طريق أحمد بن زهير : حدثنا أحمد ابن الحجاج ، ومن طريق النسائي[5] : حدثنا سويد بن نصر قالا : حدثنا ابن المبارك قال : أخبرني حسين بن علي بن حسين قال : أخبرني وهب بن كيسان ، حدثنا جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ حين مالت الشمس فقال : قم يا محمد فصل الظهر ، فصلى الظهر حيث مالت الشمس ، ثم مكث حتى إذا

إلا لهذه الأمة خاصة ، وإن غيرهم قد شاركهم في بعضها . وقد روى أبو داود في حديث العشاء : أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم ، وكذا قال ابن سيد الناس ، وقال : يريد في التوسعة عليهم في أن الوقت أولاً وآخراً ، لا أن الأوقات هي أوقاتهم بعينها . كذا في (قوت المغتذي) .

قوله : « والوقت فيما بين هذين الوقتين » ، قال ابن سيد الناس : يريد هذين وما بينهما ، أما إرادته أن الوقتين اللذين أوقع فيهما الصلاة وقت لها ، فتبين بفعله ، وأما الإعلام ما بينهما أيضاً وقت ، فبينه قوله ﷺ .

(1) في (خ) : « معروف » . (2) في (خ) : « مشهور » .

(3) خرّجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب (١) في المواقيت حديث رقم (٣٨٩) ، (عون المعبود) : ٢ / ٤٠ .

(4) وقال محمد : أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي ﷺ ، قال : وحديث جابر في المواقيت قد رواه عطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، نحو حديث وهب بن كيسان ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، (تحفة الأحوذي) : ١ / ٣٩٨ ، عقب الحديث رقم (١٥٠) .

(5) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ١١٥ - ١١٦ ، باب (١٧) أول وقت العشاء ، حديث رقم (٥١٢) ، باختلاف يسير .

كان الفيء في الرجل مثله ، جاء العصر فقال : يا محمد ، قم صل العصر ، فصلاها ، ثم مكث حتى إذا غابت الشمس جاء فقال : قم فصل المغرب ، فقام فصلاها حين غابت الشمس ، ثم غاب حتى إذا غاب الشفق جاءه فقال : قم فصل العشاء فصلاها ، ثم جاء سطع الفجر بالصبح فقال : قم يا محمد فصل الصبح ، فصلاها ، ثم جاءه حين كان فيء الرجل مثليه ، فقال : يا محمد ، قم فصل العصر ، ثم جاء للمغرب حين غابت الشمس وقتاً واحداً لم يغب عنه فقال : قم فصل المغرب ، ثم جاءه حين ذهب ثلث الليل فقال : قم فصل العشاء ، ثم جاءه للصبح حين ابيض جداً فقال : قم فصل ، ثم قال له : الصلاة ما بين الوقتين .

وقال سويد بن نصر في حديثه : ما بين هذين وقت كله ، قلت : وخرجه الترمذي من حديث أحمد بن محمد بن موسى ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا حسين بن علي ، أخبرني وهب بن كيسان عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : أمني جبريل .. فذكر الحديث بنحو حديث ابن عباس بمعناه ولم يذكر فيه لوقت العصر بالأمس[1] .

قال أبو عيسى : وقال محمد : أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي ﷺ ، قال : وحديث جابر في المواقيت قد رواه عطاء بن أبي رباح وعمرو ابن دينار ، وابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ نحو حديث وهب ابن كيسان عن جابر[2] .

وذكر ابن عبد البر من طريق النسائي : حدثنا يوسف[3] ، حدثنا قدامة ابن شهاب عن برد عن عطاء بن أبي رباح عن جابر : أن جبريل أتى النبي ﷺ يعلمه مواقيت الصلاة ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلى الظهر حين زالت[4] الشمس ، وأتاه حين كان الظل مثل شخصه فصنع كما صنع ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ

---

(١) سبق شرحه وتخريجه .
(٢) سبق الإشارة إليه .
(٣) في (خ) : « حدثنا يوسف واصح » .
(٤) في (خ) : « زالت الشمس » ، وهو تكرار من الناسخ .

فصلى العصر ، ثم أتاه حين وجبت الشمس ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى المغرب ، ثم أتاه حين غاب الشفق ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى العشاء ، ثم أتاه حين انشق الفجر ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى الغداة ، ثم أتاه اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه ، فصنع مثل ما صنع بالأمس فصلى الظهر، ثم أتاه جبريل حين كان ظل الرجل مثل شخصيه ، فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر ، ثم أتاه حين وجبت الشمس ، فصنع كما صنع بالأمس فصلى المغرب فيها ، ثم أتاه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العشاء ، فأتاه جبريل حين امتد الفجر واضح والنجوم بادية مشتبكة ، فصنع كما صنع بالأمس فصلى الغداة ثم قال : ما بين هذين وقت[1] .

ورواه أبو الدرداء[2] عن برد عن عطاء عن جابر مثله سواء ، إلا أنه قال في اليوم الثاني في المغرب : ثم جاءه حين وجبت الشمس لوقت واحد فذكره ، قال : ثم جاء نحو ثلث الليل للعشاء فذكره ، ثم جاء حين أضاء الصبح ولم يقل : والنجوم بادية مشتبكة .

وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[3] ، فذكره ابن عبد البر من طريق محمد بن سنجر قال : حدثنا سعيد بن الحكم حدثنا ابن لهيعة قال : حدثني بكر[4] بن [عبد الله][5] الأشج عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الساعدي أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول[6] : قال رسول الله ﷺ أمني جبريل في الصلاة فصلى الظهر حين زالت الشمس ، وصلى العصر حين كان الفيء قامةً[7] ، وصلى المغرب حين غابت الشمس [في وقت واحد ، وصل العشاء ثلث الليل ، وصلى الصبح

---

(١) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ١١٢ ، (١٠) آخر وقت العصر ، حديث رقم (٥٠٠) .
(٢) في (خ) : « أبو الوراد » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٣) حديث أبي سعيد الخدري ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٣/٤١٤ ، حديث رقم (١٠٨٥٦) .
(٤) في (خ) : « بكير » ، وما أثبتناه من (المسند) .
(٥) تكملة من (المسند) .
(٦) في (المسند) : « عن أبي سعيد الخدري قال» .
(٧) في (خ) : « كانت الشمس قائمة » ، وما أثبتناه من (المسند) .

حين كادت الشمس أن تطلع ، ثم قال : الصلاة فيما بين هذين الوقتين][1] .

قال ابن عبد البر : هذا ما في إمامة جبريل بالنبي ﷺ من صحيح الآثار ، قال : واحتج من زعم أن جبريل صلى بالنبي ﷺ في اليوم الذي يلي ليلة الإسراء مرة واحدة الصلوات كلها لا مرتين على ظاهر حديث مالك في ذلك ، فذكر من طريق أحمد بن زهير قال : حدثنا هدبة بن خالد عن هشام عن قتادة ، قال فحدثنا الحسنُ أنه ذكر له أنه لما كان عند صلاة الظهر نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس فاجتمعوا إلى نبيهم ﷺ فصلى بهم الظهر أربع ركعات يؤم جبريل عليه السلام محمداً ﷺ ، ويؤم محمد الناس ؛ يقتدي محمد بجبريل ، ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، فلما [زالت] الشمس نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ﷺ ، فصلى بهم العصر أربع ركعات وهي أخف ، يؤم جبريل محمداً ، ويؤم محمد الناس ، يقتدي محمد بجبريل ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد ، وسلم محمد على الناس ، فلما غربت الشمس نودي الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم فصلى بهم ثلاث ركعات أسمعهم القراءة في ركعتين وسبح في الصلاة الثالثة - يعني به قام لم يظهر القراءة - يؤم جبريل محمداً ويؤم محمد ﷺ الناس ، ويقتدي محمد بجبريل ، ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، فلما بدت النجوم نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ﷺ ، فصلى بهم أربع ركعات أسمعهم القراءة في ركعتين وسبح في الأخريين ، يؤم جبريل محمداً ، ويؤم محمد الناس ، يقتدي محمد بجبريل ، ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، ثم رقدوا ولا يدرون أيزادون أم لا ؟ حتى إذا طلع الفجر نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ﷺ ، فصلى بهم ركعتين أسمعهم فيها القراءة ، يؤم جبريل محمداً ، ويؤم

---

(١) السياق مضطرب فيما بين الحاصرتين ، ورواية (المسند) بعد قوله : « حين غابت الشمس » ، « وصلى العشاء حين غاب الشفق ، وصلى الفجر حين طلع الفجر ، ثم جاء الغد ، فصلى الظهر وفيء كل شيء مثله ، وصلى العصر والظل قامتان ، وصلى المغرب حين غربت الشمس ، وصل العشاء إلى ثلث الليل الأول ، وصلى الصبح حين كادت الشمس تطلع ، ثم قال : الصلاة فيما بين هذين الوقتين » .

محمد الناس ، يقتدي محمد بجبريل ويقتدي الناس بمحمد ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، وصلى الله على جبريل ومحمد وسلم تسليماً كثيراً .

ففي هذا الخبر أن جبريل لم يصل الصلوات الخمس بالنبي ﷺ إلا مرة واحدة ، وهو وإن كان مرسلاً فإنه حديث حسن مهذب .

واحتجوا أيضاً فذكر من طريق أحمد بن زهير وعبيد بن عبد الواحد قالا : حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب ، حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق عن عتبة ابن مسلم مولى بني تميم عن نافع بن جبير قال : وكان نافع بن جبير كثير الرواية عن ابن عباس ، قال : فلما فرضت الصلاة وأصبح النبي ﷺ ....

وذكره عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قال نافع ابن جبير وغيره : لما أصبح النبي ﷺ من ليلة أسري به لم يرعه إلا جبريل ، نزل حين زاغت الشمس ، ولذلك سميت الأولى ، فأمر فصيح بأصحابه : الصلاة جامعة فاجتمعوا ، فصلى جبريل بالنبي ﷺ ، وصلى النبي ﷺ بالناس ، طوّل الركعتين الأوليين ثم قصر الباقين ، ثم سلم جبريل على النبي وسلم النبي ﷺ على الناس ، ثم نزل في العصر على مثل ذلك ففعلوا كما فعلوا في الظهر ، ثم نزل في الليل في أوله فصيح الصلاة جامعة ، فصلى جبريل بالنبي ﷺ ، وصلى النبي ﷺ بالناس ، طول في الأولين وقصر في الثالثة ، ثم سلم جبريل على النبي ﷺ ، وسلم النبي على الناس ، ثم لما ذهب ثلث الليل نزل ، فصيح الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلى جبريل بالنبي ﷺ ، وصلى النبي بالناس ، فقرأ في الأولين فطوَّل وجهر ، وقصر في الباقيتين ، ثم سلم جبريل على النبي ﷺ ، وسلم النبي ﷺ على الناس ، فلما طلع الفجر فصيح الصلاة جامعة ، فصلى جبريل بالنبي ، وصلى النبي بالناس ، فقرأ فيهما فجهر وطول ورفع صوته ، وسلم جبريل على النبي ، وسلم النبي ﷺ على الناس .

قال ابن عبد البر : فقال : من ذكرنا حديث نافع بن جبير هذا مثل حديث الحسن في أن جبريل لم يصل في وقت فرض الصلاة بالنبي ﷺ الصلوات الخمس إلا مرة واحدة ، وهو ظاهر حديث مالك ، والجواب عن ذلك ما تقدم ذكرنا له من الآثار الصحاح المتصلة في إمامة جبريل لوقتين ، وقوله : ما بين هذين وقت ،

وفيها زيادة يجب قبولها والعمل بها لنقل العدول لها ، وليس تقصير من قصَّر عن حفظ ذلك وإتقانه والإتيان به بحجة ، وإنما الحجة في شهادة من شهد لا في قول من قصر وأجمل واختصر ، على أن هذه الآثار منقطعة ، وإنما ذكرناها لما وصفنا ، ولأن فيها أن الصلاة فرضت في الحضر أربعاً لا ركعتين على خلاف ما زعمت عائشة ، وقال بذلك جماعة ، وردّوا حديث عائشة رضي الله عنها ، وإن كان إسناده صحيحاً لضروب من الأعمال ، والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه وكرمه .



ذكر الجهة[1] التي كان ﷺ يستقبلها في صلاته

ذكر ابن جريج في تفسيره ، وذكر سُنينة عن حجاج عن ابن جريج قال : صلى النبي ﷺ أول ما صلى إلى الكعبة[2] ، ثم صرف إلى بيت المقدس[3] ، فصلت الأنصار نحو بيت المقدس قبل قدومه ﷺ بثلاث حجج[4]، وصلى النبي ﷺ

---

(١) الجِهَةُ : والجُهَةُ ، والجَهَةُ ، بالكسر ، والضم ، والفتح ، والوَجْهُ : الجانب والناحية ، والجمع جهات ، ووجوه ، على الترتيب . (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ١٦٧/٥ .

(٢) الكعبة : البيت المربَّع ، وجمعه كِعاب ، والكعبة ، البيت الحرام ، منه ، لتكعيبها أي تربيعها ، وقالوا : كعبةُ البيت فأضيف ، لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربع أعلاه ، وسُمّي كعبة لارتفاعه وتربعه ، وكل بيت مربع ، فهو عند العرب كعبة . (لسان العرب) : ١ / ٧١٨ ، مادة « كعب » ، (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ٤ / ٣٥٧ .

(٣) التقديس : التطهير والتبريك ، وتَقَدَّس أي تطهر ، وفي التنزيل : ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ [٣٠ / البقرة] . الزجاج : معنى نقدس لك ، أي نُطهر أنفسنا لك وكذلك نفعل بمن أطاعك ، نُقَدِّسُه أي نطهره . ومن هذا قيل للسَّطْل : القَدَس ، لأنه يُتَقَدَّسُ منه أي تُتطهَّر ، ومن هذا بيت المقدس ، أي البيت المُطَهَّر ، أي المكان الذي يُتَطَهَّر به من الذنوب .

ابن الكلبيّ : القُدّوس الطاهر ، وقوله تعالى : ﴿ **الملك القدوس** ﴾ الطاهر في صفة الله عزّ وجلّ [٢٣ / الحشر] ، وجاء في التفسير أنه المبارك ، والقُدّوس : هو الله عزَّ وجلَّ . والقُدْس : البركة ، والأرض المقدسة : الشام منه ، وبيت المقدس من ذلك أيضاً ، ابن الأعرابي : المقدس المبارك ، والأرض المقدسة ، المطهرة .

وقال الفَّراء : الأرض المقدسة الطاهرة ، وهي : دمشق ، وفلسطين ، وبعض الأُردن . ويقال : أرض مقدسة أي مباركة ، وهو قول قتادة ، وإليه ذهب ابن الأعرابي . وروح القُدُس : جبريل عليه السلام ، وفي الحديث : « إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي » ، يعني جبريل عليه السلام ، لأنه خُلق من طهارة .

وقال الله عزَّ وجلَّ في صفة عيسى – على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام –: ﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ ، وهو جبريل عليه السلام ، معناه روح الطهارة ، أي خُلق من طهارة . وفي الحديث : « لا قُدِّستْ أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويّها » ، أي لا طَهُرتْ . (لسان العرب) : ٦ / ١٦٨ – ١٦٩ ، مادة « قدس » .

(٤) يعني ثلاث سنين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **على أن تأجرني ثماني حجج** ﴾ [٢٧ / القصص] .

بعد قدومه ستة عشر شهراً ، ثم وجهه الله إلى الكعبة[1] .

قال ابن عبد البر : وهذا أمر قد اختلف فيه ، وأحسن شيء روى في ذلك فذكر من حديث أبي عوانة عن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس وهو بمكة ، والكعبة بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثم صرفه الله إلى الكعبة[1] .

وخرج مسلم من حديث عفّان[2] قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس ، فنزلت ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾[3] ، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة ، فنادى : ألا إن القبلة قد حولت ، فمالوا كما هم نحو القبلة[4] . قال أبو عمر بن عبد البر : وروى أن المخبر لهم بما في هذا الحديث هو عباد بن بشر[5] .

---

(١) ونحوهما في (مسند أحمد) بسياقات متقاربة :
١ / ٤١٣ ، حديث رقم (٢٢٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا حسين بن علي عن زائدة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « صلى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم صرفت القبلة » .
و ١ / ٥٧٦ ، حديث رقم (٣٢٦٠) بنحوه سواء .
و ١ / ٥٨٩ ، حديث رقم (٣٣٥٣) : من حديث ابن عباس أيضاً : « صلى النبي ﷺ نحو بيت المقدس – قال عبد الصمد : ومن معه – ستة عشر شهراً ثم حولت القبلة بعد ، قال عبد الصمد : ثم جُعلت القبلة – نحو بيت المقدس » . وقال معاوية – يعني ابن عمرو – : ثم حولت القبلة بعد .

(٢) في (خ) : « عنان » ، وما أثبتناه من صحيح مسلم .

(٣) آية ٤٤ / البقرة . (٤) (مسلم بشرح النووي) : ٥ / ١٤ ، حديث رقم (٥٢٧) .

(٥) هو عَبَّاد بن بشر بن وقْش بن زُغْبة بن زعوراء بن عبد الأشهل ، الإمام أبو الربيع الأنصاري الأشهلي ، أحد البدريين ، كان من سادة الأوس ، عاش خمساً وأربعين سنة ، وهو الذي أضاءت له عصاته ليلة انقلب إلى منزله من عند رسول الله ﷺ ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، وكان أحد من قتل كعب ابن الأشرف اليهوديّ ، واستعمله النبي ﷺ على صدقات مُزينة وبني سُليم ، وجعله على حرسه في غزوة تبوك ، وكان كبير القدر ، رضي الله عنه ، أبلى يوم اليمامة بلاءً حسناً ، وكان أحد الشجعان الموصوفين .
ابن إسحاق : عن يحيى بن عباد بن عبد الله ، عن أبيه قال : قالت عائشة : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وعباد بن بشر ، =

روى إبراهيم بن حمزة الزبيري قال : حدثني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد ابن سلمة عن أبيه عن جدته تويلة بنت أسلم[1] ، وكانت من المبايعات ، قالت : كنا في صلاة الظهر فأقبل عباد بن بشر بن قيظي فقال : إن رسول الله ﷺ قد استقبل الكعبة – أو قال : البيت الحرام – فتحول الرجال مكان النساء ، وتحول النساء مكان الرجال .

وخرج البخاري ومسلم من حديث يحيى بن سعيد عن سفيان قال : حدثني أبو إسحق قال : سمعت البراء يقول : صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، ثم صرفنا نحو الكعبة . وقال البخاري : ثم صرفه نحو القبلة[2] . ذكره في التفسير في باب قوله : ﴿ **ولكل وجهة [هو موليها]** ﴾[3] .

وأُسيد بن الحُضير ، آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة .

وروي بإسناد ضعيف ، عن أبي سعيد الخدري : سُمع عباد بن بشر يقول : رأيت الليلة كأن السماء فرجت لي ، ثم أطبقت عليَّ ، فهي إن شاء الله الشهادة . فنظر يوم اليمامة وهو يصيح . احطموا جفون السيوف . وقاتل حتى قتل بضربات في وجهه . رضي الله عنه .

ابن إسحاق : عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : تهجد رسول الله ﷺ في بيتي ، فسمع صوت عباد بن بشر ، فقال : « يا عائشة ! هذا صوت عباد ابن بشر ؟ » قلت : نعم ، قال : « اللهم اغفر له » .

لعباد بن بشر حديث واحد ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الأنصارى ! أنتم الشِّعار والناس الدِّثار ، فلا أوتين من قبلكم » ، قال عليّ بن المديني : لا أحفظ لعبادٍ سواه ، وهذا الحديث رجاله ثقات ، أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ، وأخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف حديث رقم (٤٣٣٠) ، ومسلم في الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ، وأحمد ٤ / ٤٢ ، وعندهم جميعاً : « الأنصار شعار والناس دثار » .

* (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٢ / ١٦ ، (التاريخ الصغير) : ٣٦ ، (الجرح والتعديل) : ٧٧/٦ ، (الاستيعاب) : ٨٠١/٢ – ٨٠٤ ، (الإصابة) : ٣ / ٦١١ – ٦١٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣٣٧/١ – ٣٤٠ .

(١) « ثويلة » ، بالتصغير ، بنت أسلم ، روى حديثها الطبراني ، من طريق إبراهيم بن حمزة الزبيري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة ، عن أبيه ، عن جدته أم أبيه ، ثُويلة بنت أسلم ، وهي من المبايعات ؛ قالت : بينا أنا في بني حارثة ، فقال عباد بن بشر بن قيظي : إن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام ، فتحول الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ، فصلوا السجدتين الباقيتين نحو الكعبة . وذكر أبو عمر فيه أن الصلاة كانت الظهر ، وقيل فيها : تولة بغير تصغير ، وقيل : أولها نون . (الإصابة) : ٧ / ٥٤٦ ، ترجمة رقم (١٠٩٥٩) .

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٢٢٠ – ٢٢١ ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير** ﴾ ، حديث رقم (٤٤٩٢) .

(٣) زيادة للسياق .

ولمسلم من حديث أبي الأحوص عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال : صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾[1] ، فنزلت بعد ما صلى النبي ﷺ فانطلق رجل [من القوم][2] فمر بناس من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم [بالحديث][3] ، فولوا وجوههم [نحو القبلة ، وهو البيت][4]

وخرج البخاري من حديث زهير ، حدثنا أبو إسحق عن البراء أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده – أو قال : على أخواله – من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على مسجد فيه قوم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكانت

---

(١) آية ١٤٤ / البقرة .
(٢) زيادة من رواية مسلم .
(٣) في مسلم : « فحدثهم فولوا » .
(٤) ما بين الحاصرتين ليست في مسلم ، ورواية مسلم : « فولوا وجوههم قبل البيت » .

وفي هذا الحديث – حديث البراء – دليل على جواز النسخ ووقوعه . وفيه قبول خبر الواحد . وفيه جواز الصلاة الواحدة إلى جهتين ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا من صلى إلى جهة بالاجتهاد ثم تغير اجتهاده في أثنائها فيستدير إلى الجهة الأخرى حتى لو تغير اجتهاده أربع مرات في الصلاة الواحدة ، فصلى كل ركعة منها إلى جهة صحت صلاته على الأصح ، لأن أهل هذا المسجد المذكور في الحديث استداروا في صلاتهم واستقبلوا الكعبة ولم يستأنفوها .

وفيه دليل على أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه ، فإن قيل : هذا نسخ للمقطوع به بخبر الواحد ، وذلك ممتنع عند أهل الأصول ، فالجواب : أنه احتفت به قرائن ومقدمات ، أفادت العلم ، وخرج عن كونه خبر واحد مجرداً ، واختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء – رحمهم الله تعالى – في أن استقبال بيت المقدس هل كان ثابتاً بالقرآن ؟ أم كان باجتهاد النبي ﷺ ؟ فحكى الماوردي في (الحاوي) وجهين في ذلك لأصحابنا .

قال القاضي عياض – رحمه الله تعالى – : الذي ذهب إليه أكثر العلماء : أنه كان بسنة لا بقرآن ، فعلى هذا يكون فيه دليل لقول من قال : إن القرآن ينسخ السنة ، وهو قول أكثر الأصوليين المتأخرين ، وهو أحد قولي الشافعي ، رحمه الله تعالى – .

والقول الثاني له ، وبه قال طائفة : لا يجوز لأن السنة مبينة للكتاب فكيف ينسخها ؟ وهؤلاء يقولون : لم يكن استقبال بيت المقدس بسنة ، بل كان بوحي .

اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب ، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك .

قال زهير : حدثنا أبو إسحق في حديثه عن البراء أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فهيم ، فأنزل الله عزّ وجلّ : **﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾**[1] ، ذكره في كتاب الإيمان[2] ،

---

(١) آية ١٤٤ / البقرة ، ورواية البخاري حتى **﴿ إيمانكم ﴾** .

(٢) (فتح الباري) : ١ / ١٢٨ ، كتاب الإيمان ، باب (٣٠) ، الصلاة من الإيمان ، وقول الله تعالى : **﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾** يعني صلاتكم عند البيت ، حديث رقم (٤٠) .

قوله : « يعني صلاتكم عند البيت » ، وقع التنصيص على هذا التفسير من الوجه الذي أخرج منه البخاري حديث الباب ، فروى الطيالسي والنسائيُّ ، من طريق شريك وغيره عن أبي إسحاق عن البراء في الحديث المذكور : « فأنزل الله : **﴿ وما كان الله ليضيع أيمانكم ﴾** صلاتكم إلى بيت المقدس » .

وعلى هذا فقول البخاري : « عند البيت » مشكل ، مع أنه ثابت عنه في جميع الروايات ، ولا اختصاص لذلك بكونه عند البيت ؛ وقد قيل إن فيه تصحيفاً ، والصواب يعني صلاتكم لغير البيت .

قال الحافظ ابن حجر : وعندي أنه لا تصحيف فيه ، بل هو صواب ومقاصد البخاري في هذه الأمور دقيقة ، وبيان ذلك أن العلماء اختلفوا في الجهة التي كان النبي ﷺ يتوجه إليها للصلاة وهو بمكة ، فقال ابن عباس وغيره : كان يصلى إلى بيت المقدس ، ولكنه لا يستدبر الكعبة ، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس .

وأطلق آخرون : أنه كان يصلي إلى بيت المقدس ، وقال آخرون : كان يصلي إلى الكعبة ، فلما تحول إلى المدينة استقبل بيت المقدس ، وهذا ضعيف ، ويلزم منه دعوى النسخ مرتين ، والأول أصح ، لأنه يجمع بين القولين ، وقد صححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس .

وكأن البخاري أراد الإشارة إلى الجزم بالأصح ، من أن الصلاة لما كانت عند البيت ، كانت إلى بيت المقدس ، واقتصر على ذلك اكتفاء بالأولوية ، لأن صلاتهم إلى غير جهة البيت وهم عند البيت إذا كانت لا تضيع ، فأحرى أن لا تضيع إذا بعدوا عنه ، فتقدير الكلام : يعني صلاتكم التي صليتموها عند البيت إلى بيت المقدس .

قوله : « قِبَل بيت المقدس » ، بكسر القاف وفتح الموحدة ، أي إلى جهة بيت المقدس .

قوله : « ستة عشر شهراً أو سبعة عشر » ، كذا وقع الشك في رواية زهير هذه هنا ، وفي الصلاة أيضاً عن أبي نعيم عنه ، وكذا في رواية الثوري عنده ، وفي رواية إسرائيل عند البخاري ، وعند الترمذي أيضاً . ورواه أبو عوانة في صحيحه ، عن عمار بن رجاء وغيره عن أبي نعيم فقال : « ستة عشر » من غير شك ، وكذا لمسلم من رواية أبي الأحوص ، وللنسائيّ من رواية زكريا بن أبي زائدة وشريك ، ولأبي عوانة أيضاً من رواية عمار بن رزيق - بتقديم الراء مصغراً - كلهم عن أبي إسحاق ، وكذا لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس . وللبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف « سبعة عشر » ، وكذا للطبراني عن ابن عباس . ... =

والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الزائد ، ومن جزم بسبعة عشر عدَّهما معاً ، ومن شك تردَّد في ذلك . وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف ، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح ، وبه جزم الجمهور .

ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس . وقال ابن حبان : « سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام » ، وهو مبني على أن القدوم كان في ثاني عشر شهر ربيع الأول .

وشذَّت أقوال أخرى : ففي ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق في هذا الحديث : « ثمانية عشر شهراً » ، وأبو بكر سيىء الحفظ ، وقد اضطرب فيه ، فعند ابن جرير من طريقه في رواية : « سبعة عشر » ، وفي رواية : « ست عشر » ، وخرَّجه بعضهم على قول محمد ابن حبيب أن التحويل كان في نصف شعبان ، وهو الذي ذكره النووي في (الروضة) وأقرَّه ، مع كونه رجَّح في شرحه لمسلم رواية « ستة عشر شهراً » ، لكونها مجزوماً بها عند مسلم ، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان إلا إن ألغي شهري القدوم والتحويل .

وقد جزم موسى بن عقبة بأن التحويل كان في جمادي الآخرة ، ومن الشذوذ أيضاً رواية : « ثلاثة عشر شهراً » ، ورواية : « تسعة أشهر » ، و « عشرة أشهر » ، ورواية : « شهرين » ، ورواية : « سنتين » ، وهذه الأخيرة يمكن حملها على الصواب . وأسانيد الجمع ضعيفة ، والاعتماد على القول الأول ، فجملة ما حكاه تسع روايات .

قوله : « وأنه صلى أول » ، بالنصب لأنه مفعول صلى ، والعصر كذلك على البداية ، وأعربه ابن مالك بالرفع ، وفي الكلام مقدر لم يذكر لوضوحه ، أي أو صلاة صلاها متوجها إلى الكعبة صلاة العصر . وعند ابن سعد : حولت القبلة في صلاة الظهر أو العصر – على التردد – وساق ذلك من حديث عمارة بن أوس قال : « صلينا إحدى صلاتي العشى » . والتحقيق : أن أول صلاة صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر ، وأما الصبح فهو من حديث ابن عمر بأهل قباء ، وهل كان ذلك في جمادي الآخرة أو رجب أو شعبان ؟ أقوال .

قوله : « قبل مكة » ، أي قبل البيت الذي في مكة ، ولهذا قال : « فداروا كما هم قبل البيت » ، و « ما » موصولة ، والكاف للمبادرة ، وقال الكرماني : للمقارنة ، و « ما » مبتدأ وخبره محذوف .

قوله : « قد أعجبهم » أي النبي ﷺ ، (وأهل الكتاب) : هو بالرفع عطفاً على اليهود ، من عطف العام على الخاص . وقيل : المراد النصارى ، لأنهم من أهل الكتاب ، وفيه نظر ، لأن النصارى لا يصلون لبيت المقدس ! فكيف يعجبهم ؟ وقال الكرماني : كان إعجابهم بطريق التبعية لليهود .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه بُعد لأنهم أشد الناس عداوة لليهود ، ويحتمل أن يكون بالنصب ، والواو بمعنى (مع) ، أي يصلي مع أهل الكتاب إلى بيت المقدس ، واختُلف في صلاته إلى بيت المقدس وهو بمكة .

فروى ابن ماجة من طريق أبي بكر بن عياش المذكورة : « صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهراً » ، وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخول المدينة بشهرين » ، وظاهره

أنه كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس محضاً ، وحكى الزهري خلافاً في أنه هل كان يجعل الكعبة خلف ظهره ، أو يجعلها بينه وبين بيت المقدس ؟

قال الحافظ ابن حجر : وعلى الأول فكان يجعل الميزاب خلفه ، وعلى الثاني كان يصلي بين الركنين اليمانيين ،. وزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة ، فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس ثم نُسخ ، وحمل ابن عبد البر هذا على القول الثاني ، ويؤيد حمله على ظاهره إمامة جبريل، ففي بعض طرقه أن ذلك عند باب البيت .

قوله : « أنكروا ذلك » ، يعني اليهود ، فنزلت : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس** ﴾ وقد صرح البخاري بذلك في روايته عن طريق إسرائيل .

قوله : « قال زهير » ، يعني ابن معاوية بالإسناد المذكور بحذف أداة العطف كعادته ، ووهم قال إنه معلق ، وقد ساقه البخاري في (التفسير) ، مع جملة الحديث ، عن أبي نعيم ، عن زهير سياقاً واحداً .

قوله : « أنه مات على القبلة » ، أيْ قبلة بيت المقدس قبل أن تحوَّل « لأجاب ، وقُتِلوا » ، ذكر القتل لم أره إلا في رواية زهير، وباقي الروايات إنما فيها ذكر الموت فقط ، وكذلك روى أبو داود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، صحيحاً عن ابن عبَّاس ، وكذلك والذين ماتوا بعد فرض الصلاة ، وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشر أنفس : فبمكة من قريش : [١] عبد الله بن شهاب . [٢] المطلب ابن أزهر الزهريان . [٣] السكران بن عمرو العامري .

وبأرض الحبشة منهم : [١] حطاب – بالمهملة – ابن الحارث الجمحي . [٢] عمرو بن أمية الأسدي . [٣] عبد الله بن الحارث السهمي . [٤] عروة بن عبد العزى . [٥] عدي بن نضلة العدويان .

ومن الأنصار بالمدينة : [١] البراء بن معرور (بمهملات) . [٢] أسعد بن زرارة ، فهؤلاء العشرة متفق عليهم . ومات في المدة أيضاً : إياس بن معاذ الأشهلي ، لكنه مختلف في إسلامه .

قال الحافظ ابن حجر : ولم أجد في شيء من الأخبار أن أحداً من المسلمين قُتِلَ قبل تحويل القبلة ، لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع ، فإن كانت هذه اللفظة محفوظة ، فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة في غير الجهاد ، ولم يضبط اسمه لقلة الاعتناء بالتاريخ إذ ذاك .

ثم وجدتُ في المغازي ذكر رجل اختُلف في إسلامه ، وهو سويد بن الصامت ، فقد ذكر ابن إسحاق : أنه لقى النبي ﷺ ، قبل أن تلقاه الأنصار في العقبة ، فعرض عليهم الإسلام فقال : إن هذا القول حسن . وانصرف إلى المدينة فقتل بها في وقعة بُعاث – بضم الموحدة وإهمال العين وآخره مثلثة – وكانت قبل الهجرة ، قال : فكان قومه يقولون . لقد قُتل وهو مسلم ، فيحتمل أن يكون هو المراد . وذكر لي بعض الفضلاء : أنه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوي عمار ، قلت : يحتاج إلى ثبوت أن قتلهما بعد الإسراء .

من فوائد هذا الحديث :

[١] الرد على المرجئة في إنكارهم تسمية أعمال الدين إيماناً .

وذكره في التفسير مختصراً[1] ، وذكره في كتاب الصلاة[2] ، وفي باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق[3] .

= [٢] تغيير بعض الأحكام جائز إذا ظهرت المصلحة في ذلك . [٣] بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال . [٤] بيان ما كان في الصحابة من الحرص على دينهم والشفقة على إخوانهم ، وقد وقع لهم نظير هذه المسألة لما نزل تحريم الخمر ، كما صح من حديث البراء أيضاً فنزل : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين** ﴾ [٩٣ / المائدة] ، وقوله تعالى : ﴿ **إنا لانضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ [٣٠ / الكهف] ، ولملاحظة هذا المعنى ، عقَّب البخاري على هذا الباب بقوله : « باب حسن إسلام المرء » فذكر الدليل على أن المسلم إذا فعل الحسنة أثيب عليها ، وهو الحديث رقم (٤١) من الباب (٣١) في كتاب (الإيمان) . (فتح الباري) ١/١٢٨ - ١٣٣ حديث رقم (٤٠) .

(١) (فتح الباري) : ٨ / ٢١٦ ، كتاب التفسير ، باب (١٢) ، ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [١٤٢ / البقرة] ، حديث رقم (٤٤٨٦) وقال فيه : « السفهاء » : جمع سفيه ، وهو خفيف العقل ، وأصله من قولهم : ثوب سفيه ، أي خفيف النسيخ ، واختلف في المراد بالسفهاء ، فقال البراء ، وابن عباس ، ومجاهد : هم اليهود ، وأخرج ذلك عنهم الطبري بأسانيد صحيحة ، وروي من طريق السدي قال : هم المنافقون ، والمراد بالسفهاء الكفار ، وأهل النفاق ، واليهود .

أما الكفّار فقالوا لما حولت القبلة : رجع محمد إلى قبلتنا ، وسيرجع إلى ديننا ، فإنه علم أنا على الحق .

وأما أهل النفاق فقالوا : إن كان أولاً على الحق ، فالذي انتقل إليه باطل وكذلك بالعكس .

وما اليهود فقالوا : خالف قبلة الأنبياء ، ولو كان نبياً لما خالف ، فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أُنزلت هذه الآيات من قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾ [١٠٦ / البقرة] ، إلى قوله تعالى : ﴿ **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** ﴾ [١٥٠ / البقرة] ، من أحاديث الباب أيضاً ، الأحاديث أرقام : (٤٤٩٠) ، (٤٤٩١) ، (٤٤٩٢) ، (٤٤٩٣) ، (٤٤٩٤) ، بسياقات مختلفة .

(٢) (فتح الباري) : ١ / ٦٦١ ، كتاب الصلاة ، باب (٣١) التوجه نحو القبلة حيث كان ، أي حيث وجد الشخص في سفر أو حضر ، والمراد بذلك صلاة الفريضة ، كما يتبين ذلك في الحديث الثاني من الباب ، وهو حديث جابر ، وأما حديث تحويل القبلة المذكور في هذا الباب فهو الحديث رقم (٣٩٩) .

(٣) (فتح الباري) : ١٣ / ٢٨٧ ، كتاب أخبار الآحاد ، باب (١) : ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان ، والصلاة ، والصوم ، والفرائض ، والأحكام ، وقول الله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ [١٢٢ / التوبة] ، ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ [٩/ الحجرات] ، =

وخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة[2] وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا[3] إلى الكعبة ، وقال البخاري : فاستداروا إلى القبلة ، ذكره في التفسير[4] وفي كتاب الصلاة[4] ، وفي باب إجازة خبر الواحد الصدوق[4] .

وقال ابن عبد البر : وأجمع العلماء أن شأن القبلة أول ما نسخ من القرآن ، وأجمعوا أن ذلك كان بالمدينة ، وأن رسول الله ﷺ إنما صرف عن الصلاة إلى بيت المقدس ، وأمر إلى الصلاة إلى الكعبة بالمدينة ، واختلفوا في صلاته حين فرضت عليه الصلاة بمكة ؛ هل كانت إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة ؟ فقالت طائفة : كانت صلاته إلى بيت المقدس من حين فرضت عليه الصلاة بمكة إلى أن قدم المدينة ، ثم بالمدينة سبعة عشر شهراً أو نحوها حتى صرفه الله إلى الكعبة .

ذكر سفيان عن حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان النبي ﷺ يستقبل صخرة بيت المقدس ، فأول [ما][5] نسخت من القرآن القبلة ، ثم الصيام الأول ، قال ابن عبد البر : من حجة الذين قالوا : إن رسول الله ﷺ إنما صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ، وأنه إنما كان يصلى بمكة إلى الكعبة ، فذكر حديث البراء ثم قال : فظاهر هذا الخبر يدل على أنه لما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس لا قبل ذلك ، ويدلل[6] على ذلك أيضاً ، فذكر من حديث عبدِ الله بن صالح ، حدثنا

= فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية ، وقوله تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾ [٦/الحجرات] ، وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحدٍ ، فإن سها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة ، حديث رقم (٧٢٥١) ، حديث رقم (٧٢٥٢) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥ / ١٣ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، (٢) باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، حديث رقم (٥٢٦) ، ونحوه حديث رقم (٥٢٧) .

(٢) في (خ) : « الليل » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٣) في (خ) : « فاستداروها » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٤) سبق الإشارة إليهم .

(٥) زيادة للسياق ، وفي (خ) « فأول أنه » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) في (خ) « ويدل » ولعل الصواب ما أثبتناه .

معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : أول ما نسخ الله من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود ، أَمَرهُ الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود ، فاستقبلها بضعة عشر شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم ، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء ، فأنزل الله : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾[1] - يعني نحوه - فارتاب اليهود من ذلك وقالوا : ﴿ **ما ولَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ﴾[2] ؟ فأنزل الله : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب** ﴾[2] ، ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من[3] يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾[4] ، قال ابن عباس : ليميز أهل اليقين من أهل الشك ، قال ابن عبد البر : ففى قول ابن عباس هذا من الفقه : أن الصلاة لم يُنسخ منها شيء قبل القبلة ، وفيه أنه كان يصلي بمكة إلى الكعبة ، وهو ظاهره أنه لم يصل إلى بيت المقدس إلا بالمدينة وهو محتمل غيره[5] .

---

(١) سورة البقرة ، آية / ١٤٤ . (٢) سورة البقرة ، آية / ١٤٢ .

(٣) في (خ) « ممن » . (٤) سورة البقرة ، آية / ١٤٣ .

(٥) قال ابن أبي حاتم بعد رواية الأثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ القبلة ، عن عطاء عنه : وروي عن أبي العالية ، والحسن ، وعطاء الخرساني ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وزيد بن أسلم نحو ذلك .
وقال ابن جرير ، وقال آخرون : بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة ، وإنما أنزلها ليعلم نبيه ﷺ وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحية إلا كان جلّ ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية ، لأن له تعالى المشارق والمغارب ، وإنه لا يخلو منه مكان ، كما قال تعالى : ﴿ **ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ [٧ / المجادلة] .
قالوا : ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم ، التوجه إلى المسجد الحرام ، هكذا قال ، وفي قوله : وأنه تعالى لا يخلو منه مكان : إن أراد علمه تعالى فصحيح ، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .
قال ابن جرير : وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ إذناً من الله أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب ، في مسيره في سفره ، وفي حال المسايفة ، وشدة الخوف ، حدثنا أبو كريب ، أخبرنا ابن إدريس ، حدثنا عبد الملك - هو ابن أبي سليمان - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ، ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

ورواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق ، عن عبد الله بن أبي سليمان به ، وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر ، وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية .

وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر ، أنه كان إذا سُئل عن صلاة الخوف وصفها ، ثم قال : « فإن كان خوف أشدّ من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم ، وركباناً ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها » . قال نافع : ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي ﷺ .

وقد روى من طريق آخر عن جابر ، فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : أخبرنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل ، أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب ، حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن ، قال : وجدت في كتاب أبي : أخبرنا عبد الملك العزرمي ، عن عطاء ، عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها ، فأصابتنا ظلمة ، فلم نعرف القبلة ، فقالت طائفة منا : قد عرفنا القبلة هي هاهنا قبل الشمال ، فصلوا وخطوا خطوطاً ، فلما أصبحوا وطلعت الشمس ، أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة ، فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ ، فسكت ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله العزرمي عن عطاء ، عن جابر به ، وقال الدارقطني : قرىء على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أسمع : حدثكم داود بن عمر ، وأخبرنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن محمد بن سالم ، عن عطاء ، عن جابر ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فأصابنا غيم ، فتحيرنا ، فاختلفنا في القبلة ، فصلى كل رجل منا على حدةٍ ، وجعل أحدنا يخط بين يديه ، لنعلم أمكنتنا ، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ ، فلم يأمرنا بالإعادة وقال : « قد أجازت صلاتكم » ، ثم قال الدارقطني : كذا قال عن محمد بن سالم . وقال غيره : عن محمد بن عبد الله العزرمي ، عن عطاء ، وهما ضعيفان .

ورواه ابن مردويه أيضاً ، من حديث الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأخذتهم ضبابة ، فلم يهتدوا إلى القبلة ، فصلوا لغير القبلة ، ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس ، أنهم صلوا لغير القبلة ، فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدَّثوه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ . وهذه الأسانيد فيها ضعف ، ولعله يشد بعضها بعضاً . وأما إعادة الصلاة لمن تبين خطؤه ففيها قولان للعلماء ، وهذه دلائل على عدم القضاء والله أعلم .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي ، كما حدثنا محمد بن بشار ، أخبرنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة ، أن النبي ﷺ قال : « إن أخاً لكم قد مات فصلوا عليه » . قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم ؟ قال : فنزلت : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله** ﴾ ، قال قتادة : فقالوا : إنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ ، وهذا غريب والله تعالى أعلم .

وقيل إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه الناسخ إلى الكعبة ، كما حكاه القرطبي عن قتادة ، وذكر القرطبي : أنه لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب ، قال : وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه :

[**أحدها**] : أنه صلى الله عليه وسلم شاهده حين سوى عليه طويت له الأرض .

وقال أبو إسحق الحربي : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة في ربيع الأول فصلى إلى بيت المقدس تمام سنة إحدى عشرة أشهر ، وصلى من سنة ثنتين ستة أشهر ثم حولت القبلة في رجب .

= [**الثاني**] : أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه ، صلى عليه ، واختاره ابن العربي ، قال القرطبي : ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه ، وقد أجاب ابن العربي عن هذا ، لم يكن عندهم شرعية الصلاة على الميت ، وهذا جواب جيد .

[**الثالث**] : أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك . والله تعالى أعلم .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية ، من حديث أبي معشر ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق » ، وله مناسبة هاهنا . وقد أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي معشر – واسمه نجيح بن عبد الرحمن السدي المدني – به : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » .

وقال الترمذي : وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ، وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر قبل حفظه ، ثم قال الترمذي : حدثني الحسن بن بكر المروزي ، أخبرنا المعلي بن منصور ، أخبرنا عبد الله ابن جعفر المخزومي عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس ، عن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » ، ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وحكى عن البخاري ، أنه قال : هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح ، قال الترمذي : وقد روى عن غير واحد من الصحابة : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » ؛ منهم : عمر ابن الخطاب ، وعلي ، وابن عباس ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقال ابن عمر : إذا جعلت المغرب عن يمينك ، والمشرق عن يسارك ، فما بينهما قبلة ، إذا استقبلت القبلة » ، ثم قال ابن مردويه : حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن ، أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم ، أخبرنا شعيب بن أيوب ، أخبرنا ابن نمير عن عبد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » .

وقد رواه الدارقطني والبيهقي ، وقال : المشهور عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله : قال ابن جرير : ويحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي ، فهنالك وجهي أستجيب لكم دعاءكم ، كما حدثنا القاسم ، أخبرنا الحسين ، حدثني حجاج قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : لما نزلت ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ ، قالوا : إلى أين ؟ فنزلت : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ ، قال ابن جرير : ومعنى قوله : ﴿ **إن الله واسع عليم** ﴾ يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال ، وأما قوله : ﴿ **عليم** ﴾ فإنه يعني عليم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ، ولا يعزب عن علمه ، بل هو بجميعها عليم . (تفسير ابن كثير) : ١ / ١٦٢ – ١٦٥ .

وقال موسى بن عقبة وإبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن ابن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن القبلة صرفت في جمادي .

وقال الواقدي : إنما صرفت صلاة العصر يوم الثلاثاء في النصف من شعبان .

وذكر أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي في كتاب أحكام القرآن[1] : أن من الناس من يقول : أن النبي ﷺ كان مخيَّراً في أن يصلي إلى حيث شاء ، وإنما كان توجهه إلى بيت المقدس على وجه الاختيار لا علي وجه الإيجاب حتى أمر بالتوجه إلى الكعبة ، وكان قوله تعالى : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾[2] في وقت التخيير قبل الأمر بالتوجه إلى الكعبة ، والله الموفق .

* * *

(١) « أن نفراً قصدوا الرسول عليه الصلاة والسلام من المدينة إلى مكة للبيعة قبل الهجرة ، وكان فيهم البراء ابن معرور ، فتوجه بصلاته إلى الكعبة في طريقه ، وأبى الآخرون وقالوا : إنه عليه السلام يتوجه إلى بيت المقدس ، فلما قدموا مكة سألوا النبي ﷺ فقال له : قد كنت على قبلة – يعني بيت المقدس – لو ثبت عليها أجزؤك ، ولم يأمره باستئناف الصلاة ، فدلّ على أنهم قد كانوا مخيرين » (التفسير الكبير للفخر الرازي) ج ٤ ص ١١١ .

(٢) ١١٥ / البقرة .

ذكر مَنْ قُرِنَ برسُول الله ﷺ من الملائكة

خرج الإمام أحمد من حديث ابن عدي عن داود عن عامر الشعبي : نزلت عليه ﷺ النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، وكان يعلمه الكلمة والشيء . لم ينزل [من][1] القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه [عشرين ؛ عشراً بمكة وعشراً بالمدينة][1] .

ولحديث ابن سعد من حديث وهيب بن خالد عن داود بن أبي هند عن عامر أن رسول الله ﷺ أنزلت عليه النبوة وهو اين أربعين سنة ، وكان معه إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين قرن بنبوته ثم عزل عنه إسرافيل عليه السلام ، وقرن به أيضا جبريل عليه السلام بمكة عشر سنين مهاجره بالمدينة ، قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن برسول الله ﷺ ، وأن علماءهم وأهل السير منهم يقولون : لم يقرن به ﷺ غير جبريل صلوات الله وسلامه عليه من حيث أنزل عليه ﷺ الوحي إلى أن قُبض ﷺ ، وصحح الحاكم ذلك ، والله سبحانه الموفق بمنه .

* * *

---

(١) زيادة من (دلائل النبوة للبيهقي) جـ ١ ص ٣٩١ .

فصل في ذكر الفضائل
التي خصّ الله تعالى بها نبيَّه ورسولَه محمداً ﷺ
وشرفه بها على جميع الأنبياء

اعلم أن الله تعالى فضَّل رسوله محمداً ﷺ بفضائل عديدة ميَّزهُ بها وشرَّفه على من عداه من الأنبياء عليهم السلام ؛ فجعله رحمة للعالمين ، ولم يخاطبه باسمه وإنما خاطبه بالنبوة والرسالة التي لا أجلّ منها ولا أعظم ، ونَهى تعالى الأمة أن يخاطبوه باسمه ، ودفع عنه ماقذفه به المشركون ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم يذكر له ذنباً ولا زلة ، وأخذ الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به إن أدركوه ، وأمر الناس أن يتأسوا به فعلاً وقولاً ، وفرض طاعته على الكافة ، وقرن اسمه تعالى باسمه ، وقدم نبوته قبل خلق آدم عليه السلام ، ونوه باسمه من عهد آدم ، وشرَّف أصله وكرَّم حسبه ونسبه ، وطيب مولده ، وسماه بخير الأسماء ، وأقسم بحياته ، وأفرده بالسيادة يوم القيامة على جميع الأنبياء ؛ فآدم ومن دونه تحت لوائه ، وخصَّه بالشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر وبالحوض المورود ، وجعله أعظم الأنبياء تبعاً ، وأعطاه خَمساً لم يعطهن أحداً قبله ، وبُعث بجوامع الكلم ، وأولى مفاتيح خزائن الأرض ، وأمدَّهُ الله بالملائكة حتى قاتلت معه ، وختم به الأنبياء ، وجعل أمته خير الأمم ، وذكره في كتب الأنبياء وصحفهم ، وأنطق العلماء بالبشارة به حتى كانت بَعْثتُه ﷺ تنتظرها الأمم ، وسمع الأخبار بنبوته ﷺ من هواتف الجن ومن أجواف الأصنام ومن رجز الكهان ، صلى الله تعالى عليه وعلى جميع الأنبياء وَعَظَّم وَكرَّم .

* * *

فأمـــا أنـــه ﷺ
رحمـة للعالمـين

فقد قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1] ، وذلك أن أعداءه أمنوا من العذاب مدة حياته ؛ قال تعالى : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾[2] ، فلم يعذبهم الله تعالى حتى ذهب عنهم إلى ربه ، فأنزل بهم ما أوعدهم من قبل وأشد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون** ﴾[3] .

خرج الحرث بن أبي أسامة من حديث على بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : بعثني الله رحمة وهدى للعالمين ، وهو هدي الدعاء والبيان .

ورواه محمد بن إسحاق من حديث الفرح بن فضالة عن علي بن يزيد به ولفظه : إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين ، وهو هدى التعريف والاستهداء .

وقال يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يارسول الله ؛ ألا تدعو على المشركين ؟ قال : إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً ؛ فإن قيل : كيف يكون رحمة للعالمين وقد أنزل بمن عاداه الذل والصَّغار ، فحطَّم بعد الرفعة ، وأهانهم بعد المنعة ، وصيرهم بعد الملك إلى الهلك ، بأن حوى أموالهم ، وسبى حريمهم ، وملك معاقلهم ، وقتل حُمَاتَهُم ، ثم إن أصحابه من بعده دوخوا ممالك الأرض بدعوته ، فاجتاحوا العرب من بني حنيفة وغيرهم عند ارتدادهم عن ملته ، ومزقوا ملك كسرى وملك فارس ، وأذلوا الفرس ، وشردوا قيصر ملك الروم عن الشام والجزيرة ، وقتلوا الروم والفرس أبرح قتل ، وغلبوا قبط مصر وجبروهم أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون بعد ما ملكوا ديارهم وأموالهم

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ . (٢) الأنفال : ٣٣ . (٣) الزخرف : ٤١ .

بمصر ، وأزاحوا البربر عن بلاد المغرب وانتزعوها منهم ومن القوط الجلالقة ، فلم يتركوا نوعاً من أنواع العذاب حتى أحلّوه بمن ذكرنا من الأمم ، وهم سكان البسيطة ومعظم الخليقة من البشر ؟ .

قلنا : هذا اعتراض من لم ترض نفسه بالحكمة ، حتى غفل عن ترتيب حكمة الباري تعالى في مصنوعاته ، ولم يعلم ما تعطيه حقائق الأشياء ، وذلك أن المحالَّ إنما تقبل على قدر الاستعداد المهيأ فيها ، وبيان ذلك أن الله تعالى وصف كتابه العزيز بأنه هدى للناس ، قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس** ﴾[1] ، وهذا عام مُطَّرد باعتبار القوة والصلاحية ، أي في قوته وصلاحيته أن يهدي جميع الناس ، وهو عام مخصوص بمن لم يهتد باعتبار الفعل ؛ إذ كثير من الناس لم يهتد به ، ثم وصف تعالى كتابه بوصفين متضادين في وروده على الناس بحسب قبول قلوبهم له على قدر استعدادها ، قال تعالى : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً** ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾[4] ، فانظر – أعزك الله – كيف كانت عين القرآن واحدة ، وأثره في قلوب الناس مختلف ، فيزيد المؤمن به إيماناً على إيمانه ، ويزداد به الكافر كفراً على كفره حتى يموت كافراً ، وانظر كيف تكون شفاء ورحمة لقوم وخساراً لآخرين ، وكيف يهتدي به قوم ويكون عمى على قوم ؟ ، وذلك بحسب ما أعطاه الله من الاستعداد والمهيأ للقبول ، وقد كشف لنا رسول الله ﷺ قناع هذا المعنى ببليغ بيانه :

فخرج البخاري[5] ....

(1) البقرة : ١٨٥ . (2) التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥ .
(3) الإسراء : ٨٢ . (4) فصلت : ٤٤ .
(5) (فتح الباري) : ١ / ٢٣٢ ، كتاب العلم ، باب (٢٠) فضل من عِلم وعلَّم ، حديث رقم (٧٩) .

ومسلم[1] ....

(١) قال المقريزي – رحمه الله – بعد أن ساق هذا الحديث : « اللفظ لمسلم » ، ولفظ مسلم : « حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو عامر الأشعري ، ومحمد بن العلاء [واللفظ لأبي عامر] ، قالوا : حدثنا أبو أسامة ، عن بريد عن أبي بردة ، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : إن مثل ما بعثني به الله عزَّ وجلّ من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا منها ، وسقوا ، ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماءاً ، ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فعلِم ، وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به » .

(مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٥١ – ٥٣ ، كتاب الفضائل ، باب (٥) ، بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم ، حديث رقم (٢٢٨٢) .

أما الغيث فهو المطر ، وأما العشب والكلأ والحشيش ، فكلها أسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس والرطب . وقال الخطابي وابن فارس : الكلأ يقع على اليابس ، وهذا شاذ ضعيف . وأما الأجادب – فبالجيم والدال المهملة – وهي الأرض التي تنبت كلأً . وقال الخطابي هي الأرض التي تمسك الماء ، فلا يسرع فيه النضوب .

قال ابن بطال ، وصاحب المطالع ، وآخرون : هو جمع جدب ، على غير قياس ، كما قالوا في حسن : جمعه محاسن ، والقياس : أن محاسن جمع محسن ، وكذا قالوا : مشابه جمع شبه ، وقياسه : أن يكون جمع مشبه ، قال الخطابي : وقال بعضهم : أحادب – بالحاء المهملة والدال – قال : وليس بشيء . قال : وقال بعضهم : أجارد – بالجيم والراء والدال – . قال : وهو صحيح المعنى .

قال الأصمعي : الأجارد من الأرض ما لا ينبت الكلأ ، معناه : أنها جرداء هزرة ، لا يسترها النبات ، قال : وقال بعضهم : إنما هي أخاذات – بالخاء والذال المعجمتين وبالألف – وهو جمع أخاذة ، وهي الغدير الذي يمسك الماء . وذكر صاحب (المطالع) هذه الأوجه التي ذكرها الخطابي ، فجعلها روايات منقولة .

وقال القاضي في (الشرح) : لم يرد هذا الحرف في مسلم ولا في غيره ، إلا بالدال المهملة من الجدب ، الذي هو ضد الخصب . قال : وعليه شرح الشارحون . وأما القيعان فبكسر القاف – جمع القاع ، وهو الأرض المستوية ، وقيل : الملساء ، وقيل : التي لا نبات فيها ، وهذا هو المراد في هذا الحديث ، كما شرح به ﷺ ، ويجمع أيضاً على أقوع ، وأقواع ، والقيعة – بكسر القاف – بمعنى القاع . قال الأصمعي : قاعة الدار : ساحتها .

وأما الفقه في اللغة فهو الفهم . يقال منه : فقه – بكسر القاف – يفقه فقهاً ، بفتحها كفرح يفرح فرحاً ، وقيل : المصدر فقهاً – بإسكان القاف – وأما الفقه الشرعي ، فقال صاحب (العين) ، والهروي ، وغيرهما : يقال منه فقه – بضم القاف – وقال ابن دريد : بكسرها كالأول .

والمراد بقوله ﷺ : « فقه في دين الله » ، هذا الثاني ، فيكون مضموم القاف على المشهور ، وعلى

....

= قول ابن دريد بكسرها ، وقد روى بالوجهين ، والمشهور الضم .

وأما قوله ﷺ : « فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء » ، فهكذا هو في جميع نسخ مسلم « طائفة طيبة » . ووقع في البخاري : « فكانت منه نقية قبلت الماء » – بنون مفتوحة ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مشددة – وهو بمعنى طيبة ، هذا هو المشهور في روايات البخاري . ورواه الخطابي وغيره : « ثغبة » – بالثاء المثلثة والغين المعجمة والباء الموحدة – قال الخطابي : وهو مستنقع الماء في الجبال والصخور ، وهو الثغب أيضاً ، وجمعه ثغبان . قال القاضي وصاحب (المطالع) : هذه الرواية غلط من الناقلين وتصحيف ، وإحالة للمعنى ، لأنه إنما جعلت هذه الطائفة الأولى مثلا لما ينبت ، والثغبة لا تنبت .

وأما قوله ﷺ : « وسقوا » فقال أهل اللغة : سقى وأسقى : بمعنى لغتان ، وقيل : سقاه : ناوله ليشرب ، وأسقاه : جعل له سقيا .

وأما قوله ﷺ : « ورعوا » فهو بالراء من الرعى ، هكذا هو في جميع نسخ مسلم ، ووقع في البخاري « وزرعوا » ، وكلاهما صحيح ، والله تعالى أعلم .

أما معاني الحديث ومقصوده : فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث ؛ ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع ، وكذلك الناس :

فالنوع الأول ، من الأرض ينتفع بالمطر ، فيحيى بعد أن كان ميتاً وينبت الكلأ ، فتنتفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم ، فيحفظه ، فيحيا قلبه ، ويعمل به ، ويعلمه غيره ، فيَنفَع ويُنفِع .

والنوع الثاني ، من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها ، لكن فيها فائدة ، وهي إمساك الماء لغيرها ، فينتفع بها الناس والدواب ، وكذا النوع الثاني من الناس ، لهم قلوب حافظة ، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ، ولا رسوخ لهم في العقل ، يستنبطون به المعاني والأحكام ، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به ، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج ، متعطش لما عندهم من العلم ، أهل للنفع والانتفاع ، فيأخذه منهم ، فينتفع به ، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم .

والنوع الثالث ، من الأرض السباخ ، التي لا تنبت ، ونحوها ، فهي لا تنتفع بالماء ، ولا تمسكه لينتفع بها غيرها ، وكذا النوع الثالث من الناس ، ليست لهم قلوب حافظة ، ولا أفهام واعية ، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ، ولا يحفظونه لنفع غيرهم ، والله تعالى أعلم . وفي هذا الحديث أنواع من العلم ، منها :

[١] ضرب الأمثال . [٢] فضل العلم والتعليم .

[٣] شدة الحث عليهما . [٤] ذم الإعراض من العلم .

والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) .

والنَّسائي[1] من حديث سويد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ : أن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب فمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءاً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه معاني دين الله ونفعه بما بعثني به فَعَلِمَ وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . اللفظ لمسلم ، ذكره في كتاب المناقب ، وذكره البخاري في كتاب العلم وقال فيه : كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء ، وقال فيه : فشربوا وسقوا وزرعوا ، وقال فيه : ونفعه بما بعثني الله ، وقال بعده : قال إسحاق : وكان منها طائفة قبلت الماء قاع يعلوه الماء .

---

(١) لم أجده في (النسائي) بهذه السياقة ، لكن أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري ، ضمن حديث طويل أوله : عبد الله حدثني أبي ، حدثني عبد الله بن محمد – وسمعته أنا من عبد الله بن محمد – حدثنا أبو أسامة ، عن بريد بن أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : « ولد لي غلام ، فأتيتُ به النبي ﷺ ، فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ، وقال : احترق بيت بالمدينة على أهله ، فحدث النبي ﷺ بشأنهم فقال : إنما هذه النار عدوّ لكم ، فإذا نمتم فأطفؤوها عنكم ، قال : وكان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ، وقال رسول الله ﷺ : إن مثل ما بعثني الله عزَّ وجلَّ به من الهدى والعلم ... » وساق الحديث بنحو سياقه البخاري ومسلم . (مسند أحمد) : ٥ / ٥٤٤ ، حديث رقم (١٩٠٧٦) .

قال القرطبي وغيره : ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين ، مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ﷺ ، فكما أن الغيث يحي البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحي القلب الميّت ، ثم شبَّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة ، شربت فانتفعت في نفسها ، وأنبتت فنفعت غيرها .

ومنهم الجامع للعلم ، المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع ، لكنه أدَّاه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع به الناس .

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ، ولا يعمل به ، ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها .

وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأُوليين المجودتين ، لا شتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها . (الأمثال في الحديث النبوي) : ٣٧٨ – ٣٧٩ ، حديث رقم (٣٢٦) والتعليق عليه .

فانظر ما أبلغ هذا المثال النبوي وأبينه لما نحن بصدده ؛ فهذه عين الماء الذي نزل من السماء واحدة ، وأثره في الأرض مختلف على قدر ما أعطاها الحكيم الخبير سبحانه من الاستعداد ، وهيأ فيها من القبول حتى قبلت [كل][1] قطعة منها الماء بحسب استعدادها ، فأنبتت الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات التي يفضل بعضها على بعض في الأُكُل ، وقبلت قطعة أخرى من الأرض ذلك الماء بعينه ، فأنبتت بحسب استعدادها كَلَأً وعُشباً ترعاه الأنعام ، وفقدت قطعة أخرى هذا الاستعداد المهيىء لقبول الإنبات ، فأمسكت الماء ولم تغيره عن أصله لطيبها حتى استقى منه الناس فشربوا وحملوا وسقوا أنعامهم ، وكانت قطعة أخرى من الأرض لم يجعل الله تعالى فيها من الاستعداد لقبول الإنبات شيئاً ، وسلبها مع ذلك الطيب والاعتدال ، حتى انحرفت عنه فلم تخرج نبتاً ولا أمسكت ماءاً ، بل أحالته لخبثها أُجاجاً وملحاً لا يُنتفع به ، فكما اختلفت الأرض في الاستعداد واختلفت في القبول ، وهكذا نفوس الناس لما اختلفت في الاستعداد لقبول الخير والهدى ، اختلفت في قبوله ، وعين الهدى واحدة ، ولكن أثره في نفوس الناس مختلف ؛ فواحد قبل هدى الله الذي جاء به نبيه محمدٌ ﷺ حال ما جاء به من غير أن يدعى إليه ولا طلب منه دليلاً عليه كخديجة بنت خويلد ، وأبي بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد الحِبّ ، رضي الله عنهم ، وذلك بحسب قوة استعدادهم لقبول الهدى ، وقد عبَّر عن هذا الاستعداد في اصطلاح القرآن بالهداية ، ويقال له التوفيق أيضاً ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : ﴿ **حبَّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾[3] ، أي والذين اهتدوا يعني قبلوا الهداية العامة الإيمانية بقابليتهم الأصلية ، وأقبلوا بكلية مواطنهم إليها ، زادهم الله هدى بما أدركهم من عناية مدد الحضرة الرحمانية بالهداية الخاصة من مقام الإحسان ، ﴿ **وآتاهم تقواهم** ﴾ يعني أعطاهم تقوى نفوسهم بأن جعلوا حُكم توحيدهم الباطن في قلوبهم وقاية تصون أنفسهم عن التلبس من أحشاء الانحرافات المبعدة لهم عن جناب

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) الحجرات : ٧ .
(٣) محمد : ١٧ .

موجدهم تقدَّس وتعالى .

وآخرون آتاهم الله تعالى من هذا الاستعداد دون ما أتى من ذكرنا ، فاحتاجوا إلى أن يُدعَوْا إلى الله ويُدَلُّوا على الطريق إليه ، وهم الذين دخلوا في دين الإسلام من المهاجرين والأنصار ، وقصر هذا الاستعداد في قلوب آخرين حتى احتاجوا في دخولهم في الإيمان إلى أن أظهر لهم رسول الله ﷺ من آياته ومعجزاته ما قادهم إلى الإيمان به طوعاً ، وانحط فريق عن هذه الرتب لضعف الاستعداد عندهم لقبول الهدى ، فلم يدخلوا فيه إلا كرهاً من تحت السيف ، كمُسلمة الفتح الذين قيل لهم : « الطلقاء »[1] .

وعدمت طوائف من الناس هذا الاستعداد جملة فشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى وعاندوا الحق بعد ما وضح ، وصدّوا عن سبيل الله من آمن به ، وبذلوا جهدهم في إطفاء نور الله – رسول الله ﷺ – حتى ماتوا وهم كافرون من أجل أنه لم يكن فيهم من الاستعداد المهيء لقبول الهدى شيء ؛ قلّ ولا جلّ ، بل كانوا في ورود الهدى عليهم بمنزلة الأرض الخبيثة التي أحاطت ماء الغيث العذب الطهور إلى السباخ الرديء ، وبمنزلة من به آفة في معدته من خلط رديء ، [فأحالت][2] أطيب المآكل وأنفعها سماً مهلكاً وداءاً عياءاً .

وانظر – رحمك الله – إلى الآية الواحدة من كتاب الله تعالى فإنها ترد على الأسماع ؛ فواحد يفهم أمراً واحداً ، وآخر لا يفهم منها ذلك الأمر بل يفهم أمراً آخر ، وآخر يفهم منها أموراً كثيرة ، ولهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها ، فالآية واحدة العين ، والسامعون لها مختلفون في القبول ، وذلك لا ختلاف استعداد أفهامهم فيها .

واوع سمعك أمثالاً أُفَصِّلُها مما قد أَلِفْتَهُ من المحسوسات : منها أن الشمس تبسط أنوارها على الموجودات كلها فتقبل المحال ذلك النور على قدر الاستعداد ؛ فالجسم

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ يوم الفتح : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

(٢) زيادة للسياق .

المبرود يسخن بها فيتلذذ بذلك ، والجسم المحرور يزيد في كمية حرارته فيتألم بها ، فالنور واحد لهما ، وكل واحد منهما يتألم بما به ينعم الآخر بعينه ، فلو كان النور لإعطائه حقيقة واحدة ، وإنما ذلك لاستعداد القابل .

وهكذا تجد الشمس تُسوّد وجه القصَّار[1] وتبيض الثوب الذي يقصره ، فإن استعداد الثوب تعطي الشمس فيه التبييض ، ووجه القصَّار تعطي الشمس فيه التسويد ، وكذلك ترى الشمس تذيب الشمع والشحم ، وتجفف الطين والثوب المبلول ، فإن استعداد كل واحد من هذه المذكورات تعطيه الشمس بحسب قبوله ، ومن ذلك الهواء ؛ إذا هبّ فإنه في هبوبه يطفيء السراج ويشعل النار في الحطب ونحوه مما من شأنه أن يقبل الاشتعال ، وهكذا نفخك يطفيء السراج ويشعل النار في الحطب ، وربما كان ذلك بنفخة واحدة ، وذلك أن اختلافهما في الاستعداد يوجب اختلافهما في القبول ، والهواء واحد في عينه ، ومن هذا القبيل العطايا الإلّهية ؛ قال تعالى : ﴿ **وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾[2] أي ممنوعاً ، فهو سبحانه معطٍ على الدوام ، والمحالّ تقبل على قدر ما أعطاها الله تعالى من الاستعدادات ، فإذا فهمت هذا علمت أن عطاء الله تعالى ليس بممنوع ، إلا أنك تحب أن يعطيك مالا يقبله استعدادك ، وتنسب المنع إليه – سبحانه – فيما طلب منه ، ولا تجعل ما لك من الاستعداد وتقول : إن الله تعالى على كل شيء قدير ، وتصدق في ذلك ، ولكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الإلّهية وما تعطيه حقائق الأشياء والكل من عند الله ، فمنعه عطاء ، وعطاؤه منع ، ولكن بقي أن تعلم بكذا أو من كذا .

وإذا تدبرت هذه الأمثلة انجلت لك شبهة ما أورده أهل الزيغ والإلحاد على عموم أن رسالة محمد رسول الله ﷺ رحمة للعالمين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي : إن الأنبياء والرسل

---

(١) القصَّارة المحوِّر للثياب لأنه يدقها بالقصَرة التي هي القطعة من الخشب وحرفته القِصارة ، والمِقْصَرَة : خشبة القَصَّار . (لسان العرب) : ٥ / ١٠٤ .

(٢) الإسراء : ٢٠ .

صفوة الخلق ، وأما محمد ﷺ فقد جازت مرتبته الاصطفاء لأنه [نور][1] ورحمة ، قال الله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[2] ، فالرسل خلقوا للرحمة ، ومحمد ﷺ خلق بنفسه رحمة ، فلذلك صار أماناً للخلق لما بعثه سبحانه وتعالى أمِن الخلق العذاب إلى نفخة الصور ، وسائر الأنبياء عليهم السلام لم يحلوا هذا المحل ، ولذلك قال ﷺ : أنا رحمة مهداه ، فأخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله تعالى ، وقوله : مهداه ، أي هدية من الله سبحانه وتعالى للخلق ، والله الموفق .

* * *

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

وأما مخاطبة الله له بالنبوة والرسالة
ومخاطبة من عداه من الأنبياء باسمه

فإن ذلك أبان الله تعالى به عن إجلال قدر نبيه محمد ﷺ وتمجيده وتعظيمه ، فإنه لا أجلّ من النبوة ، ولا أعظم خطراً منها ، قال تعالى : ﴿ **يـٰأيها النبي إنا أرسلناك** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **يـٰأيها النبي حسبك الله** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **يـٰأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **يـٰأيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك** ﴾[4] ، وخاطب سبحانه الأنبياء بأسمائهم ، وأخبر عنهم بأسمائهم ؛ فقال تعالى : ﴿ **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾[5] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **يا نوح اهبط** ﴾[7] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **ونادى نوح ابنه** ﴾[8] ، وقال : ﴿ **يا إبراهيم أعرض عن هذا** ﴾[9] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** ﴾[10] ، وقال : ﴿ **يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي** ﴾[11] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **فوكزه موسى فقضي عليه** ﴾[12] ، وقال : ﴿ **يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك** ﴾[13] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل** ﴾[14] ، وقال : ﴿ **يا هود ما جئتنا ببينة** ﴾[15] ، وقال : ﴿ **يا صالح ائتنا بعذاب الله** ﴾[16] ، وقال : ﴿ **يا داود إنا جعلناك** ﴾[17] ، وقال : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾[18] ، ....

---

(١) الأحزاب : ٤٥ .
(٢) الأنفال : ٦٤ .
(٣) آل عمران : ١٧٦ .
(٤) المائدة : ٦٧ .
(٥) الأعراف : ١٩ .
(٦) طه : ١٢١ .
(٧) هود : ٤٨ .
(٨) هود : ٤٢ .
(٩) هود : ٧٦ .
(١٠) البقرة : ١٢٧ .
(١١) الأعراف : ١٤٤ .
(١٢) القصص : ١٥ .
(١٣) المائدة : ١١٠ .
(١٤) الصف : ٦ .
(١٥) هود : ٥٣ .
(١٦) الأعراف : ٧٧ .
(١٧) ص : ٢٦ .
(١٨) ص : ٣٤ .

وقال : ﴿ **يا زكريا إنا نبشرك بغلام** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **يا يحى خذ الكتاب** ﴾[2] ، فلم يخاطب أحداً منهم ولا أخبر عنه إلا باسمه ، وكل موضع ذكر فيه محمداً ﷺ أضاف إليه ذكر الرسالة ؛ فقال تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **محمد رسول الله** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم** ﴾[6] ؛ فسماه ليُعلم من جحده أن أمره وكتابه هو الحق ، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد ، فلو لم يسمه لم يُعلم اسمه من الكتاب ، وكأن تسمية الله له بمحمد زيادة في جلالة قدره وتنبيهاً على مزيد شرفه ، لأن اسمه عليه السلام مشتق من اسم الله تعالى ، كما مدحه به عمه أبو طالب بقوله :

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

ولما جمع الله تعالى بين ذكر محمد وإبراهيم عليهما السلام ، سمي خليله باسمه وكنّي حبيبه محمداً بالنبوة فقال تعالى : ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا** ﴾[7] ؛ فأبان سبحانه بذلك عن شرف مقدار محمد ﷺ وعلو رتبته عنده ، ثم قدمه الله عز وجل في الذكر على من تقدمه في البعث ، قال تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ...** ﴾[8] ، إلى قوله : ﴿ **وآتينا داود زبوراً** ﴾[9] ، وقال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم** ﴾[10] الآية ، وقد رُوى من طرق عن سعيد بن بشير ، حدثنا قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾[11] ، قال : كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، فانظر كيف خاطب الله سبحانه محمداً ﷺ بالنبوة والرسالة ، ولم يخاطب غيره من الأنبياء إلا باسمه ، إلا أن يكون محمداً ﷺ في جملتهم فيشركهم معه

---

(١) مريم : ٧ . (٢) مريم : ٢٠ . (٣) آل عمران : ١٤٤ .
(٤) الفتح : ٢٩ . (٥) الأحزاب : ٤٠ . (٦) محمد : ٢ .
(٧) آل عمران : ٦٨ . (٨) النساء : ١٦٣ . (٩) النساء : ١٦٣ .
(١٠) الأحزاب : ٧ . (١١) الأحزاب : ٧ .

في الخطاب والخبر ، ليبين تعالى لعباده ارتفاع رتبة رسول الله ﷺ على جميع الأنبياء ، وعلوّ مكانته على مكاناتهم كلهم ، إذ الكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب ، لأن من بلغ به الغاية في التعظيم كُني عن اسمه بأخص أوصافه وأجَلّها ، والله الموفق .

* * *

وأما دفع الله عن الرسول ﷺ ما قرفه به المكذبون ، ونهي الله تعالى العباد عن مخاطبته باسمه

إعلم أن الأمم السالفة كانت تخاطب أنبياءهم بأسمائهم ، كقولهم : ﴿ **يا موسى اجعل لنا إلَهاً كما لهم آلهة** ﴾[1] ، وقولهم : ﴿ **يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة** ﴾[2] ، وقولهم : ﴿ **يا هود ما جئتنا ببينة** ﴾[3] ، وقولهم : ﴿ **يا صالح ائتنا** ﴾[4] ، فشرف الله الرسول ﷺ بتبجيل قدره ، ونهى الكافة أن يخاطبوه باسمه ، فقال تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾[5] ، فندبهم الله تعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة ، رفعة لمنزلته وتشريفاً لقدره على جميع الرسل والأنبياء ، وأوجب تعالى تعزيره ﷺ وتوقيره ، وألزم سبحانه إكرامه وتعظيمه ، قال ابن عباس : تعزروه : تبجلوه ، وقال المبرد : تعزروه : تبالغوا في تعظيمه ، وقال الأخفش : تنصرونه ، وقال الطبري : تعينونه ، وقرأ تعززونه بزائيين من العز .

[و][6] خرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة من حديث أبي رزق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[7] قال : كانوا يقولون : يا محمد يا أبا القاسم ، قال : فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ ، قال : فقالوا : يا نبي الله ، يارسول الله .

ولأبي نعيم من حديث محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ يعني كدعاء أحدكم إذا

---

(١) الأعراف : ١٣٨ .
(٢) المائدة : ١١٢ .
(٣) هود : ٥٣ .
(٤) الأعراف : ٧٧ .
(٥) النور : ٦٣ .
(٦) زيادة للسياق .
(٧) النور : ٦٣ .

دعى أخاه باسمه ؛ ولكن وقروه وعزروه وعظموه ، وقولوا : يارسول الله ، ويانبي الله .

وعن عاصم عن الحسن : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ قال : لا تقولوا : يا محمد ، قولوا يارسول الله .

وعن سعيد بن جُبير في قوله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ قال : لا تقولوا : يا محمد ، قولوا يارسول الله .

وعن قتادة : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ قال : أمر الله سبحانه وتعالى أن يهاب نبيه صلوات الله عليه وأن يعظم ويفخَّم ويسوَّد ، وفي رواية قال : أمرهم الله تعالى أن يفخموه ويشرفوه ، ونهى المؤمنين أن يقولوا لرسول الله ﷺ : راعنا سمعك ، قال تعالى : ﴿ **يـٰأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾[1] ، قال الضحاك عن ابن عباس : لا تقولوا : راعنا ، وذلك أنها سُبَّة بلُغَة اليهود ، فقال : قولوا انظرنا ؛ يريد أسمعنا ، فقال المؤمنون بعدها : من سمعتموه يقولها فاضربوا عنقه ، فانتهت اليهود بعد ذلك .

وعن أبي صالح عن ابن عباس : ﴿ **لا تقولوا راعنا** ﴾ قال : راعنا بلسان اليهود السب القبيح ، فكان اليهود يقولون لرسول الله ﷺ ذلك سراً ، فلما سمعوا أصحابه يقولونه أعلنوا بها ، فكانوا يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها منهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه .

وعن مجاهد : ﴿ **يـٰأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا** ﴾ خلافاً وقولوا : انظرنا ، أفهمنا ، بين لنا .

وعن قتادة : ﴿ **لا تقولوا راعنا** ﴾ قال : كانت اليهود تقول : راعنا استهزاءاً ، فنهى الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم .

---

(١) البقرة : ١٠٤ .

وعن عطية : ﴿ **لا تقولوا راعنا** ﴾ قال : كان أناس من اليهود يقولون : راعنا سمعك ، حتى قالها أناس من المؤمنين ، فكره لهم ما قالت اليهود ، فقال : ﴿ **يـٰأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا** ﴾ كما قالت اليهود ﴿ **وقولوا انظرنا** ﴾ والله الموفق .

* * *

وأما دفع الله تعالى
عن النبي ﷺ ما قرفه المكذبون له

كان من تقدم من أنبياء الله صلوات الله عليهم كانوا يردون عن أنفسهم ويدفعون ما قرفهم مكذبوهم ، فتولى الله ذلك عن رسول الله محمد ﷺ ، قال تعالى [حكاية][1] عن قوم نوح : ﴿ **إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾[2] ، فقال دافعاً عن نفسه : ﴿ **يا قوم ليس بي ضلالة** ﴾[3] ، وقال قوم هود : ﴿ **إنا لنراك في سفاهة** ﴾[4] ، فقال دافعاً عن نفسه : ﴿ **قال يا قوم ليس بي سفاهة** ﴾[5] ، وقال فرعون لموسى : ﴿ **إني لأظنك يا موسى مسحوراً** ﴾[6] ، فقال موسى مجيباً له : ﴿ **إني لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾[7] ، فتولى الله سبحانه وتعالى المجادلة عن رسول الله ﷺ حين قال المشركون عنه : إنه شاعر ، فقال : ﴿ **وما علمناه الشعر** ﴾[8] ، ولما قالوا : كاهن قال تعالى : ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون** ﴾[9] ، ولما قالوا : ضال ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾[10] ، ولما قالوا عنه ﷺ : إنه مجنون ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون** ﴾[11] .

* * *

---

(1) زيادة للسياق .
(2) الأعراف : ٦٠ .
(3) الأعراف : ٦٦ .
(4) الأعراف : ٦١ .
(5) الأعراف : ٦٧ .
(6) الإسراء : ١٠١ .
(7) الإسراء : ١٠٢ .
(8) يس : ٦٩ .
(9) الحاقة : ٤١ .
(10) النجم : ٢ .
(11) الطور : ٢٩ .

وأما مغفرة ذنبه
من غير ذكره تعالى له خطأ ولا زلّة

فقد خرج الحاكم من حديث الحكم بن إبان قال : سمعت عكرمة يقول : قال ابن عباس : إن الله فضل محمداً ﷺ على جميع الأنبياء وعلى جميع أهل السماء ، وفضله على أهل الأرض ، قالوا : يا ابن عباس !! بم فضله على أهل السماء ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **ومن يقل منهم إني إلّه من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾[1] ، وقال لمحمد : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[2] الآية ، قالوا : فبم فضّلَه على أهل الأرض ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾[3] ، الآية ، وقال لمحمد : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[4] ، فأرسله إلى الجن والإنس ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح .

واعلم أن من تقدم الرسولَ ﷺ من الأنبياء ذكر الله تعالى أحوالهم [و][5] ما كان منهم يَقُصّهُ تعالى على ما غفره لهم ، قال تعالى في قصه موسى : ﴿ **رب إني قتلت منهم نفساً** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له** ﴾[7] ؛ فَقَصَّ تعالى ماغفر له وسأل فيه المغفرة ، وقال تعالى عن داود : ﴿ **وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجه ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزَّني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعموا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر رَبَّهُ وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك** ﴾[8] ، فقصّ تعالى على

---

(١) الأنبياء : ٢٩ . (٢) الفتح : ١ ، ٢ . (٣) إبراهيم : ٤ .
(٤) سبأ : ٢٨ . (٥) زيادة للسياق . (٦) القصص : ٣٣ .
(٧) القصص : ١٦ . (٨) ص : ٢١ — ٢٤ .

ما كان فيهم ، ولم يقصّ على خطأ كان من رسول الله ﷺ إكراماً له وتشريفاً ، فقال عز من قائل : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً** ﴾[1] ، وهذا غاية الفضل والشرف ، لأنه تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب ، ولكنه تعالى استوعب في هذه الآية جميع أنواع النعم الأخروية والدنيوية التي أنعم الله بها على عباده ، فلم تبق نعمة يمكن أن تكون من الله تعالى على عباده إلا وقد جمعها لرسول الله ﷺ ، فإن جميع النعم الأخروية شيئان : سلبية وهي غفران الذنوب ، وثبوتية وهي لا تتناهى ، أشار إليها بقوله : ﴿ **ويتم نعمته عليك** ﴾[1] ، وجميع النعم الدنيوية شيئان : دينية أشار إليها بقوله : ﴿ **ويهديك صراطاً مستقيماً** ﴾[1] ، ودنيوية ، وإن كانت هنا المقصود بها الدين ، وهي قوله : ﴿ **وينصرك الله نصراً عزيزاً** ﴾[1] ، وقدم الأخروية على الدنيوية ، وقدم في الدنيوية الدينية على غيرها تقديماً للأهم فالمهم ، فانتظم بذلك تعظيم قدر رسول الله ﷺ بإتمام نعم الله تعالى عليه ، المتفرقة في غيره ، ولهذا قال : جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة ، وجعله خاصاً برسول الله ﷺ بقوله : ﴿ **لك** ﴾ .

وقد أشار ابن عطية إلى هذا فقال : وإنما المعنى : التشريف بهذا الحكم ، ولو لم يكن له ذنب البتة . انتهى .

وقد ذكر الناس أقوالا أُخر ، منها : ما يجب تأويله ، ومنها ما يجب ردّه ؛ فمن ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ **ليغفر لك الله** ﴾ أي ما يكون ، وهذا يمكن تأويله على ما قدمناه ، أي مما يكون لو كان ، والمعنى أنك ياسيد المرسلين بحالة لو كان لك ذنوب ماضية ومستقبلة لغفرنا جميعها لك لشرفك عندنا .

ومنها قول مقاتل : ﴿ **ليغفر لك** ﴾ ما كان في الجاهلية ، وهذا مردود ، لأن رسول الله ﷺ ليس له جاهلية ، ومن قال : ليغفر لك ما كان قبل النبوة فهو مردود

---

(١) أول سورة الفتح .

أيضاً ، لأنه ﷺ معصوم قبل النبوة وبعدها .

ومنها قول سفيان الثوري : ليغفر لك ما كان في الجاهلية ما علمت ومالم تعلم ، وهو مردود بمثل الذي قبله ، ومنها قول عطاء الخرساني : ليغفر لك ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك على حذف مضاف .

ومنها ما حكى عن مجاهد : ﴿ **ليغفر لك ما تقدم** ﴾ من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد ، وهذا قول باطل ، فإنه لم يكن في قصه مارية وامرأة زيد ذنب أصلاً ، وقد أوردنا ما جاء في قصتيهما عند ذكر أزواجه وسراريه ﷺ ، وليس فيهما ما يُعدّ زلة ولا ذنباً ، ومن اعتقد ذلك فقد أخطأ .

ومنها قول الزمخشري : جميع ما فرط منك ، وهذا مردود بشيئين : **أحدهما** : عصمة الأنبياء ، وقد أجمعت الأمة على عصمتهم فيما يتعلق بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرذيلة التي تحط مرتبتهم ، ومن المداومة على الصغائر ، فهذه الأربعة مجمع عليها ، واختلفوا في الصغائر التي لا تحط مرتبتهم ، فذهبت المعتزلة ، وكثير من غيرهم إلى جوازها ، والمختار المنع لأنا مأمورون بالاقتداء في كل ما يصدر منهم في قول وفعل ، فكيف يقع منهم مالا ينبغي ، ونُؤمر بالاقتداء بهم فيه ؟

وتجاسر قوم على الأنبياء فنسبوا إليهم تجويزها عليهم مطلقاً ، وهم محجوجون بما تقدم من الإجماع ، ثم إن الذين جوزوا الصغائر لم يجوزوها بنص ولا دليل ، وإنما أخذوا ذلك من هذه الآية وأمثالها ، وقد ظهر بجواب هذه ، وفي كل موضع من الباقيات يذكر جوابه إن شاء الله تعالى .

والذين جوزوا الصغائر التي ليست برذائل ، قال ابن عطية : اختلفوا هل وقع ذلك من محمد ﷺ أو لم يقع ؟ قال كاتبه : والحق الذي لا مرية فيه أنه لم يقع ، وكيف يستحيل خلاف ذلك وأحواله ﷺ منقسمة إلى قول وفعل ؟ أما القول، فقال تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[1] ، وأما الفعل،

---

(١) النجم : ٣ – ٤ .

فإجماع الصحابة المعلوم منهم قطعاً على اتباعه والتأسي بما يفعله في كل ما يفعله من قليل أو كثير ، أو صغير أو كبير ، لما عندهم في ذلك توقف ولا بحث ، حتى أعماله عليه السلام في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها ، علم بهم ﷺ أو لم يعلم .

والثاني : أنا لو سلمنا بعدم العصمة – وحاش لله – فإنه لا يناسب ما تشير إليه الآية من التعظيم والامتنان ، وجعل ذلك غاية الفتح المبين ، المقرون بالتعظيم ، فحمله على ذلك مخل بالبلاغة ، والمعنى الذي حملنا عليه الآية يناسب البلاغة ، فوجب المصير إليه ، وقوله : ﴿ **وينصرك الله نصراً عزيزاً** ﴾[1] أُعيد لفظه لمَّا بَعُد عما عطف عليه ، وليكون المبتدأ والمنتهي بالاسم الظاهر ، والضميران في الوسط ، وأتت هذه النعم الأربع بلفظ الغيبة ، وجاء الفتح قبلها بضمير المتكلم تعظيماً لأمر الفتح ، لأن المغفرة وإن كانت عظيمة فهي عامة ، قال تعالى : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[2] وكذلك إتمام النعمة ، قال تعالى : ﴿ **وأتممت عليكم نعمتي** ﴾[3] ، وهكذا الهداية ، قال تعالى : ﴿ **يهدي من يشاء** ﴾[4] ، ومثله النصر ، قال تعالى : ﴿ **إنهم لهم المنصورون** ﴾[5] ، وأما الفتح : فإنه لم يتفق لغير رسول الله ﷺ ، وقيل في الاسم مع النصر : إنه تعظيم له ، ولهذا قلَّ ما ذكر الله تعالى النصر من غير إضافة إليه أو اقتران باسمه ليطمئن القلب بذكر الله تعالى ، فيحصل الصبر ، وبه يحصل النصر ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وقال سفيان عن عيينة قال : عن ميسرة قال ابن عبد الله : أَخْبَرهُ بالعفو قبل أن يُخبره بالذنب ، قال تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾[6] ، وقال عبد الله بن يزيد المصري : ليس هذا لنبي قبله ولا بعده ؛ يعني قوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾[6] ، فبدأ سبحانه بالعفو قبل العقاب .

* * *

---

(١) الفتح : ٣ . (٢) النساء : ٤٨ . (٣) المائدة : ٣ .
(٤) البقرة : ١٤٢ . (٥) الصافات : ١٧٢ . (٦) التوبة : ٤٣ .

وأما أخذ الله تعالى الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وينصروه إن أدركوه

فقد قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصُرُنَّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾[1] .

قوله : ﴿ **لما آتيتكم من كتاب** ﴾ ما ، بمعنى الذي ، قال النحاس : التقدير على قول الخليل : الذي آتيتكموه ثم حذف الهاء لطول الاسم ، والإصر : العهد .

وعن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لم يبعث الله نبياً [من لدن][2] آدم فمن بعده إلا أخذ الله العهد عليه في محمد لئن بُعث وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، فقال : ﴿ **وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ....** ﴾

وعن سعيد عن قتادة : قوله : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ...** ﴾ الآية ، هذا ميثاق قد أخذه الله على النبيين أن يُصدّقوا بعضهم بعضاً ، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه .

وقال أسباط عن السدي : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ الآية ، قال : لم يبعث الله نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمنن

---

(١) المائدة : ٨٣ .

(٢) زيادة للسياق .

بمحمد ﷺ ولينصرنه إن خرج وهو حيّ ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرونه هم إن خرج وهم أحياء .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال : ثم ذكر ما أخذ عليهم – يعني على أهل الكتاب – وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه – يعني بتصديق محمد ﷺ – إذا جاءهم ، وإقرارهم به على أنفسهم فقال : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ...** ﴾ إلى آخر الآية .

وقال أسباط عن السدي في قوله : ﴿ **لما آتيتكم** ﴾ : يقول لليهود : أخذت ميثاق النبيين لمحمد ﷺ وهو الذي ذكر في الكتاب عندكم ، فهذا كما ترى ، وقد أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء عليهم السلام إن جاءهم رسول مصدق لما معهم وهو محمد ﷺ آمنوا به ونصروه ، فلم يكن أحد منهم ليدرك الرسول ﷺ إلا وجب عليه الإيمان به ونصره على أعدائه لأخذه الميثاق منهم ، فجعلهم تعالى كلهم أتباعاً لمحمد ﷺ يلزمهم الانقياد له والطاعة لأمره لو أدركوه .

وقد نَصَّ رسول الله ﷺ على معنى ما قلنا ، فروى هُشيم عن مجالد عن الشعبيّ عن جابر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « أتيتُ النبي ﷺ ومعي كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب فقال : والذي نفسي بده ، لو أن موسى كان حياً اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني »[1] .

---

(١) رواه البخاري عن يحى بن بكير ، وعن موسى بن إسماعيل ، عن إبراهيم بن سعد ، وقال البيهقي في (الشُّعب) : وقد روينا عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، أن عمر أتاه فقال : إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتّباعي .

قال أبو عبيد : قال ابن عون فقلت للحسن : متهوكون ؟ قال : متحيرون .

وأخبرنا أحمد بن الحسن القاضي ، حدثنا أبو علي حامد بن محمد الرفَّاء ، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري ، حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا » . زاد القاضي في روايته : « والله لو كان موسى عليه السلام حياً ما حلّ له إلا أن يتبعني » .

وروى عن جبير بن نفير ، عن عمر بن الخطاب ، عن النبي ﷺ في محو ما كتب من قول اليهود =

وقال بعض العارفين بالله تعالى . وبهذا يتبين لك سيادة محمد رسول الله ﷺ على جميع الأنبياء [والمرسلين من][1] قوله ﷺ : أنا سيد ولد آدم[2] ولا فخر ، وفي رواية مسلم[3] : أنا سيد الناس يوم القيامة ، فثبتت له السيادة والشرف على

بريقه والنهي عن ذلك .

(شعب الإيمان للبيهقي) : ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ ، باب في الإيمان بالقرآن والكتب المنزلة ، ذكر حديث جمع القرآن ، حديث رقم (١٧٦) ، (١٧٨) ، (١٧٩) ، وحديث رقم (٥٢٠٥) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله الصنعاني ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، أن حفصة جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب فيه قصص يوسف في كتف ، فجعلت تقرأ عليه ، والنبي ﷺ يتلون وجهه فقال : « والذي نفسي بيده ، لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم » . (المرجع السابق) : ٤ / ٣٠٨ - ٣٠٩ ، باب حفظ اللسان ، فصل في ترك قراءة كتب الأعاجم . ونحوه في (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ٣ / ١١٤ - ١١٥ ، باب الزجر عن النظر في كتب أهل الكتاب ، حديث رقم (٣٠٢٤) .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، قال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، إني مررتُ بأخ لي من قريظة ، فكتب لي من جوامع التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله : فقلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، قال : فَسُرِّي عن النبي ﷺ ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو أصبح فيكم موسى ، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظى من الأمم، وأنا حظكم من النبيين » . (مسند أحمد) : ٤ / ٥١٣ - ٥١٤ ، حديث رقم (١٥٤٣٧) .

(١) زيادة للسياق ، ومكانها مطموس في (خ) .

(٢) (المستدرك) : ٣ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٦٢٥ / ٢٢٣) : حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، حدثنا محمد بن معاذ ، حدثنا أبو حفص عمر بن الحسن الراسي ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : « أنا سيد ولد آدم ، وعليّ سيد العرب » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وفي إسناده عمر بن الحسن ، وأرجو أنه صدوق ، ولولا ذلك لحكمت بصحته على شرط الشيخين ، وله شاهد من حديث عروة عن عائشة رقم (٤٦٢٦ / ٢٢٤) : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر القاري ببغداد ، حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح ، حدثنا الحسين بن علوان ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ادعوا لي سيد العرب » فقلت : يارسول الله ! ألست سيد العرب ؟ قال : « أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب » . وله شاهد آخر من حديث جابر رقم (٤٦٢٧ / ٢٢٥) : قال : قال رسول الله ﷺ : « ادعوا لي سيد العرب ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ألست سيد العرب يارسول الله ؟ فقال : أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب » .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٦ - ٦٩ ، كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٧) ، =

أبناء جنسه من البشر ، وقال ﷺ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[1] ، فأخبره الله تعالى بمرتبته ، وأنه عليه السلام إذ ذاك صاحب شرع ، فإنه قال : كنت نبياً ولم

وحديث رقم (٣٢٨) ، قوله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة » ، ضمن حديث طويل معروف باسم (حديث الشفاعة) ، وسيأتي ذكره مشروحاً إن شاء الله تعالى في فصل [اختصاصه بالشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر] .

(١) المعروف أن هذا الحديث بلفظ : « كنتُ أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ، أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن لال ، ومن طريقه الديلمي ؛ كلهم من حديث سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة به مرفوعاً . وله شاهد من حديث ميسرة الفجر ، بلفظ : « كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد » ، أخرجه أحمد ، والبخاري في (التاريخ) ، والبغوي ، وابن السكن ، وغيرهما في (الصحابة) ، وأبو نعيم في (الحلية) ، وصححه الحاكم ، وكذا هو بهذا اللفظ عند الترمذي وغيره عن أبي هريرة : متى كنت أو كتِبْتَ نبياً ؟ قال : « وآدم » ، وذكره . وقال الترمذي : إنه حسن صحيح ، وصححه الحاكم أيضاً ، وفي لفظ : « وآدم منجدل في طينته » ، وفي صحيحي ابن حبان والحاكم ، من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً : « إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته » . وكذا أخرجه أحمد ، والدارمي في مسنديهما ، وأبو نعيم والطبراني ؛ من حديث ابن عباس ، قال : قيل : يارسول الله ، متى كتبت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وأما الذي على الألسنة بلفظ « كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين » ، فلم نقف عليه بهذا اللفظ ، فضلاً عن زيادة : « وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » . وقد قال شيخنا – الحافظ ابن حجر – في بعض الأجوبة عن الزيادة : إنها ضعيفة ، والذي قبلها قوي . (المقاصد الحسنة) : ٥٢٠ – ٥٢١ ، حديث رقم (٨٣٧) .

وقال الزركشي : لا أصل له بهذا اللفظ ، قال السيوطي في (الدر) : وزاد العوام : « ولا آدم ولا ماء ولا طين » ، لا أصل له أيضاً ، وقال القاري : يعني بحسب مبناه ، وإلا فهو صحيح باعتبار معناه . وروى الترمذي أيضاً عن أبي هريرة ، أنهم قالوا : يارسول الله ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » ، وفي لفظ : متى كتبت نبياً ؟ قال : « كتبتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد » . وعن الشعبي ، قال رجل : يارسول الله متى استنبئت ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد ، حين أخذ مني الميثاق » .

وقال التقي السبكي : فإن قلت : النبوة وصف ، لابد أن يكون الموصوف به موجوداً ، وإنما يكون بعد أربعين سنة ، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ قلت : جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الاجساد ، فقد تكون بقوله : « كنت نبياً » ، إلى روحه الشريفة ، أو حقيقته ، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها ، وإنما يعرفها خالقها ، ومن أمدَّه بنور آلهي .

ونقل العلقمي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعاً أنه قال : « كنتُ نوراً بين يدي ربي عزَّ وجلَّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام . (كشف الخفا ومزيل الإلتباس) : ٢ / ١٢٩ ، حديث رقم (٢٠٠٧) .

يقل : كنت إنساناً ، ولا كنت موجوداً ، أَوَليست النبوة إلا بالشرع المقدر عليه من عند الله تعالى ؟ فأخبر سبحانه وتعالى أنه عليه السلام صاحب النبوة قبل وجوده في الأنبياء في الدنيا وهو روح قبل اتخاذه تعالى الأجسام الإنسانية ، فكانت الأنبياء عليهم السلام في هذا العالم نواب محمد ﷺ من آدم إلى عيس عليهما السلام ، وإلى هذا الاشارة بقوله عليه السلام : لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ، وكذلك لو كان محمد ﷺ موجوداً بجسمه من لدن آدم عليه السلام إلى زمان وجوده ، لكان جميع بني آدم تحت شريعته ، ولهذا لم يُبعث بشريعة عامة إلا هو ﷺ ، فإنه الملك والسيد ، وكل رسول إنما بعث إلى قوم مخصوصين ، ولم تعم ، فمن زمن آدم إلى زمن بعثة محمد رسول الله ﷺ وإلى يوم القيامة ملكه ، وله يوم القيامة التقدم أيضاً على جميع الرسل مع السيادة ، فكانت روحانيته ﷺ روحانية كل رسول موجودة ، والإمداد يأتي إليهم من روحه الطاهرة بما يظهر منهم من الشرائع والعلوم في زمن وجودهم رسلاً ، وكان تشريعهم الشرائع كما كان علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم يقضون في زمان وجود جسم رسول الله ﷺ ، وكما يكون عيسى عليه السلام حين ينزل آخر الزمان بشرع محمد ﷺ ، لكن لما لم يوجد ﷺ في الحسّ نسب كل شرع إلى من بعث به ، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ ، وإن كان مفقود العين ، كما يكون ﷺ مفقود العين في زمان نزول عيسى وحكمه بالشرع المحمدي ، وكون محمد ﷺ نسخ الله بشرعه جميع الشرائع ، لا يخرجها النسخ عن أن تكون من شرعه ، فإن الله تعالى قد أشهدنا في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفاقنا على أنه شرعه ، فنسخ بالمتأخر ، فكان هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة المحمدية تنبيها لنا على أن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعاً له ، وكان نزول عيسى آخر الزمان حاكماً بغير شرعه الذي كان عليه في زمان رسالته ، وحكمه بشرع محمد ﷺ أَدَلّ دليل على أنه لا حكم لأحد من الأنبياء مع وجود محمد ﷺ أو وجود ما قرره من الحكم ، فخرج من هذا كله أن محمداً ﷺ ملك وسيد على جميع بني آدم ، وأن جميع من تقدمه كان ملكاً له ، والحاكمون فيه كانوا نواباً عنه ؛ فإن قلتَ : قال الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين هدي الله فبهداهم** ....

اقتده ﴾[1] ، قلتُ : هذا صحيح ، فقد قال تعالى : ﴿ **فبهداهم** ﴾ ، وهداهم من الله وهو شرعه ﷺ ، أي الزم شرعك الذي أظهرته نُوَّابُك من إقامة الدين وعدم التفرق فيه ، ولم يقل سبحانه : فبهم اقتد ، وكذا قال سبحانه : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾[2] وهو الدين ، فهو ﷺ مأمور باتباع الدين ، فإن أصل الدين إنما هو من الله تعالى لا من غيره ، وأين هذا من قوله ﷺ : لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ؟ فأضاف الاتباع إليه ، وأُمر هو ﷺ باتباع الدين لا باتباع الأنبياء، فإن السلطان الأعظم إذا حضر لا يبقي لنائب من نوابه حُكم إلا له ، فإذا غاب حكم النائب بمراسمه ، فهو الحاكم في الحقيقة غيباً وشهادة ، مما قيل في شرفه :

فإنك شمسٌ والملوك كواكبُ ... إذا ظهرتْ لم يبدُ منهن كوكبُ[3]

فانظر ما أبدع هذا الفضل الذي لرسول الله ﷺ ، الذي لم ينتبه إليه إلا من شاء الله ، وقليل ماهم ، والله يختص برحمته من يشاء .

* * *

---

(1) الأنعام : ٩٠ .

(2) النحل : ١٢٣ .

(3) البيت للنابغة الذبياني .

وأما عموم رسالته إلى الناس جميعاً وفرض الإيمان به على الكافة ، وأنه لا ينجو أحد من النار حتى يؤمن به ﷺ

فاعلم أن الإيمان به ﷺ هو التصديق بنبوته وإرسال الله تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به من الله وما قاله ، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله ، فإذا اجتمع التصديق بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ، تم الإيمان به والتصديق له ، قال الله تعالى : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يجدونه** ﴾[3] الآية ، فالإيمان بمحمد ﷺ واجب لا يتم الإيمان إلا به ، ولا يصح الإسلام إلا معه ، وقد تقرر بما تقدم ثبوت نبوته وصحة رسالته ، فوجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به وتعيّن ذلك ، قال تعالى : ﴿ **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً** ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **يـأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً** ﴾[7] ، أي على رسالتك يشهد لك بإظهار المعجزات على صدقك ، إذ المعجزة في قوة قول الله تعالى : صدق عبدي في أنه رسول ، والثانية مقررة للأولى ، لأنه إنما تثبت عموم دعوته بإخباره ، وما ورد على لسانه ، وخبره إنما يقبل إذا ثبت صدقه ، وصدقه إنما ثبت بالمعجزات ، فإذن نظم الدليل هكذا : محمد ﷺ أتي بالمعجزات فهو صادق ، وكل صادق يجب قبول خبره بعموم دعوته ، وهو المطلوب .

وخرج مسلم من حديث يزيد بن زريع قال : حدثنا روح عن العلاء بن

---

(١) التغابن : ٨ .
(٢) الفتح : ٨ .
(٣) الفتح : ١٣ .
(٤) الفتح : ١٣ .
(٥) سبأ : ٢٨ .
(٦) الأعراف : ١٥٨ .
(٧) النساء : ٧٩ .

عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[1] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة ، عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١ / ٣١٤ – ٣١٥ ، كتاب الإيمان ، باب (٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ، ووكلت سريرته إلى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام ، حديث رقم (٣٢) ، (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦) .

قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله » ، قال الخطابي رحمه الله : معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف .

قال : ومعنى حسابه على الله : أي فيما يستسرون به ويخفونه ، دون ما يخلون به في الظاهر من الأحكام الواجبة . قال : ففيه أن من أظهر الإسلام وأسّر الكفر قبل إسلامه في الظاهر ، وهذا قول أكثر العلماء . وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل . ويحكى ذلك أيضاً عن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما . هذا كلام الخطابي .

وذكر القاضي عياض معنى هذا ، وزاد عليه ، وأوضحه ، فقال : اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال : لا إله إلا الله ، تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، وأن المراد بها مشركو العرب ، وأهل الأوثان ، ومن لا يوحد ، وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام ، وقوتل عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد ، فلا يكتفي في عصمته بقول لا إله إلا الله ، إذ كان يقولها في كفره ، وهي من اعتقاده ، فلذلك جاء في الحديث الآخر : « وأني رسول الله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة » . هذا كلام القاضي عياض .

قال الحافظ ابن حجر : ولابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ ، كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة ، هي مذكورة في الكتاب : « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي ، وبما جئت به » . والله أعلم .

واختلف أصحابنا في قبول توبة الزنديق – وهو الذي ينكر الشرع جملة – فذكروا فيه خمسة أوجه ، لأصحابنا أصحها ، والأصوب منها قبولها مطلقاً للأحاديث الصحيحة المطلقة .

على الله[1] .

وقال البخاري : فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله . ذكره في كتاب الإيمان .

---

(١) قوله ﷺ : « فإذا فعلوا ذلك » ، فيه التعبير بالفعل عما بعضه قول ، إما على سبيل التغليب ، وإما على إرادة المعنى الأعم ، إذ القول فعل اللسان .

قوله ﷺ : « عصموا » أي منعوا ، وأصل العصمة من العصام وهو الخيط الذي يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء .

قوله ﷺ : « حسابهم على الله » ، أي في أمر سرائرهم ، ولفظة « على » مشعرة بالإيجاب ، وظاهرها غير مراد ، فإما أن تكون بمعنى اللام ، أو على سبيل التشبيه ، أي هو كالواجب على الله في تحقيق الوقوع ، وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر ، والاكتفاء في قَبُول الإيمان بالاعتقاد الجازم ،خلافاً لمن أوجب تعلم الأدلة ، وقد تقدم فيه ، ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد ، الملتزمين للشرائع ، وقبول توبة الكافر من كفره ، من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن .

فإن قيل : مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد ، فكيف ترك مؤدي الجزية والمعاهد ؟ الجواب من أوجه :

أحدها : دعوى النسخ ، بأن يكون الإذن بأخْذ الجزية والمعاهدة متأخراً عن هذه الأحاديث ، بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى : ﴿ **اقتلوا المشركين** ﴾ .

ثانيها : أن يكون من العام الذي خص منه البعض ، لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب . فإذا تخلف البعض لدليل لم يقدح في العموم .

ثالثها : أن يكون من العام الذي أُريد به الخاص ، فيكون المراد بالناس في قوله ﷺ « أقاتل الناس » ، أي المشركين من غير أهل الكتاب ، ويدل عليه رواية النسائي بلفظ : « أمرت أن أقاتل المشركين » . فإن قيل : إذا تم هذا في أهل الجزية ، لم يتم في المعادين ولا فيمن منع الجزية ، أجيب بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة ، ومقاتلة من امتنع من أداء الجزية ، بدليل الآية .

رابعُها : أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها ، التعبير عن إعلاء كلمة الله ، وإذعان المخالفين ، فيحصل في بعض بالقتل ، وفي بعض بالجزية ، وفي بعض بالمعاهدة .

خامسها : أن يكون المراد بالقتال هو ، أو ما يقوم مقامه من جزية أو غيرها .

سادسها : أن يقال الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام وسبب السبب سبب ، فكأنه قال : حتى يسلموا أو يلتزموا بما يؤديهم إلى الإسلام ، وهذا أحسن ، ويأتي فيه ما في الثالث وهو آخر الأجوبة . والله تعالى أعلم (فتح الباري) : ١ / ١٠٢ - ١٠٥ ، كتاب الإيمان باب (١٧) ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ ، حديث رقم (٢٥) .

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن بريد عن يحى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن [الحميري](١) حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عن ما يقول [هؤلاء](٢) في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر فاكتنفتُه أنا وصاحبي ؛ كان أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيُكل الكلام إليّ فقلتُ : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون ألا قدر ، وأن الأمر أنف ، [قال : فإذا](٣) لقيت أولئك فأخبرهم أني برىء منهم وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به

---

(١) في (خ) : « الحميدي » والتصويب من رواية مسلم .

(٢) زيادة من رواية مسلم .

(٣) في (خ) : « فقال إذا » والتصويب من رواية مسلم .

قوله : « فاكتنفته أنا وصاحبي » ، يعني صرنا في ناحيتيه ، ثم فسَّره فقال : أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وكنفا الطائر جناحاه ، وفي هذا تنبيه على أدب الجماعة في مشيهم مع فاضلهم ، وهو أنهم يكتنفونه ويحفون به .

قوله : « فظننتُ أن صاحبي سيكل الكلام إليّ » معناه يسكت ويفوضه إليّ لإقدامي وجرأتي وبسطة لساني ، فقد جاء عنه في رواية « لأني كنت أَبْسَطْ لسانا » .

قوله : « ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم » ، هو بتقديم القاف على الفاء ، ومعناه يطلبونه ويتتبعونه ، هذا هو المشهور ، وقيل معناه يجمعونه ، رواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن ماهان « يتفقرون » – بتقديم الفاء – وهو صحيح أيضا ، معناه يبحثون عن غامضه ، ويستخرجون خَفِيَّهُ . وروى في غير مسلم : « يتقفون » بتقديم القاف ، وحذف الراء ، وهو صحيح أيضاً ، ومعناه يتتبعون .

قال القاضي عياض : ورأيت بعضهم قال فيه : « يتقعرون » بالعين ، وفسَّره بأنهم يطلبون قعره ، أي غامضه وخفيّه . ومنه تقعَّر في كلامه إذا جاء بالغريب منه ، وفي رواية أبي يعلي الموصلي : « يتفقهون » بزيادة الهاء ، وهو ظاهر .

قوله : « وذكر من شأنهم » . هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحى بن يعمر ، والظاهر أنه من ابن بريدة الراوي ، عن يحى بن يعمر ، وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ، وصفهم بالفضيلة في العلم ، والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به .

قوله : « يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف » ، هو بضم الهمزة والنون ، أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى ، وإنما يعلمه بعد وقوعه كما قدمنا حكايته عن مذهبهم الباطل ، وهذا القول قول غلاتهم ، وليس قول جميع القدرية ، وكذب قائله وضلّ وافترى . عافانا الله وسائر المسلمين .

عبد الله بن عمر لو أن لأحد مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد ! أَخْبِرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت ، فعجبنا له ؛ يسأله ويصدقه ! قال : فأَخْبِرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : [فأخبرني][1] عن الاحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : [فأخبرني][1] عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أمارتها ، [قال :][2] [أمارتها][3] أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة [العالة][4] رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق فلبث ملياً ، ثم قال لي : يا عمر ! أتدري من السائل ؟ قلت : الله

قوله : « قال - يعني ابن عمر رضي الله عنهما - : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر » ، هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ، ظاهر في تكفير القدرية .

قال القاضي عياض رحمه الله : هذا في القدرية الأُوَل ، الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات ، قال : والقائل بهذا كافر بلا خلاف ، وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة .

قال غيره : ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة ، فيكون من قبيل كُفران النعم ، إلا أن قوله: ما قبله الله منه، ظاهر في التكفير ، فإن إحباط الأعمال إنما يكون بالكفر ، إلا أنه يجوز أن يقال في المسلم : لا يقبل عمله لمعصيته وإن كان صحيحاً ، كما أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحة ، غير محوجة إلى القضاء عند جمهور العلماء ، بل بإجماع السلف ، وهي غير مقبولة ، فلا ثواب فيها على المختار عند أصحابنا . والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ١ / ٢٥٩ ، كتاب الإيمان ، حديث رقم (١) .

(١) في (خ) : « أخبرني » والتصويب من رواية مسلم .

(٢) زيادة للسياق من رواية مسلم .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) زيادة من رواية مسلم .

ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . هذا الحديث انفرد به مسلم[1] ، ولم يخرجه البخاري ، وأخرجه أبو داود من طريق ابن بُريدة بمثله أو

---

(١) أخرجه مسلم في أول كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان ، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر ، وإغلاظ القول في حقه ، حديث رقم (١) .

قوله : « لا يُرى عليه أثر السفر » ضبطناه بالياء المثناة من تحت ، المضمومة ، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين وغيره ، وضبطه الحافظ أبو حازم العدوي هنا : « نرى » بالنون المفتوحة ، وكذا هو في مسند أبي يعلي الموصلي ، وكلاهما صحيح .

قوله : « ووضع كفيه على فخذيه » ، معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم . والله تعالى أعلم .

قوله ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ ، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى ، لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع ، وحُسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه ، على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها ، إلا أتي به ، فقال ﷺ : أُعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان ، فإن التتميم المذكور في حال العيان ، إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يقدم العبد على تقصير في هذه الحال للاطلاع عليه ، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد ، فينبغي أن يعمل بمقتضاه ، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى ، في إتمام الخشوع والخضوع ، وغير ذلك ، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ، ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم ، واستحياءاً منهم ، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سرّه وعلانيته .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة ؛ من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ، ومتشعبة منه .

قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ، ألّفنا كتابنا الذي سميناه : [المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان] ، إذ لا يشذّ شيء من الواجبات ، والسنن ، والرغائب ، والمحظورات ، والمكروهات ، عن أقسامه الثلاثة . والله تعالى أعلم .

قوله ﷺ : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » ، فيه أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما ، إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، وأن ذلك لا ينقصه ، بل يُستدل به على ورعه ، وتقواه ، ووفور علمه .

قوله : « أن تلد الأمة ربتها » ، وفي الرواية الأخرى « ربها » على التذكير ، وفي الأخرى « بعلها » وقال : يعني السراري ، ومعنى ربها وربتها ، سيدها ومالكها ، وسيدتها ومالكتها ، قال الأكثرون من العلماء : هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهم ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن مال =

= الإنسان صائر إلى ولده ، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين ، إما بتصريح أبيه له بالإذن ، وإما يعلمه بقرينة الحال ، أو عرف الاستعمال .

وقيل : معناه أن الإماء يلدن الملوك ، فتكون أمه من جملة رعيته ، وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ، وهذا قول إبراهيم الحربي ، وقيل : معناه أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان ، فيكثر ترددها في أيدي المشترين ، حتى يشتريها ابنها ولا يدري ، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد ، فإنه متصور في غيرهن ، فإن الأمة تلد ولداً حراً من غير سيدها بشبهة ، أو ولداً رقيقاً بنكاح أو زنا ، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعاً صحيحاً ، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها ، وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد .

وأما بعلها ، فالصحيح في معناه أن البعل هو المالك أو السيد ، فيكون بمعنى ربها على ما ذكرناه . قال أهل اللغة : بعل الشيء ربه ومالكه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرون في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **أتدعون بعلاً** ﴾ : أي ربّاً ، وقيل : المراد بالبعل في الحديث ، الزوج ، ومعناه نحو ما تقدم ، أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدري ، وهذا أيضاً معنى صحيح ، إلا أن الأول أظهر ، لأنه إذا أمكن حمل الروايتين في القضية الواحدة على معنى كان أولى ، والله أعلم .

واعلم أن هذا الحديث ليس فيه دليل على إباحة بيع أمهات الأولاد ، ولا منع بيعهن ، وقد استدل إمامان من كبار العلماء به على ذلك ، فاستدل أحدهما على الإباحة ، والاخر على المنع ، وذلك عجب منهما ، وقد أنكر عليهما ، فإنه ليس كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرماً أو مذموماً ، فإن تطاول الرعاء في البنيان ، وفشو المال ، وكون خمسين امرأة لهن قيم واحد ليس بحرام بلا شك ، وإنما هذه علامات ، والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك ، بل تكون بالخير والشرّ ، والمباح والمحرم ، والواجب وغيره ، والله أعلم .

قوله ﷺ : « وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » ، أما العالة فهم الفقراء ، والعائل الفقير ، والعيلة الفقر ، وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر ، والرعاء بكسر الراء وبالمد ، ويقال فيهم الرعاة بضمّ الراء وزيادة الهاء بلامدّ ، ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة ، تبسط لهم الدنيا ، حتى يتباهون في البنيان . والله أعلم .

قوله : « فلبث ملياً » هكذا ضبطناه ، لبث آخره ثاء مثلثة من غير تاء ، وفي كثير من الأصول المحققة « لبثتُ » بزيادة تاء المتكلم ، وكلاهما صحيح ، وأما « ملياً » بتشديد الياء ، فمعناه وقتا طويلاً ، وفي رواية أبي داود والترمذي ، أنه قال ذلك بعد ثلاث ، وفي شرح السنة للبغوي بعد ثالثة ، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال ، وفي ظاهر هذا مخالفة لقوله في حديث أبي هريرة بعدَ هذا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ : رُدّوا عليّ الرجل ، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً ، فقال النبي ﷺ : « هذا جبريل » فيحتمل الجمع بينهما أن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبي ﷺ لهم في الحال ، بل كان قد قام من المجلس ، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال ، وأُخبر عمر رضي الله عنه بعد ثلاث ، إذا لم يكن حاضراً وقت إخبار الباقين ، والله أعلم .

قوله ﷺ : « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » ، فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها

نحوه ، وقال فيه : فلبثت ملياً[1] وخرجه الترمذي بنحو حديث مسلم وقال في آخره : فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم[2] .

قال القاضي عياض : فقد قرر أن الإيمان محتاج[3] إلى العقد بالجنان ، والإسلام

= ديناً . واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعاً من العلوم والمعارف ، والآداب واللطائف ، بل هو أصل الإسلام . ومن فوائد هذا الحديث :

[١] أنه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها ، أن يسأل هو عنها ليحصل الجواب للجميع .

[٢] أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل ويدنيه منه ، ليتمكن من سؤاله ، غير هائب منه ولا منقبض .

[٣] أنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله . (المرجع السابق) : ١ / ٢٦٩ - ٢٧٥ .

(١) (صحيح سنن الترمذي) : ٣ / ٨٨٧ ، باب (١٧) في القدر ، حديث رقم (٣٩٢٨ - ٤٦٩٥) ، (تحفة الأحوذي) : ١٢ / ٣٠٠ ، كتاب السنة ، باب (١٦) ، حديث رقم (٤٦٨١) .

(٢) وأخرجه أيضاً ابن ماجة ، (صحيح ابن ماجة) : ١ / ١٦ - ١٧ ، حديث رقم (٥٣ - ٦٣) ، (٥٤ - ٦٤) ، وقال في آخره : « ولكن سأحدثك عن أشراطها ، إذا ولدت الأمة ربتها فذلك من أشراطها وإذا تطاول رعاء الغنم في البنيان فذلك من أشراطها ، في خمس لا يعلمهن إلا الله ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وأخرجه أيضاً النسائي ، وقال في أوله : « عن أبي هريرة وأبي ذر قالاً : كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه ، وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه ، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً ، وأطيب الناس ريحاً ، كأن ثيابه لم يمسها دنس ، حتى سلم في طرف البساط فقال : السلام عليك يامحمد ، فرد عليه السلام . قال : أدنو يامحمد ، .. فما زال يقول : أدنو مراراً حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ ، قال : يا محمد ، أخبرني ما الإسلام ... وساق الحديث باختلاف يسير . (صحيح سنن النسائي) : ٣ / ١٠٢٥ - ١٠٢٦ ، كتاب (٤٧) الإيمان وشرائعة ، باب (٦) صفة الإيمان والإسلام ، حديث رقم (٤٦١٨) .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ، وقال في آخره بعد قوله ﷺ : ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ، قال : وسأله رجل من جهينة ، أو مزينة فقال : يارسول الله ، فيما نعمل ؟ أفي شيء قد خلا أو مضى ؟ أو في شيء يُستأنف الآن ؟ قال : في شيء قد خلا أو مضى ، فقال رجل أو بعض القوم : يارسول الله فيما نعمل ؟ قال : أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار . (مسند أحمد) : ١ / ٤٦ ، مسند عمر بن الخطاب ، حديث رقم (١٨٥) .

(٣) في (خ) « يحتاج » ، وما أثبتناه من (الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض) .

به مضطر إلى النطق باللسان ، وهذه الحالة المحمودة التامة ، وأما الحال المذمومة : فالشهادة باللسان دون تصديق القلب ، وهذا هو النفاق ، قال : وللفرق بين القول والعقد ما جُعل في حديث جبريل عليه السلام ، الشهادة من الإسلام ، والتصديق من الإيمان ، وبقيت حالتان [أخريان بين هذين][1] .

إحداهما : أن يصدق بقلبه ثم يُخْتَرم[2] قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه ، فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ، ورآه بعضهم مؤمنا مستوجباً للجنة لقوله ﷺ : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان[3] ، فلم يذكر سوى ما في القلب ، وهذا مؤمن بقلبه غير عاصٍ ولا مفرط بترك غيره ، وهذا هو الصحيح في هذا الوجه .

الثانية : أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم مايلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ، ولا استشهد في عمره ولا مرة ، فهذا اختلف فيه أيضاً فقيل : هو مؤمن لأنه مصدق ، والشهادة من جملة الأعمال ، فهو عاصٍ بتركها غير مخلد [في النار][4] ، وقيل : ليس بمؤمن حتى يقارن عقده بشهادة ، إذ الشهادة إنشاء عقد وإلزام إيمان ، وهي مرتبطة مع العقد ، ولا يتم التصديق مع المهملة إلا بها ، وهذا هو الصحيح .

وخرج الحاكم من حديث عبد الرازق عن معمر عن أيوب عن سعيد بن هيثم ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار ، فجعلت أقول : أين[5] تصديقها في كتاب الله ، [وقَلَّ ما سمعت حديثاً عن النبي ﷺ إلا وجدت

---

(١) تكلمة من المرجع السابق .

(٢) في (خ) و (الشفا) « يُحترم » بالحاء ، وما أثبتناه أجود للسياق، حيث اختُرِمَ فلانٌ عنَّا : مات وذهب ، واخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم، واخترمهم الدهر وتخرَّمهم أي اقتطعهم واستأصلهم ، ويقال : خرَمَتْهُ الخوارم إذا مات . (لسان العرب) : ١٢ / ١٧٢ مادة خَرَم .

(٣) في (خ) : « الإيمان » ، وما أثبتناه من (الشفا) .

(٤) زيادة للسياق من هامش المرجع السابق .

(٥) في (خ) : « أن » ، ما أثبتناه من (المستدرك) : ٢ / ٣٧٢ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة هود عليه السلام ، حديث رقم (٣٣٠٩ / ٤٤٦) .

تصديقه في كتاب الله تعالى][1] ، حتى وجدت هذه الآية : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾[2] ، قال : الأحزاب الملل كلها ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

* * *

(١) مابين الحاصرتين زيادة من (خ) ، وليست في (المستدرك) .

(٢) هود : ١٧ .

وأما فرض طاعته ، فإذا وجب الإيمان به
وتصديقه بما جاء به وجبت طاعته
لأن ذلك مما أتي به ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** ﴾[2] ، فجمع تعالى بينهما بواو العطف المشتركة ، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه ﷺ ، قال : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم** ﴾[6] الآية ، وقال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** ﴾[7] ، فجعل طاعة رسوله طاعته تعالى ، وقرن طاعته بطاعة رسوله ﷺ ، ووعد على ذلك بجزيل الثواب ، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب ، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه ، فبيّن أنه سبحانه وتعالى فرض على الكافة بأسرها طاعة رسوله ﷺ فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء ، كما فرض تعالى طاعته ولم يقل من طاعتي ، أو من كتابي أو بأمري ، وحين فرض أمره ونهيه ﷺ على الخلق طُراً كفرض من التنزيل ، لا يزاد في ذلك ، ولا يطلب فيه تنبيه ، كما أخبر تعالى عن قوم موسى عليه السلام أنهم قالوا : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** ﴾[8] ، وذلك أن رسول الله ﷺ أولى بأمته وبأموالهم وأنفسهم وأهليهم وذراريهم منهم بأنفسهم ، قال تعالى : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[9] ، وقع ذلك منهم بوفاقهم وكراهيتهم ، فإنه تعالى حكم على من وجد في نفسه شيئاً من

---

(١) النساء : ٥٩ ، وفي (خ) : « ورسوله » .
(٢) آل عمران : ٣٢ . (٣) النور : ٥٤ . (٤) النساء : ٨٠ .
(٥) الحشر : ٧ . (٦) النساء : ٦٩ . (٧) النساء : ٦٤ .
(٨) البقرة : ٥٥ . (٩) الأحزاب : ٦ .

حكمه ﷺ وقضائه بالخروج من الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾[1] ، فأقسم سبحانه وتعالى بأن أحداً لا يؤمن حتى يُحَكِّم رسوله محمداً ﷺ ، ثم مع تحكيمه إياه لا يجد في نفسه كرها لما قضى به عليه مما هو مخالف لهواه ، بل يرضى بما حكم به ، ويسلم لأمره تسليماً لا شائبة فيه من اعتراض ولا تعقيب .

وانظر - أعزك الله وهداك - كيف أقسم تعالى بإضافة الرب إلى كاف الخطاب ، يتبين لك تعظيمه تعالى للرسول ﷺ ، ﴿ **حتى** ﴾ هنا : غاية ، أي ينتفي عنهم الإيمان إلى هذه الغاية ، فإذا وجد ما بعد الغاية كانوا مؤمنين ، و ﴿ **فيما شجر بينهم** ﴾ ، في كل أمر دنيوي وأخروي وقع بينهم فيه تنازع وتجاذب ، ومعنى ﴿ **يحكموك** ﴾ : يجعلوك حكماً ، وفي الكلام حذف تقديره : فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ، أي ضيقاً من حكمك .

وقال مجاهد : شكّاً ، لأن الشاكّ في ضيق من أمره حتى يلوح له الشأن ، وقال الضحاك : إثماً ، أي سبب إثم ، والمعنى : لا يخطر ببالهم ما يأثمون به من عدم الرضى ، وقيل : هماً وحزناً ، ويسلموا : أي ينقادوا ويذعنوا لقضائك لا يعارضون فيه بشيء ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما والجمهور .

وقيل : معناه ويسلموا : أي سارعوا فيه لحكمك ، ذكره الماوردي ، وأكد تعلق الفعل بالمصدر على سبيل صدور التسليم حقيقة .

قال المفسرون والأئمة : طاعة الرسول في التزام محبته والتسليم لما جاء به ، وقالوا : وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه ، وقالوا : من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه .

وسُئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾[2] ، وقال السمرقندي : يقال : أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه ، وقيل : أطيعوا الله فيما حرَّم عليكم والرسول فيما بلغكم ، ويقال : أطيعوا الله

---

(١) النساء : ٦٥ .

(٢) الحشر : ٧ .

بالشهادة له بالربوبية ، والنبي بالشهادة له بالنبوة .

وخرج البخاري في كتاب الأحكام من حديث الزهري : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع [من][1] أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني[2] . وخرجه مسلم[3] مثله

---

(١) زيادة في السياق .

(٢) قوله ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله » ، هذه الجملة منتزعه من قوله تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ ، أي أني لا آمر إلا بما أمر الله به ، فمن فعل ما آمره به فإنما أطاع من أمرني أن آمره ، ويحتمل أن يكون المعنى لأن الله أمر بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي ، وفي المعصية كذلك . والطاعة هي الإتيان بالمأمور به ، والانتهاء عن المنهي عنه ، والعصيان بخلافه .

قوله ﷺ : « ومن أطاع أميري فقد أطاعني » ، في رواية (همام) ، و (الأعرج) وغيرهما عند مسلم : « ومن أطاع الأمير » ، ويمكن رد اللفظين لمعنى واحد ، فإن كل من يأمر بحق وكان عادلاً فهو أمير الشارع ، لأنه تولى بأمره وبشريعته ، ويؤيده توحيد الجواب في الأمرين ، وهو قوله : ﷺ : « فقد أطاعني » ، أي عمل بما شرعته ، وكأن الحكمة في تخصيص أميره بالذكر ، أنه المراد وقت الخطاب ، ولأنه سبب ورود الحديث .

وأما الحكم ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ووقع في رواية همام أيضاً : « ومن يطع الأمير فقد أطاعني » بصيغة المضارعة ، وكذا « ومن يعص الأمير فقد عصاني » وهو أدخل في إرادة تعميم من خوطب ومن جاء بعد ذلك .

قال ابن التين : قيل : كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة ، فكانوا يمتنعون على الأمراء ، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمرهم عليهم ، والانقياد لهم ، إذا بعثهم في السرايا ، وإذا ولاهم البلاد ، فلا يخرجوا عليهم ، لئلا تفترق الكلمة .

قال الحافظ في الفتح : هي عبارة الشافعي في (الأم) ، ذكره في سبب نزولها ، و عجبتُ لبعض شيوخنا الشراح من الشافعية ، فكيف قنع بنسبة هذا الكلام إلى ابن التين ، معبراً عنه بصيغة « قيل » ، وابن التين إنما أخذه من كلام الخطابي ؟

ووقع عند أحمد ، وأبي يعلي ، والطبراني ، من حديث ابن عمر ، قال : « كان رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال : ألستم تعلمون أن من أطاعني فقد أطاع الله ، وأن من طاعة الله طاعتي ؟ قالوا : بلى نشهد ، قال : فإن من طاعتي أن تطيعوا أمراءكم » . وفي لفظ : « أئمتكم » .

وفي الحديث وجوب طاعة ولاه الأمور ، وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية ، والحكمة في الأمر بطاعتهم ، المحافظة على اتفاق الكلمة ، لما في الافتراق من الفساد ، والله أعلم . (فتح الباري) : ١٣ / ١٣٩ - ١٤١ ، كتاب الأحكام ، باب (١) ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ ، حديث رقم (٧١٣٧) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٤٦٤ ، كتاب الإمارة ، باب (٨) وجوب طاعة الأمراء من غير

سواءاً ؛ فطاعة الرسول من طاعة الله ، إذ الله أمر بطاعته ، وطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له .

وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات[1] جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون : ﴿ **ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾[2] فتمنوا طاعته حيث لاينفعهم التمني .

وخرج البخاري ومسلم من حديث ابن شهاب قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب قالا : كان أبو هريرة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم[3] .

وخرجه البخاري من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : دعوني ما تركتكم ، إنما هلك من كان

معصية وتحريمها في المعصية ، حديث رقم (٣٢) ، (٣٣) :

قال الإمام النووي : أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية ، وعلى تحريمها في المعصية ، قال العلماء : المراد بأولي الأمر ، من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء ، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم . وقيل : هم العلماء ، وقيل : هم الأمراء والعلماء ، وأما من قال : الصحابة خاصة فقد أخطأ . (المرجع السابق) .

(١) دركاتُ النار : منازل أهلها ، والنار دركات ، والجنة درجات ، والدَّرَكُ إلى أسفل ، والدَّرَجُ إلى فوق . (لسان العرب) : ١٠ / ٤٢٢ مادة درك .

(٢) الأحزاب : ٦٦ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١١٨ ، كتاب الفضائل ، باب (٣٧) توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف ، وما لا يقع ، ونحو ذلك ، حديث رقم (١٣٠) .

قال الإمام النووي : مقصود أحاديث الباب أنه ﷺ نهاهم عن إكثار السؤال والابتداء بالسؤال عما لا يقع ، ذكره ذلك لمعانٍ :

- منها أنه ربما كان سبباً لتحريم شيء على المسلمين فيلحقهم به المشقة .
- ومنها أنه ربما كان في الجواب ما يكرهه السائل ويسوؤه ، ولهذا أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾
- ومنها أنهم أحفوه ﷺ بالمسألة ، والحفوه المشقة والأذى ، فيكون ذلك سببا لهلاكهم . (المرجع السابق) .

قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم . ذكره في كتاب الاعتصام[1] .

---

(١) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١٢ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٢) ، الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨٨) .

قال الإمام النووي : هذا من جوامع الكلم ، وقواعد الإسلام ، ويدخل فيه كثير من الأحكام ، كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط فيأتي بالمقدور ، وكذا الوضوء ، وستر العورة ، وحفظ بعض الفاتحة ، وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل ، والإمساك في رمضان لمن أفطر بالعذر ثم قدر في أثناء النهار ، إلى غير ذلك من المسائل التي يطول شرحها .

وقال غيره : فيه أن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور ، وعبَّر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط بالمعسور ، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة بالعجز عن غيره ، وتصح توبة الأعمى عن النظر المحرم ، والمجبوب عن الزنا ، لأن الأعمى والمجبوب قادران على الندم فلا يسقط عنهما بعجزهما عن العزم على عدم العود ، إذ لا يتصور منهما العود عادة ، فلا معنى للعزم على عدمه .

* واستدل به على أن من أُمر بشيء فعجز عن بعضه ففعل المقدور أنه يسقط عنه ما عجز عنه ، وبذلك استدل المزني على أن [ما وجب أداؤه لا يجب قضاؤه] ، ومن ثم كان الصحيح أن القضاء بأمر جديد .

واستدل بهذا الحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات ، لأنه أطلق الاجتناب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك ، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة ، وهذا منقول عن الإمام أحمد .

فإن قيل : أن الاستطاعة معتبرة في النهي أيضاً ، إذ ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ ، فجوابه أن الاستطاعة تطلق باعتبارين ، كذا قيل ، والذي يظهر أن التقييد في الأمر بالاستطاعة ، لا يدل على المدعي مع الاعتناء به ، بل هو من جهة الكف ، إذ كل أحد قادر على الكف لولا داعية الشهوة مثلاً ، فلا يتصور عدم الاستطاعة عن الكف ، بل كل مكلف قادر على الترك ، بخلاف الفعل ، فإن العجز عن تعاطيه محسوس ، فمن ثم قيد في الأمر بحسب الاستطاعة دون النهي .

وعبَّر الطوفي في هذا الموضوع بأن ترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه ، أو الاستمرار على عدمه ، وفعل المأمور به عبارة عن إخراجه من العدم إلى الوجود ، وقد نوزع بأن القدرة على استصحاب عدم النهي عنه قد تتخلف ، واستدل له بجواز أكل المضطر الميتة ، وأجيب بأن النهي في هذا عارضه الإذن بالتناول في تلك الحالة .

وقال ابن فرج في (شرح الأربعين) : قوله ﷺ : « فاجتنوه » ، هو على إطلاقه ، حتى يوجد ما يبيحه ، كأكل الميتة عند الضرورة ، وشرب الخمر عند الإكراه ، والأصل في ذلك جواز التلفظ بكلمة الكفر إذا كان القلب مطمئناً بالإيمان ، كما نطق به القرآن .

والتحقيق أن المكلف في ذلك كله ليس منهياً في تلك الحال ، وأجاب الماوردي بأن الكف عن المعاصي ترك وهو سهل ، وعمل الطاعة فعل وهو يشق ، فلذلك لم يبح ارتكاب المعصية ولو مع العذر لأنه ترك ، والترك لايعجز المعذور عنه ، وأباح ترك العمل بالعذر لأن العمل قد يعجز المعذور عنه . =

....

= وادعى بعضهم أن قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ ، يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقد قيد بالاستطاعة واستويا ، فحينئذ يكون الحكمة في تقييد الحديث بالاستطاعة في جانب الأمر دون النهي ، أن العجز يكثر تصوره في الأمر بخلاف النهي ، فإن تصور العجز فيه محصور في الاضطرار .

وزعم بعضهم أن قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ ، نسخ قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله حق تقاته ﴾ . والصحيح أن لا نسخ ، بل المراد بحق تقاته ، امتثال أمره واجتناب نهية مع القدرة لا مع العجز .

واستدل به على أن المكروه يجب اجتنابه لعموم الأمر باجتناب المنهي عنه ، فشمل الواجب والمندوب . وأجيب بأن قوله تعالى : ﴿ فاجتنبوه ﴾ ، يعمل به في الإيجاب والندب بالاعتبارين ، ويجيء مثل هذا السؤال وجوابه في الجانب الآخر وهو الأمر .

وقال الفاكهاني : النهي يكون تارة مع المانع من النقيض وهو المحرم ، وتارة لا معه وهو المكروه ، وظاهر الحديث يتناولهما .

واستدل به على أن المباح ليس مأموراً به ، لأن التأكيد في الفعل إنما يناسب الواجب والمندوب ، وكذا عكسه . وأجيب بأن من قال : المباح مأمور به ، لم يرد الأمر بمعنى الطلب ، وإنما أراد بالمعنى الأعم وهو الإذن .

واستدل به على أن الأمر لا يقتضي التكرار ولا عدمه ، وقيل : يقتضيه ، وقيل : يتوقف فيما زاد على مرة ، وحديث الباب قد يتمسك به لذلك ، لما في سببه أن السائل قال في الحج : أكل عام ؟ فلو كان مطلقه يقتضي التكرار أو عدمه لم يحسن السؤال ولا العناية بالجواب . وقد يقال : إنما سأل استظهاراً أو احتياطاً .

وقال المازري : يحتمل أن يُقال : إن التكرار إنما احتمل من جهة أن الحج في اللغة قصد تكرار ، فاحتمل عند السائل التكرار من جهة اللغة ، لا من صيغة الأمر . وقد تمسك به من قال بإيجاب العمرة ، لأن الأمر بالحج إذا كان معناه تكرار قصد البيت بحكم اللغة والاشتقاق ، وقد ثبت في الإجماع أن الحج لا يجب إلا مرة ، فيكون العود إليه مرة أُخرى دالاً على وجوب العمرة .

* واستدل به على أن النبي ﷺ كان يجتهد في الأحكام لقوله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت » ، وأجاب من منع باحتمال أن يكون أوحى إليه ذلك في الحال .

* واستدل به على أن جميع الأشياء على الإباحة ، حتى يثبت المنع من قبل الشارع .

* واستدل به على النهي عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك .

قال البغوي في (شرح السنة) : المسائل على وجهين :

أحدهما : ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين ، فهو جائز ، بل مأمور به لقوله تعالى : ﴿ فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ، وعلى ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما .

ثانيهما : ما كان على وجه التعنت والتكلف ، وهو المراد في هذا الحديث ، والله تعالى أعلم ، =

وخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أُمامة عن بُريدة عن أبي بريدة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : ياقوم ، إني رأيت الجيش بعينيّ وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء [النجاء][1] ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني [فاتبع][2] ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق . لفظهما فيه متقارب ، ولم يقل فيه مسلم : فنجوا . ذكره البخاري في كتاب الاعتصام[3] ....

ويؤيده ورود الزجر في الحديث عن ذلك وذم السلف ، فعند أحمد من حديث معاوية : « أن النبي ﷺ نهى عن الأُغلوطات » ، قال الأوزاعي : هي شداد المسائل ، وقال الأوزاعي أيضا : « إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً » .

وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : « المراء في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل » ، وقال ابن العربي : « كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم ، فأما بعد فقد أمن ذلك ، لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في المسائل التي لم تقع » ، قال : « وإنه لمكروه إن لم يكن حراماً ، إلا للعلماء ، فإنهم فرعوا ومهدوا ، فنفع الله من بعدهم بذلك ، ولا سيما مع ذهاب العلماء ودروس العلم .

وينبغي أن يكون محل الكراهية للعالم ، إذا شغله ذلك عما هو أعم منه ، وكان ينبغي تلخيص ما يكثر وقوعه مجرداً عما يندر ، ولا سيما في المختصرات ليسهل تناوله ، والله المستعان .

* واستدل به على أن الاشتغال بالأهم المتاح إليه عاجلاً عما لا يحتاج إليه في الحال ، فكأنه قال : عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي ، فاجعلوا اشتغالكم بها عوضاً عن الاشتغال بالسؤال عما لم يقع .

فينبغي للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ، ثم يجتهد في تفهم ذلك ، والوقوف على المراد به ، ثم يتشاغل بالعمل به ، فإن كان من العلميات ، يتشاغل بتصديقه واعتقاد أحقيته ، وإن كان من العمليات ، بذل وسعه في القيام به فعلاً وتركاً ، فإن وجد وقتاً زائداً على ذلك فلا بأس بأن يصرفه في الاشتغال بتعرف حكم ما سيقع على قصد العمل به أن لو وقع ، فأما إن كانت الهمة مصروفة عن سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع ، مع الإعراض عن القيام بمقتضى ما سمع ، فإن هذا مما يدخل في النهي ، فالتفقه في الدين إنما يُحمد إذا كان للعمل ، لا للمراء والجدال . (المرجع السابق) : ٣٢٥ - ٣٢٨ .

(١) في (خ) : « النجاء » مرتين خلافاً لرواية البخاري .

(٢) في (خ) : « واتبع » ، وما أثبتناه من رواية البخاري .

(٣) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨٣) .

وفي كتاب الرقاق[1] .

---

(١) (المرجع السابق) : ١١ / ٣٨٣ ، كتاب الرقاق ، باب (٢٦) الانتهاء عن المعاصي ، حديث رقم (٦٤٨٢) .

قوله ﷺ : « ما بعثني الله » ، العائد محذوف ، والتقدير بعثني الله به إليكم .

قوله ﷺ : « أتى قوماً » التنكير فيه للشيوع .

قوله ﷺ : « بعيني » ، بالإفراد ، وللكشميهني بالتثنية بفتح النون والتشديد ، قيل : ذكر العينين إرشاداً إلى أنه تحقَّق عنده ما أخبر عنه ، تَحَقُّق من رآى شيئاً بعينه ، لا يعتريه وهم ، ولا يخالطه شك .

قوله ﷺ : « وإني أنا النذير العريان » ، قال ابن بطال : النذير العريان ، رجل من خثعم ، حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة ، فقطع يده ويد امرأته ، فانصرف إلى قومه فحذرهم ، فضُرب به المثل في تحقيق الخبر .

قال الحافظ في الفتح : وسبق إلى ذلك يعقوب بن السكيت وغيره ، وسُمِّيَ الذي حمل عليه (عوف ابن عامر اليشكري) ، وأن المرأة كانت من بني كنانة ، وتعقب باستبعاد تنزيل هذه القصة على لفظ الحديث ، لأنه ليس فيها أنه كان عرياناً .

وزعم ابن الكلبي أن النذير العريان امرأة من بني عامر بن كعب ، لما قتل المنذر بن ماء السماء أولاد أبي داود – وكان جار المنذر – خشيت على قومها ، فركبت جملاً ولحقت بهم وقالت : أنا النذير العريان .

ويقال : أول من قاله أبرهة الحبشي لما أصابته الرمية بتهامة وقد سقط لحمه . وذكر أبو بشر الآمدي : أن زَنْبراً – بزاي ونون ساكنة ثم موحدة – ابن عمرو الخثعمي ، كان ناكحاً في آل زبيد ، فأرادوا أن يغزوا قومه ، وخشوا أن ينذر بهم ، فحرسه أربعة ، فصادف منهم غرة ، فقذف ثيابه وعَدا ، وكان من أشدّ الناس عدواً فأنذر قومه .

وقال غيره : الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه ، فانفلت إلى قومه فقال : إني رأيتُ الجيش فسلبوني ، فرأوه عرياناً فتحققوا صدقه ، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة ، ولا جرت عادته بالتعري ، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن ، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك ، لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه ، تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه .

ويؤيد ما أخرجه الرامهرمزي في الأمثال ، وعند أحمد أيضاً بسند جيد ، من حديث عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : « خرج النبي ﷺ ذات يوم فنادى ثلاث مرات : أيها الناس ، مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً أن يأتيهم ، فبعثوا رجلاً يترايا لهم ، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو ، فأقبل لينذر قومه فخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بثوبه أيها الناس أُتيتم ثلاث مرات » . وأحسن ما فُسِّر به الحديث من الحديث .

وأخرجه أبو الشيخ بنحوه في كتاب (الأمثال في الحديث النبوي) ، وقال : رجاله رجال الصحيح . ص ٢٩٧ ، حديث رقم (٢٥٣) .

وهذا كله يدل على أن العريان من التعري ، وهو المعروف في الرواية .

قوله ﷺ : « فالنجاء النجاء » ، بالمد فيهما ، وبمد الأولى وقصر الثانية ، وبالقصر فيهما تخفيفاً ، وهو منصوب على الإغراء ، أي اطلبوا النجاء بأن تسرعوا الهرب ، إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك =

وخرج البخاري من حديث سعيد بن ميناء قال : حدثنا - أو سمعت - جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : [بأن][1] لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلا ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل [من][2] المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل [من][2] المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، [قال][3] بعضهم : إنه نائم وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمد ﷺ[2] ، فمن أطاع محمداً ﷺ[2] فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً ﷺ[2] فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين

= الجيش . قال الطيبي : في كلامه أنواع من التأكيدات :

* **أحدها** : « بعيني » . * **ثانيهما** : « وإني أنا » . * **ثالثها** : « العريان » ، لأنه الغاية في قرب العدو ، ولأنه الذي يختص في إنذاره بالصدق .

قوله : « فأطاعه طائفه » ، كذا فيه بالتذكير ، لأن المراد بعض القوم .

قوله : « فأدلجوا » ، بهمزة قطع ثم سكون ، أي ساروا أول الليل ، أو ساروا الليل كله ، على الاختلاف في مدلول هذه اللفظة .

قوله : « على مهلهم » ، بفتحتين ، والمراد به الهينة والسكون ، وبفتح أوله وسكون ثانيه الإمهال ، وليس مراداً هنا ، وفي رواية مسلم « على مُهْلَتهم » بزيادة تاء تأنيث ، وضبطه النووي بضم الميم وسكون الهاء وفتح اللام .

قوله : « وكذبته طائفة » ، قال الطيبي : عبَّر في الفرقة الأولى بالطاعة ، وفي الثانية بالتكذيب ، ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق ، ويشعر بأن التكذيب مستتبع للعصيان .

قوله : « فصبّحهم الجيش » ، أي أتاهم صباحاً ، هذا أصله ، ثم كثر استعماله ، حتى استُعمل فيمن طرق بغتة في أي وقت كان .

قوله : « فاجتاحهم » ، بجيم ثم حاء مهملة ، أي استأصلهم ، من جحْتُ الشيء أجوحه إذا استأصلته ، والاسم : الجائحة ، وهي الهلاك ، وأُطلقت على الآفة لأنها مهلكة .

قال الطيبي : شبه ﷺ نفسه بالرجل ، وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح ، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه ، بمن كذَّب الرجل في إنذاره ومن صدَّقه .

(١) كذا في (خ) ورواية البخاري : « إن » .

(٢) زيادات من رواية البخاري .

(٣) كذا في (خ) ، ورواية البخاري « فقال » .

الناس[1] . ...

---

(1) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١٠ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨١) .

قوله : « حدثنا أو سمعت » ، القائل ذلك سعيد بن ميناء ، والشّاك هو سليم بن حيان ، شك في أيّ الصيغتين قالها شيخه سعيد .

قوله : « جاءت ملائكة » ، لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم ، ولكن في رواية سعيد بن أبي هلال المعلقة عقب هذا عن الترمذي أن الذي حضر في هذه القصة جبريل وميكائيل ، ولفظة : « خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال : إني رأيتُ في المنام كأن جبريل عند رأسي ، وميكائيل عند رجلي .. » ، فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره . واقتصر في هذه الرواية على من باشر الكلام منهم ابتداءاً وجواباً ، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي ، وحسنه وصححه ابن خزيمة : أن النبي ﷺ توسّد فخذه فرَقَد ، وكان إذا نام نفخ ، قال : فبينا أنا قاعد ، إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم بما بهم من الجمال ، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ ، وطائفة منهم عند رجليه .

قوله : « إن لصاحبكم هذا مثلاً قال: فا ضربوا له مثلاً » ، كذا للأكثر ، وسقط لفظ « قال » من رواية أبي ذر .

قوله : « فقال بعضهم : إنه نائم .... إلى قوله : يقظان » ، قال الرامهرمزي : هذا تمثيل يُراد به حياة القلب وصحة خواطره ، يقال : رجل يقظ ، إذا كان ذكى القلب ، وفي حديث ابن مسعود ، فقالوا بينهم : ما رأينا عبداً قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي ، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان ، اضربوا له مثلا .

وفي رواية سعيد بن أبي هلال : فقال أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً ، فقال : « اسمع سمع أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك » . ونحوه في حديث ربيعة الجرشي ، عند الطبراني ، زاد أحمد في حديث ابن مسعود ، فقالوا : اضربوا له مثلاً ، ونؤول أو نضرب وأولوا ، وفيه : ليعقل قلبك .

قوله : « مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة » ، في حديث ابن مسعود : « مثل سيد بنى قصراً » ، وفي رواية أحمد : « بنياناً حصيناً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ، فمن أجاب أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه – أو قال – عذبه » . وفي رواية أحمد « عذب عذاباً شديداً » .

والمأدُبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة ، وحكى بالفتح ، وقال ابن التين : عن أبي عبد الملك الضم والفتح لغتان فصيحتان ، وقال الرامهرمزي نحوه في حديث « القرآن مأدبة الله » قال : وقال لي أبو موسى الحامض : من قاله بالضم أراد الوليمة ، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده . قال الحافظ ابن خجر : فعلى هذا يتعين الضم .

قوله : « فبعث داعياً » ، في رواية سعيد : « ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه » .

قوله : « فقال بعضهم : أوّلوها بفقهها » ، قيل : يؤخذ منه حجة لأهل التعبير ، أن التعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه . قال ابن بطال : قوله : « أولوها له » يدل على أن الرؤيا ما عبرت في النوم ، أ . هـ . وفيه نظر لاحتمال الاختصاص بهذه القصة ، لكون الرائي النبي ﷺ ، والمرئي الملائكة ، فلا يطرد ذلك في =

حق غيرهم .

قوله : « فقالوا : الدار الجنة » ، أي الممثل بها ، زاد في رواية سعيد بن أبي هلال : « فالله هو الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد رسول الله » . وفي حديث ابن مسعود عند أحمد : « أما السيد فهو الله رب العالمين ، وأما البنيان فهو الإسلام ، والطعام الجنة ، ومحمد الداعي » ، فمن اتبعه كان في الجنة .

قوله : « فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله » ، أي لأنه رسول صاحب المأدبة ، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة ، وهو كناية عن دخول الجنة ، ووقع بيان ذلك في رواية سعيد ، ولفظه : « وأنت يا محمد رسول الله ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها » .

قوله : « ومحمد فرق بين الناس » ، كذا لأبي ذر بتشديد الراء فعلاً ماضياً ، ولغيره بسكون الراء والتنوين ، وكلاهما متجه . قال الكرماني : ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد ، بل تشبيه المركّب بالمركّب ، مع قطع النظر عن مطابقة المفردات من الطرفين . ا . هـ .

وقد وقع في غير هذه الطريق ما يدل على المطابقة المذكورة ، زاد في حديث ابن مسعود : « فلما استيقظ قال : سمعت ما قال هؤلاء ، هل تدري من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : هم الملائكة ، والمثل الذي ضربوا : الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده » الحديث .

تنبيه : قال الحافظ في الفتح : تقدم في كتاب المناقب من وجه آخر عن سليم بن حيان بهذا الإسناد ، « قال النبي ﷺ مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة » الحديث . وهو حديث آخر ، وتمثيل آخر ، فالحديث الذي في المناقب – وهو الحديث رقم (٣٥٣٤) – يتعلق بالنبوة وكونه ﷺ خاتم النبيين . وهذا يتعلق بالدعاء إلى الإسلام ، وبأحوال من أجاب أو امتنع ، وقد وهم من خلطهما كأبي نعيم في (المستخرج) ، فإنه لما ضاق عليه مخرج حديث الباب ، ولم يجده مروياً عنده ، أورد حديث اللبنة ، ظناً منه أنهما حديث واحد ، وليس كذلك لما بينتهُ .

وسلم الإسماعيلي من ذلك ، فإنه لما لم يجده في مروياته ، أورده من روايته عن الفربري ، بالإجازة عن البخاري بسنده ، وقد روى يزيد بن هارون بهذا السند حديث اللبنة ، أخرجه أبو الشيخ في (كتاب الأمثال) ، من طريق أحمد بن سنان الواسطي عنه ، وساق بهذا السند حديث « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً » الحديث ، لكنه عن أبي هريرة لا عن جابر ، وقد ذكر الرامهرمزي حديث الباب في (كتاب الأمثال) معلقاً فقال : وروى يزيد بن هارون ، فساق السند ولم يوصل سنده بيزيد ، وأورد معناه من مرسل الضحاك بن مزاحم .

(١) زاد في رواية البخاري بعد قوله : « ومحمد فرّق بين الناس » ، تابعه قتيبة عن ليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال « عن جابر ، خرج علينا النبي ﷺ ... » .

قوله : « تابعهُ قتيبة عن ليث » ، يعني ابن سعد ، « عن خالد » ، يعني ابن يزيد ، وهو أبو عبد الرحيم المصري أحد الثقات .

قوله : « عن سعيد بن أبي هلال عن جابر قال : خرج علينا النبي ﷺ ، هكذا اقتصر على هذا القدر من الحديث ، وظاهر أن بقية الحديث مثله ، وقد بينت ما بينهما من الاختلاف ، وقد وصله الترمذي عن قتيبة بهذا السند ، ووصله أيضاً الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان ، وأبو نعيم من طريق أبي العباس =

السراج ، كلاهما عن قتيبة ، ونسب السراج في روايته الليث وشيخه كما ذكرته . قال الترمذي بعد تخريجه : هذا حديث مرسل ، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله .

قال الحافظ ابن حجر : وفائدة إيراد البخاري له ، رفع التوهم عمن يظن أن طريق سعيد بن ميناء موقوفة ، لأنه لم يصرح برفع ذلك إلى النبي ﷺ ، فأتى بهذه الطريق لتصريحها ؛ ثم قال الترمذي : وجاء من غير وجه عن النبي بإسناد أصحّ من هذا . قال : وفي الباب عن ابن مسعود ، ثم ساقه بسنده وصححه ، وقد بينت ما فيه أيضاً بحمد الله تعالى . ووصف الترمذي له بأنه مرسل ، يريد أنه منقطع بين سعيد وجابر ، وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشي عند الطبراني ، فإنه بنحو سياقه وسنده جيد ، وسعيد بن أبي هلال غير سعيد بن ميناء الذي في السند الأول ، وكل منهما مدني ، لكن ابن ميناء تابعي ، بخلاف ابن أبي هلال .

والجمع بينهما إما بتعدد المرئي ، وهو واضح ، أو بأنه منام واحد ، حفظ فيه بعض الرواه مالم يحفظ غيره ، وتقدم طريق الجمع بين اقتصاره على جبريل وميكائيل في حديث ، وذكره الملائكة بصيغة الجمع في الجانبين الدال على الكثرة في آخر ، وظاهر رواية سعيد بن أبي هلال أن الرؤيا كانت في بيت النبي ﷺ لقوله : « خرج علينا فقال : إني رأيت في المنام » .

وفي حديث ابن مسعود أن ذلك كان بعد أن خرج إلى الجن فقرأ عليهم ، ثم أغفى عند الصبح فجاءوا إليه حينئذ . ويجمع بأن الرؤيا كانت على ما وصف ابن مسعود ، فلما رجع إلى منزله خرج على أصحابه فقصها ، وما عدا ذلك فليس بينهما منافاة ، إذ وصف الملائكة برجال حسان ، يشير إلى أنهم تشكلوا بصورة الرجال .

وقد أخرج أحمد والبزار والطبراني ، من طريق علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، نحو أول حديث سعيد بن أبي هلال ، لكن لم يسمّ الملكين ، وساق المثل على غير سياق من تقدم ، قال : « إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر ، انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ، ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك ، إذ أتاهم رجل فقال : أرأيتم إن وردتُ بكم رياضاً معشبة ، وحياضاً رواءاً ، أتتبعوني ؟ قالوا : نعم ، فا نطلق بهم فأوردهم ، فأكلوا ، وشربوا ، وسمنوا ، فقال لهم : إن بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه ، وحياضاً أروى من هذه فاتبعوني ، فقالت طائفة : صدق ، والله لنتبعه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه » .

وهذا إن كان محفوظاً قوى الحمل على التعدد ، إما للمنام وإما لضرب المثل ، ولكن عليّ بن زيد ضعيف من قبل حفظه . قال ابن العربي في حديث ابن مسعود : إن المقصود « المأدبة » ، وهو ما يؤكل ويشرب ، ففيه رد على الصوفية الذين يقولون : لا مطلوب في الجنة إلا الوصال ، والحق أن لا وصال لنا إلا بانقضاء الشهوات الجسمانية والنفسانية والمحسوسة والمعقولة ، وجماع ذلك كله في الجنة . (ا . هـ) .

وليس ما ادَّعاه من المرد بواضح ، قال : وفيه أن من أجاب الدعوة أُكرم ، ومن لم يُجبها أهين ، وهو بخلاف قولهم : من دعوناه فلم يجبنا فله الفضل علينا ، فإن أجابنا فلنا الفضل عليه ، فإنه مقبول في النظر ، وأما حكم العبد مع المولى ، فهو كما تضمنه هذا الحديث . (المرجع السابق) : ٣١٧ - ٣٢٠ .

وله من حديث فليح : حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : [يارسول الله][1] ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى[2] » . ذكره والذي قبله في كتاب ا لاعتصام .

* * *

(١) مابين الحاصرتين تكملة من رواية البخاري .

(٢) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١٠ ، كتاب الاعتصام بالسنة ، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨٠) .

قوله : « فليح » ، بالفاء والمهملة ، مصغر ، هو ابن سليمان المدني ، وشيخه هلال بن علي ، هو الذي يقال له ابن ميمونة .

قوله ﷺ : « كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى » ، بفتح الموحَّدَة ، أي امتنع ، وظاهره أن العموم مستمر ، لأن كلاً منهم لا يمتنع من دخول الجنة ، ولذلك قالوا : « ومن يأبى » فبين لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول ، مجاز عن الامتناع عن سننه ، وهو عصيان الرسول ﷺ .

وأخرج أحمد والحاكم من طريق صالح بن كيسان عن الأعرج ، عن أبي هريرة رفعه « لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله شراد البعير » ، وسنده على شرط الشيخين ، وله شاهد عن أبي أمامة عن الطبراني ، وسنده جيد ، والموصوف بالإباء وهو الامتناع ، إن كان كافراً فهو لا يدخل الجنة أصلاً ، وإن كان مؤمنا ، فالمراد منعه من دخولها مع أول داخل ، إلا من شاء الله تعالى .

وأمـا وجـوب اتبـاعه
وامتثـال سنته والاقتداء بهديه ﷺ

فقد قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾[1] فوعد تعالى محبته ومغفرته [للذين][2] اتبعوا الرسول ﷺ وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم ، قال الحسن : إن أقواماً قالوا : يارسول الله ، إنا نحب الله ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله** ﴾ الآية ، وقيل إن كعب بن الأشرف وغيره قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ونحن أشد حباً لله ، فأنزل الله : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله** ﴾ الآية ، وقال الزجاج : معناه إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم ، إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمر ، ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ، وقال تعالى : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[3] ، فأمر تعالى الكافة بمتابعته ﷺ ، ووعدهم الاهتداء باتباعه لأنه الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ الآية ، أي ينقادون لحكمك ، يقال : سلم واستسلم وامتثل إذا انقاد ، فجعل تعالى صحة إيمان خليقته بانقيادهم له ﷺ ورضائهم بحكمه وترك الاعتراض عليه . وقال سهل في قوله : ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾[4] قال : بمتابعة السنة .

وخرج أبو داود من حديث ثور بن يزيد قال : حدثني خالد بن معدان قال : حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا : أتينا العرباض بن

---

(١) آل عمران : ٣١ .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) الأعراف : ١٥٨ .
(٤) الفاتحة : ٧ .

سارية[1] وهو ممن نزل فيه : ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه** ﴾[2] ، فتكلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة تامة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يارسول الله [كأن][3] هذه موعظة مُودِّع فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ....

---

(١) هو العرباض بن سارية السُّلَميّ ، من أعيان أهل الصُّفَّة ، سكن حمص ، وروى أحاديث ، روى عنه جُبير بن نُفير ، وأبو رهم السَّمَعي ، وعبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي ، وحبيب بن عُبيد ، وحُجْر بن حُجر ، ويحى بن أبي المطاع ، وعمر بن الأسود وعدَّة . ابن وهب : حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عروة بن رويم ، عن العرباض بن سارية – وكان يحب أن يُقبض – فكان يدعو : اللهم كَبِرتْ سني ، ووهن عظمي ، فاقبضني إليك . قال : فبينا أنا يوماً في مسجد دمشق أصلي ، وأدعو أن أُقبض ، إذا أنا بفتىً من أجمل الرجال ، وعليه دُوَّاج [ثوب] أخضر ، فقال : ما هذا الذي تدعو به ؟ قلت : كيف أدعو يا ابن أخي ؟ قال : قل اللهم حسِّن العمل وبلِّغ الأجل . فقلت : ومن أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا « رتبابيل » الذي يسُلّ الحزن من صدور المؤمنين ، ثم التفت فلم أَرَ شيئاً . قال أحمد بن حنبل : كنية العرباض ، أبو نَجيح .

روى إسماعيل بن عيَّاش ، عن ضَمْضَم بن زُرعة ، عن شُريح بن عبيد ، قال : قال عُتبة بنُ عبد : أتينا النبي ﷺ سبعة من بني سُلَيم ، أكبرنا العرباض بن سارية فبايعناه . [رجاله ثقات] .

إسماعيل بن عيَّاش : حدثنا أبو بكر بن عبد الله ، عن حبيب بن عُبيد ، عن العرباض : قال : لولا أن يُقال : فعل أبو نجيح ؛ لألحقتُ مالي سُبلة ، ثم لحقتُ وادياً من أودية لبنان عبدتُ الله حتى أموت .

شعبة : عن أبي الفيض ؟ سمع أبا حفص الحمّصي يقول : أعطى معاويةُ المقداد حماراً من المغنم ، فقال له العرباضُ بنُ سارية : ما كان لك أن تأخذه ، ولا له أن يُعطيك ، كأني بك في النار تحمله ؛ فردّه .

قال أبو مُسهر وغيره : تُوفي العرباض سنة خمس وسبعين .

* (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٧٦ ، ٧ / ٤١٢ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ٨٥ ، (الجرح والتعديل) : ٧ / ٣٩ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٣٣٠ ، (مرآة الجنان) : ١ / ١٥٦ ، (الإصابة) : ٤ / ٤٨٢ ، ترجمة رقم (٥٥٠٥) ، (تهذيب التهذيب) : ٧ / ١٤٧ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٤٣٦ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٨٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ٤١٩ – ٤٢٢ ، ترجمة رقم (٧١) .

(٢) التوبة : ٩٢ ، وتمامها : ﴿ **تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألّا يجدوا ما ينفقون**) .

(٣) تكلمة من (صحيح سنن أبي داود) : ٣ / ٨٧١ ، حديث رقم (٣٨٥١ – ٤٦٠٧) ، قال الألباني : صحيح .

ضلالة[1] . وأخرجه الترمذي[2] وقال : حديث حسن صحيح .

وخرج بقي بن مخلد من حديث زيد بن الجناب عن معاوية بن صالح قال : حدثني الحسن بن جابر أنه سمع المقدام بن معديكرب يقول : قال رسول الله ﷺ : يوشك برجل متكيء على أريكته يحدث بحديثي يقول : بيننا وبينكم كتاب الله ،

---

(١) قوله : « فسلمنا » ، أي على العرباض ، « زائرين » من الزيارة ، « وعائدين » من العيادة ، « ومقتبسين » ، أي محصلين منك العلم ، « ذرفت » ، أي دمعت ، « ووجلت » ، أي خافت ، « كأن هذه موعظة مودع » ، فإن المودِّع – بكسر الدال – عند الوداع ، لايترك شيئاً مما يهم المودَّع – بفتح الدال – أي كأنك تودعنا بها ، لما رأى من مبالغته ﷺ في الموعظة ، « فماذا تعهد » ، أي توصي ، « وإن عبداً حبشياً » أي وإن كان المطاع عبداً حبشياً .

قال الخطابيّ : يريد به طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبداً حبشياً ، ولم يرد بذلك أن يكون الإمام عبداً حبشياً . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « الأئمة من قريش » ، وقد يُضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يصح في الوجود ، كقوله ﷺ : « من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً في الجنة » ، وقدر مفحص القطاة لا يكون مسجداً لشخص آدمي ، ونظائر هذا الكلام كثير .

قوله ﷺ : « وعضوا عليها بالنواجذ » ، جمع ناجذة بالذال المعجمة ، قيل : هو الضرس الأخير ، وقيل : هو مرادف السن ، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها . وقال الخطابي : وقد يكون معناه أيضاً الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله ، كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه .

قوله ﷺ : « وإياكم ومحدثات الأمور » ، قال الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) : فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة ، وأكد ذلك بقوله : « وكل بدعة ضلالة » . والمراد بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً ، وإن كان بدعة لغة .

فقوله ﷺ : « وكل بدعة ضلالة » ، من جوامع الكلم ، لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين . وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع ، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية ، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه في التراويح : « نعمت البدعة هذه » ، وروى عنه أنه قال : « إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة » ، ومن ذلك أذان الجمعة الأول ، زاده عثمان لحاجة الناس إليه ، وأقرّه عليّ ، واستمر عمل المسلمين عليه . وروى عن ابن عمر أنه قال : هو بدعة ، ولعله أراد ما أراد أبوه في التراويح . (عون المعبود) : ١٢ / ٢٣٤ ، كتاب السنه ، باب التمسك بالسنه ، حديث رقم (٤٥٩٤) .

(٢) قال المنذري : وأخرجه الترمذي وابن ماجه ، وليس في حديثهما ذكر حُجْر بن حُجْر ، غير أن الترمذي أشار إليه تعليقاً ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

والخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي : والمحْدَث على قسمين : محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بالإرادة فهذا باطل ، وما كان على قواعد الأصول أو مردود إليها فليس ببدعة ولا ضلالة . (المرجع السابق) : ٢٣٥ .

وما وجدنا فيه من حلال أحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله[1] .

وخرج البخاري في كتاب الأدب[2] وفي كتاب الاعتصام[3] من حديث الأعمشي ، حدثنا مسلم عن مسروق [قال][4] : قالت عائشة رضي الله عنها : صنع النبي ﷺ شيئاً [فرخص][5] فيه فتنزه عنه قوم ، فبلغ النبي ﷺ ، فخطب فحمد

---

(١) أخرج أبو داود نحوه في كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، حديث رقم (٣٨٤٨ - ٤٦٠٤) : عن المقدام بن معديكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السَّبُع ، ولا لُقَطَةُ مُعاهد ، إلا أن يستغنَى عنها صاحبُها . ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه » .

وحديث رقم (٣٨٤٩ - ٤٦٠٥) : ، عن أبي رافع عن النبي ﷺ قال : « لا ألفيَنَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه . (صحيح سنن أبي داود للألباني) : ٣ / ٨٧٠ - ٨٧١ .

قوله ﷺ : « على أريكته » أي على سريره المزين بالحلل والأثواب ، وأراد بهذه الصفة أصحاب الترفة والدعة ، الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم من مظانه . قال الخطابي : في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ شيء كان حجة بنفسه ، فأما ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على الكتاب فإن وافقه فخذوه ، فإنه حديث باطل لا أصل له . وقد حكى زكريا الساجي عن يحى بن معين أنه قال : هذا حديث وضعته الزنادقة .

قال المنذري : وأخرجه الترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه ، وحديث أبي داود أتم من حديثهما . (عون المعبود) ١٢ / ٢٣١ ، حديث رقم (٤٥٩١) .

(٢) (فتح الباري) : ١٠ / ٦٢٨ ، باب (٧٢) من لم يواجه الناس بالعتاب ، حديث رقم (٦١٠١) . [أي حياءً منهم] .

(٣) (المرجع السابق) : ١٣ / ٣٤٢ ، باب (٥) ما يكره من التعمق والتنازع والغلوّ في الدين والبدع ، لقوله تعالى : ﴿ **يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ ، حديث رقم (٧٣٠١) .

قوله : « صنع النبي ﷺ شيئاً فترخص فيه » ، في رواية مسلم من طريق أبي معاوية عن الأعمش : « رخَّص النبي في أمر » .

قوله : « فتنزه عنه قوم » ، في رواية مسلم من طريق جرير عن الأعمش « فبلغ ذلك ناساً من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا » .

قوله : « فخطب » ، في رواية أبي معاوية « فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب حتى بان الغضب في وجهه .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) في (خ) : « ترخص فيه » .

الله ثم قال : [ما بال][1] أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم [له][1] خشية . وخرجه مسلم بنحوه أو قريب منه[2] .

وخرج الترمذي من حديث سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي عن

---

(١) تكملة من البخاري .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١١٥ ، كتاب الفضائل ، باب (٣٥) علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ، حديث رقم (١٢٧) ، (١٢٨) .

قوله : « ما بال أقوام » ، في رواية جرير « ما بال رجال » قال ابن بطال : هذا لا ينافي الترجمة ، لأن المراد بها المواجهة مع التعيين ، كأن يقول : ما بالك يافلان تفعل كذا ، وما بال فلان يفعل كذا ، فأما مع الإبهام فلم تحصل المواجهة وإن كانت صورتها موجودة ، وهي مخاطبة من فعل ذلك ، لكنه لما كان من جملة المخاطبين ولم يميز عنهم ، صار كأنه لم يخاطب .

قوله : « يتنزهون عن الشيء أصنعه » ، في رواية جرير « بلغهم عني أمر ترخّصْتُ فيه فكرهوه وتنزهوا عنه » ، وفي رواية أبي معاوية : « يرغبون عما رخص لي فيه » .

قوله : « فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » ، جمع بين القوة العملية ، والقوة العلمية ، أي أنهم توهموا أن رغبتهم عما أفعل أقرب لهم عند الله ، وليس كذلك ، إذ هو أعلمهم بالقربة ، وأولاهم بالعمل بها .

قال ابن بطال : كان النبي ﷺ رفيقاً بأمته ، فلذلك خفف عنهم العتاب ، لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة ، ولو كان ذلك حراماً لأمرهم بالرجوع إلى فعله .

قال الحافظ ابن حجر : أما المعاتبة فقد حصلت منه لهم بلا ريب ، وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك ستراً عليه ، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية ، لا بترك العتاب أصلاً ، وأما استدلاله بكون ما فعلوه غير حرام ، فواضح من جهة أنه لم يلزمهم بفعل ما فعله هو .

وفي الحديث الحث على الاقتداء بالنبي ﷺ ، وذم التعمق والتنزه عن المباح ، وحسن العشرة عند الموعظة ، والإنكار والتلطف في ذلك .

قال الإمام النووي في شرح مسلم : فيه الحث على الاقتداء به ﷺ ، والنهي عن التعمق في العبادة ، وذم التنزه عن المباح شكّا في إباحته .

* وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع . وإن كان المنتهك متأولاً تأويلاً باطلاً .

* وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والإنكار في الجمع ، ولا يعين فاعله ، فيقال : ما بال أقوام ونحوه .

* وفيه أن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته .

وأما قوله ﷺ : « فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » ، فمعناه أنهم يتوهمون أن سننهم عما فعلت أقرب لهم عند الله ، وإن فعل خلاف ذلك ، وليس كما توهموا ، بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية ، وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى ، والخشية له على حسب ما أمر ، لا بمخيلات النفوس ، وتكلف أعمال لم يأمر بها . والله أعلم .

عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو [بن العاص][1] رضي الله [عنهما][2] قال : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية [ليكونَنَّ][3] في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، [وستفترق][4] أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يارسول الله ؟ قال : [من كان على][5] ما أنا عليه وأصحابي . قال أبو عيسى : هذا حديث مفسّر غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[6] . قال الترمذي : الإفريقي ضعيف عند أهل الحديث ،

---

(١) تكملة من (جامع الأصول) : ١٠ / ٣٣ . (٢) في (خ) : « عنه » . (٣) في (خ) : « لكان » .

(٤) في (خ) : « وتفترق » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٥) تكملة من المرجع السابق ، حديث رقم ٧٤٩١ .

(٦) قوله ﷺ : « ليأتينَّ على أمتي » ، من الإتيان وهي المجيء بسهولة ، وعُدِّي بعلى لمعنى الغلبة المؤدية إلى الهلاك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾ [الذاريات : ٤٢].

قوله ﷺ : « حذو النعل بالنعل » استعارة في التساوي ، وقيل : الحذو القطع والتقدير أيضاً ، يقال : حذوتُ النعل بالنعل إذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبتها لتكونا على السواء ، ونصبه على المصدر ، أي يحذونهم حذواً مثل حذو النعل بالنعل ، أي تلك المماثلة المذكورة في غاية المطابقة والموافقة ، كمطابقة النعل بالنعل .

قوله ﷺ : « حتى إذا كان منهم من أتى أمه » ، حتى : ابتدائية ، والواقع بعدهُ جملة شرطية ، وإتيان الأم كناية عن الزنا .

قوله ﷺ : « وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين مله » ، سمى ﷺ طريقة كل واحد منهم « ملة » اتساعاً ، وهي في الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنة أنبيائه ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى ، ويستعمل في جملة الشرائع دون آحادها ، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ، ولا إلى آحاد أمة النبي ، بل يقال : ملة محمد ﷺ أو ملتهم كذا ، ثم إنها اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة ، لأنهم لما عظم تفرقهم ، وتَدَيَّنتْ كل فرقة منهم بخلاف ما تَدَيَّن به غيرها ، كانت طريقة كل منهم كالملة الحقيقية في التدين ، فسميت باسمها مجازاً .

وقيل : الملة كل فعل وقول اجتمع عليه جماعة ، وهو قد يكون حقاً ، وقد يكون باطلاً ، والمعنى أنهم يفترقون فرقاً ، تتديّن كل واحدة منها بخلاف ما تتديَّن به الأخرى .

قوله ﷺ : « وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة » ، قيل : فيه إشارة لتلك المطابقة ، مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة . وقوله ﷺ : « إلا ملة » ، بالنصب ، أي إلا أهل ملة ، « قالوا : من هي » ؟ أي تلك الملة أي أهلها الناجية .

قوله : « هذا حديث حسن غريب » ، في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي ، وهو ضعيف ، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب ، وحديث عبد الله بن عمرو هذا أخرجه أيضاً الحاكم

ضعفه يحى بن سعيد القطان وغيره ، وقال أحمد : لا أكتب حديث الإفريقي .

وخرج الترمذي من حديث محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن [المسيب][1] قال : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال [لي][2] رسول الله ﷺ : يابني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ، ثم قال لي : يابني ، وذلك من سنتي ومن [أحيا][3] سنتي فقد [أحياني][4] ومن [أحياني][5] كان معي في الجنة - وفي الحديث قصة طويلة - قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ثقة ، وأبوه ثقة ، وعلي بن زيد صدوق إلا أنه [ربما][6] يرفع الشيء الذي يوقفه

= وفيه : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

واعلم أن أصول البدع كما نقل في (المواقف) ثمانية :

[١] **المعتزلة** القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم ، وبنفي الرؤية ، وبوجوب الثواب والعقاب ، وهم **عشرون فرقة** .

[٢] **الشيعة** المفرطون في محبة علي كرم الله وجهه وهم **اثنان وعشرون** فرقة .

[٣] **الخوارج** المفرطة المكفّرة له رضي الله عنه ، ومن أذنب كبيرة وهم **عشرون** فرقة .

[٤] **المرجئة** القائلة بأن لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهي **خمس** فرق .

[٥] **والنجّارية** الموافقة لأهل السنة في خلق الأفعال ، **فرقة** أيضاً .

[٦] **المعتزلة** في نفي الصفات وحدوث الكلام ، وهم **ثلاث** فرق .

[٧] **والجبرية** القائلة بسلب الاختيار عن العباد **فرقة** واحدة .

[٨] **والمشبهه** الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول . **فرقة** أيضاً ، فتلك ثلاث وسبعون فرقه ، والفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية ، والطريقة النقية الأحمدية . (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) : ٧ / ٣٣٣ - ٣٣٤ ، أبواب الإيمان باب (١٨) افتراق هذه الأمة ، حديث رقم (٢٧٧٧٩) .

وأخرجه أيضا الحاكم في (المستدرك) : ١ / ١٢٩ ، حديث رقم (٤٤٤ / ١٥٥) ذكره في كتاب العلم . قال في التخليص : رواه ثابت بن محمد العابد ، عن الثوري ، عن ابن أنعم الإفريقي ، عن عبد الله بن يزيد عنه . وقال إسماعيل بن أبي أويس : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن يزيد ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً : « لتسلكن سنن من قبلكم ، إن بني إسرائيل افترقت .... » الحديث .

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (خ) ، وما أثبتناه من صحيح الترمذي .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من (خ) ، وما أثبتناه من صحيح الترمذي .

(٣) في (خ) : « أحب » . (٤) في (خ) : « أحبني » .

(٥) في (خ) : « أحبني » وما أثبتناه من صحيح الترمذي . (٦) زيادة من صحيح الترمذي .

غيره . [قال][1] : وسمعت محمد بن بشار يقول : قال أبو الوليد : قال شعبة : [أخبرنا][1] علي بن زيد وكان رفاعاً ، ولا يعرف لسعيد بن المسيب [عن أنس][2] رواية إلا في هذا الحديث بطوله . وقد روى عباد [بن ميسرة][3] المقبري هذا الحديث عن علي بن زيد عن أنس ولم يذكر فيه عن سعيد بن المسيب ، قال أبو عيسى : وذاكرت محمد بن إسماعيل [ولم][4] يعرفه ، ولم يعرف لسعيد بن المسيب ، عن أنس هذا الحديث ولا غيره ، ومات أنس [بن مالك][5] سنة ثلاث وتسعين ، ومات سعيد بن المسيب بعده بسنتين ، مات سنة خمس وتسعين والله أعلم[6] .

---

(١) زيادة من (خ) ، وفي (خ) : « حدثنا » وما أثبتناه من صحيح الترمذي .

(٢) زيادة من صحيح الترمذي . (٣) في (خ) : « عباد بن ميسرة المقبري » .

(٤) في (خ) : « فلم » . (٥) تكملة من صحيح الترمذي .

(٦) والحديث أخرجه الترمذي في (الجامع الصحيح) في أبواب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة .

قوله : « قال لي » ، أي وحدي أو مخاطباً لي من بين أصحابي ، « يابني » بضم التاء تصغير ابن ، وهو تصغير لطف ومرحمة ، ويدل على جواز هذا لمن ليس ابنه ، ومعناه اللطف ، وأنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة .

قوله : « إن قدرت » ، أي استطعت ، والمراد : اجتهد قد ما تقدر « أن تصبح وتمسي » ، أي تدخل في وقت الصباح والمساء ، والمراد جميع الليل والنهار « ليس في قلبك » الجملة حال من الفاعل ، تنازع فيه الفعلان ، أي وليس كائناً في قلبك « غش » بالكسر ضد النصح ، الذي هو إرادة الخير للمنصوح له .

قوله : « لأحد » وهو عام للمؤمن والكافر ، فإن نصيحة الكافر أن يجتهد في إيمانه ، ويسعى في خلاصه من ورطة الهلاك باليد واللسان ، وللتألف بما يقدر عليه من المال . كذا ذكره الطيبي .

قوله : « فافعل » ، جزاء كناية عما سبق في الشرط ، أي افعل نصيحتك « وذلك » ، أي خلو القلب من الغش ، قال الطيبي : وذلك إشارة إلى أنه رفيع المرتبة أي بعيد التناول « من سنتي » أي طريقتي ، « ومن أحيا سنتي » أي أظهرها وأشاعها بالقول أو العمل ، « فقد أحياني ومن أحياني » كذا في النسخ الحاضرة من الإحياء في المواضع الثلاثة .

وأورد صاحب المشكاة هذا الحديث نقلاً عن الترمذي بلفظ « من أحب سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » ، ومن الإحباب في المواضع الثلاثة ، فالظاهر أنه قد وقع في بعض نسخ الترمذي هكذا ، والله تعالى أعلم .

قال محققه : ولعل المقريزي – رحمه الله – قد نقل من إحدى هذه النسخ ذلك اللفظ الذي حققناه وصوبناه من الرواية الأخرى حسب الهوامش السابقة على متن هذا الحديث .

قوله : « كان معي في الجنة » ، أي معية مقاربة لا معية متحدة في الدرجة ، قال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن** =

ومخالفة أمر رسول الله ﷺ وتبديل سنته ضلال وبدعة ، يوعد الله تعالى على ذلك بالخذلان والعذاب ، قال تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾[2] .

والآثار المسندة والموقوفة أيضاً كثيرة جداً وفي استيعابها خروج عما نحن بصدده ، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه .

* * *

= **أولئك رفيقا** ﴾ [النساء : ١٦٩] .

قوله : « وعلي بن زيد صدوق » ، وضعّفه غير واحد من أئمة الحديث ، « وكان رفَّاعاً » بفتح الراء وتشديد الفاء ، أي كان يرفع الأحاديث الموقوفة كثيراً « وقد روى عباد » بن ميسرة « المنقري » بكسر الميم وسكون النون ، البصري المعلم ، لين الحديث ، عابد من السابعة « ولا غيره » بالنصب عطف على هذا الحديث .

قوله : « ومات أنس بن مالك سنة ثلاث وتسعين ومات سعيد بن المسيب بعده بسنتين » مقصود الترمذي بهذا أن المعاصرة بين أنس وبين سعيد بن المسيب ثابتة ، فيمكن سماعة منه . (تحفة الأحوذي) : ٧ / ٣٧٠ - ٣٧١ ، أبواب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، حديث رقم (٢٨١٨) .

(١) النور : ٦٣ .
(٢) النساء : ١١٥ .

وأمـا أمـر الـكـافّـة بالتّأسـي به قولا وفعلاً

فقال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر** ﴾[1] ، فأمر تعالى بالتأسي به ﷺ أمراً مطلقاً ، لم يستثن من التأسي به شيئاً بخلاف أمره تعالى بالتأسي بإبراهيم عليه [السلام][2] ، فإنه استثنى بالتأسي به ، قال تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومه إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك** ﴾[3] ، فحثّ تعالى المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم عليه السلام والذين معه من أنبياء الله فيما ذكر تعالى ، ثم استثنى من التأسي به استغفاره عليه السلام لأبيه ، فنهى المؤمنين عن التأسي به في ذلك . قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **إلا قول إبراهيم لأبيه** ﴾ ، قال : نهوا أن يتأسوا به في استغفاره لأبيه ، فيستغفروا للمشركين . وقال مطرف عن مجاهد : ﴿ **أسوة حسنة في إبراهيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لأ ستغفرن لك** ﴾ يقول تعالى : ائتسوا به في كل شيء ماخلا قوله لأبيه : ﴿ **لأستغفرن لك** ﴾ فلا تأتسوا بذلك منه ، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه .

وقال معمر عن قتادة : يقول : لا تأتسوا بذلك منه فإنه كان عليه موعداً ، وتأسوا بأمره كله . وقال ابن وهب : قال ابن زيد : قول الله تعالى : ﴿ **قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك** ﴾ قال : يقول : ليس لكم في هذه أسوة . وقال محمد بن علي الترمذي : الأسوة في الرسول ﷺ الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل .

وقال الإمام محمد بن عمر الرازي : اختلفوا في أن فعل الرسول ﷺ بمفرده ،

---

(١) الأحزاب : ٢١ . (٢) زيادة للسياق . (٣) الممتحنة : ٤ .

هل يدل على حكم في حقنا أم لا ؟ على أربعة أقوال :

أحدها : أنه للوجوب وهو قول ابن شريج وأبي سعيد الاصطخري ، وأبي على ابن خيران .

وثانيها : أنه للندب ونسب ذلك إلى الشافعي رحمه الله .

وثالثها : أنه للإباحة وهو قول مالك رحمه الله .

ورابعها : أنه يتوقف على الكل ، وهو قول الصيرفي وأكثر المعتزلة ، وهو المختار لنا ؛ إنا إذا جوّزنا في ذلك الفعل أن يكون ذنباً له ولنا ، وحينئذ لا يجوز لنا فعله ، وإن لم نجوز الذنب عليهم جوزنا كونه مباحاً ومندوباً وواجباً ، وبتقدير أن يكون واجباً جوزنا أن يكون ذلك من خواصه ، وأن لا يكون ، ومع احتمال هذه الأقسام امتنع الجزم بواحد منها ، واحتج القائلون بالوجوب بالقرآن والاجماع والمعقول ؛ أما القرآن : فسبع آيات .

[**أولها**] : قوله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** ﴾ ، والأمر حقيقة الفعل ، والتحذير عن مخالفة فعله يقتضي وجوب موافقة فعله .

وثانيها : قوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ ، وهذا يجري مجرى الوعيد فيمن ترك التأسي به ، ولا معنى للتأسي إلا أن يفعل الإنسان مثل فعله .

وثالثها : قوله تعالى : ﴿ **فاتبعوه** ﴾ ، وظاهر الأمر للوجوب ، والمتابعة هي الاتيان بمثل فعله .

ورابعها : قوله تعالى : ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** ﴾ ، دلت الآية على أن محبته تعالى مستلزمة للمتابعة ، لكن المحبة واجبة بالاجماع ، ولازم الواجب واجب ، فمتابعه واجبة .

وخامسها : قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ ، فإذا فعل فعلاً فقد أتانا بالفعل ، فوجب علينا أن نأخذه .

وسادسها : قوله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ...** ﴾ ،

دلت الآية بإطلاقها على وجوب طاعة الرسول ، والآتي بمثل ما فعله الغير لأجل أن ذلك الغير فعله طائع لذلك الغير ، فوجب أن يكون ذلك واجباً .

وسابعها : قوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾[1] ، بين أنه تعالى إنما زوجه لها ليكون حكم أمته مساوياً لحكمه في ذلك وهو المطلوب .

وأما الإجماع فلأن الصحابة بأجمعهم اختلفوا في الغسل بالتقاء الختانين ؛ فقالت عائشة رضي الله عنها : فعلته أنا ورسول الله ﷺ فاغتسلنا ، فرجعوا إلى ذلك ، وإجماعهم على الرجوع حجة ، وهو المطلوب .

وإنما كان ذلك لفعل رسول الله ﷺ ، فقد أجمعوا هاهنا على أن مجرد الفعل للوجوب ، ولأنهم واصلوا الصيام لما واصل ، وخلعوا نعالهم لما خلع ، وأمرهم عام الحديبية بالتحلل فتوقفوا ، فشكا ذلك إلى أم سلمة رضي الله عنها فقالت : اخرج إليهم فاحلق واذبح ، ففعل ، فحلقوا وذبحوا مسارعين ، وأنه خلع خاتمه فخلعوا ، وأن عمر رضي الله عنه كان يقبل الحجر الأسود ويقول : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك ، وأما خلع الخاتم فهو مباح ، فلما خلع أحبوا موافقته لا لاعتقادهم وجوب ذلك عليهم .

والجواب عن الوجه الأول من المعقول أن الاحتياط إنما يُصار إليه إذا خلا عن الضرر قطعاً ، وهاهنا ليس كذلك لاحتمال أن يكون ذلك الفعل حراماً ، وإذا احتُمل الأمران لم يكن المصير إلى الوجوب احتياطاً .

وعن الثاني إن ترك الإتيان بمثل ما يأتي به الملك العظيم قد يكون تعظيماً ، ولذلك يقبح من العبد أن يفعل كل ما يفعله سيده ، واحتج القائلون بالندب بالقرآن والاجماع والمعقول .

أما القرآن : فقوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ، فلو كان التأسي به واجباً لقال عليه ، ولما لم يقل ذلك وقال لكم دل على عدم الوجوب ، ولما أثبت الأسوة دل على رجحان جانب الفعل على الترك ، فلم يكن

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

مباحاً .

وأما الإجماع : فهو أنا رأينا أهل الأمصار متطابقين على الاقتداء في الأفعال بالنبي ﷺ ، وذلك يدل على انعقاد الاجماع على أنه يفيد الندب .

وأما المعقول : فهو أنه يفيد أن فعله إما أن يكون راجح العدم أو مساوي العدم أو مرجوح العدم ، والأول باطل لما ثبت أنه لا يوجد منه الذنب ، والثاني باطل ظاهر ، لأن الاشتغال به عبث ، والعبث مزجور عنه لقوله تعالى : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً** ﴾[1] ، فتعين الثالث ، وهو أن يكون مرجوح العدم .

ثم لما تأملنا أفعاله ﷺ وجدنا بعضها مندوباً وبعضها واجباً ، والقدر المشترك هو رجحان جانب الوجوب وعدم الوجوب ثابت بمقتضى الأصل ، فأثبتنا الرجحان مع عدم الوجوب .

والجواب عن الأول ما تقدم : أن التأسي في إيقاع الفعل على الوجوب الذي أوقعه ، فلو فعله واجباً أو مباحاً وفعلناه مندوباً لما حصل التأسي .

وعن الثاني أنا لا نسلم أنهم استدلوا بمجرد الفعل ، فلعلهم وجدوا مع الفعل قرائن أُخر .

وعن الثالث : لا نسلم أن فعل المباح عبث ، لأن العبث هو الخالي عن العرض ، وإذا حصل في المباح منفعة ناجزة لم يكن عبثاً ، بل من حيث النفع به خرج عن العبث ، فلم قلتم بأنه خليّ عن العرض ، ثم حصول العرض في التأسي بالنبي ﷺ متابعته في أفعاله بيّن ، فلا يعد من أقسام العبث .

واحتج القائلون بالإباحة بأنه لما ثبت أنه لا يجوز صدور الذنب منه ﷺ ثبت أن فعله لا بد وأن يكون مباحاً أو مندوباً أو واجباً ، وهذه الأقسام الثلاثة مشتركه في رفع الحرج عن الفعل ، فأما رجحان جانب الفعل يثبت على وجوده دليلاً لأن الكلام فيه ، وثبت على عدمه دليل ، لأن هذا الرجحان كان معدوماً ، والأصل

---

(١) المؤمنون : ١١٥ .

في كل شيء بقاؤه ، فقد ثبت بهذا أنه لا حرج في فعله قطعاً ، ولا رجحان في فعله ظاهراً ، فهذا الدليل يقتضي في كل أفعاله ﷺ أن يكون مباحاً ترك العمل به في الأفعال التي كونها واجبة أو مندوبة ، فبقى معمولاً به في الباقي ، وإذا ثبت كونه مباحاً ظاهراً وجب أن يكون في حقنا كذلك ، للآية الدالة على وجوب التأسي ترك العمل به فيما إذا كان من خواصه ، فبقى معمولاً به في الباقي .

والجواب هنا : أنه في حقه ﷺ كذلك ، فلم يجب أن يكون في حق غيره كذلك ؟ والله أعلم .

قال جمهور الفقهاء والمعتزلة : التأسِّي واجب ، ومعنى ذلك أنا إذا علمنا أن الرسول ﷺ فعل فعلاً على وجه الوجوب فقد تعبدنا أن نفعله على وجه الوجوب ، وإن علمنا أنه مستقل به كنا متعبدين بالتنفل به ، وإن علمنا أنه فعله على وجه الإباحة كنا متعبدين باعتقاد إباحته ، وجاز لنا أن لا نفعله .

وقال أبو علي بن خلاد – تلميذ أبي هاشم من المعتزلة – : نحن متعبدون بالتأسي به في العبادات دون غيرها كالمناكحات والمعاملات ، ومن الناس من أنكر ذلك في الكل ، احتج أبو الحسن بالقرآن والإجماع .

أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ والتأسي بالغير في أفعاله هو أن يفعل على الوجه الذي فعل ذلك الغير ، ولم يفرق الله تعالى بين أفعال النبي ﷺ إذا كانت مباحة أو لم تكن مباحة .

وأما الإجماع : فهو أن السلف رجعوا إلى أزواجه ﷺ في قُبلة الصائم ، وفي من أصبح جنباً لم يفسد صومه ، وفي تزويج النبي ميمونة رضي الله عنها وهو حرام ، وذلك يدل على أن أفعاله لا بد من أن يُمتثل بها في طريقه .

ولقائل أن يقول : على الدليل الأول ، الأمر يفيد التأسي به مرة واحدة ، كما أن قول القائل لغيره : لك في الدار ثوب حسن ، يفيد ثوباً واحداً ، فإن قلت : هذا إن ثبت تم عرضاً من التعبد بالتأسي به ﷺ في الجملة ، ولأنه يفيد إطلاق كون الشيء أسوة لنا ، ولا يطلق وصف الإنسان بأنه أسوة لزيد إلا إذا لم يجز لزيد وصف أن يتبعه إلا في واحد ، وإنما يطلق ذلك أن لو كان ذلك الإنسان لزيد قدوة يهتدي به في

أموره كلها ما خصه الدليل .

قلت : **الجواب عن الأول** : أن أحداً لا ينازع في التأسي به ﷺ في الجملة ، لأنه لما قال : صلوا كما رأيتموني أصلي ، وخذوا عني مناسككم ، فقد أجمعوا على وقوع التأسي به ، والآية مادلت إلا على المرة الواحدة ، فكان التأسي به ﷺ في هذه الصورة كافياً في العمل بالآية ، لا سيما والآية إنما وردت على صيغة الإخبار عما مضى ، وذلك يكفي فيه وقوع التأسي به فيما مضى .

والجواب عن الثاني : أنك إن أردت أنه لا يصح إطلاق اسم الأسوة إلا إذا كان أسوة في كل شيء فهو ممنوع ، ثم يدل على فساده وجهان :

الأول : أنه من يعلم من إنسان نوعاً واحداً من العلم يقال له : إن لك في فلان أسوة حسنة في كل شيء ، ويقال لك في فلان أسوة حسنة في هذا الشيء دون ذاك ولو اقتضى اللفظ العموم لكان الأول تكرار ، والثاني نقصاً ، وإن أردت أنه يصح إطلاق اسم الأسوة إذا كان أسوة في بعض الأشياء فهذا مُسَلّم ، ولكنه ﷺ أسوة لنا في أقواله وأفعاله التي أمرنا بالاقتداء بها كقوله : « صلبوا كما رأيتموني أصلي ، وخذوا عني مناسككم » .

والجواب عن الحجة الثانية : أن قوله تعالى : ﴿ **فاتبعوه** ﴾ يطلق في الاتباع فلا يفيد العموم في كل الاتباعات ، والأمر لا يقتضي التكرار ، فلا يفيد العموم في كل الأزمنة ، فإن قلت : ترتب الحكم على الاسم يشعر بأن المسمى علة لذلك الحكم ، فماهية المتابعة علة الأمر بها ، قلت : فعلى هذا لو قال السيد لعبده : اسقني ، يلزمه أن يكون أمراً له يجمع أنواع السقى في كل الأزمنة ، وفي هذه الأمثلة كثرة ، وما ذكرناه في فساد ما قالوا ، وأما الإجماع فقد سبق الكلام عليه ، قال : لما عرفت أن التأسّي مطابقة المتأَسَّى به في الوجه وجب معرفة الوجه الذي عليه وقع فعل الرسول ﷺ وهو ثلاثة : الندب والإباحة والوجوب .

أما الإباحة فتعرف بطرق أربعة :

أحدها : أن ينص رسول الله ﷺ على أنه مباح .

وثانيها : أن تقع امتثالاً لأنها دالة على الإباحة .

وثالثها : أن تقع بيانا لأنها دالة على الإباحة .

ورابعها : أنه لما ثبت أنه لا ندب ثبت أنه لا حرج عليه في ذلك الفعل ، ويعرف نفي كيفية الوجوب والندب بالبقاء على الأصل ، فحينئذ نعرف كونه مباحاً . أما الندب فيعرف بتلك الثلاثة الأدلة مع أربعة أخرى .

أحدها : أن يعلم من قصده ﷺ أنه قصد القربة بذلك الفعل ، فيعلم أنه راجح الوجود ، ولم يعرف انتفاء الوجوب بحكم الاستصحاب فيثبت الندب .

وثانيها : أن ينص على أنه كان مخيَّراً بين ما فعل وبين فعل ما ثبت أنه ندب ، لأن التخيير لا يقع بين الندب وبين ماليس بندب .

وثالثها : أن يقع قضاء لعبادة كانت مندوبة .

ورابعها : أن يداوم على الفعل ثم يخل به من غير نسخ ، فيكون إدامته ﷺ دليلاً على كونه طاعة ، وإخلاله به من غير نسخ دليل على عدم الوجوب .

وأما الوجوب ، فيعرف بتلك الثلاثة الأول مع خمسة أخرى :

أحدها : الدلالة على أنه كان مخيراً بينه وبين فعل آخر قد ثبت وجوبه ، لأن التخيير لا يقع بين الواجب وماليس بواجب .

وثانيها : أن يكون قضاءً لعبادة ثبت وجوبها .

وثالثها : أن يكون على وقوعه أمارة قد تقرر في الشريعة أنها أمارة الوجوب كالصلاة بأذان وإقامة .

ورابعها : أن يكون جزاء الشرط موجب كفعل ما وجب نذره .

وخامسها : أن يكون لو لم يكن واجباً لم يجز كالجمع بين الركوعين في الكسوف .

قال : الفعل إذا عارضه معارض ، فمعارض فعله ﷺ إما أن [يكون] قولاً

---

(١) زيادة للسياق .

أو فعلاً ، أما القول : فإما أن يُعلم أن المقدم هو القول أو الفعل ، ولا يُعلم واحد منهما .

أما القسم الأول : وهو أن يكون المتقدم هو القول والفعل المعارض إما أن يحصل عقيبه أو متراخيا عنه ، فإن كان متعاقباً له فإما أن يكون القول متناولاً له خاصة ، أو لأُمَّته خاصة ، أَوْ لَهُ ولهم معاً ، لا يجوز أن يتناوله خاصة إلا على قول من يُجَوِّز نسخ الشيء قبل حضور وقته ، فإن تناول أمته خاصة وجب المصير إلى القول دون الفعل ، وإلا لكان القول لغواً ولا يلغو الفعل لأن حكمه ثابت في الرسول ﷺ ، وإن كان الخطاب يعمه وإياهم ، ذلك فعله على أنه مخصوص من القول ، وأمته داخلة فيه لا محالة وإن كان الفعل متراخياً عن القول ، فإن كان القول عاماً لنا وله صار مقتضاه منسوخاً عنا وعنه ، وإن تناول ما دونه كان ناسخاً عنا دونه ، لأن القول لم يتناوله ، وإن تناوله دوننا كان منسوخاً عنه دوننا ، ثم يلزمنا مثل فعله لوجوب التأسي به .

القسم الثاني : أن يكون هو الفعل ، فالقول المعارض له إما أن يحصل عقيبه أو متراخيا عنه ؛ فإن كان متعقبا : فإما أَنْ يكون الفعل متناولاً له خاصة ، أو لأمته خاصة ، أو عاماً فيه وفيهم ، فإن كان متناولاً له خاصة وقد كان الفعل المتقدم على لزوم مثله لكل مكلف في المستقبل فيصير ذلك القول المخصص به مخصصاً له عن ذلك العموم ، وإن كان متناولاً لأمته خاصة ، دل على أن حكم الفعل مختص به دون أمته ، وإن كان عاماً فيه وفيهم دلّ سقوط حكم الفعل عنه [و][1] عنهم ، وأما إن كان القول متراخياً عن الفعل ؛ فإن كان القول متناولاً له ولأمته فيكون القول ناسخاً لحكم الفعل عنه وعن أمته ، أو يتناول أمته دونه فيكون منسوخاً عنهم دونه أو يتناوله دون أمته ، فيكون منسوخاً عنه دون أمته .

القسم الثالث : إذا لم يعلم تقدم أحدهما على الآخر فهاهنا يقدم القول على الفعل ويدل عليه وجهان .

---

(١) زيادة للسياق .

أحدهما : أن القول أقوى من الفعل ، والأقوى راجح ، إنما قلنا أنه موافق لأن دلالة القول تستغني على الفعل ، ودلالة الفعل لا تستغني عن القول ، والمستغني أقوى من المحتاج .

والثاني : أنا نقطع بأن القول قد يتناولها ، وأما الفعل فبتقدير أن [يتراخى](1) كان متناولاً لنا معلوم ، وبتقدير أن يتناولنا [أو](2) لا يتناولنا ، وكون [الفعل](2) متناولاً لنا معلوم ، وكون الفعل متناولاً لنا مشكول ، والمعلوم مقدم لنا [على](2) المشكول .

فرع : نهى رسول الله ﷺ عن استقبال القبلة واستدبارها في قضاء الحاجة ، ثم جلس في البيت لقضاء الحاجة مستقبل بيت المقدس ، فعند الشافعي – رحمه الله – أن نهيه مخصوص بفعله حتى يجوز استقبال القبلة واستدبارها في البيوت لكل أحد ، وعند الكرخي : يجب إجراء النهي على إطلاقه في الصحراء والبنيان ، وكان ذلك من خواص النبي ﷺ ، وتوقف القاضي عبد الجبار في المسألة .

وحجة الشافعي : أن النهي عام ومجموع الدليل الذي يوجب علينا أن نفعل مثل فعل الرسول ﷺ مع كونه مستقبل القبلة في البنيان عند قضاء الحاجة أخص من ذلك النهي ، والخاص مقدم على العام ، فوجب القول بالتخصيص ، أما إذا كان الفعل للفعل فعلاً آخر ، فذاك على وجهين .

الأول : أن يفعل الرسول ﷺ فعلاً فيعلم بالدليل أن غيره مكلف به ثم نراه بعد ذلك قد أقر الناس على فعل ضده ، فنعلم أنه خارج منه .

الثاني : إذا علمنا أن ذلك الفعل مما يلزم أمثاله للرسول ﷺ في مثل تلك الأوقات مالم يرد ناسخ ، ثم يفعل ﷺ ضده في مثل ذل الوقت ، فنعلم أنه قد نسخ عنه .

تنبيه : التخصيص والنسخ في الحقيقة إنما لحقا مادلّ على أن ذلك الفعل لازم لغيره ، فإنه لازم له في مستقبل الأوقات ، وإنما يقال : أن ذلك الفعل قد لحقه

---

(١) في (خ) « يتراخا » .

(٢) زيادة للسياق .

النسخ ، يعني أنه قد زال التعبد بمثله ، فإن التخصيص قد لحقه على معنى أن المكلفين لا يلزمهم مثله والله أعلم . وأنه قال في جواب [من سأل][1] أم سلمة رضي الله عنها عن قبلة الصائم : ألا أخبرتيه أني أقبّل وأنا صائم ، وأما المعقول فمن وجهين :

الأول : أن الاحتياط يقتضي حمل الشيء على أعظم مراتبه ، وأعظم مراتب فعل الرسول ﷺ أن يكون واجباً عليه وعلى أمته ، فوجب حمله عليه ببيان الأول أن الاحتياط يتضمن دفع ضرر الخوف عن النفس بالكلية ، ودفع الضرر واجب ببيان الثاني ، أن أعظم مراتب الفعل أن يكون واجباً على الكل .

الثاني : أنه لا نزاع في وجوب تعظيم الرسول ﷺ في الجملة ، وإيجاب الاتيان بمثل فعله تعظيم له بدليل العرف ، والتعظيمان مشتركان في هذا القدر من المناسبة ، فيجمع بينهما بالقدر المشترك فيكون ورود الشرع بإيجاب ذلك التعظيم يقتضي وروده بأن يجب على الأمة الإتيان بمثل فعله ، والجواب عن الأول : أنا لا نسلم أن الأمر حقيقة في الفعل ، فليس حمله على ذلك بأولى من حمله على هذا سلمناه ، لكن هاهنا ما يمنع حمله على الفعل من وجهين : الأول أن تقدم ذكر الدعاء وذكر المخالفة ، وذكر الدعاء يمنع منه ، فإن الانسان إذا قال لعبده : لا تجعل دعائي كدعاء غيري واحذر مخالفة أمري ، فهم منه أنه أراد بالأمر القول الثاني ، وهو أنه قد أُريد به القول بالاجماع ، ولا يجوز حمله على الفعل ، إلا أن اللفظ المشترك لا يجوز حمله على معنييه سلمنا ذلك ، ولكنها راجعة إلى الله تعالى لأنه أقرب المذكورين ، فإن قلت : القصد هو الحث على اتباع الرسول ﷺ لأنه تعالى قال : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[2] ، فحث بذلك على الرجوع إلى أقواله وأفعاله ، ثم عقب ذلك بقوله : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** ﴾[2] ، فعلمنا أنه حث بذلك على التزام ما كان دعاء الله من الرجوع إلى أمر النبي ﷺ ، وأيضا فلم لا يجوز الحكم بصرف الكناية إلى الله والرسول ؟ قلت : **الجواب عن الأول** صرف الضمير إلى الله تعالى مؤكد لهذا الغرض أيضاً ، ولأنه لما حثّ على الرجوع إلى أقوال الرسول وأفعاله

---

(١) مابين القوسين مثبت في هامش (خ) .

(٢) النور : ٦٣

ثم حذر عن مخالفة أمر الله تعالى كان ذلك تأكيداً لما هو المقصود من متابعة الرسول ﷺ .

وعن الثاني : أن الهاء كناية عن واحد ، فلا يجوز عودهُ إلى الله تعالى وإلى الرسول معاً ، سلمنا عود الضمير إلى الرسول فلم قلت أن الاتيان بمثل فعله مخالفة لأمره . فإن قلت يدل عليه أمران :

الأول : أن المخالفة ضد الموافقة ، لكن موافقة الغير هو أن يفعل مثل فعله ، فمخالفته هو أن لا يفعل مثل فعله .

الثاني : وهو أن المعقول من المختلفين هما اللذان لا يقوم أحدهما مقام الآخر ، والعدم والوجود لا يقوم أحدهما مقام الآخر بوجه أصلاً ، فكانا في غاية المخالفة ، فثبت أن عدم الإتيان بمثل فعله مخالف للإتيان بمثل فعله من كل الوجوه .

قلت : هب أنها في أصل الوضع كذلك ، لكنها في عرف الشرع ليست كذلك ، ولهذا لا يسمى إخلال الحائض بالصلاة مخالفة للمسلمين ، بل هي عبارة عن عدم الإتيان بمثل فعله إذا كان الإتيان به واجباً ، وعلى هذا لا يسمى ترك مثل فعل النبي ﷺ مخالفة إلا إذا فعله على الوجوب ، وإذا بينا ذلك بهذا لزم الدور وهو محال .

والجواب عن الثاني : لم قلتم أن الإتيان بمثل فعل الغير مطلقا يكون تأسياً به ، بل عندنا كما يشترط في التأسي المساواة في الصورة يشترط فيه المساواة في الكيفية ، حتى لو صام واجباً فتطوعنا بالصوم لم نكن متأسيين به ، وعلى هذا لا يكون مطلق فعل الرسول ﷺ سببا للوجوب في حقنا لأن فعله قد لا يكون واجباً فيكون فعلنا إياه على سبيل الوجوب قادحاً في التأسي به .

فالجواب عن الثالث : أن قوله تعالى : ﴿ **فاتبعوه** ﴾ ، إما أن لا يفيد العموم أو يفيد ؛ فإن كان الأول سقط التمسك به ، وإن كان الثاني فبتقدير أن لا يكون ذلك الفعل واجباً عليه وعلينا ، وجب أن نعتقد فيه أيضاً هذا الاعتقاد ، فالحكم بالوجوب يناقضه ، فوجب أن لا يتحقق ، وهذا هو الجواب عن التمسك بقوله تعالى :

﴿ فاتبعوني ﴾[1] .

والجواب عن الخامس : لا نسلم أن قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾[2] يتناول الفعل ، ويدل عليه وجهان .

الأول : أن قوله تعالى : ﴿ **وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[2] على أنه عني بقوله : ﴿ **ما آتاكم** ﴾ ما أمركم .

الثاني : أن الإتيان إنما يتأتى بالقول لأنا نحفظه ، وامتثاله يصير كأننا أخذناه ، فكأنه ﷺ أعطاناه .

والجواب عن السادس : أن الطاعة هي الإتيان بالمأمور به أو بالمراد على اختلاف المذهبين ، فلم قلت : أن مجرد فعل الرسول ﷺ يدل على أنّا أمرنا بمثله أو أُريد منا مثله ؟ والجواب عن الإجماع من وجوه .

الأول : أن هذه آحاد ولا تفيد العلم ، ولهم أن يقولوا : هب أنها تفيد الظن ، لكن ما حصل ظن كونه دليلاً ترتب عليه ظن ثبوت الحكم ، فيكون العمل به دافعاً للضرر المظنون فيكون واجباً ، إلا أن أكثر هذه الأخبار واردة في الصلاة والحج ، فلعله ﷺ كان قد بين لهم أن شرعه وشرعهم سواء في هذه الأمور ، قال ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، وعليه خرج مسألة التقاء الختانين[3] ، وقال : « خذوا عني مناسككم » ، وعليه يقبل عمر رضي الله عنه الحجر ، وقال : « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي » .

وأما عن الوصال[4] : فإنهم ظنوا لما أمرهم بالصوم واشتغل معهم به أنه قصد بفعله بيان الواجب ، فرد عليهم ظنهم وأنكر عليهم الموافقة .

وأما خلع النعل : فلا نعلم أنهم فعلوا ذلك واجباً ، وأيضاً لا يمتنع أن يكونوا

---

(١) آل عمران : ٣١ . (٢) الحشر : ٧ .

(٣) بوجوب الغسل من الإكسال ، والإكسال : هو الجماع بدون إنزال .

(٤) الوصال لغة : يكون في عفاف الحب ودعارته (ترتيب القاموس) جـ ٤ ص ٦٢٠ ، وشرعاً : تتابع الصوم من غير إفطار بالليل . قال (الخطابي) في (معالم السنن) : الوصال من خصائص ما أبيح لرسول الله ﷺ ، وهو محظور على أمته . راجع (عون المعبود شرح سنن أبي داود) جـ ٦ ص ٤٨٧ .

لما رأوه قد خلع نعله مع قوله تعالى : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾[1] ظنوا أن خلعها مأمور به غيرهم ، لأنه لو كان مباحاً ما ترك له المستنون في الصلاة على أنه ﷺ قال لهم : لم خلعتم نعالكم ؟ فقالوا : لأنك خلعت نعلك ، فقال : إن جبريل أخبرني أن فيهما أذى ، فبين بهذا أنه ينبغي أن يعرفوا الذي وقع عليه فعله ﷺ ثم يتبعوه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

* * *

---

(١) الأعراف : ٣١ .

وأما اقتران
اسم النبي ﷺ باسم الله تعالى

فإنه سبحانه قرن اسمه تعالى باسمه ﷺ في كتابه العزيز عند ذكر طاعته ومعصيته ، وفرائضه وأحكامه ، ووعده ووعيده ، قال الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **وأطيعوا الرسول واحذروا** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **يطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **استجيبوا لله وللرسول** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله** ﴾[7] ، وقال : ﴿ **براءة من الله ورسوله** ﴾[8] ، وقال : ﴿ **وأذان من الله ورسوله** ﴾[9] ، وقال : ﴿ **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله** ﴾[10] ، وقال : ﴿ **ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله** ﴾[11] ، وقال : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾[12] ، وقال : ﴿ **ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله** ﴾[13] ، [وقال] : ﴿ **ومن يشاقق الله ورسوله** ﴾[14] ، وقال : ﴿ **قل الانفال لله وللرسول** ﴾[15] ، وقال : ﴿ **فردوه إلى الله وإلى الرسول** ﴾[16] ، وقال : ﴿ **ولو أنهم رضوا ما أنزل الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله** ﴾[17] ، وقال : ﴿ **فإن لله خمسه وللرسول** ﴾[18] ، وقال : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله**

---

(١) النساء : ٥٩ . (٢) المائدة : ٩٢ . وفي (خ) ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ .
(٣) التوبة : ٧١ ، وفي (خ) ﴿ **ورسوله أولئك** ﴾ .
(٤) التوبة : ٦٢ . (٥) الأنفال : ٢٤ . (٦) الأحزاب : ٣٦ .
(٧) الأحزاب : ٥٧ . (٨) التوبة : ١ . (٩) التوبة : ٣ .
(١٠) التوبة : ٦٣ . (١١) التوبة : ١٦ . وفي (خ) ﴿ **يحاد الله ورسوله** ﴾ .
(١٢) المائدة ٣٣ . (١٣) التوبة : ٢٩ .
(١٤) الأنفال : ١٣ . (١٥) الأنفال : ١ . (١٦) النساء : ٥٩ .
(١٧) التوبة : ٥٩ . (١٨) الأنفال : ٤١ .

ورسوله من فضله ﴾[1] ، وقال : ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾[2] ، وقال : ﴿ أنعم الله عليه وأنعمت عليه ﴾[3] ، فقرن تعالى اسمه الكريم باسم رسوله محمد في جميع الأحكام والأصول ، تعظيماً لقدره وتشريفاً له على غيره ﷺ .

* * *

(١) التوبة : ٧٤ .
(٢) التوبة : ٩٠ .
(٣) الأحزاب : ٣٧ .

وأما تقدم نبوته ﷺ
قبل تمام خلق آدم عليه السلام

فخرج الترمذي من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا الأوزاعي ، حدثنا يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا : يارسول الله ! متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد[1] ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، هذا آخر كلام الترمذي .

وقد رواه عباد بن جويرية عن الأوزاعي مرسلاً ، واختلف على الوليد بن مسلم فيه ، فرواه بعضهم عنه مرسلاً ، ورواه بعضهم عنه فأسنده كما تقدم ذكره .

ولأبي نعيم من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل عن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال : متى كنت يارسول الله نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد[1] .

وله من حديث حجاج بن مبهال ، حدثنا حماد بن سلمة عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن رجل أنه سأل النبي ﷺ : متى كنت نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . كذا رواه حماد ولم يسم ميسرة ، وتابعه عليه عن خالد الحذاء وَهْب بن خالد[1] .

ولأبي نعيم من حديث عمرو بن واقد ، عن عروة بن رويم[2] ، عن الصنابجي قال عمر رضي الله عنه : متى جعلت نبياً ؟ قال : وآدم منجدل في الطين .

وله من حديث نصر بن مزاحم ، حدثنا قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي ،

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها .
(٢) عروة بن رويم اللخمي أبو القاسم الأردني ، قال ابن أبي حاتم عن أبيه : عامة أحاديث مرسلة .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قيل : يارسول الله ! متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . تفرد به نصر بن مزاحم .

وله من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن سعيد بن سويد ، عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إني عبد الله في أم الكتاب وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته .

وفي رواية : أنا عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته . وفي رواية : إني عبد الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته . وفي رواية : إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته[1] .

وخرجه الحاكم من حديث عثمان بن سعيد الدارمي قال : قلت لأبي اليمان : حدثك أبو بكر بن أبي مريم الغساني عن سعيد بن سويد عن العرباض بن سارية السلمي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إني عبد الله في أول الكتاب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسآتيكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه ، ورُؤيا أمي بي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[2] .

وخرج أبو نعيم من حديث سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث[3] .

وفي الصحيحين[4] من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال

---

(١) (دلائل النبوة لأبي نعيم) جـ ١ ص ٨ - ٩ ، وفي (خ) « بخاتم »

(٢) (المستدرك للحاكم) جـ ٢ ص ٦٠٠ وله شاهد على صحته ص ٦٠٩ .

(٣) سبق تخريجه وشرحه .

(٤) ذكره البخاري في كتاب الجمعة ، باب (٢) هل على من لم يشهد الجمعة غُسل من النساء والصبيان وغيرهم ؟ وقال ابن عمر : إنما الغسل على من تجب عليه الجمعة ، حديث رقم (٨٩٦) : حدثنا مسلم ابن إبراهيم قال : حدثنا وُهَيْبٌ قال : حدثنا ابن طاوس عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخِرون والسابقون يوم القيامة ، أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله ، فغداً لليهود ، وبعد غدٍ للنصارى » فسكت . (٨٩٧) : ثم قال : « حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده » . =

رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة » الحديث . وله طرق[1] ، قال أبو نعيم : وكان ﷺ آخرهم في البعث ، وبه ختمت النبوة ، وهو

وأخرجه مسلم من كتاب الجمعة باب (٦) هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث رقم (١٩) : وحدثنا عمرو الناقد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم الجمعة ، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا ، هدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ، والنصارى بعد غد .

وحدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة وابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة » بمثله .

وحديث رقم (٢٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، وزهير بن حرب قالا : حدثنا جرير عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا ، فهدانا الله له ، قال يوم الجمعة ، فاليوم لنا ، وغداً لليهود ، وبعد غد للنصارى »

قوله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة » ، قال العلماء : معناه الآخرون في الزمان والوجود ، السابقون بالفضل ودخول الجنة ، فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم .

قوله ﷺ : « بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » ، هو بفتح الباء الموحدة وإسكان المثناه تحت ، قال أبو عبيد : لفظه « بيد » تكون بمعنى غير ، وبمعنى على ، وبمعنى من أجل ، وكله صحيح هنا ، ويقال : « ميد » بمعنى « بيد » .

قوله ﷺ : « هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا الله له » ، فيه دليل لوجوب الجمعة ، وفيه فضيلة هذه الأمة . قوله ﷺ : « اليهود غداً » ، أي عيد اليهود غدا ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث فيقدر فيه معنى يمكن تقديره خبراً .

قوله ﷺ : « فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله » ، قال القاضي : الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ، ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه ، فاختلف اجتهادهم في تعيينه ، ولم يهدهم الله له ، وفرضه على هذه الأمة مبيناً ، ولم يكله إلى اجتهادهم ، ففازوا بتفضيله . قال : وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بالجمعة ، وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل ، فقيل له : دعهم .

قال القاضي : ولو كان منصوصاً لم يصح اختلافهم فيه ، بل كان يقول : خالفوا فيه . قال الإمام النووي : ويمكن أن يكون أُمروا به صريحاً ، ونصَّ على عينه ، فاختلفوا فيه ، هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله ، وأبدلوه وغلطوا في إبداله . (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٩١ ، كتاب الجمة ، باب (٦) هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث رقم (١٩) ، (٢٠) ، (٢١) .

(١) باقي طرق الحديث في المرجع السابق ، حديث رقم (٢٢) ، (٢٣) ، كلها بسياقات قريبة من بعضها مع التقديم والتأخير والزيادة والنقصان لكن بمعنى واحد ، وذكره أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ٤٩ ، باب ماروي في تقديم نبوته ﷺ قبل خلق آدم عليه السلام ، حديث رقم (١١) ، والنسائي في الجمعة ، باب إيجاب يوم الجمعة ، حديث رقم (١٣٦٦) .

. . . .

= قال الحافظ السيوطي : قوله ﷺ : « نحن الآخرون » ، أي الآخرون زمانا ، الأولون منزلة ، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة لهم في الآخرة ، بأنهم أول من يُحشروا ، وأول من يُحاسَب ، وأول من يُقضى بينهم ، وأول من يدخل الجنة .

وقيل : المراد بالسبق إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل ، وهو يوم الجمعة ، وقيل المراد به السبق إلى القبول والطاعة التي حرمها أهل الكتاب فقالوا : ﴿ **سمعنا وعصينا** ﴾ ، والأول أقوى . « بيد » بموحدة ثم تحتية ساكنه مثل « غير » وزناً ، ومعنىً ، وإعراباً ، وبه جزم الخليل والكسائي ، ورجحه ابن سيدة . وروى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي رحمه الله ، عن الربيع ، عنه ، أن معنى « بيد » من أجل ، وكذا ذكره ابن حبان والبغوي ، عن المزني عن الشافعي ، وقد استبعده القاضي عياض ، ولا بعد فيه .

والمعنى إنا سبقنا بالفضل إذ هدينا للجمعة ، مع تأخرنا في الزمان ، بسبب أنهم ضلوا عنها مع تقدمهم . ويشهد لهم ما في (فوائد المقري) بلفظ : نحن الآخرون في الدنيا ، ونحن أول من يدخل الجنة ، لأنهم أورثوا الكتاب من قبلنا . وقال الراوي : هي بمعنى « على » أو « مع » .

قال القرطبي : إن كانت بمعنى « غير » فنصب على الاستثناء ، وإن كانت بمعنى « مع » ، فنصب على الظرف ، وقال الطيبي : هي للاستثناء ، وهي من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم . « أنهم أوتوا الكتاب قبلنا » اللام للجنس ، والمراد التوراة والإنجيل : « وأوتيناه » المراد الكتاب ، مراداً به القرآن ، « وهذا اليوم الذي كتب الله عليهم » ، أي فرض عليهم تعظيمه ، « فاختلفوا فيه » ، قال ابن بطال : ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه ، لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن ، وإنما يدل والله تعالى أعلم على أنه فرض عليهم يوم الجمعة ووكل على اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم ، فاختلفوا في أي الأيام هو ، ولم يهتدوا ليوم الجمعة .

وقال النووي : يمكن أن يكونوا أُمروا به صريحاً فاختلفوا ، هل يلزم تعيينه أم يسوغ إبداله بيوم آخر ، فاجتهدوا في ذلك فأخطؤا . وقد روى ابن أبي حاتم عن السدّي ، في قوله تعالى : ﴿ **إنما جُعل السبت على الذين اختلفوا فيه** ﴾ ، قال : إن الله فرض على اليهود يوم الجمعة فأبوا وقالوا : ياموسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً فاجعله لنا ، فجعله عليهم .

قوله ﷺ : « اليهود غداً والنصارى بعد غد » ، قال القرطبي « غداً » منصوب على الظروف ، وهو متعلق بمحذوف تقديره : اليهود يعظمون غداً وكذا بعد غدٍ ولابد من هذا التقدير لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة ، وقدر ابن مالك تقييد اليهود غداً . (حاشية الحافظ السيوطي على سنن النسائي) : ٣ / ٩٥ – ٩٦ ، كتاب الجمعة ، باب إيجاب الجمعة ، حديث رقم (١٣٦٦) .

وقال الإمام السندي : قوله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون » ، أي الآخرون زماناً في الدنيا ، الأولون منزلة وكرامة يوم القيامة ، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة إياهم في الأخرة ، بأنهم أول من يُحشر ، وأول من يُحاسب ، وأول من يُقضى بينهم ، وأول من يدخل الجنة .

وقيل : المراد بالسبق إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل ، وهو يوم الجمعة ، وقيل : المراد بالسبق إلى القبول والطاعة التي حُرمها أهل الكتاب فقالوا : ﴿ **سمعنا وعصينا** ﴾ .

قوله ﷺ : « أوتوا الكتاب » ، اللام للجنس ، فيحمل بالنسبة إليهم على كتابهم ، وبالنسبة إلينا =

السابق يوم القيامة لأنه أول مكتوب في النبوة ، ففي هذا الخبر الفضيلة العظيمة لرسول الله ﷺ ، لما أوجب الله تعالى له النبوة قبل تمام خلق آدم الذي هو أبو البشر ، ويحتمل أن يكون هذا الايجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته ﷺ في آخر الزمان ، فمن حاز هذه الفضيلة حق له الصبر على مواصلة الدعوة واحتمال الأذية ممن ردها ، وإعظام من قبلها ، واستفراغ الوسع في احتمال كل عارض وشدة وبلوى تعرض دون إقامتها ، إذ الفضيلة سابقة على فضائل من تقدمه من الأنبياء في العهد والخلق الأول .

وقال بعض العارفين بالله : لما خلق الله الأرواح المدبرة للأجسام عند حركة الفلك أول ما خلق الزمان بحركته ، كان أول ما خلق روح محمد ﷺ ، ثم صدرت الأرواح الفلكية عن الحركات الفلكية ، فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة ، وأعلمه الله بنبوته ، وآدم لم يكن إلا كما قال بين الماء والطين ، فاقتضى قوله : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » أن يكون وجوده حقيقة ، فإنه لا يكون العدم بين أمرين موجودين لانحصاره ، والمعدوم لا يوصف بالحصر في شيء ، ثم انتهى الزمان في حقه عليه السلام إلى وجود جسمه وارتباط الروح به ، فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً ، فكان له الحكم أولاً باطناً في جميع ماظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ثم صار له الحكم ظاهراً فنسخ كل شرع وإن كان المشرع واحداً ، وهو صاحب الشرع ، فإنه قال : « كنت نبياً » .. ،

= على كتابنا ، وهذ بيان زيادة شرف لنا ، أي فصار كتابنا ناسخاً لكتابهم ، وشريعتنا ناسخة لشريعتهم ، وللناسخ فضل على المنسوخ ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم .

أو المراد بيان أن هذا يرجع إلى مجرد تقدمهم علينا في الوجود ، وتأخرنا عنه فيه ، ولا شرف لهم فيه ، أو هو شرف لنا أيضا من حيث قلة انتظارنا أمواتاً في البرزخ ، ومن حيث حيازة المتأخر علوم المتقدم دون العكس ، فقولهم الفضل للتقدم ليس بكلي . قوله ﷺ : « وهذا اليوم » ، الظاهر أنه أوجب عليهم يوماً بعينه والعبادة فيه ، فاختاروا لأنفسهم أن يبدل الله لهم يوم السبت ، فأجيبوا إلى ذلك ، وليس بمستبعد من قوم قالوا لنبيهم : ﴿ اجعل لنا إلٰهاً ﴾ .

قوله ﷺ : « فهدانا الله » ، بالثبات عليه حين شرع لنا العبادة فيه ، « اليهودُ غداً » أي يعبدون الله في يوم الجمعة . فأخذ المصنف قوله : « كتب الله » ، الوجوب ، والظاهر أن الحكم بالنظر إلى واحد ، فحيث إن ذلك الحكم هو الوجوب بالنسبة إلى قوم تعين أنه الوجوب بالنظر إلى الآخرين ، والله تعالى أعلم (المرجع السابق) .

ما قال : كنت إنساناً ، ولا كنت موجوداً ، وليست النبوة إلا بالشرع المقرر من عند الله ، فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء في الدنيا كما تقرر فيما تقدم ، فكانت استدارته إليها دورته بالاسم الباطن ، وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر ، فقال ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض »[1] ؛

---

(١) ذكره البخاري في مواضع متفرقة من صحيحه يتمم بعضها بعضاً ، لكن أخرجه مسلم بتمامه في كتاب القسامة باب (٩) تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، حديث رقم (٢٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ويحى بن حبيب الحارثي « وتقاربا في اللفظ » قالا : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن ابن أبي بكرة ، عن أبي بكرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب شهر مُضَر ، الذي بين جمادي وشعبان ، ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ، قلنا : بلى ، قال : فأي بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس البلدة ؟ قلنا : بلى ، قال : فأي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال فإن دماءكم وأموالكم قال محمد : وأحسبه قال : وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، فلا ترجعن بعدي كفاراً - أو ضُلالاً - يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ، ثم قال : ألا هل بلغت » ؟ قال ابن حبيب في روايته : « ورجب مضر » وفي رواية أبي بكر : « فلا ترجعوا بعدي » .

قوله ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم ، ثلاث متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب شهر مُضَر ، الذي بين جمادي وشعبان » ، أما ذو القعدة ، فبفتح القاف ، وذو الحجة بكسر الحاء ، هذه اللغة المشهورة ، ويجوز في لغة قليلة كسر القاف وفتح الحاء ، وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم الأربعة هي هذه المذكورة في الحديث ، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدّها ، فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهل الأدب ، يقال : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة ، ليكون الأربعة من سنة واحدة ، وقال علماء المدينة والبصرة ، وجماهير العلماء ، هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد ، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة ، منها هذا الحديث الذي نحن فيه ، وعلى هذا الاستعمال أطبق الناسُ من الطوائف كلها .

وأما قوله ﷺ : « ورجب شهر مضر الذي بين جمادي وشعبان » ، وإنما قيّده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه ، وإزالة للبس عنه ، قالوا : وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب ، فكانت مضر تجعل رجباً هذا الشهر المعروف الآن ، وهو الذي بين جمادي وشعبان ، وكانت ربيعة تجعله رمضان ، فلهذا أضافه النبي ﷺ إلى مضر .

وقيل : لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم ، وقيل : إن العرب كانت تسمي رجباً وشعبان =

الرجبين ، وقيل كانت تسمى جمادي ورجباً جمادين ، وتسمى شعبان رجباً .

وأما قوله ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض » ، فقال العلماء : معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم ، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات ، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده ، وهو صفر ، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر ، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة ، حتى اختلط عليهم الأمر ، وصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم ، وقد تطابق الشرع ، وكانوا في تلك السنة قد حرَّموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه ، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة قد صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض .

وقال أبو عبيد : كانوا ينسؤن أي يؤخرون ، وهو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ ، فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم ، فيؤخرون تحريمه إلى صفر ، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى ، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه .

قوله : « ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى ، قال : فأي بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم .. إلى آخره » ، هذا السؤال ، والسكوت ، والتفسير ، أراد به التفخيم ، والتقرير ، والتنبيه على عظم مرتبه هذا الشهر ، والبلد ، واليوم ، وقولهم : « الله ورسوله أعلم » ، هذا من حسن أدبهم ، وأنهم علموا أنه ﷺ لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب ، فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون .

قوله ﷺ : « فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا » . المراد بهذا كله بيان توكيد غليظ تحريم الأموال والدماء ، والأعراض ، والتحذير من ذلك .

قوله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ، قيل في معناه سبعة أقوال :

[١] أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق .

[٢] المراد كفر النعمة ، وحق الإسلام .

[٣] أنه يقرب من الكفر ، ويؤدي إليه .

[٤] أنه فعل كفعل الكفار .

[٥] المراد حقيقة الكفر ، ومعناه : لا تكفروا ، ودوموا مسلمين .

[٦] حكاه الخطابي وغيره ، أن المراد بالكفار : المتكفرون بالسلاح ، يقال : تكفَّر الرجل بسلاحه إذا لبسه . قال الأزهري في كتاب (تهذيب اللغة) : يقال للابس السلاح كافر .

[٧] قال القاضي عياض رحمه الله : ثم إن الرواية « يضربُ » برفع الباء ، هكذا هو الصواب ، وكذا رواه المتقدمون والمتأخرون ، وبه يصح المقصود هنا .

ونقل القاضي عياض رحمه الله ، أن بعض العلماء ضبطه بإسكان الباء . قال القاضي : وهو إحالة للمعنى ، والصواب الضم ، قال الإمام النووي : وكذا قال أبو البقاء العكبري : إنه يجوز جزم الباء على تقدير شرط مضمر ، أي إن ترجعوا يضربْ ، والله تعالى أعلم .

يعني في نسبة الحكم لنا ظاهراً كما كان في الدورة الأولى منسوباً إلينا باطنا ، وإن كان في الظاهر منسوباً لمن نُسب إليه من الأنبياء ، ولما كانت العرب تنسيء[1] في الشهور فترى المحرَّم منها حلالاً والحلال منها محرَّماً ، جاء محمد رسول الله ﷺ برد الزمان إلى أصله الذي حكم إليه به عند خالقه ، فبين الحرم من الشهور على حد ما خلقها الله

= وأما قوله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً » ، فقال القاضي : قال الصبري : معناه بعد فراقي من موقفي هذا ، وكان هذا يوم النحر بمنى في حجة الوداع ، أو يكون بعدي أي خلافي ، أى لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به ، أو يكون تحقق ﷺ أن هذا لا يكون في حياته ، فنهاهم عنه بعد مماته .

قوله ﷺ : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » ، فيه وجوب تبليغ العلم ، وهو فرض كفاية ، فيجب تبليغه بحيث ينتشر .

قوله ﷺ : « فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه » ، احتج به العلماء لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم عندهم ولا فقه ، إذا ضبط ما يحدث به . (مسلم بشرح النووي) : ٢ / ٤١٥ - ٤١٦ ، كتاب الإيمان ، باب (٢٩) بيان معنى قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ، حديث رقم (١١٨) ، (المرجع السابق) : ١١ / ١٨٠ ، كتاب القسامة ، باب (٩) . تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، حديث رقم (٢٩) .

(١) **النسيء** : يقال نَسَأَهُ وأَنْسَأَهُ ، إذا أخَّره ، حكاه الكسائي . قال تعالى : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرَّم الله فيحلوا ما حرَّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ .

قال الجوهري وأبو حاتم : النسيء فعيل بمعنى مفعول ، من نسأتُ الشيء فهو منسوء إذا أخَّرته ، ثم حوِّل إلى نسيء ، كما حُوِّل مقتول إلى قتيل . ورجل ناسيء ، وقوم نسأة ، مثل فاسق وفسقة .

وقيل : النسيء مصدر من أنسأ ، كالنذير من أنذر ، والنكير من أنكر ، وهو ظاهر قول الزمخشري لأنه قال : النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر .

وقال الطبريّ : النسيء بالهمز معناه الزيادة . قال أبو حيان : فإذا قلت : أنسأ الله أجله بمعنى أخَّر ، لزم من ذلك الزيادة في الأجل ، فليس النسيء مرادفاً للزيادة ، بل قد يكون منفرداً عنها في بعض المواضع . وإذا كان النسيء مصدراً كان الإخبار عنه بمصدر واضحاً ، وإذا كان بمعنى مفعول فلابد من إضمار إما في النسيء أي : إن نسأ النسيء ، أو في زيادة ، أي : ذو زيادة . وبتقدير هذا الإضمار يرد على ما يرد على قوله . ولا يجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول ، لأنه يكون المعنى : إنما المؤخر زيادة ، والمؤخر الشهر ، ولا يكون الشهر زيادة في الكفر .

وأخبر أن النسيء زيادة في الكفر ، أي جاءت مع كفرهم بالله ، لأن الكافر إذا أحدث معصية ازداد كفراً . قال تعالى : ﴿ **فزادتهم رجساً إلى رجسهم** ﴾ [التوبة : ١٢٥] ، كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيماناً . قال تعالى : ﴿ **فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون** ﴾ [التوبة : ١٢٤] ، وأعاد الضمير في ﴿ **به** ﴾ على النسيء ، لا على لفظ ﴿ **زيادة** ﴾ . =

عليه ، فلهذا قال : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض » ، كذلك استدار الزمان فأظهر محمداً ﷺ جسماً وروحاً ، فنسخ[1] من شرعه المتقدم ما أراد أن ينسخ منه . وأبقى ما أراد الله أن يبقي عليه ، وذلك النَّسخ في الأحكام لا في الأصول ، ولما كان ظهوره ﷺ [بالميزان][2] وهو العدل في الكون وهو معتدل حار رطب كان زمان ملته متصلاً بالآخرة ، وكان العلم في أمته أكثر مما كان في الأوائل ، وأُعطي ﷺ علم الأولين وعلم الآخرين ، فكان الكشف في هذه الأمة

= وقرأ ابن مسعود والأخوان وحفص : ﴿ **يضل** ﴾ مبنياً للمفعول ، وهو مناسب لقوله : ﴿ **زين** ﴾ ، وباقي السبعة مبنياً للفاعل . وابن مسعود في رواية ، والحسن ومجاهد ، وقتادة ، وعمرو بن ميمون ، ويعقوب : ﴿ **يضل** ﴾ أي الله ، أي يضل به الذين كفروا أتباعهم .

ورويت هذه القراءة عن الحسن ، والأعمش ، وأبي عمرو ، وأبي رجاء . وقرأ أبو رجاء : ﴿ **يَضَل** ﴾ بفتحتين ، من ضَلِلتُ بكسر اللام ، أضلّ بفتح الضاد منقولاً ، فتحها من فتحة اللام ، إذ الأصل أضلل . وقرأ النخعي ومحبوبٌ عن الحسن : ﴿ **نُضِلّ** ﴾ بالنون المضمومة وكسر الضاد ، أي فضل نحن .

ومعنى تحريمهم عاماً وتحليله عاماً : لا يُراد أن ذلك كانَ مداولة في الشهر بعينه ، عام حلال وعام حرام ، وقد تأول بعض الناس القصة على أنهم كانوا إذا شقَّ عليهم توالي الأشهر الحرم ، أحل لهم المحرم ، وحرم صفراً بدلاً من المحرم ، ثم مشت الشهور مستقيمة على أسمائها المعهودة ، فإذا كان من قابل ، حرّم المحرم على حقيقته ، وأحلَّ صفر ، ومشت الشهور مستقيمة ، وإن هذه كانت حال القوم .

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك : الذين شرعوا النسيء هم بنو مالك من كنانة ، وكانوا ثلاثة . وعن ابن عباس : إن أول من فعل ذلك عمرو بن لحيّ ، وهو أول من سيب السوائب وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام . وقال الكلبي : أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له : نعيم بن ثعلبة .

والمواطأة : الموافقة ، أي ليوافقوا العدة التي حرَّم الله ، وهي الأربعة ولا يخالفونها ، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أصل الواجبين . والواجبان هما العدد الذي هو أربعة ، في أشخاص أشهر معلومة ، وهي رجب وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم . يقال : تواطؤوا على كذا ، إذا اجتمعوا عليه ، كأن كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه . ومن الإيطاء في الشعر ، وهو أن يأتي في الشعر بقافيتين على لفظ واحد ومعنى واحد .

قال ابن عطية : ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد ، فأزالوا الفضيلة التي خصَّ بها الأشهر الحرم وحدها ، بمثابة أن يفطر رمضان ، ويصوم شهراً من السنة بغير مرض أو سفر . باختصار من (البحر المحيط) : ٥ / ٤١٦ - ٤١٨ .

(١) النسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مكانه ؛ وفي التنزيل : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ ؛ والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة ، والشيء ينسخ الشيء أي يزيله ويكون مكانه . (لسان العرب) : ٣ / ٦١ .

(٢) في (خ) « بالميراث » ، وما أثبتناه أجود للسياق .

أكثر مما كان في غيرها ، لغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا ، وإن كانوا أذكياء وعلماء فآحاد مهم معينون بخلاف الأمة المحمدية ؛ ألا ترى كيف ترجمت هذه الأمة جميع علوم الأمم ، ولو لم يكن المترجم عالماً بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به لما صح أن يكون مترجماً ، ولا كان ينطبق على ذلك اسم الترجمة ، فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم ، واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين ، ولهذا أشار ﷺ بقوله : « فعلمت علم الأولين » ، وهم الذين تقدموه ، ثم قال : « وعلم الآخرين » ، وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين ، وهو ما تعلمته أمته من بعده إلى يوم القيامة ، فقد أخبر عليه السلام أن عندنا علوماً لم تكن قبل ، فقد ثبت له ﷺ السيادة في الدنيا في العلم ، وثبت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال : « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني » ، وتبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام ، وحكمه فينا بالقرآن ، فصحّت لنبينا محمد ﷺ السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى .

ثم أثبت له السيادة على سائر الناس يوم القيامة بفتحه باب الشفاعة ، ولا يكون ذلك [لنبي في[1] يوم القيامة] إلا له ﷺ ، فقد شفع ﷺ في الرسل والأنبياء أن تشفع ، نعم ، وفي الملائكة ، فأذن الله تعالى عند شفاعته عليه السلام في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبي ومؤمن أن يشفع ، فهو ﷺ أول شافع بإذن الله تعالى ، وأرحم الراحمين ، أخرج من النار من لم يعمل خيراً قط كما ورد في الحديث الصحيح ، فأي شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم الراحمين ، وآخر الدائرة متصل بأولها ، ولا شرف أعظم من شرف محمد ﷺ ، حيث كان ابتداء الأشياء ، وبه كملت ، وما أعظم شرف المؤمن حيث ثلث شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين ، فلا دائرة أوسع من دائرة محمد ﷺ ، فإن له الإحاطه – [ولأمته بحكم التبعية فلها الاحاطة][2] – بسائر الأمم ، ولذلك كانوا شهداء على الناس[3] .

---

(١) في (خ) « ولا يكون ذلك لنبي إلا في يوم القيامة » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٢) ما بين القوسين من هامش (خ) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ [الحج : ٧٨] .

[وأعطى][1] الله محمداً ﷺ ما لم يعط غيره ، فمن ذلك القرآن لم يبدل [ولم يحرف][2] ، ولا نسخت شريعته بل ثبتت محفوظة ، واستقرت بكل عين ملحوظة ، يُستشهد بها على كل طائفة ، وخُصّ ﷺ بعلم الأولين والآخرين ، وبالتؤدة والرفق والرحمة ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيماً** ﴾[3] ، وما غلظ على من غلظ إلا بالأمر الإلهي حين قيل له ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾[4] ، فصحت له السيادة على العالم بما تقرر ، فإنه لم يحصل لغيره .

قال تعالى : ﴿ **يحرفونه من بعد ما عقلوه** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[6] ، فلذلك ثبت القرآن ولم يحرف ، وكذا علمه الإحاطي لم يكن لغيره ممن تقدمه . ومما خص به : السيف الذي بُعث به ، وقتال الملائكة معه ، فإن ذلك لم يكن لغيره ، وهو من رتبة الكمال ، وبعث من قوم ليس لهم هَمّ إلا في قرى الضيفان ونحر الجزور ، والقتال الدائم الذي لم يكن في غيرهم من الناس ، وبهذا ولهذا كانوا يتمدحون كما هو معروف في أشعارهم ، ولا خفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والشجاعة ، وإن كان في العجم كرماء وشجعان كما في العرب بخلاء وجبناء لكن آحاد ، والكلام يقع في الغالب لا في النادر ، فهذا أمر لا ينكره أحد .

ومما اختُص به ﷺ أنه حببت إليه النساء[7] ، فإن حبهن بكون الله تعالى حببهن إليه ، فكان يحبهن . ومن سنته النكاح لا التبتل ، وجعل النكاح عبادة ، وحبب إليه أيضا الطيب[7] .

---

(١) في (خ) « وأعطا » . (٢) في (خ) « ولا حَرْف » . (٣) الأحزاب : ٤٣ .

(٤) التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩ . (٥) البقرة : ٧٥ . (٦) الحجر : ٩ .

(٧) أخرجه النَّسائيُّ في كتاب عِشْرة النساء ، باب (١) ، حب النساء ، حديث رقم (٣٩٤٩) : حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن النَّسائيُّ قال : أخبرنا الحسين بن عيسى القَوْمَسِيُّ قال : حدثنا عفان بن مسلم قال : حدثنا سلّام أبو المنذر عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُبِّبَ إليَّ من الدنيَا النساءُ والطِّيبُ ، وجُعِلَ قرةُ عيني في الصلاة » . وحديث رقم (٣٩٥٠) : أخبرنا عليّ بن مسلم الطوسيّ قال : حدثنا سيَّار قال : حدثنا جعفر قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُبِّبَ إليَّ النّساءُ والطيبُ ، وجعلتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة » .

قال الحافظ السيوطي : قال بعضهم : في هذا قولان : أحدهما : أنه زيادة في الابتلاء والتكليف ، =

= حتى يلهو بما حبب إليه من النساء ، عما كلف من أداء الرسالة ، فيكون ذلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجره .

والثاني : لتكون خلواته مع ما يشاهدها من نسائه ، فيزول عنه ما يرميه به المشركون من أنه ساحر أو شاعر ، فيكون تحببهن إليه على وجه اللطف به ، وعلى القول الأول على وجه الابتلاء ، وعلى القولين فهو له فضيلة .

وقال التستري في (شرح الأربعين) : « من » في هذا الحديث بمعنى « في » ، لأن هذه من الدين لا من الدنيا ، وإن كانت فيها . والإضافة في رواية « دنياكم » للإيذان بأن لاعلاقة له بها .

وفي هذا الحديث : إشارة إلى وفائه ﷺ بأصلي الدين ، وهما التعظيم لأمر الله ، والشَّفَقَة على خلق الله ، وهما كمالُ لقوَّتيْه ، النظرية والعملية ، فإن كمال الأولى بمعرفة الله ، والتعظيم دليل عليها ، لأنه لا يتحقق بدونها ، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالى على ما قال ﷺ : « المصلي يناجي ربه » ، نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها .

وكمال الثانية في الشفقة وحُسن المعاملة مع الخَلْق ، وأوْلى الخَلْق بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس ، نفسه وبدنه ، كما قال ﷺ : « أبدأ بنفسك ثم بمن تعول » ، والطيب أخص الذات بالنفس ، ومباشرة النساء ألذّ الأشياء بالنسبة إلى البدن ، مع ما يتضمن من حفظ الصحة ، وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود ، ثم إن معاملة النساء ، أصعب من معاملة الرجال ، لأنهن أرق ديناً ، وأضعف عقلاً ، وأضيق خلقاً ، كما قال ﷺ : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين ، أذهَبُ للُبّ الرجل الحازم منكن » .

فهو عليه الصلاة والسلام أحسن معاملتهن بحيث عوتب بقوله تعالى : ﴿ **تبتغي مرضاة أزواجك** ﴾ ، وكان صدور ذلك طبعاً لا تكلفاً ، كما يفعل الرجل ما يحبه من الأفعال ، فإذا كانت معاملته معهن هذا ، فماظنك بمعاملته مع الرجال ، الذين هم أكمل عقلاً ، وأمثل ديناً ، وأحسن خُلُقاً ؟ .

وقوله ﷺ : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، إشارة إلى أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف في نفس الأمر ، وأما تأخيره فللتدرج التعليمي من الأدنى إلى الأعلى ، وقدم الطيب على النساء ، لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف .

وقال الحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) : الأنبياء زيدوا في النكاح لفضل نبوتهم ، وذلك أن النور إذا امتلأ منه الصدر ، ففاض في العروق ، التذت النفس والعروق ، فأثار الشهوة وقوَّاها .

وروى عن سعيد بن المسيب أن النبيين عليهم الصلاة والسلام ، يُفَضَّلون بالجماع على الناس ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أُعطيتُ قوة أربعين رجلاً في البطش والنكاح ، وأعطى المؤمن قوة عشرة » ، فهو بالنبوّة ، والمؤمن بإيمانه ، والكافر له شهوة الطبيعة فقط .

قال : وأما الطيبُ فإنه يزكي الفؤاد ... وروى أحمد والترمذي من حديث أبي أيوب قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من سنن المرسلين : التعطّر ، والحياء ، والنكاح ، والسواك » . وقال الشيخ تقي الدين السبكي : السِّرّ في إباحة نكاح أكثر من أربع لرسول الله ﷺ ، أن الله تعالى أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها ، وما يُسْتَحيا من ذكره ، وما لا يستحيا منه ، وكان رسول الله ﷺ أشدّ الناس حياءً ، فجعل الله تعالى له نسوة ، ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله ، ويسمعنه من أقواله ، التي قد يستحي من الإفصَاح بها بحضرة الرجال ، ليكتمل نقل الشريعة ، وكثر عدد النساء ليكثر الناقلون لهذا =

واختص أيضاً بإعجاز القرآن ، وأُعطي جوامع الكلم ، ولم يعط ذلك نبي قبله ، واعطي كما قال : ستاً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبله : بعث إلى الناس كافة فعمت رسالته ، ونصر بالرعب ، وأُحلت له ولأمته الغنائم ، وجعلت له ولأمته الأرض مسجداً وتربتها طهوراً ، ومما خُصَّ به أن أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض ، وخَصَّه بصورة الكمال فكملت به الشرائع وكان خاتم الأنبياء ، ولم يكن ذلك

= النوع ، ومنهن عُرف مسائل الغُسل ، والحيض ، والعدة ، ونحوها .

قال : ولم يكن ذلك لشهوة منه في النكاح ، ولا كان يحب الوطء للذة البشرية ، معاذ الله ، وإنما حُبِّبَ إليه النساء لنقلهن عنه ما يستحي هو من الإمعان في التلفظ به ، فأحبهن لما فيه من الإعانة على نقل الشريعة في هذه الأبواب.

وأيضاً فقد نقلن ما لم ينقله غيرهن مما رأينه في منامه ، وحال خلوته ، من الآيات البينات على نبوته ، ومن جِدِّه ، واجتهاده في العبادة ، ومن أمورٍ يشهد كل ذي لُب أنها لا تكون إلا لنبي ، وما كان يشاهدها غيرهن ، فحصل بذلك خير عظيم .

وقال الموفق عبْد اللطيف البغدادي : لما كانت الصلاة جامعة لفضائل الدنيا والآخرة ، خصَّها بزيادة صفة ، وقدَّم الطيب لإصلاحه النفس ، وثنَّي بالنساء لإماطة أذى النفس بهن ، وثلَّث بالصلاة لأنها تحصل حينئذ صافية عن الشوائب ، خالصة من الشواغل . (سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي) : ٧ / ٧٢ - ٧٣ .

وقال الإمام السندي : قوله ﷺ : « حُبِّبَ إليّ من الدنيا النساء » ، قيل : إنما حُبب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله ، ويُستحيا من ذكره .

وقيل : حُبب إليه زيادة في الابتلاء في حقه ، حتى لا يلهو بما حُبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة ، فيكون أكثر لمشاقه ، وأعظم لأجره ، وقيل غير ذلك .

وأما الطيب ، فكأنه يحبه لكونه يناجي الملائكة ، وهم يحبون الطيب ، وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج ، وكمال الخلقة ، وهو ﷺ أشدُّ اعتدالاً من حيث المزاج ، وأكمل خلقة .

وقوله ﷺ : « قرة عيني في الصلاة » ، إشارة إلى أن تلك المحبة ، غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى ، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى ، حتى أنه بمناجاته تقر عيناه ، وليس له قريرة العين فيما سواه .

فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى ، كما قال : ﷺ : « لو كنت متخذاً أحداً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر ، وإن صاحبكم لخليل الرحمن » - أو كما قال -

وفيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن مخلاً لأداء حقوق العبودية ، بل للانقطاع إليه تعالى ، يكون من الكمال ، وإلا يكون من النقصان ، فليتأمَّل .

وعلى ما ذكر ، فالمراد بالصلاة ، هي ذات ركوع وسجود ، ويحتمل أن المراد في صلاة الله تعالى عليَّ ، أو في أمر الله تعالى الخلق بالصلاة عليَّ . والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) : ٧٣ - ٧٤ .

لغيره[1] .

---

(١) هذا الحديث أخرج البخاري في كتاب التيمم ، باب (١) ، حديث رقم (٣٣٥) : أخبرنا سيار قال : حدثنا يزيد الفقير قال : أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : « أُعطِيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأُحِلَّتْ لي المغانم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي ، وأُعطِيتُ الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثتُ إلى الناس عامة » .

قوله : « حدثنا يزيد الفقير » ، هو ابن صهيب يكني أبا عثمان ، التابعي مشهور ، قيل له الفقير لأنه كان يشكو فقار ظهره ، ولم يكن فقيراً من المال ، قال صاحب المحكم : رجل فقير مكسور فقار الظهر ، ويقال له : فقير بالتشديد أيضاً .

فائدة : مدار حديث جابر هذا على هشيم بهذا الإسناد ، وله شواهد من حديث ابن عباس وأبي موسى وأبي ذر ، من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، رواها كلها أحمد بأسانيد حسان .

قوله ﷺ : « لم يُعطهن أحد قبلي » ، زاد في كتاب الصلاة عن محمد بن سنان : « من الأنبياء » ، وفي حديث ابن عباس : « لا أقولهن فخراً » ، ومفهومه أنه لم يختص بغير الخمس المذكورة ، لكن روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « فضلت على الأنبياء بست » ، فذكر أربعاً من هذه الخمس ، وزاد ثنتين كما سيأتي بعد .

وطريق الجمع أن يقال : لعله اطلع أولا على بعض ما اختص به ، ثم اطلع على الباقي ، ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الإشكال من أصله . وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله ، وهو كذلك .

ولا يعترض بأن نوحاً عليه السلام ، كان مبعوثاً إلى أهل الأرض بعد الطوفان ، لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه ، وقد كان مُرسلاً إليهم ، لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته ، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع ، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس ، وأما نبينا ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة ، فثبت اختصاصه بذلك .

وأما قول أهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة : « أنت أول رسول إلى أهل الأرض » ، فليس المراد به عموم بعثته ، بل إثبات أولية إرساله ، وعلى تقدير أن يكون مراداً فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة آيات ، على أن إرسال نوح كان إلى قومه ، ولم يذكر أنه أُرسل إلى غيرهم .

واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الأرض ، فأُهلكوا بالغرق إلا أهل السفينة ، ولو لم يكن مبعوثاً إليهم لما أهلكوا ، لقوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ ، وقد ثبت أنه أول الرسل .

وأجيب بجواز أن يكون غيره أُرسل إليهم في أثناء مدة نوح ، وعلم نوح بأنهم لم يؤمنوا ، فدعا على من لم يؤمن من قومه ومن غيرهم فأُجيب ، وهذا جواب حسن ، لكن لم يُنقل أنه نُبّيء في زمن نوح غيره .

ويحتمل أن يكون معنى الخصوصية لنبينا ﷺ في ذلك بقاء شريعته إلى يوم القيامة ، ونوح وغيره بصدد أن يبعث نبي في زمانه ، أو بعده ، فينسخ بعض شريعته ، ويحتمل أن يكون دعاؤه قومه إلى التوحيد ، بلغ بقية الناس ، فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب ، وإلى هذا نحا ابن عطيه في تفسيره =

....

سورة هود قال :

وغير ممكن أن تكون نبوَّته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته ، ووجَّهه ابن دقيق العيد بأن توحيد الله تعالى يجوز أن يكون عامّاً في حق بعض الأنبياء ، وإن كان التزام فروع شريعته ليس عاماً ، لأن منهم من قاتل غير قومه على الشرك ، ولو لم يكن التوحيد لازماً لهم لم يقاتلهم .

ويحتمل أنه لم يكن في الأرض عند إرسال نوح إلا قوم نوح ، [وهذا الاحتمال الأخير أظهر مما قبله ، لقول الله تعالى : ﴿ **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً** ﴾] فبعثته خاصة لكونها إلى قومه فقط ، وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم ، لكن لو اتفق وجود غيرهم لم يكن مبعوثا إليهم .

وغفل الداودي الشارح غفلة عظيمة فقال : قوله : « لم يعطهن أحد » يعني لم تجمع قبله ، لأن نوحاً بعث إلى كافة الناس ، وأما الأربع فلم يُعط أحد واحدة منهن . وكأنه نظر في أول الحديث وغفل عن آخره ، لأنه نص ﷺ على خصوصيته بهذه أيضاً لقوله : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة » ، وفي رواية مسلم : « وكان كل نبي » .

قوله ﷺ : « نُصرت بالرعب » ، زاد أبو أُمامة : « يقذف في قلوب أعدائي » ، أخرجه الإمام أحمد .

قوله ﷺ : « مسيرة شهر » ، مفهومه أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها ، أما ما دونها فلا ، لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب : « ونصرتُ على العدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر » ، فالظاهر اختصاصه به مطلقاً ، وإنما جعل الغاية شهراً ، لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه ، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق ، حتى لو كان وحده بغير عسكر ، وهل هي حاصلة لأمته من بعده ؟ فيه احتمال .

قوله ﷺ : « وجعلت لي الأرض مسجداً » ، أي موضع سجود ، لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ، ويمكن أن يكون مجازاً عن المكان المبني للصلاة ، وهو من مجاز التشبيه ، لأنه لما جازت الصلاة في جميعها ، كانت كالمسجد في ذلك .

قال ابن التين : قيل : المراد جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وجعلت لغيري مسجداً ، ولم تجعل له طهوراً ، لأن عيسى عليه السلام ، كان يسبح في الأرض ، ويصلي حيث أدركته الصلاة ، كذا قال ، وسبقه إلى ذلك الداودي .

وقيل : إنما أبيحت لهم في موضع يتيقنون طهارته ، بخلاف هذه الأمة ، فأبيح لها في جميع الأرض ، إلا فيما يتيقنوا نجاسته ، والأظهر ما قاله الخطابي ، وهو أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة ، كالبيع والصوامع ، ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ : « وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم » ، وهذا نص في موضع النزاع ، فثبتت الخصوصية ، ويؤيده ما أخرجه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث الباب فيه : « ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه » .

قوله ﷺ : « وطهوراً » ، استُدِلّ به على أن الطهور هو المطهر لغيره ، لأن الطهور لو كان المراد به الطاهر لم تثبت الخصوصية ، والحديث إنما سيق لإثباتها . وقد روى ابن المنذر ، وابن الجارود ، بإسناد صحيح ، عن أنس مرفوعاً : « جعلت لي كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً » ، ومعنى طيبة طاهرة ،

....

= فلو كان معنى طهوراً طاهراً للزم تحصيل الحاصل .

واستدل به على أن التيمم يرفع الحدث كالماء لا شتراكهما في هذا الوصف ، قال الحافظ في (الفتح) : « وفيه نظر » . قال محققه : « ليس للنظر المذكور وجه ، والصواب أن التيمم رافع للحدث كالماء ، عملاً بظاهر الحديث المذكور ، وما جاء في معناه ، وهو قول جم غفير من أهل العلم . والله تعالى أعلم . (ا . هـ) .

وعلى أن التيمم جائز بجميع أجزاء الأرض ، وقد أكد في رواية أبي أمامة بقوله : « وجعلت لي الأرض كلها ولأمتي مسجداً وطهوراً » .

قوله ﷺ : « فأيما رجل » ، « أيّ » مبتدأ فيه معنى الشرط ، و « ما » زائدة للتأكيد ، وهذه صيغة عموم يدخل تحتها من لم يجد ماءً ولا تراباً ، ووجد شيئاً من أجزاء الأرض ، فإنه يتيمم به ، ولا يقال : هو خاص بالصلاة ، لأنا نقول : لفظ حديث جابر مختصر ، وفي رواية أبي أمامة عند البيهقي : « فأيما رجل من أمتي أتى الصلاة فلم يجد ماءً ، وجد الأرض طهوراً ومسجداً . وعند الإمام أحمد : « فعنده طهوره ومسجده » . وفي رواية عمرو بن شعيب : « فأينما أدركتني الصلاة تمسحتُ وصليتُ » .

واحتج من خصّ التيمم بالتراب ، بحديث حذيفة عند الإمام مسلم بلفظ : « وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء » ، وهذا خاص ، فينبغي أن يُحمل العام عليه ، فتختص الطهورية بالتراب ، ودلّ الافتراق في اللفظ ، حيث حصل التأكيد من جعلها مسجداً دون الآخر على افتراق الحكم ، وإلا لعطف أحدهما على الآخر نسقاً ، كما في حديث الباب .

ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ « التربة » على خصوصية التيمم بالتراب بأن قال : تربة كل مكان ما فيه من تراب أو غيره . وأجيب بأنه ورد في الحديث المذكور بلفظ « التراب » ، أخرجه ابن خزيمة وغيره . وفي حديث علي : « وجعل التراب لي طهوراً » ، أخرجه الإمام أحمد والبيهقي بإسناد حسن ، ويقوى القول بأنه خاص بالتراب ، أن الحديث سبق لإظهار التشريف والتخصيص ، فلو كان جائزاً بغير التراب لما اقتصر عليه . قوله ﷺ : « فليصل » ، عرف مما تقدم أن المراد فليصل بعد أن تيمم .

قوله ﷺ : « وأحلت لي الغنائم » ، وللكشميهني « المغانم » وهي رواية الإمام مسلم ، قال الخطابي : كان من تقدم على ضربين ، منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم مغانم ، ومنهم من أذن له فيه ، لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه ، وجاءت نارٌ فأحرقته .. وقيل : المراد أنه خُصَّ بالتصرف في الغنيمة يصرفها كيف يشاء ، والأول أصوب ، وهو أن من مضى لم تحل لهم المغانم أصلاً .

قوله ﷺ : « أُعطيتُ الشفاعة » ، قال ابن دقيق العيد : الأقرب أن اللام منها للعهد ، والمراد الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف ، ولا خلاف في وقوعها . وكذا جزم النووي وغيره . وقيل : الشفاعة التي اختص بها أنه لا يُرد فيما يسأل . وقيل : الشفاعة لخروج من في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان ، لأن شفاعة غيره تقع فيمن في قلبه أكثر من ذلك ، قاله عياض . والذي يظهر لي أن هذه مع الأولى ، لأنه يتبعها بها .

وقال البيهقي : يحتمل أن الشفاعة التي يختص بها أن يشفع لأهل الصغائر والكبائر ، وغيره إنما يشفع لأهل الصغائر دون الكبائر . ونقل عياض أن الشفاعة المختصه به شفاعة لا ترد . وقد وقع في حديث ابن عباس : « وأعطيت الشفاعة ، فأخّرتها لأمتي ، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً » . وفي حديث عمرو بن =

....

= شعيب : « فهي لكم ولمن شهد أن لا إلّه إلا الله » ، والظاهر أن المراد بالشفاعة المختصّة في هذا الحديث إخراج من ليس له عمل صالح إلا التوحيد ، وهو مختص أيضاً بالشفاعة الأولى ، لكن جاء التنويه بذكر هذه لأنها غاية المطلوب من تلك لاقتضائها الراحة المستمرة .

وقد ثبتت هذه الشفاعة في رواية الحسن عن أنس في كتاب التوحيد : « ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأقول : يارب ائذن لي فيمن قال : لا إلّه إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي لأُخرجن منها من قال : لا إلّه إلا الله » . ولا يعكر على ذلك ما وقع عند مسلم قبل قوله : « وعزتي » فيقول : « ليس ذلك ، وعزتي .. الخ » ، لأن المراد أنه لا يباشر الإخراج كما في المرات الماضية ، بل كانت الشفاعة سببا في ذلك .

وأما قوله ﷺ : « وبعثت إلى الناس عامة » ، فوقع في رواية مسلم : « وبُعثتُ إلى كل أحمر وأسود » ، فقيل : المراد بالأحمر العجم ، وبالأسود العرب ، وقيل : الأحمر الإنس ، والأسود الجن ، وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، لأنه مرسل إلى الجميع ، وأصْرَحُ الروايات في ذلك وأشملها ، رواية أبي هريرة عند مسلم : « وأرسلت إلى الخلق كافة » .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : أول حديث أبي هريرة هذا : « فُضّلتُ على الأنبياء بست » ، فذكر الخمس المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة ، وزاد خصلتين وهم : « وأعطيت جوامع الكلم ، وختم بي النبيون » ، فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال .

ولمسلم أيضاً من حديث حذيفة : « فضلنا على الناس بثلاث خصال : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة » وذكر خصلة الأرض كما تقدم ، قال : وذكر خصلة أخرى ، وهي الخصلة المهمة بينها ابن خزيمة والنسائي ، وهي : « وأعطيت هذه الآيات من سورة البقرة من كنز تحت العرش » ، يُشير إلى ما حطه الله عن أمته من الإصر ، وتحميل ما لا طاقة لهم به ، ورفع الخطأ والنسيان ، فصارت الخصال تسعاً .

ولأحمد من حديث علي : « أعطيتُ أربعاً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ من أنبياء الله : أُعطيت مفاتيح الأرض ، وسميتُ أحمد ، وجعلت أمتي خير الأمم » وذكر خصلة التراب فصارت الخصال اثنتي عشرة خصلة .

وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه : « فُضّلتُ على الأنبياء بست : غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وجعلت أمتي خير الأمم ، وأعطيت الكوثر ، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه » ، وذكر ثنتين مما تقدم .

وله من حديث ابن عباس رفعه : « فُضّلتُ على الأنبياء بخصلتين : كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم » قال : ونسيتُ الأخرى ، قال الحافظ ابن حجر : فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة . ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع . وقد تقدم طريق الجمع بين هذه الروايات ، وأنه لا تعارض فيها .

وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفى) ، أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء ستون خصلة . وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم :

[١] مشروعية تعديد نعم الله . [٢] إلقاء العلم قبل السؤال .

[٣] أن الأصل في الأرض الطهارة . [٤] أن صحة الصلاة لا تختص بالمسجد المبني لذلك .

وأما حديث : « لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد » فضعيف ، أخرجه الدارقطني من حديث =

فبهذا وأمثاله انفرد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها ، والشرف المحيط الأعم ﷺ . وكان من رتبة الكمال الذي اختص به عليه السلام في جميع أموره : الكمال في [العبودية][1] فكان عبداً صِرفاً لم تقم بذاته ربانية على أحد ، وهي التي أوجبت له السيادة ، وهي الدليل على شهوده على الدوام ، وقد قالت عائشه رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » ، وهو أمر يختص بباطن الإنسان وقوله ، وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالمقام ، فيلتبس على من لا معرفة له بالأحوال . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

* * *

جابر . واستدل به صاحب (المبسوط) من الحنفية على إظهار كرامة الآدمي وقال : لأن الآدمي خلق من ماء وتراب ، وقد ثبت أن كل منهما طهور ، ففي ذلك بيان كرامته . قال محققه :

وحديث جابر ، يغني عنه ما رواه ابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم بإسناد حسن عن ابن عباس مرفوعاً : « من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عُذر » ، وما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة : « أن رجلاً أعمى سأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته ، فقال له النبي ﷺ : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فأجب » ، وهذا في الفرائض كما هو معلوم ، أما النافلة فلا تختص بالمسجد بل هي في البيت أفضل ، إلا ما للشرع دليل على استثنائه . والله تعالى أعلم . (فتح الباري) : ١ / ٥٧٤ كتاب التيمم باب (١) حديث (٣٣٥) .

(١) في (خ) : « العبودة » .

ذكر التنويه[1] بذكر رسول ﷺ من زمن آدم عليه السلام

فخرج الحاكم من حديث عمر بن أوس الأنصاري ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : « أوحى الله إلى عيسى : يا عيسى ، آمن بمحمد ومن أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلق آدم ، ولولا محمد ما خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتبت عليه لا إله إلا الله فسكن[2] » قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد .

وذكر إبراهيم بن طهمان[3] عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن

---

(١) ناه الشيءُ يَنُوهُ : ارتفع وعلا ؛ عن ابن جني ، فهو نائه . ونُهْتُ بالشيء نَوْهاً ، ونَوَّهْتُ به ، ونَوَّهتُه تنويها : رَفَعْتُه . ونَوَّهتُ باسمه : رفعتُ ذكره . (لسان العرب) : ١٣ / ٥٥٠ .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٦٧١ ، كتاب تواريخ المتقدمين ، حديث رقم (٤٢٢٧ / ٢٣٧) : حدثنا علي بن حمشاد العدل إملاءً ، حدثنا هارون بن العباس الهاشمي ، حدثنا جندل بن والق ، حدثنا عمرو بن أوس الأنصاري ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى ، آمن بمحمد ، وأْمُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتبتُ عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . قال في (التخليص) : أظنه موضوعاً على سعيد .

(٣) هو إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد ، وُلد في بهراة وسكن نيسابور ، وقدم بغداد ، ثم سكن مكة إلى أن مات . روى عن أبي إسحاق السبيعي ، وأبي إسحاق الشيباني ، وعبد العزيز بن صهيب ، وأبي جمرة نصر بن عمران الضبعي ، ومحمد بن زياد الجمحي ، وأبي الزبير ، والأعمش ، وشعبة ، وسفيان والحجاج بن الحجاج الباهلي ، وجماعة .

وروى عنه حفص بن عبد الله السلمي ، وخالد بن نزار ، وابن المبارك ، وأبو عامر العقدي ، ومحمد بن سنان العوفي ، ومحمد بن سابق البغدادي وغيرهم . وروى عنه صفوان بن سليم ، وهو من شيوخه .

قال ابن المبارك : صحيح الحديث . وقال أحمد وأبو حاتم وأبو داود : ثقة . زاد أبو حاتم : صدوق حسن الحديث . وقال ابن معين والعجلي : لا بأس به . وقال عثمان بن سعيد الدارمي : كان ثقة في الحديث ، لم يزل الأئمة يشتهون حديثه ، ويرغبون فيه ، ويوثقونه .

وقال صالح بن محمد : ثقة ، حسن الحديث ، يميل شيئاً إلى الإرجاء في الإيمان ، حبب الله حديثه =

ميسرة قال : قلت : يارسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، وخلق العرش ، كتب على ساق العرش : محمد رسول الله ، خاتم الأنبياء ، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء ، وكتب على أبوابها اسمي ، والأوراق والقباب والختام وآدم بين الروح والجسد ، فلما أحياه الله نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله تعالى أنه سيد ولدك ، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه .

وخرج الطبراني من حديث عبد الله بن مسلم ، حدثنا إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال : يارب ، بحق محمد ﷺ إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه : وما محمد ، ومن محمد ؟ فقال : يارب ، إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي إلى عرشك فإذا عليه مكتوب : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك إذ قرنت اسمه مع اسمك ، فقال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو آخر الأنبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك . قال البيهقي :

= إلى الناس ، جيد الرواية . وقال إسحاق بن راهويه : كان صحيح الحديث ، حسن الرواية ، كثير السماع ، ما كان بخراسان أكثر حديثا منه ، وهو ثقة .

وقال يحى بن أكثم القاضي : كان من أنبل الناس ممن حدَّث بخراسان والعراق والحجاز ، وأوثقهم وأوسعهم علماً .

وقال أحمد : كان يرى الإرجاء ، وكان شديداً على الجهمية . وقال أبو زرعة : ذُكر عند أحمد ، وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال : لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكيء .

وقال الدارقطني : ثقة ، إنما تكلموا في الإرجاء . وقال البخاري في (التاريخ) : حدثني رجل ، حدثني علي بن الحسن بن شقيق ، سمعت ابن المبارك يقول : أبو حمزة السكري ، وإبراهيم بن طهمان العلم والحديث .

قال البخاري : وسمعت محمد بن أحمد يقول : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن إبراهيم فقال : صدوق اللهجة . وقال ابن حبان في (الثقات) : قد روى أحاديث مستقيمه تشبه أحاديث الأثبات ، وقد تفرد عن الثقات بأشياء معضلات .

قال الحافظ ابن حجر : الحق فيه أنه ثقة صحيح الحديث إذا روى عنه ثقة ، ولم يثبت غلوه في الإرجاء ولا كان داعية إليه ، بل ذكر الحاكم أنه رجع عنه . (تهذيب التهذيب) : ١ / ١١٢ - ١١٤ ، ترجمة رقم (٢٣١) باختصار .

تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه ، وهو ضعيف[1] .

قال كاتبه : هو أبو زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، ضعَّفه أحمد وأبو داود والنسائيُ ، وقال ابن عدي : له أحاديث حسان ، وهو ممن احتمله وصدقه بعضهم ، وهو ممن يكتب حديثه . وخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن جده عن عمر بنحوٍ أو قريب منه ، ثم قال : حديث صحيح الإسناد .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا من حديث سعيد بن جبير أنه قال : اختصم ولد آدم أي الخلق أكرم على الله تعالى ؟ فقال بعضهم : آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته ، وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله ، فذكروا ذلك لآدم ، فقال : لما نفخ في الروح لم يبلغ قدمي حتى استويت جالساً ، فبرق لي العرش ، فنظرت فيه : محمد رسول الله ، فذاك أكرم الخلق على الله .

وروى الحسين بن [علي] بن أبي طالب مرفوعاً : أهل الجنة ليست لهم كنى إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد توقيراً وتعظيماً . وقال محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام : أنا الله ، وبكة[2] أهلها خيرتي ، وزوارها وفدي كنفي ، أعمر [بيتي][3] بأهل السماء وأهل الأرض ، يأتونه أفواجاً شعثاً غبراً ، يعجون بالتكبير عجيجاً ، ويرجون بالتلبية رجيجاً ، ويثجون بالبكاء ثجاً ، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ، ووفد إليّ ، ونزل بي ، وحق لي أتحفه بكرامتي ، أجعل ذاك البيت وذكره وشرفه ومجده وسناه لنبي من ولدك يقال له إبراهيم ، أرفع له قواعده ، وأقضي على يديه عمارته ، وأبسط له سقايته ، وأريه حله وحرمه ،

---

(١) (المستدرك للحاكم) وقال : حديث صحيح الإسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في هذا الكتاب ، وقال (الحافظ الذهبي) في (التلخيص) : « قلت : بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ » جـ ٢ ص ٦١٥ .

(٢) من أسماء مكة المكرمة : بكة ، وأم القرى .

(٣) في (خ) « أعمره » ، وما بين القوسين زيادة للسياق .

وأعلمه مشاعره ، ثم تعمره الأمم والقرون حتى ينتهي إلى بني من ولدك يقال له محمد ، وهو خاتم النبيين ، فأجعله من سكـانه وولاته وحجابه وسقاته ، ومن سألك عني يومئذ فأنا الشعث الغُبْر الموفين بنذورهم ، المقبلين إلى ربهم .

وقال سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه عن كعب الأحبار قال : لما أراد الله أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل فأتاه بالقبضة التي هي موضع قبر رسول الله ﷺ فعجنت بماء التسنيم ، ثم غمست في أنهار الجنة وطيف بها في السموات والأرض ، فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم ، ثم كان نور [محمد][1] يُرى في غرة جبهة آدم ، وقيل له يا آدم ، هذا سيد ولدك من المرسلين ، فلما حملت [حواء][2] بشيث انتقل النور من آدم إلى [حواء][2] ، وكانت تلد في كل بطن ولدين إلَّا شِيثاً فإنه ولدته وحده كرامة لمحمد ﷺ ، ثم لم [يزل][3] ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد ﷺ .

وقال ورقاء بن عمر عن ابن أبي الحجيج عن عطاء بن السائب ومجاهد عن مرة الهمزاني عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أين كنت وآدم في الجنة ؟ قال : كنت في صلبه ، وأهبطت إلى الأرض وأنا في صلبه ، وركبت السفينة في صلب نوح ، وقذفت في النار في صلب إبراهيم ، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، فأخذ الله لي بالنبوة ميثاقي ، وفي التوراة بَشَّرَ بي ، وفي الإنجيل شهر اسمي ، تشرق الأرض لوجهي ، والسماء لرؤيتي[4] .

---

(١) في (خ) : « محمداً » وما أثبتناه حق اللغة .

(٢) في (خ) : « حوى » . (٣) زيادة للسياق .

(٤) يشهد لهذا الأثر ما أخرجه كل من :

البخاري : في كتاب المناقب ، باب (٢٣) ، حديث رقم (٣٥٥٧) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « بُعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه » .

قوله ﷺ : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً » ، القرن الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد » ، ومنهم من حدَّه بمائة سنة ، وقيل : بسبعين ، وقيل بغير ذلك . فحكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين ، ثم تعقب الجميع وقال : الذي أراه أن القرن كل أمة هلكت =

....

= حتى لم يبق منها أحد . وقوله ﷺ : « قرناً » ، بالنصب حال للتفصيل .

قوله ﷺ : « حتى كنت من القرن الذي كنت منه » ، في رواية الإسماعيلي : « حتى بُعثتُ من القرن الذي كنتُ فيه » ... والقرن أهل زمان واحد متقارب ، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ، ويقال : إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة ، أو مذهب ، أو عمل . ويطلق القرن على مدة من الزمان ، واختلفوا في تحديدها ، ذكر الجوهري بين الثلاثين والثمانين ، وقد وقع في حديث عبد الله بن بُسر عند مسلم ، ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهور .

وقال صاحب المطالع : القرن أمة هلكت ، فلم يبق منهم أحد ، وثبتت المائة في حديث عبد الله بن بُسر ، وهو ما عند أكثر أهل العراق . ولم يذكر صاحب (المحكم) الخمسين ، وذكر من عشر إلى سبعين ، ثم قال : هذا هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن ، وهذا أعدل الأقوال ، وبه صرح ابن الأعرابي وقال : إنه مأخوذ من الأقران ، ويمكن أن يحمل عليه المختلف من الأقوال المتقدمة ممن قال إن القرن أربعون فصاعداً ، أما من قال إنه دون ذلك فلا يلتئم على هذا القول والله أعلم .

والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة . قوله ﷺ : « وبعثتُ في خير قرون بني آدم » ، وفي رواية بريدة عند الإمام أحمد : « خير هذه الأمة القرن الذي بُعثتُ فيهم » ، وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة ، أو دونها ، أو فوقها بقليل ، على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل ، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعاً وتسعين .

وأما قرن التابعين ، فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين ، وأما الذين بعدهم ، فإن اعتبر منها ، كان نحواً من خمسين ، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف بإختلاف أعمار أهل كل زمان والله تعالى أعلم .

واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين ، ورفعت الفلاسفة رؤوسها ، وامتُحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً ، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن ، وظهر قوله ﷺ : « ثم يفشو الكذب » ظهوراً بيناً ، حتى يشمل الأقوال ، والأفعال ، والمعْتقدات ، والله المستعان . (فتح الباري) : ٦ / ٧١٢ ، ٧ / ٦ - ٧ .

ومسلم : في كتاب الفضائل ، باب (١) ، فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث رقم (٢٢٧٦) : حدثنا محمد بن مهران الرازي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم ، جميعا عن الوليد ، قال ابن مهران : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، عن أبي عمار شداد ، أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وباب (٢) تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، حديث رقم (٢٢٧٨) ؛ حدثني الحكم بن موسى أبو صالح ، حدثنا هقل - يعني ابن زياد - عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني عبد الله بن فروخ ، حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفَّع »

=قوله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة » ، قال الإمام النووي : استدل به أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفءٍ لهم ، ولا غير بني هاشم كفوءٌ لهم ، إلا بني المطلب فإنهم هم وبنو هاشم شيىء واحد ، كما صرح به في الحديث الصحيح .

قوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفَّع » ، قال الهروي : السيد هو الذي يَفُوق قَوْمَهُ في الخير ، وقال غيره : هو الذي يُفزع إليه في النوائب والشدائد ، فيقوم بأمرهم ، ويتحمَّل عنهم مكارههم ، ويدفعها عنهم .

وأما قوله ﷺ : « يوم القيامة » ، مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة ، فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ، ولا يبقى مناع ولا معاند ونحوه ، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار ، وزعماء المشركين .

وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك ، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك ، أو من يُضاف إليه مجازاً ، فانقطع كل ذلك في الآخرة .

قال العلماء : وقوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم » ، لم يقله فخراً ، بل صرَّح بنفي الفخر في غير مسلم ، في الحديث المشهور : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، وإنما قاله لوجهين :

أحدهما : إمتثال قوله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ .

والثاني : أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ، ليعرفوه ويعتقدوه ، ويعملوا بمقتضاه ، ويوقروه ﷺ بما يقتضي مرتبته ، كما أمرهم الله تعالى .

الآدميين أفضل من الملائكة ، وهو ﷺ على الخلائق كلهم ، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة ، وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم . وأما الحديث الآخر : « لا تفضلوا بين الأنبياء » ، فجوابه من خمسة أوجه :

أحدهما : أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ، فلما علم أخبر به .

والثاني : قاله أدباً وتواضعاً .

والثالث : أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول .

والرابع : إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة ، كما هو المشهور في سبب الحديث .

والخامس : أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة ، فلا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ، ولابد من اعتقاد التفضيل ، فقد قال تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ .

قوله ﷺ : « وأول شافع وأول مشفع » ، إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان ، فيشفع الثاني منهما قبل الأول . والله تعالى أعلم .

والترمذي : في أبواب المناقب ، باب (٢٠) ما جاء في فضل النبي ﷺ حديث رقم (٣٨٥٠) : حدثنا محمود بن غيلان ، أخبرنا أبو أحمد ، أخبرنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : « جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئاً ،=

قال جامعه وقد أشار إلى هذا الحديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في شعره المشهور عنه ، خرج أبو بكر الشافعي قال : حدثني أبو الشيخ محمد بن الحسين الأصفهاني ، وعبد الله بن محمد بن ياسين قالا : حدثنا زكريا بن يحى بن عمر بن حصن بن حمير عن مُنْهب بن حارث بن خريم بن أوس بن حارثة قال : قال : خريم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ فسمعت العباس رضي الله عنه يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ، فقال له رسول الله ﷺ : فقل لا يُفْضض الله فاك ، فأنشأ العباس يقول :

= فقام النبي ﷺ على المنبر فقال : من أنا ؟؟ فقالوا : أنت رسول الله عليك السلام ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نَفْساً » ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . ورُوي عن سفيان الثوري ، عن يزيد بن أبي زياد ، نحو حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد عن عبْد الله بن الحارث ، عن العباس بن عبد المطلب .

قوله : « جاء العباس » ، أي غضبان « وكأنه سمع شيئاً » ، أي من الطعن في نسبه أو حسبه ، « فقال : من أنا ؟ » استفهام تقرير على جهة التبكيت ، « فقالوا : أنت رسول الله ، فلما كان قصده ﷺ بيان نسبة وهم عدلوا عن ذلك المعنى ، ولم يكن الكلام في ذلك المبنى ، « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب » ، يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب .

قال الطيبي : قوله : « فكأنه سمع » ، مسبب عن محذوف ، أي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعناً من الكفار في رسول الله ﷺ ، نحو قوله تعالى : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ ، كأنهم حقَّروا شأنه ، وأن هذا الأمر العظيم الشأن لا يليق إلا بمن هو عظيم من إحدى القريتين ، كالوليد بن المغيرة ، وعروة بن مسعود الثقفي مثلاً ، فأقرهم ﷺ ، على سبيل التبكيت ، على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه ، فإنه الأوْلى بهذا الأمر من غيره ، لأن نسبه أعرف . ومن ثم لما قالوا : أنت رسول الله ، ردَّهم بقوله : أنا محمد بن عبد الله . (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٥٤ .

وابن الأثير في (جامع الأصول) : ٨ / ٥٣٦ ، حديث رقم (٦٣٣٨) ، رقم (٦٣٣٩) .

والإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٣٤٥ ، حديث رقم (١٧٩١) ، حديث رقم (١٧٩٣) .

وأبو حيان الأندلسي في (البحر المحيط) : ٨ / ١٩٨ ، عند تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ **وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلُّبك في الساجدين** ﴾ ، قال ابن عباس : في أصلاب آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، حتى خرجت .

وابن كثير في (التفسير) : ٣ / ٣٦٥ ، وروى البزار وابن أبي حاتم ، من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾ : يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي ، حتى أخرجه نبياً .

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورقُ
ثم هبطت البلاد ولا بشرٌ	أنت ولا مضغة ولا علقُ
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسراً وأهله الغرقُ
وَرَدْتَ نار الخليل فكنتما	تجول فيها فليس تحترقُ
نقلت من صالب إلى رحم	إذا مضى عالَم بدا طبقٌ
حتى احتوى بيتك المُهَيْمِن من	من خِنْدف علياء تحتها النُّطُقُ
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض	وضاءت بنورك الأفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشاد نخترقُ

قوله : (في الظلال) ، يريد ظلال الجنة حيث كان كونه ﷺ في صلب آدم عليه السلام .

ويشير بقوله : (مستودع) ، إلى موضع آدم وحواء من الجنة ، وقيل المستودع : النطفة في الرحم .

ويشير بقوله : (يخصف الورق) إلى قوله تعالى حكاية عن آدم وحواء : ﴿ **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾[1] .

وفي رواية : (وأهلها الغرق) ، كأنه عني أهل الأرض أو البلاد لتقدم ذكرها ، ويكون الضمير في قوله : (نسراً وأهله) ، عائد على قوم نوح المغرقين ، يريد : كنت يا محمد في صلب آدم وهو في الجنة ، ثم لما هبط إلى الأرض هبطت في صلبه ، وتنقلت من بعده في الأصلاب حتى ركبت مع نوح عليه السلام السفينة وأنت في صلبه ، لما غرق قوم نوح بالطوفان من أجل كفرهم بالله عز وجل ، وعباده الأصنام التي هي وَدَّاً وسُواعاً ويَغُوثَ ويَعُوق ونَسْراَ ، وعبَّر عن السفينة بالسفين ، وهو جمع سفينة ، يقال : سفينة وسفين ، وتجمع على سفن والسفائن أيضاً .

وقوله : (وردت نار الخليل) ، يريد أنك كنت في صلب إبراهيم عليه السلام

---

(١) الأعراف : ٢٢ .

لما ألقي في النار فلم تحرقه .

وقوله : (تنقل) ، وفي رواية : نقلت من صَالِب إلى رحم ، يريد من صلب ذكر إلى رحم امرأة ؛ وفي الصلب ثلاث لغات : بضم الصاد وإسكان اللام ، وصُلُب بضم الصاد واللام جميعاً ، وصَلَب بفتح الصاد واللام معاً ، حكى هذه الأخيرة في (مختصر العين) .

وقد روى (تُنقل من صلب) ، ورواية (صالب) أشهر ، والصالب بمعنى الصلب لغة قليلة .

وقوله : (إذا مضى عالم بدا طبق) ، يريد بالطبق القرن لأنهم طبق الأرض ، فينقرضون ويأتي طبق آخر .

وقوله : (حتى احتوى بيتكِ المهيمن من خندف) ، قيل : حتى احتوى بيتك المهيمن أي يامهيمن من خندفٍ علياء فأقام البيت مقامه ﷺ لأن بيته إذا حل بهذا المكان فقد حل هو به ، وهو كما يقال : بيته أعزّ بيت ، وإنما يراد صاحبه ، واعتُرض على هذا بأنه إذا عُبر بالبيت عنه ﷺ فإنه كما قال زياد الأعجم .

إن السماحة والمروءة والنَّدى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإن هذا وإن كان ممكنا ، لا ضرورة تدعو إليه ، إذ بقاؤه على ظاهره ممكن ، وهو مدح أهل بيته ﷺ وهو داخل فيهم ، فإن مدح بيت الرجل قد يكون أبلغ في مدحه .

فإن قيل : هذا مثل من العباس ؛ أي جعلك الله عاليا وجعل خندف كالنطاق لك ، قيل : هذا لا يقتضيه اللفظ إلا بإكراه وتقديم وتأخير ، بأن يكون تقديره : حتى احتويت واحتوى بيتك علياء تحتها النطق من خندف ، وإنما الوجه أن يكون المعنى : احتوى بيتك المهيمن من خِنْدف علياء كل النطق تحتها ، أو يعلق من خِنْدَفٍ بعلياء أي علياء من خِنْدَفٍ كل نطاق دونها أو تحتها .

والنُّطُق : هي أوساط الجبال العالية .

والمهيمن : الشاهد ، كأنه حتى احتوى شرف بيتك الشاهد منه الفرع الذي

هو أنت على طيب الأصل ، ويمكن أن يكون قد عبَّر بالنطق عن ذوات النطاق ، والنُّطُق : جمع نطاق ، والنطاق : إزار له تكه تنتطق به المرأة ، وكأنه لما قال : أنه احتوى علياء خِنْدِفٍ ، والقبيلة إنما سميت بالمرأة ، حسنٌ أن يقال : أن هذه العلياء التي احتواها دونها علياء كل ذات نطاق ، هي أم الشخص أو القبيلة ، ويمكن أن يكون مأخوذاً من نطاق البيت وهو ما يراد عليه من خشب يجمع أركانه ، فكأنه لما وصف شرفه الليالي وكنى عنه البيت ، رشَّحَهُ إلى ذكر النطاق المستعمل للبيت ، أي تحت علياء بيته نطاق كل بيت .

وقيل معناه : حتى احتويت يامهيمن من خِنْدَفٍ علياء ، يريد النبي ﷺ فأقام البيت مقامه ، لأن البيت إذا حل بهذا المكان فقد حلَّ به صاحبه ، وأراد ببيته شرفه ، والمهيمن من نعته ، كأنه قال : حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك علياء الشرف من نسب ذوي خِنْدَف إلى تحتها النطق – وهي أوساط الجبال العالية – وَخِنْدَف : هي إمرأة إلياس بن مضر بن نزار ، فنُسب إليها وَلَدُ الناس[1] .

وقيل : أراد بقوله : النُطق ، العفاف من لبس المرأة النطاق ليحصنها ، فيكون النطق بمعنى نطاق ، أي تحتها نطاق العفاف ، وقيل : النطق ، جمع ناطق ، وقيل : النطق : جمع نطاق ، وهو الذي يشده الإنسان على وسطه ، ومنه المنطق ، وهذا من العباس رضي الله تعالى عنه مثلٌ ، أي جعلك الله عالياً ، وجعل خندف كالنطاق لك . والله أعلم .

وقد روى أن جبير بن مطعم قال : لما بعث الله تعالى نبيه ﷺ فظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببُصْرى أتاني جماعة من النصارى فقالوا لي : من أهل الحرم أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت :

---

(١) هي ليلى بنت حُلوان بن عمران ، وكان إلياس خرج في نُجْعَةٍ فنفرت إبله أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها ، وانقمع عمير في الخباء ، وخرجت أمهم تُسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فقالت : ما زلت أخندف في إثركم ، فلقبوا : مُدركة ، وطابخة ، وقمعة ، وَخِنْدَف (ترتيب القاموس) : جـ ٢ ص ١١٥ ، (الأعلام للزكلي) : جـ ٦ ص ١١٦ ، (معجم قبائل العرب) : جـ ١ ص ٤٠ .

نعم ، قال : فأخذو بيدي فأدخلوني ديراً فيه تماثيل وصور فقالوا : انظر ، هل ترى صورة هذا الذي بُعث ؟؟ فنظرت ، فلم أر صورته فقلت : لا أرى صورته ، فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير ، فقالوا لي : أنظر هل ترى صورته ؟ فإذا أنا بصورة رسول الله ﷺ وصفته ، وإذا أنا بصفة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ فقالوا لي : هل ترى صورته ؟ فقلت : نعم ، وقلت : لا أخبرهم حتى أعرف ما يقولون ، قالوا : هو هذا ؟ قلت : نعم ، وأشاروا إلى جبهة رسول الله ﷺ ، قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو ، قالوا : هل تعرف هذا ؟ قلت : نعم ، قالوا لي : نشهد أن هذا صاحبكم وهذا الخليفة بعده[1] .

وقال موسى بن عقبة : إن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله ورجل آخر بُعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، قالوا : فدخلنا على جبلة بن الأهثم وهو بالغوطة ، فإذا عليه ثياب سود ، وإذا كل شيء حوله أسود ، قالوا : ياهشام ، كلمه ، فكلمه ودعاه إلى الله تعالى ، فقال : ماهذه الثياب السود ؟ قال : لبستها نذراً ولا أنزعها حتى أخرجكم من الشام كلها !! قال : قلنا اتئد – أو كلمة تشبهها – حتى تمنع مجلسك ، فو الله لنأخذنه منك وملك الملك الأعظم إن شاء الله ، أخبرنا بذلك نبينا ، قال : فأنتم إذن السمراء ، قلنا : السمراء ؟ قال : لستم هم ، قلنا : ومن هم ؟ قال : هم الذين يصومون النهار ويقومون الليل ، قلنا : نحن هم والله ، قال : فكيف صومكم ؟ فوصفنا له صومنا ، فقال : فكيف صلاتكم ؟ فوصفنا له صلاتنا ، فقال : فالله يعلم لقد غشيه سواد حتى صار وجهه كأنه قطعة طابق وقال : قوموا ، فأمر بنا إلى الملك ، فانطلقنا ، فلقينا الرسول بباب المدينة فقال : إن شئتم آتيتكم ببغال ، وإن شئتم آتيتكم ببراذين ، فقلنا : لا والله لا ندخل

---

(١) ونحوه باختلاف يسير في (دلائل النبوة للبيهقي) جـ ١ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ وسنده : « أخبرني الشيخ أبو الفتح رحمه الله من أصله قال : أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح الهروي قال : حدثنا يحى بن محمد ابن صاعد قال : حدثنا عبد الله بن شبيب أبو سعيد الربعي قال : حدثنا محمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال : سمعت أبي جبير بن مطعم يقول ... » وأورد الحديث .

عليه إلا كما نحن ، فأرسل إليهم أن يأتون ، فأرسل : أن خلّ سبيلهم ، فدخلنا مُعْتَمِّين متقلدين السيوف على الرواحل ، فلما كنا بباب الملك ، إذا هو في غرفة له عالية ، فنظر إلينا ، قال : فرفعنا رءوسنا فقلنا : لاإلـه [إلا] الله ، فالله يعلم لنقضت الغرفة كلها حتى كأنها غدق نفضته الريح ، فأرسل : إن هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم عليّ ، وأرسل إلينا : أن ادخلوا ، فدخلنا ، فإذا هو على فراش إلى السقف ، وإذا عليه ثياب حُمْر ، وإذا كل شيء عنده أحمر ، وإذا عنده بطارقة الروم ، وإذا هو يريد أن يكلمنا برسول ، فقلنا : لا والله ما نكلمه برسول ، وإنما بُعثنا إلى الملك ، فإذا كنت تحب أن نكلمك فأْذن لنا نكلمك ، فلما دخلنا عليه ضحك ، فإذا هو رجل فصيح بالعربية ، فقلنا : لا إلـه إلا الله ، فالله يعلم لقد نقض السقف حتى رفع رأسه هو وأصحابه فقال : ما أعظم كلامكم عندكم ، فقلنا : هذه الكلمة ؟ قال : التي قلتماها قبل ؟ قلنا : نعم ، قال : فإذا قلتموها في بلاد عدوكم نقضت سقوفهم ؟ قلنا : لا ، قال : فإذا قلتموها في بلادكم نقضت سقوفكم ؟ قلنا لا ، وما رأيناها فعلت هذا ، وما هو إلا شيء عبرت به ، فقال : ما أحسن الصدق ! فما تقولون إذا فتحتم المدائن ؟ قلنا : نقول : لا إله إلا الله والله أكبر ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ليس معه شيء ، والله أكبر من كل شيء ؟ قلنا : نعم ، قال : فما منعكم أن تحيوني بتحية نبيكم ؟ قلنا : إن تحية نبينا لا تحل لكم ، وتحيتك لا تحل لنا فنحييك بها ، قال : وما تحيتكم ؟ قلنا : تحية أهل الجنة ، قال : وبها كنتم تحيون نبيكم ؟ قلنا : نعم ، قال : وبها كان يحييكم ؟ قلنا نعم ، قال : فمن كان يورث منكم ؟ قلنا : من كان أقرب قرابة ، قال : وكذلك ملوككم ؟ قلنا : نعم ، فأمر لنا بنزل كثير ومنزل حسن ، فمكثنا ثلاثاً ثم أرسل إلينا ليلاً ، فدخلنا عليه وليس عنده أحد ، فاستعاد كلامنا فأعدنا عليه ، فإذا عنده مثل الربعة العظيمة مذهبة ، وإذا فيها أبواب صغار ، ففتح منها باباً ، واستخرج منه خرقة حرير سوداء ، فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل طوّال أكثر الناس شعراً فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا آدم ، ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فإذا رجل ضخم الرأس عظيم ، له شعر كشعر القبط ، أعظم الناس أليتين ، أحمر العينين فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا نوح ، ثم أعاده وفتح باباً آخر فاستخرج

حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل أبيض الرأس واللحية ، كأنه يتبسم ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إبراهيم ، ثم أعاده وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله ﷺ فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسول الله ، وبكينا ، والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال : والله إنه لهو ؟ قلنا : نعم ، إنه لهو كأننا ننظر إليه ، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر الأبواب ولكني عجلته لأنظر ما عندكم ، ثم أعاده وفتح باباً آخر ، واستخرج خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل مقلص الشفتين غائر العينين ، متراكم الأسنان كث اللحية عابس ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسى ، وإذا جنبه رجل يشبهه غير أن في عينيه قيلاً وفي رأسه استدارة ، فقال : هذا هارون ، ثم رفعهما ، وفتح باباً آخر واستخرج منه خرقة سوداء فيها صورة حمراء أو بيضاء ، فإذا رجل أحمر أحمش الساقين أخفش العينين ، ضخم البطن مقلد سيفاً ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود ، ثم أعاده وفتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا رجل راكب على فرس ، طويل الرجلين قصير الظهر ، كل شيء منه جناح تحفه الريح ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان ، ثم أعاده ففتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة أو خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، فإذا صورة شاب تعلوه صفرة ، صلت الجبين حسن اللحية ، يشبهه كل شيء منه ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسى ابن مريم ، ثم أعاده وأمر بالربعة فرفعت ، فقلنا : هذه صورة نبينا قد عرفناها ، فإنا قد رأيناه ، فهذه الصورة التي لم نرها كيف نعرفها أنى هي ؟ قال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه صورة نبي نبي ، فأخرج إليه صورهم في خرق الحرير من الجنة ، فأصابها ذو القرنين في خزانة آدم في مغرب الشمس ، فلما كان دانيال ، صورها هذه الصّور ، فهي بأعيانها ، فو الله لو تطيب نفسي في الخروج عن مُلكي ما باليت أن أكون عبداً لأشدّكم ملكة ، ولكن عسى أن تطيب نفسي ، قال : فأحسن جائزتنا وأخرجنا[1] .

---

(١) وفي المرجع السابق : « فأحسن جائزتنا وسرحنا ، فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأيناه وما قال لنا وما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر وقال : مسكين ، لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم » ص ٣٩٠ .

وقد رواه شرحبيل بن مسلم الخولاني عن أبي أمامة الباهلي ، عن هشام بن العاص ، قال : بعثني أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ورجلاً آخر من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ، فنزلنا على جبلة بن الأهتم الغساني ، فذكروه ... وزاد بعد قوله في صورة نبينا عليه السلام وذكر موسى وهارون : ففتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان حسن الوجه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا لوط ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة أجنأ ، خفيف العارضين حسن الوجه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسحاق ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة تشبه صورة إسحاق ، إلا أن بشفته السفلى خالاً ؛ قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يعقوب ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أقنى الأنف حسن القامة ، يعلو وجهه النور ، يعرف في وجهه الخشوع ، يضرب إلى الحمرة فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسماعيل جد نبيكم ، ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم ، كأن وجهه الشمس ، قال : هل تعرفون هذا ؟ [قلنا : لا ، قال :][1] هذا يوسف . ثم ذكر قصة داود وسليمان وعيسى مثل حديث موسى ابن عقبة ، وزاد : قال : فلما قدمنا على أبي بكر رضي الله تعالى عنه حدثناه بما رأيناه وما قال لنا وما أرانا ، فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال : مسكينا ، لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ ، وقال تعالى : ﴿ **يجدونه مكتوباً عندهم في التورة والإنجيل** ﴾[2] .

* * *

(1) زيادة للسياق من المرجع السابق ص ٢٩١ .

(2) وأخرج الإمام أحمد في (المسند) ، من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا إسماعيل عن الجريري ، عن أبي صخر العقيلي ، حدثني رجل من الأعراب =

= قال : « جلبتُ جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ ، فلما فرغتُ من بيعتي قلتُ : لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه ، قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهودي ناشراً التوراة يقرؤها ، يُعزى بها نفسه على ابن له في الموت ، كأحسن الفتيان وأجمله ، فقال رسول الله ﷺ : « أُنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ فقال برأسه : هكذا ، أي لا ، فقال ابنه : إني والذي أنزل التوراة ، لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وأشهد أن لا إلّـه إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : أقيموا اليهود عن أخيكم ، ثم ولى كفنه ، وحنطه ، وصلى عليه » . (المرجع السابق) : ٦ / ٥٧١ ، حديث رقم (٢٢٩٨١) .

وذكر ابن كثير في (التفسير) ، عند قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ ، باختلاف يسير ، وقال في آخره : هذا حديث جيد ، قوي له شاهد في الصحيح عن أنس (تفسير ابن كثير) : ٢ / ٢٦٢ .

وأما حديث صور الأنبياء ، فقد أخرجه ابن كثير في (التفسير) ، عن الحاكم صاحب (المستدرك) : أخبرنا محمد بن عبد الله بن إسحاق البغوي ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ابن إدريس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن شرحبيل بن مسلم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن هشام ابن العاص الأموي قال : بُعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة – يعني غوطة دمشق – فنزلنا على جبلة بن الأهتم الغسَّاني ، فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له ، فأرسل إلينا برسوله نكلمه ، فقلنا : والله لا نكلم رسولاً وإنما بُعثنا إلى الملك ، فإن أذن لنا كلمناه ، وإلا لم نكلم الرسول ، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك ، قال : فأذن لنا فقال : تكلموا ، فكلمه هشام بن العاص ، ودعاه إلى الإسلام ، فإذا عليه ثياب سود ، فقال له هشام : وما هذه الثياب التي عليك ؟ فقال : لبستُها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام ، قلنا : ومجلسك هذا لنأخذنه منك ، ولنأخذن ملك الملك الأعظم إن شاء الله ، أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ ، قال : لستم بهم ، بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه ، فملىء وجهه سواداً فقال : قوموا ، وبعث معنا رسولاً إلى الملك ، فخرجنا حتى إذا كنا قريباً من المدينة قال لنا الذي معنا : إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك ، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال ، قلنا : والله لا ندخل إلا عليها ، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك ، فأمرهم أن ندخل على رواحلنا ، فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا ، حتى انتهينا إلى غرفة له ، فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا ، فقلنا : لا إلّـه إلا الله والله أكبر ، فالله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح .

قال : فأرسل إلينا ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم ، وأرسل إلينا أن ادخلوا ، فدخلنا عليه وهو على فراش له ، وعنده بطارقة من الروم ، وكل شيء في مجلسه أحمر ، وما حوله حُمرة ، وعليه ثياب من الحمرة ، فدنونا منه ، فضحك فقال : ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم ؟ ، وإذا عنده رجل فصيح بالعربية ، كثير الكلام ، فقلنا : إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك ، وتحيتك التي تُحيَّا بها لا يحل لنا أن نحيك بها ، قال : كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ قلنا : السلام عليكم ، قال : فكيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها ، قال : فكيف يرد عليكم ؟ قلنا : بها ، قال : فما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا إلّـه =

إلا الله والله أكبر ، فلما تكلمنا بها – والله يعلم – لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها ، قال : فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة ، أكلّما قلتموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم ؟ قلنا : لا ، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك ، قال لوددت أنكم كلما قلتم انتفض كل شيء عليكم ، وإني قد خرجتُ من نصف ملكي ، قلنا : لم ؟ .

قال : لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة ، وأنها تكون من حيل الناس ، ثم سألنا عما أراد ، فأخبرناه ، ثم قال : كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه ، فقال : قوموا ، فأمر لنا بمنزل حسن ، ونزل كثير ، فأقمنا ثلاثاً ، فأرسل إلينا ليلاً ، فدخلنا عليه ، فاستعاد قولنا فأعدناه ، ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة ، مذهبة ، فيها بيوت صغار ، عليها أبواب ، ففتح بيتاً وقفلاً ، فاستخرج حريرة سوداء ، فنشرناها ، فإذا فيها صورة حمراء ، وإذا فيها رجل ضخم العينين ، عظيم الأليتين ، لم أر مثل طول عنقه ، وإذا ليست له لحية ، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله . فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا آدم عليه السلام ، وإذا هو أكثر الناس شعراً .

ثم فتح باب آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر كشعر القطط ، أحمر العينين ، ضخم الهامة ، حسن اللحية ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا نوح عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها رجل شديد البياض ، حسن العينين ، صلت الجبين ، طويل الخد ، أبيض اللحية ، كأنه يبتسم ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إبراهيم عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فإذا فيه صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله ﷺ ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا نعم ، هذا محمد رسول الله ﷺ ، قال : وبكينا ، قال : والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس ، وقال : والله إن لهو ؟ قلنا : نعم إنه لهو ، كأنك تنظر إليه ، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ، ولكني عجلته لكم ، لأنظر ما عندكم .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فإذا فيها صورة أدماء سمحاء ، وإذا رجل جعد قطط ، غائر العينين ، حديد النظر ، عابس ، متراكب الأسنان ، متقلص الشفة ، كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسى عليه السلام ، وإلى جنبه صورة تشبهه ، إلا أنه مدهان الرأس ، عريض الجبين ، في عينيه قبل ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا هارون بن عمران عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل آدم ، سبط ، ربعة ، كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا لوط عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة ، أقنى خفيف العارضين حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسحاق عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة تشبه إسحاق إلا أنه على شفته خال ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يعقوب عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة رجل أبيض ، حسن الوجه ، أقنى الأنف ، حسن القامة ، يعلو وجهه نور ، يُعرف في وجه الخشوع ، يضرب إلى الحمرة ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسماعيل جد نبيكم ﷺ .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة كصورة آدم ، كأن وجهه الشمس ، فقال : تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يوسف عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أحمر ، حمش الساقين ، أخفش العينين ، ضخم البطن ، ربعة ، متقلد سيفاً ، فقال : تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فيها صورة رجل ضخم الأليتين ، طويل الرجلين ، راكب فرساً ، فقال ، هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، وإذا شاب شديد سواد اللحية ، كثير الشعر ، حسن العينين ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسى ابن مريم عليه السلام .

قلنا : من أين لك هذه الصور ، لأنا نعلم أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياء عليهم السلام ، لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله ؟ فقال : إن آدم عليه السلام ، سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم ، فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فدفعها إلى دانيال .

ثم قال : أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي ، وإني كنتُ عبداً لا [يترك] ملكه حتى أموت ، ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسَّرحنا .

فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا ، وبما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر وقال : مسكين ! لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ ، أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم . (تفسير ابن كثير) : ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣ ، تفسير الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

وهكذا أورده أيضا الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في (دلائل النبوة) : ١ /٣٨٥ - ٣٩٠ ، باب ما وجد من صورة نبينا محمد ﷺ مقرونة بصورة الأنبياء قبله بالشام ، عن الحاكم إجازة ، فذكره ، وإسناده لا بأس به .

وذكر أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ٥٠ - ٥٦ ، بنحوه وقال في آخره : قال الشيخ رضي الله عنه : ففي هذه القصة عِلْمُ أهل الكتابين بصفة نبينا ﷺ ، وباسمه ، وبعثته .

وانتفاض الغرفة حين أهلُّوا بلا إلـه إلا الله ، وما يوجد من المعجزات بعد موت الأنبياء ، كما يوجد أمثالها قبل بعثتهم ، إعلاماً وإيذاناً بقرب مبعثهم ومجيئهم . (المرجع السابق) .

وأما شرف أصله ،
وتكريم حسبه ونسبه ،
وطيب مولده

فخرج مسلم والترمذي من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد ، أنه سمع واثله بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم . وقال الترمذي : واصطفى هاشماً من قريش ، وقال : هذا حديث حسن غريب[1] .

وخرج الترمذي من حديث محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح[1] .

وقد خرج الفسوي من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد ابن على أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله اختار العرب ، ثم اختار منهم كنانة أو النضر بن كنانة ، ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بني هاشم . وهو حديث مرسل .

وله أيضاً من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحرث بن نوفل ، عن العباس رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يارسول الله إن قريشاً إذا التقوا ، لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها بالشرح .

لا نعرفها !! فغضب رسول الله ﷺ عند ذلك غضباً شديداً ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لا يدخل الجنة قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ، وقلت : يارسول الله ، إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كناس الأرض ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجلّ يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم ، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين ، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة ، ثم جعلني حين جعل البيوت في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً[1] .

وخرج الترمذي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب ، قال : قلت : يارسول الله ! إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كناسة الأرض ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم ، وخير الفريقين ، ثم خير القبائل ، فجعلني في خير القبيلة ، ثم في خير البيوت ، فجعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً . انفرد به الترمذي وقال : هذا حديث

---

(١) ونحوه في أبواب المناقب من (سنن الترمذي) : ١٠ / ٥٤ حديث رقم (٣٨٤٩) ، وقال فيه « فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض » ، أي كصفة نخلة نبتت في كناسة من الأرض ، والمعنى أنهم طعنوا في حسبك .

قال الجزري في (النهاية) : ٤ / ١٤٥ : كَبَا ، فيه : « ما عَرَضْتُ الإسلام على أحد إلا كانت عنده له كَبْوَة ، غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم » . الكبوة : الوقفة كوقفة العاثر ، أو الوقفة عند الشيء يكرهه الإنسان . ومنه « كبا الزَّندُ » إذا لم يُخرجْ ناراً .

ومنه حديث أم سلمة قالت لعثمان : « لا تقدحْ بزنْد كان رسول الله ﷺ أكباها » ، أي عطَّلها من القدح فلم يوربها .

وفي حديث العباس « قال : يارسول الله ، إن قريشاً جعلوا مَثَلَكَ مَثَلَ نخلةٍ في كبوة من الأرض » قال شَمِر : لم نسمع الكبوة ، ولكنا سمعنا الكِبا ، والكُبَة ، وهي الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت .

وقال الزمخشري في (الفائق) : ٣ / ٢٤٢ : وعنه ﷺ أنه قيل له : أين ندفن ابنك ؟ قال : عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون ، وكان قبر عثمان عند كِبَا بني عمرو بن عوف .

وقال أصحاب الفراء : الكبة المزبلة ، وجمعها كبون ، وأصلها كُبْوة ؛ من كبوت البيت إذا كنسته ، وعلى الأصل جاء الحديث ، إلا أن المحدِّث لم يضبط الكلمة فجعلها كَبْوة بالفتح ، وإن صحت الرواية فوجهها أن تطلق الكبوة ، وهي الكَسْحة ، على الكساحة .

حسن . وعبد الله بن الحرث هو ابن نوفل[1] .

ورواه أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد ، فزاد في إسناده : المطلب ابن أبي وداعة . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس ، قال : فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً . وقد خرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث قال : حدثني المطلب بن ربيعة أن العباس دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده فقال : ما أغضبك ؟ فذكر نحوه وقال : هذا حديث حسن صحيح . قال : ورواه جرير عن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن ربيعة وهو الصواب . قال كاتبه : وهكذا رواه يزيد بن عطاء عن يزيد بن أبي زياد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

[وخرج][2] أبو بكر بن أبي شيبة من حديث ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث ، عن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب قال : بلغ النبي ﷺ أن قوماً نالوا منه وقالوا له : إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في كناس ، فغضب رسول الله ﷺ [و][2] قال : إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، ثم قال رسول الله ﷺ : إني خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً . قال البيهقي : كذا قال عن ربيعة بن الحرث ، وقال غيره : عن المطلب بن ربيعة بن الحرث ، وابن ربيعة إنما هو عبد المطلب بن ربيعة له صحبة ، وقد قيل : عن المطلب بن أبي وداعة . ثم ذكر حديث أبي نعيم الفضل بن دكين قال : حدثنا سفيان عن يزيد ابن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال :

---

(١) سبق الإشارة إليه وشرحه .

(٢) زيادة للسياق .

قال العباس : بلغه بعض ما يقول الناس ، وفي رواية : عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال : قال رسول الله ﷺ – وبلغه بعض ما يقول الناس – فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً[1] .

وخرجه الإمام أحمد من حديث حسين بن محمد ، حدثنا يزيد بن عطاء عن يزيد بن عبد الله عن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث قال : أتى ناس من الأنصار النبي ﷺ فقالوا : إنا نسمع من قومك حتى يقول القائل منهم : إنما محمد مثل نخلة تنبت في كنا ، قال : حسين : الكنا ، الكناسة ، فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس ! من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، قال : فما سمعناه ينتمي قبلها إلا أن الله خلق خلقه فجعلني في خير خلقه ، ثم فرقهم فرقتين فجعلني في خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفسا[1] .

وخرجه الترمذي من حديث سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث ، عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال : جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئاً فقام النبي فقال : من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فريقين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً . انفرد به الترمذي وقال : هذا حديث حسن [صحيح غريب][2] .

---

(١) سبق تخريج وشرح نظائر هذه الأحاديث على خلاف في السياقات لكن بنفس المعنى .

(٢) زيادة من رواية الترمذي ، (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٥٤ – ٥٥ ، حديث رقم (٣٨٥٠) ، وسبق شرحه .

وللفسوي من حديث قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً ، وذلك قوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾[1] ، ﴿ **أصحاب الشمال** ﴾[2] ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين [أثلاثاً][3] فجعلني في خيرهم ثلثا ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **فأصحاب الميمنة** ﴾[4] ، ﴿ **والسابقون** ﴾[5] ، فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[6] ، فأنا[7] أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرهم[8] ، بيتاً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[9] ، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب[10] .

وخرج البيهقي من حديث محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : إنا لقعود بفناء النبي ﷺ إذ مرت[11] إمرأة ، فقال بعض

---

(١) الواقعة : ٣٨ . (٢) الواقعة : ٤١ ، وفي (خ) : « وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال » ، وما أثبتناه موافق للتنزيل .

(٣) في (خ) : « ثلاثاً » والتصويب من (دلائل البيهقي) .

(٤) الواقعة : ٨ (٥) الواقعة : ١٠ ، وفي (خ) بين الآيتين قوله تعالى : ﴿ **وأصحاب المشئمة** ﴾ ، والسياق يقتضي عدم إثباتها .

(٦) الحجرات : ١٣ (٧) في (دلائل البيهقي) : « وأنا » .

(٨) في المرجع السابق : « في خيرها » (٩) الأحزاب : ٣٣ .

(١٠) (دلائل النبوة للبيهقي) : ١ / ١٧٠ - ١٧١ ، وقال : « فيه غرابة ونكارة » .

ورواية عباية بن ربعي - من غلاة الشيعة - له عن علي : « أنا قسيم النار » ، وحديث الصراط ، قال الخريبي : « كنا عند الأعمش فجاءنا يوماً وهو مغضب ، فقال : « ألا تعجبون من موسى بن طريف يحدث عن عباية عن علي : « أنا قسيم النار » .

وذكره العقيلي في (الضعفاء الكبير) : ٣ / ٤١٥ ، وقال : روى عنه موسى بن طريف ، كلاهما غاليان ملحدان .

(١١) زيادة من (دلائل البيهقي) : ١ / ١٧٢ .

القوم : هذه [ابنة][1] رسول الله ، فقال أبو سفيان : مثل محمد في نبي هاشم مثل الريحانة في وسط النتن ، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي ﷺ ، فجاء يُعرف في وجهه الغضب فقال : ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ؟! إن الله عز وجل خلق السموات سبعاً ، فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا من خيار إلى خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم[2] .

وخرج البخاري من حديث عبد الواحد ، أنبأنا كريم بن وائل ، حدثتني ربيبة النبي ﷺ - زينب بنت أبي سلمة - قالت : قلت لها : أرأيت النبي ﷺ أكان من مضر ؟ قالت : فَمِمَّن كان إلا من مضر ؟ من بني النضر بن كنانة[3] .

---

(١) في (خ) : « امرأة » وما أثبتناه من المرجع السابق .

(٢) سرده العقيلي في الضعفاء وقال : « لا يتابع عليه » ، ومن رواته يزيد بن عوانة ، عن محمد بن ذكوان ، فيزيد بن عوانة ، ضعَّفَهُ العقيلي ، وسرد له الحديث المنكر هذا ، وقال : « لا يتابع عليه » . (الميزان) : ٤ / ٤٣٦ ، أما محمد بن ذكوان الأزدي الطائي اتفقوا على ضعفه ، قال البخاري : منكر الحديث . وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقال ابن حبان : سقط الاحتجاج به .

(٣) أخرجه البخاري في أول كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى : ﴿ **يٰأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقوله : ﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ [النساء : ١] وما ينهى عن نسب الجاهلية ، حديث رقم : (٣٤٩١) ، حدثنا قيس بن حفص ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا كليب ابن وائل قال : حدثتني ربيبة النبي ﷺ زينب ابنة أبي سلمة قال : « قلت لها : أرأيت النبي ﷺ أكان من مُضر ؟ قالت : فممن كان إلا من مُضر ؟ من بني النضر بن كنانة » .

وحديث رقم (٣٤٩٢) ، حدثنا موسى ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا كليب ، حدثتني ربيبة النبي ﷺ - زينب - قالت : « نهى رسول الله ﷺ عن الدُّبّاء ، والحنتم ، والمقيَّر ، والمزفَّت . وقلت لها : أخبريني ، النبي ﷺ ممن كان ، من مُضر كان ؟ قالت : فممن كان إلا من مضر ؟ كان من ولد النضر بن كنانة » .

قوله : « مضر » ، هو ابن نزار بن معد بن عدنان . والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم مختلف فيه كما سيأتي ، وأمامن النبي ﷺ إلى عدنان فمتفق عليه . وقال ابن سعد في (الطبقات) : حدثنا هشام بن الكلبي قال : « علمني أبي وأنا غلام نسب النبي ﷺ فقال : محمد بن عبد الله =

ولأبي داود الطيالسي من حديث حماد بن سلمة عن عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن هَيْضَم عن الأشعث بن قيس قال : قلت : يارسول الله ، إنا نزعم أنا منكم أو أنكم منا ؟ فقال : نحن من بني النضر بن كنانة ، لا ننتفي من أبينا ولا نقفوا أمنا ، قال : فقال الأشعث : لَا أُوتَى بِرَجُل نَفَى رَجُلاً من قريش من النَّضْر بن كنانة ، إلاَّ جَلَدْتُهُ ....

ابن عبد المطلب – وهو شيبة الحمد – بن هاشم – واسمه عمرو – بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر وإليه جماع قريش » .

« وما كان فوق فهر فليس بقرشيّ بل هو كناني ، ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركه ، واسمه عمرو بن إلياس بن مُضر .

وروى الطبراني بإسناد جيد ، عن عائشة قالت : « استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان » . ومُضر بضم الميم وفتح المعجمة ، يقال : سمي بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضر ، وهو الحامض ، وفيه نظر لأنه يستدعي أنه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة ، نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ، ولا يلزم أن يكون متصفاً به حال التسمية ، وهو أول من حدا الإبل .

وروى ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال : « مات عدنان ، وأبوه ، وابنه معد ، وربيعة ، ومُضر ؛ وقيس ، وتميم ، وأسد وضبَّة ، على الإسلام على ملة إبراهيم عليه السلام .

وروى الزبير بن بكار من وجه آخر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : « لا تسبوا مُضَر ولا ربيعة ، فإنهما كانا مسلمين » ، ولابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد ؛ رفعه : « لا تسبوا مُضر فإنه كان قد أسلم » .

قوله : « من بني النضر بن كنانة » ، أي المذكور ، وروى أحمد وابن سعد ، من حديث الأشعث ابن قيس الكندي قال : « قلت : يا رسول الله ، أنَّا نزعم أنكم منا – يعني من اليمن – فقال : نحن بنو النضر بن كنانة » . وروى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص ، بإسناد فيه ضعف مرفوعاً « أنا محمد بن عبد الله ، وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ، قال : فمن قال غير ذلك فقد كذب » .

وإلى النضر تنتهي أنساب قريش ، وسيأتي بيان ذلك في الباب الذي يليه [من أبواب البخاري] ، وإلى كنانة منتهى أنساب أهل الحجاز .

وقد روى مسلم من حديث واثلة مرفوعاً : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من كنانة ، قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

ولابن سعد من مرسل أبي جعفر الباقر : ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم .

قوله : « وأظنها زينب » كأن قائله موسى ، لأن قيس بن حفص في الرواية التي قبلها قد جزم بأنها زينب ، وشيخهما واحد . لكن أخرجه الإسماعيلي من رواية حبان بن هلال ، عن عبد الواحد وقال : لا أعلمها إلا زينب ، فكأن الشك فيه من شيخهم عبد الواحد ، كان يجزم بها تارة ، ويشك تارة أخرى .

الحد[1] .

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي : حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال : بلغ النبي ﷺ أن رجالاً من كندة يزعمون [أنه][2] منهم ، فقال : « إنما كان يقول [ذاك][3] العباس وأبو سفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمنا بذلك ، وإنا لن نَنْتَفي من آبائنا ، نحن [بنو][4] النضر بن كنانة ، قال : وخطب رسول الله ﷺ فقال : أنا محمد بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، ابن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، ابن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خُزَيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، ابن مضر ، ابن نزار » ، وما افترق الناس فريقين إلا جعلني [الله][5] في خيرهما ، فأخرجت [من][5] بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية ، خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتى [انتهيت][6] ، إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً . قال البيهقي : تفرد به أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (السنن) ، كتاب الحدود ، باب (٣٧) من نفي رجلاً من قبيلته ، حديث رقم (٢٦١٢) ولفظه : عن مسلم بن الهيضم ، عن الأشعث بن قيس ، قال : أتيتُ رسول الله ﷺ في وفد كنده ، ولا يروني إلا أفضلهم . قلت : يارسول الله ! ألستم منا ؟ فقال : « نحن بنو النضر ابن كنانة ، لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا » ، قال : فكان الأشعث بن قيس يقول : لا أوتى برجل نفي رجلاً من قريش ومن النضر بن كنانة إلا جلدته الحدّ .

قال في (الزوائد) : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، لأن عقيل بن طلحة وثّقهُ ابن معين والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجال الإسناد على شرط الإمام مسلم .

وقال في (النهاية) : « لا نقفوا أمّنا » ، أي لا نتّهمها ولا نقذفها ، يقال : قفا فلان فلاناً : إذا اتهمه بما ليس فيه . وقيل معناه : لا نترك النسب إلى الآباء ، وننتسب إلى الأمهات . (سنن ابن ماجه) : ٢ / ٨٧١ . وفي (خ) : « ولا نقثوا من أمنا » ، وهو خطأ من الناسخ وما أثبتناه من المرجع السابق ومن المرجع التالي .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) : ٦ / ٢٧٦ ، حديث رقم (٢١٣٣٢) بنحوه سواء .

(٢) في (خ) : « أنهم » .
(٣) في (خ) : « ذلك » .
(٤) في (خ) : « بني » .
(٥) زيادة من (دلائل البيهقي) .
(٦) في (خ) : « أتيت » والتصويب من المرجع السابق .

القدامي ، وله عن مالك وغيره أفراد لم تُتَابَعْ عليها .

قال كاتبه : قال ابن عدي : عن عبد الله بن محمد بن ربيعة بن قدامة بن مظعون أبو محمد المصيصي[1] ، عامة أحاديثه غير محفوظة ، وهو ضعيف على ما تبين لي من رواياته واضطرابه ، ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً .

وخرج البخاري من حديث قتيبة بن سعيد ، أنبأنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضي أن رسول الله ﷺ قال : بعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه . ذكره في باب صفة النبي ﷺ[2] .

وخرج البيهقي من حيث عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : [قال] لي جبريل عليه السلام : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم[3] .

وخرج البخاري من حديث شعبة ، حدثني عبد الملك عن طاووس عن ابن عباس [في قوله تعالى] : ﴿ **إلا المودة في القربى** ﴾ ، قال : فقال سعيد بن جبير :

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن ربيعة القُدامي من أهل المصيصة ، كان يقلب الأخبار ، قلب على مالك أكثر من مائة حديث وخمسين حديثاً ، ذكره ابن حبان في (المجروحين) : ٢ / ٣٩ . (دلائل النبوةالبيهقي) : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٧٠١ ، كتاب المناقب ، باب (٢٣) صفة النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٥٥٧) . وورواية البيهقي : « كنتُ فيه » .

قوله : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً » ، القرن الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد ، ومنهم من حدَّه بمائة سنة ، وقيل بسبعين ، وقيل بغير ذلك . فحكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين ، ثم تعقب الجميع وقال : الذي أراه أن القرن كل أمة هلكت حتى لم يبق منها أحد . وقوله : « قرناً » بالنصب على الحال للتفصيل . وفي رواية الإسماعيلي : « حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » . (المرجع السابق) ، (دلائل البيهقي) : ١ / ١٧٥ .

(٣) (دلائل النبوة للبيهقي) : ١ / ١٧٦ ، وتعقّبه بقوله : « قال أحمد : هذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا تصح به ، فبعضها يؤكد بعضاً ، ومعنى جميعها يرجع لما روينا عن واثلة بن الأسقع وأبي هريرة . والله تعالى أعلم .

قربى محمد ، فقال : إن النبي ﷺ لم يكن بطن[1] من قريش إلا وله فيه قرابة ، فنزلت [عليه][2] فيه إلا أن تصلوا قرابة بيني وبينكم . ذكره في باب قوله تعالى : ﴿ يٰأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾[3] .

وخرجه في التفسير من حديث شعبة عن عبد الملك بن ميسرة ، سمعت طاووساً يقول : عن ابن عباس أنه سئل عن قوله : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ فقال سعيد

---

(1) في (خ) : « في بطن » . (2) زيادة من (البخاري) .

(3) (فتح الباري) : ٦ / ٦٥٢ ، حديث رقم : (٣٤٩٧) ، ونحوه حديث رقم : (٤٨١٨) ، حدثني محمد بن بشّار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاووساً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ ، فقال سعيد بن جبير : قُربى آل محمد ﷺ ، فقال ابن عباس : عجلتَ ، إن النبي ﷺ لم يكن بَطْنٌ من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » .

قوله : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ ، ذكرُ فيه حديث طاووس « عن ابن عباس ، سئل عن تفسيرها ، فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ، فقال ابن عباس : « عجلت » أي أسرعت في التفسير ، وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير ، قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً ، فأخرج الطبري وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت قالوا : يارسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ .. الحديث ، وإسناده ضعيف ، وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح .

والمعنى : إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني ، والخطاب لقريش خاصة ، والقربي قرابة العصوبة والرحم ، فكأنه قال : احفظوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة .

وقد جزم بهذا التفسير جماعة من المفسرين ، واستندوا إلى ما ذكرته عن ابن عباس من الطبري وابن أبي حاتم ، وإسناده واهٍ فيه ضعيف ورافضي .

وذكر الزمخشري هنا أحاديث ظاهر وضعها ، وردَّه الزجاج بما صح عن ابن عباس من رواية طاووس .

وقد روى سعيد بن منصور من طريق الشعبي قال : أكثَروا علينا في هذه الآية فكتبتُ إلى ابن عباس أسأله عنها ، فكتب : إن رسول الله ﷺ كان واسط النسب في قريش ، لم يكن حيّ من أحياء قريش إلا ولده ، فقال الله : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ تودوني بقرابتي منكم ، وتحفظوني في ذلك .

وقوله : ﴿ القربى ﴾ ، هو مصدر ، كالزلفى والبشرى ، بمعنى القرابة ، والمراد في أهل القُربى ، وعبَّر بلفظ ﴿ في ﴾ دون اللام كأنه جعلهم مكاناً للمودة ومقراً لها ، كما يقال : في آل فلان هوى ، أي هم مكان هواى ، ويحتمل أن تكون ﴿ في ﴾ سببية ، وهذا على أن الاستثناء متَّصل ، فإن كان منقطعاً فالمعنى لا أسألكم عليه أجراً قط ، ولكن أسألكم أن تودوني بسبب قرابتي فيكم . (فتح الباري) : ٨ / ٧٢٤ - ٧٢٦ باختصار من شرح الحديث رقم (٤٨١٨) من كتاب التفسير .

ابن جبير : قربى آل محمد ، فقال ابن عباس : [عجلت][1] إن رسول الله[2] ﷺ لم يكن [بطنٌ][3] من قريش إلا كان له [فيهم][4] قرابة : إلا أن تصلوا[5] ما بيني وبينكم من القرابة .

وخرج أبو نعيم من حديث ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لم يلتق أبواي على سفاح ، لم يزل الله ينتقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصفى مهذباً ، ولا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما[6] .

وخرج البيهقي في سننه من حديث هُشيم ، حدثنا الملالي أو المليلي ، أو كما قال عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية ، ما ولدني إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام[7] .

قال أبو نعيم : ووجه الدلالة في هذه الفضيلة أن النبّوة مُلك وسياسة عامة ، وذلك قوله تعالى : **﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾**[8] ، والملك في ذوي الأحساب والأخطار من الناس ، وكلما كانت خصال فضله أوفر كانت الرعية بالانقياد له أسمع ، وإلى طاعة مطيعة أسرع .

---

(1) في (خ) : « علمت » .
(2) في (خ) : « إن النبي ﷺ » .
(3) في (خ) : « بطناً » .
(4) في (خ) : « فيهم » .
(5) في (خ) : « تصلوا قرابة ما بيني وبينكم من القرابة » والتصويبات السابقة من رواية المرجع السابق .
(6) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٥٧ ، الفصل الثاني ، ذكر فضيلته ﷺ بطيب مولده وحسبه ونسبه ، حديث رقم (١٥) ، ولفظه : حدثنا محمد بن سليمان الهاشمي قال : أحمد بن محمد بن سعيد المروزي قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدَّثني أنس بن محمد قال : حدثنا موسى بن عيسى قال : حدثنا يزيد بن أبي حكيم ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يلتق أبواي في سفاح ، لم يزل الله عزَّ وجلَّ ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة صافيا مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما » . قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٩٣ ، أخرجه أبو نعيم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(7) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى) : ٧ / ١٩٠ ، باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم .
(8) النساء : ٥٤ .

وإذا كان في الملك وتوابعه نقيصة ، نقص عدد أتباع رعيته ، ففي اختيار الله له ﷺ أن أمده بكل ما بالملوك إليه حاجة ، ليدعو الناس إلى اتباعه ، ولذلك قال قوم شعيب : ﴿ **ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك** ﴾[1] الآية . وقال فرعون لموسى : ﴿ **أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين** ﴾[2] ، فأزرى فرعون به ليثبط بذلك القوم عن اتباعه ، حتى شكا موسى إلى الله تعالى وسأله أن يحل العقدة عن لسانه ليفقهوا قوله ، وقال : ﴿ **وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردْءاً يصدقني** ﴾[3] ، فدل ذلك على أن الملك لا يُجعل إلا في أهل الكمال والمهابة ، وهاتان الخصلتان لا توجدان في غير ذوي الأحساب .

فجل الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من الحظوظ أوفرها ، ومن السهام أوفاها وأكثرها ، ولذلك قال عليه السلام فأنا من خيار إلى خيار ، وجعله أيضا من أفضل البقاع مولداً ومسكناً ومخرجاً ، وهي البقعة التي افترض الله على جميع الموحدين من المستطيعين حجَّها ، فكان بهذا أيضا أفضلهم نفساً وحسباً وداراً ﷺ ، ولذلك سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن حسبه فقال : كيف حسبه فيكم ؟ فقال : هو من أوسطنا حسباً ، فقال له هرقل : كذلك الأنبياء .



(١) هود : ٩١ .
(٢) الزخرف : ٥٢ .
(٣) القصص : ٣٤ .

وأمـــا أنَّ
أسمـاءه خير الأسـمـاء

فقد تقدم أنه محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب والفاتح والخاتم والمقفى ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، ونبي الرحمة[1] .

قال أبو نعيم : وفيما تضمنه اسمه الماحي والحاشر ونبي الرحمة والملحمة من معانٍ لطيفة ، وفوائد جليلة ؛ فإن الماحي إذا جرى على اللفظ المفسر في الخبر أن الله يمحو به الكفر ، كان ذلك دلالة وبشارة بكثرة الفتوح وانتشار ضياء الإسلام في الأرضيين وصفحتيها شرقاً وغرباً ، وأن سلطان الإسلام يكون غالباً ، وسلطان الكفر دارساً عافنا ، وذلك يرجع إلى معنى قوله تعالى : ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾[2] ، وليس معنى المحو أن يحسم الكفر أصلاً حتى لا يوجد في الأرض كافراً ، بل معناه أن يكونوا مقهورين باعتلاء المسلمين عليهم ، حتى تكون الأقضية والأحكام والحل والعقد للمسلمين دونهم ، وأن الكفار مغمورون خاملون ، خاملو الذكر ساقطو الصيت والكلام ، أما الذمةعقدت عليهم بصغار الجزية ، وإما لخوفهم من سيوف الإسلام فيهم غزواً وجهاداً ، وهذا سائغ بين أهل اللسان والبيان ، أن معنى المحو مرجعه إلى الخمول والكتمان ، ويريدون بالمحو سقوطه وخموله لظهور العالمين والقاهرين عليهم ، ومعنى المحو إنْ أضيف إليه ﷺ فلإجراء الله ذلك على يديه ، فأضيف إليه كما أن الهداية مضافة إليه ﷺ والهادي هو الله ، فكذلك الماحي في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب (١٧) ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، وقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقوله : ﴿ **من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦] ، حديث رقم (٣٥٣٢) ، قال رسول الله ﷺ : « ولي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » . (فتح الباري) : ٦ / ٦٨٨ ، (المرجع السابق) : ٨ / ٨٢٦ ، حديث رقم (٤٨٩٦) بنحوه .

(٢) الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩ .

الحقيقة هو الله تعالى القاهر ، فأضاف ذلك إلى الرسول عليه السلام ، إذ جرى ذلك على يده بتمكين الله تعالى له ، وتسليطه على من كذبه وجحده ، وهذه بشارة قد تحقق صدقها فيه لظهور المسلمين وعلوهم على من خالفهم ، فتحققت الدلالة ولله الحمد .

ومعنى الحاشر على ماروى الخبر : أنه الذِي يحشر الناس على قدمه ، أي لا نبوة بعده ، وأن شريعته قائمة ثابتة إلى قيام الساعة ، اهتدى بها من اهتدى ، أو ضَلَّ عنها من ضَلَّ .

ومعنى نبي الرحمة مثل قوله : إنما أنا رحمة مهداه ، فبعثته من الله رحمة ، هدى بها من شاء رحمته وهداه ، وسمى كالمطر المسمى رحمة ، لأن الله يرحم عباده بالمطر فيسوق إليهم بالمطر الخيرات ، ويوسع عليهم بها النبات والأقوات ، ولا يوجب هذا الاسم أن الله رحم به كل المدعوين من عباده ، وذلك إنما يجري الله على لسانه من الدعاء والبيان ، وإن كان رحمة فصورته كعطيةٍ من قبلها فاز بنفعها ، ومن تركها وردَّها حُرم نفعها ووجب عليه العقاب .

قال كاتبه ويؤيد هذا ما رواه البيهقي من حديث السعودي عن سعيد بن أبي سعيد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1] ، قال : من آمن بالله ورسوله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والقذف ، فتلك الرحمة في الدنيا .

قال أبو نعيم : ومعنى نبي الرحمة : فهو إعلام منه يكون بعده وفي زمانه من الحروب والجهاد ، والقتل والسبي . ومعنى الرحمة في إرساله : أن الله تعالى لم يعجل معجزته ودلائله كدلائل الماضين قبله من الأنبياء ؛ وذلك أن الماضين من الأمم كانوا يقترحون على أنبيائهم ويتحكمون عليهم بالآيات على حسب شهوتهم واقتراحهم ، فكان دأب الله فيهم الاصطلام إذ لم يؤمنوا بها كقوله لما اقترحوا على عيسى المائدة : ﴿ **قال**

---

(١) الأنبياء : ١٠٦ .

الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾[1] ، واقتدى بهم المشركون فسألوا النبي ﷺ الآيات اقتراحاً وتحكماً ، كقولهم : اجعل الصفا لنا ذهباً ، وأحيي لنا قصياً ، وسيِّر جبالنا لتتسع مزارعنا ، وائتنا بالملائكة إن كنت من الصادقين ، وأنْزِلْ علينا كتاباً نقرؤه ، فأنزل الله تعالى رداً عليهم : ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين** ﴾[3] فجعل الله تعالى لرحمته بهم الآية الباقية مدة الدنيا له ﷺ القرآن المعجز ، وتحدى به أرباب اللغة واللسان أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بآية مثله ، فباؤا بالعجز عن معارضته مع تمكينهم من أصناف الكلام نظماً ونثراً ورجزاً وسجعاً ، وكان القرآن معجزة له ﷺ كإبراء الأكمه وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام مع تقدم قومه بصناعة الطب ، وكقلب العصا حَيَّة لموسى وفلق البحر مع تمكن قوم فرعون وحذقهم بالسِّحر .

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن جعل أظهر دلائل نبوة محمد ﷺ القرآن الذي يعلم صدقه بالاستدلال الذي تعرض فيه الشبهة والشكوك ، لكنه لا يستأصل القوم المنكرون له كما استؤصل قوم صالح لما كفروا بالناقة ، وقوم موسى بانفلاق البحر ، وتلقف العصا حبالهم وعصيهم .

وإلى هذا المعنى يرجع قوله تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً** ﴾[4] ، المعنى : أن إرادتنا لاستبقاء المقترحين للإيمان منعاً من إرسال الآيات التي اقترحوها بها ، لعلمنا بأنا نخرج من أصلابهم من يؤمن ، وإن من سبق له منا الرحمة بالإيمان فقال تعالى : ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى** ﴾[5] ، فدعاهم إلى التفكر والتذكر في القرآن الذي هو من

---

(١) المائدة : ١١٥ .
(٢) الرعد : ٣١ .
(٣) الحِجْر : ٨ .
(٤) الإسراء : ٥٩ .
(٥) العنكبوت : ٥١ .

جنس ما يعرفونه ويتعاطونه من الفصاحة والبيان .

أَبَانَ بعد هذا وجه الرحمة في تسمية الله رسوله نبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، والحاشر ، وإن الكتاب المعجز باقٍ عندهم بقاء الدهر ، كما قال : ﴿ **وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾[1] ، فمن بلغ وقبل فاز ونجا ، ومن رده وكذب به قوتل ، ونصبت بينه القتال والملحمة حتى ينقاد لشريعته ،أو يُقْتَل لسوء اختياره ، فتتم الرحمة بهذه المعاملة ، ويعرف فضل هذه الأمة على غيرها بإزالة الاستئصال والاصطلام الواقعة بغيرها من الماضين من الأمم .

وذكر من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي ، عن عبيد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جدته : أم عطاء – مولاة الزبير بن العوام – قالت : سمعت الزبير بن العوام يقول : لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[2] ، صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس : يابني عبد مناف ، إني نذير لكم ، فجاءت قريش فحذرهم وأنذرهم ، فقالوا : تزعم أنك نبي يوحى إليك ، وأن سليمان سخر له الجبال والريح ، وأن موسى سخر له البحر ، وأن عيسى كان يحي الموتى ، فادع الله أن يُسيِّر عنا الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً ، فنتخذها محارث فنزرع ونأكل ، وإلا فادع الله بأن يحي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا ، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً ، فنبحث عنها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف ، فإنك تزعم أنك كهيئتهم ، قال : فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي ، فلما سري عنه قال : والذي نفسي بيده ، لقد أعطاني ما سألتم ، ولو شئت لكان ، ولكن خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد ، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، فنزلت : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة** ﴾[3] ، فقرأ ثلاث آيات فنزلت : ﴿ **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى** ﴾[4] .

---

(١) الأنعام : ١٩ .
(٢) الشعراء : ٢١٤ .
(٣) الإسراء : ٥٩ .
(٤) الرعد : ٣١ .

وخرج الحاكم من حديث معمر عن قتادة أنه تلا هذه الآية : ﴿ **فإما نذهبنَّ بك فإنا منهم منتقمون** ﴾[1] ، فقال : قال أنس : ذهب رسول الله وبقيت النقمة ، ولم يُرى الله نبيه في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى ﷺ ، ولم يكن نبي من الأنبياء عليهم السلام إلا قد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ . قال الحاكم : صحيح الإسناد .

* * *

(١) الزخرف : ٤١ .

وأمـا قسـم الله تعـالى
بحيـاته ﷺ

فقد قال تعالى : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[1] ، وإنما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب ، قوله : ﴿ **لعمرك** ﴾[2] ، أصله ضم العين من العُمُر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ، ومعناه : وبقائك يامحمد ، وقيل : وحياتك . قال القاضي أبو بكر محمد بن العربي[3] : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله تعالى

---

(١) الحجر : ٧٢ . (٢) الحجر : ٧٢ .

(٣) فيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله هنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له ، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون » وفي حيرتهم يتردّدون ، قالوا : روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما خلق الله وما ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعت اللهَ أقسم بحياة أحدٍ غيره ، وهذا كلام صحيح .

ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذكر لوط إلىٰ ذكر محمد ﷺ ، وما الذي يمنع أن يقسم بحياة لوطٍ ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ؟ فكل ما يعطي الله للوطٍ من فضل ، ويؤتيه من شرف ، فلمحمد ﷺ ضعفاه ، لأنه أكرم على الله منه ، أوَلاَ تـراه قد أعطى لإبراهيم الخُلّة ، ولموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ﷺ ، فإذا أقسم الله بحياة لوطٍ ، فحياة محمد أرفع ، ولا يخرج من كلام إلى كلامَ آخر غيره لم يجر له ذكر لغير ضرورة .

المسألة الثانية : قوله : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم** ﴾ ، أراد به الحياة والعيش ، يقال : عُمُر ، وعَمْرٌ بضم العين وفتحها لغتان ، وقالوا : إن أصلها الضم ، ولكنها فُتحت في القسم خاصة لكثرة الاستعمال ، والاستعمال إنما هو غير القسم ، فأما القسم فهو بعض الاستعمال ، فلذلك صارا لغتين ، فتدبروا هذا .

المسألة الثالثة : قال أحمد بن حنبل : من أقسم بالنبي ﷺ لزمته الكفارة ؛ لأنه أقسم بما لا يتم الإيمان إلا به ، فلزمته الكفارة ، كما لو أقسم بالله تعالى .

وقدّمنا أن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لخلقه أن يقسموا إلا به ، لقوله ﷺ : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » ، فإن أقسم بغيره فإنه آثم ، أو قد أتى مكروها على قدر درجات القسم وحاله .

وقد قال مالك : إن المستضعفين من الرجال والمؤمنين منهم ، يقسمون بحياتك وبعيشتك ، وليس من كلام أهل الذكر ، وإن كان الله أقسم به في هذه القصة ، فذلك بيان لشرف المنزلة ، وشرف المكانة ، فلا يُحمل عليه سواه ، ولا يستعمل في غيره .

وقال قتادة : هو من كلام العرب ، وبه أقول ؛ لكن الشرع قد قطعه في الاستعمال ، وردَّ القسم إليه . (أحكام القرآن لابن العربي) : ٣ / ١١٣٠ - ١١٣١ .

بحياة محمد ﷺ تشريفاً له ، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون ، وفي حيرتهم يترددون . وقال القاضي عياض[1] : اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد ﷺ ، ومعناه : وبقائك يامحمد ، وقيل : وعيشتك ، وقيل : وحياتك ، وهذه نهاية التعظيم ، وغاية البر والتشريف .

وخرج الحرث بن أبي أسامة من حديث عمرو بن مالك البكري ، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : ما خلق الله وما ذرأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعت أن الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[2] ، وفي رواية : ما حلف الله بحياة أحد قط إلا بمحمد فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[2] ، وقال أبو الجوزاء : ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد لأنه أكرم البرية عنده ، وقال ابن عقيل الحنبلي : وأعظم من قوله لموسى : ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾[3] ، وقوله لمحمد ﷺ : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ **لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد** ﴾[5] ، المعنى : أقسم لا بالبلد ، فإن أقسمت بالبلد فلأنك فيه . قال ابن الجوزي : أقسم تعالى بتراب قدم محمد ﷺ فقال : ﴿ **لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد** ﴾[5] ، قال ابن عقيل : وقال تعالى : ياموسى ﴿ **فاخلع نعليك** ﴾[6] ، أي ولا تجيء إلا ماشياً ، ومحمد ركب البراق ولا يجيء إلا راكباً .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : أقسم الله بحياته ثم زاده شرفاً فأقسم بغبار رجليه فقال تعالى : ﴿ **والعاديات ضبحاً** ﴾[7] ، الآية[8] ، وقال أبو نعيم :

---

(١) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٥ ، الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره ﷺ .

(٢) الحجر : ٧٢ . (٣) طه : ٤١ . (٤) الفتح : ١٠ .

(٥) البلد : ١ . (٦) طه : ١٢ . (٧) العاديات : ١ .

(٨) (أحكام القرآن لابن العربي) : ٤ / ١٩٧٣ ، سورة العاديات ، قال : أقسم الله بمحمد ﷺ ، فقال : ﴿ **يس * والقرآن الحكيم** ﴾ ، وأقسم بحياته فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ ، وأقسم بخيله ، وصهيلها ، وغبارها ، وقدح حوافرها النار من الحجر ، فقال : ﴿ **والعاديات ضبحا * فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً * فأثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً** ﴾ العاديات : ١ - ٥ .

والمعنى في هذا ، أن المتعارف بين العقلاء : أن الإقسام لا يقع إلا على المعظمين والمبجلين ، فتبين بهذا جلالة الرسول الله ﷺ وتعظيم أمره وما شرع الله تعالى على لسانه من الشرائع ، وتنبيهه عباده على وحدانيته ، ودعائه إلى الإيمان به ، وعرفت جلالة نبوته ورسالته بالقسم الواقع على حياته ، إذ هو أعز البرية وأكرم الخليقة ﷺ .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يس * والقرآن الحكيم** ﴾[1] قال : هو قسم وهو من أسماء الله . وعن كعب ﴿ **يس** ﴾[1] قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام يامحمد إنك لمن المرسلين ، ثم قال : ﴿ **والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين** ﴾[2] ، قال القاضي عياض : ومؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه ، وإن كان بمعنى النداء ، فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته ، أقسم الله تعالى باسمه ، وكني به أنه من المرسلين بوحيه إلى عباده ، وعلى صراط مستقيم من إيمانه ، أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق . وقال النقاش : لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ[3] .

* * *

---

(١) يس : ١ - ٢ .
(٢) يس : ٢ ، ٣ .
(٣) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٦ .

وأما تفرده بالسيادة يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل وأن آدم ومن دونه تحت لوائه

قال تعالى : ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾[1] ، روي عن جعفر بن محمد أنه قال : أراد الله (يا سيد) مخاطبة لنبيه محمد ﷺ

فخرج مسلم من حديث الأوزاعي قال : حدثني أبو عمار قال : حدثني عبد الله بن فروح قال : حدثني أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع .

وخرج الترمذي من حديث سفيان عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ [من] آدم فمن تحته إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ... الحديث . قال : أبو عيسى : هذا حديث حسن ، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس .. الحديث بطوله[2] .

وله من حديث عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يأسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

وخرج بقي بن مخلد من حديث سفيان عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : فضلت بخصال ستٍ لا أقولهن فخراً ، لم يُعطهنَّ أحدٌ قبلي : غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وأخرجت لي

---

(١) يسٓ : ١ ، ٢ . (٢) سبق تخريج وشرح هذه الأحاديث ونحوها وشواهدها .

خير الأمم ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الكوثر ، ونصرت بالرعب . والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن سلام قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عنه ولا فخر ، وأول شافع ومشفع ، لواء الحمد بيدي يوم القيامة ، تحتى آدم فمن دونه[1] .

وله من حديث أبي معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي قال : أنبأنا عبد الله ابن جعفر عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد بيدي ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار تعالى فأخِرّ له ساجداً فيقول : يا محمد ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، فأقول : رب أمتي[2] .

---

(١) سبق تخريج وشرح هذه الأحاديث ونحوها وشواهدها .

(٢) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٧٩ - ٤٨٠ ، باب ما جاء في تحدُّث رسول الله ﷺ بنعمة ربه عزَّ وجلَّ لقوله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ، وما جاء في خصائصه ﷺ على طريق الاختصار : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا ليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أنس قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إني أول الناس تنشق الأرض عن جبهتي يوم القيامة ولا فخر ، وأُعطى لواء الحمد ولا فخر ، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وأنا آتي باب الجنة فآخذ بحلقيها فيقولون : من هذا ؟ فأقول : أنا محمد ، فيفتحون لي ، فأجد الجبَّار فأسجد له ، فيقول : ارفع رأسك يا محمد ، وتكلم يُسمع منك ، وقل يقبل منك ، واشفع تشفّع ، فأرفع رأسي فأقول : أُمّتي ، أُمّتي يارب ، فيقول : اذهب إلى أمتك ، فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة » .

وذكر الحديث فيمن كان في قلبه نصف حبَّة من شعير ، ثم حبَّة من خردل ، ثم في إخراج كل من كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً .

وزاد الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٦١٠ : « وفرغ الله من حساب الناس وأدخل من بقى من أمتي النار مع أهل النار ، فيقول أهل النار : ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله عزَّ وجلَّ لا تشركون به شيئاً » ، فيقول الجبار عزَّ وجلَّ : فبعزتي لأعتقنهم من النار ، فيرسل إليهم فيخرجون وقد =

وله من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي إسحق عن صلة عن حذيفة عن النبي ﷺ ، قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، يدعوني ربي فأقول : لبيك وسعديك [تباركت لبيك][1] وحنانيك ، [والمهدى][2] من هديت وعبدك بين يديك ، [لا ملجأ ولا منجأ][3] منك إلا إليك ، تباركت رب البيت[4] . [قال : وإن قذف المحصنة ليهدم عمل مائة سنة][5] .

ومن حديث خديج عن أبي إسحق عن صلة ، عن حذيفة قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إبراهيم خليل الله ، وموسى كلمةُ الله تكليماً ،وعيسى كلمة الله وروحه ، فما أعطيت يا رسول الله ؟ قال : ولد آدم كلهم تحت رايتي ، فأنا أول من يفتح له باب الجنة .

ومن حديث سلام بن سليم عن عبد الله بن غالب عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد الناس يوم القيامة[6] . وفي رواية روح بن مسافر عن أبي إسحق

امتحشوا ، فيدخلون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في غثاء السيل ، ويكتب بين أعينهم : هؤلاء عتقاء الله عزَّ وجلَّ ، فيذهب بهم فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء الجهنميون ، فيقول الجبار : بل هؤلاء عتقاء الجبار عزَّ وجلَّ » حديث رقم (١٢٠٦٠) .

(١) تكملة من (المستدرك) . (٢) في (خ) : « والهادي » والتصويب من المرجع السابق .

(٣) في (خ) : « لا منجا ولا ملجأ » والتصويب من المرجع السابق .

(٤) أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٦١٨ ، حديث رقم (٨٧١٢ / ٣٧) ، وقال في آخره : « وقد أخرجه له مسلم شاهداً » ، وقال الذهبي في (التلخيص) : « قد استشهد مسلم بليث بن أبي سليم .

(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من (المستدرك) .

(٦) أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ١ / ٨٣ ، حديث رقم (٨٢ / ٨٢) من كتاب الإيمان ، وهذا الحديث يشهد لكثير من أحاديث الباب التي لم نقف لها على تخريج ولفظه : « أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عقبة ، حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ما من أحدٍ إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإن معي لواء الحمد ، أنا أمشي ويمشي الناسُ معي ، حتى آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقال من هذا ؟ فأقول محمد ، فيقال : مرحباً بمحمد ، فإذا رأيتُ ربي خررتُ له ساجداً أَنْظُر إليه » .

قال الحاكم : هذا حديث كبير في الصفات والرؤية ، على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي في (التلخيص) على شرطهما ولم يخرجاه .

ونحوه في (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٩ - ٤٨٠ ، ونحوه أيضاً في (المسند) : ٣ / ٦٠٩ ، حديث رقم (١٢٠٦٠) .

أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . وفي رواية زكريا بن عدي قال : حدثنا سلام عن أبي إسحق عن عبد الله عن حذيفة قال : محمد سيد الناس يوم القيامة .

وله من حديث عبد الأعلى قال : حدثنا سعد عن قتادة عن أنس ، أن النبي ﷺ قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، [وأنا][1] أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، ولواء الحمد معى ، تحته آدم ومن دونه ومن بعده من المؤمنين[2] .

وفي رواية يعلى بن الفضل قال : حدثنا زياد بن ميمون عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ؛ فأخرج من قبري وحولي المهاجرون والأنصار ، ينفضون التراب عن رءوسهم ، وأنا أول شافع وأول مشفع ، ولا تزال لي دعوة عند ربي مستجابة ، وأنا لكم عند النفخة الثانية[3] .

وفي رواية منصور بن أبي مزاحم قال : حدثنا أبو سعيد المؤدب عن زياد النميري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر ، ولواء الحمد بيدي ولا فخر[4] .

وفي رواية عبد العزيز بن أبي حازم قال : حدثنا سهيل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر ، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ومعي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة ولا فخر ، فأتي فآخذ بحلقة باب الجنة

---

(١) تكملة من رواية أبي نعيم .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٤ ، حديث رقم (٢٣) ، وأخرجه أيضاً الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ، حديث رقم (٣١٤٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في (الزهد) ، باب ذكر الشفاعة مختصراً ، والإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٤٦٣ ، حديث رقم (٢٥٤٢) ، (٢٦٨٧) ، وقال أحمد محمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال في (مجمع الزوائد) : ١٠ / ٣٧٢ : فيه على بن زيد وقد وثق على ضعفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨١ ، ضمن حديث طويل أوله : « ما من نبي إلا وله دعوة تنجَّزها في الدنيا ، وإني ادَّخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .. » وذكر الحديث بنحوه وزيادة .

(٣) لم أجده بهذه السياقة ، وسيأتي الكلام على النفختين بعد قليل .

(٤) سبق الإشارة إليه .

فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيفتح ، فيستقبلني الجبار تعالى ، فأخر له ساجداً فيقول : يا محمد ، قل تُسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه[1] .

وفي رواية منصور بن أبي الأسود عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا ، وقائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الكرامة ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور[2] .

وفي رواية حبان بن علي عن ليث عن عبيد الله بن زحر ، عن الربيع بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه القبور يوم القيامة ولا فخر ، لواء الحمد بيدي ولا فخر ، مفاتيح الجنة يومئذ بيدي ولا فخر ، آدم ومن دونه من النبيين تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر ، يطوف عليّ ألف خادم كأنهن بيض مكنون[2] .

وفي رواية جرير والثوري وزائدة ، عن [المختار][3] بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً[4] .

وفي رواية الحميدي وسفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيفتحها الله[5] . وفي رواية خلف بن هشام قال : أخبرنا عيسى بن ميمون عن عسل

---

(١) في (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٩ ، باختلاف يسير ، وفيه : « عن جبهتي يوم القيامة ولا فخر » .

(٢) (المرجع السابق) : ٨٤ بنحوه ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٤ ، حديث رقم (٢٤) وفيه : « الكرامة ومفاتيح الجنة ولواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليّ ألف خادم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ منثور » . والبيض المكنون : المستور عن الأعين . ولفظهما فيه متقارب .

(٣) في (خ) : « المختال » ، والتصويب من صحيح مسلم .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٧٢ ، حديث رقم (٣٣٠) من كتاب الإيمان ، باب (٨٥) في قول النبي ﷺ « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » .

(٥) (مسند الحميدي) : ٢ / ٥٠٦ – ٥٠٧ ، حديث رقم (١٢٠٤) . وأخرجه أيضاً الترمذي في آخر حديث الشفاعة ، حديث رقم (٣١٤٨) وقال في آخره : قال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة : « فآخذ بحلقة باب الجنة فَأُقَعْقِعُهَا » ، قال أبو عيس : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى =

ابن سفيان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا مبشرهم إذا [أُبْلسوا][1] ، لواء [الكرامة][1] يومئذ بيدي ، يطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون .

وله من طريق أبي داود الطيالسي وسليمان بن حرب قالا : حدثنا حماد ابن سلمة ، حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة قال : خطبنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على منبر البصرة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : قال رسول الله ﷺ : ألا إني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ولا فخر .

ورواه هشيم عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع ولا فخر ، وإن لواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر[2] .

ورواه سفيان بن عيينة عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، بيدي لواء الحمد ولا فخر[2] .

وله من حديث زمعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها الله لي ، وأنا سيد الأولين والآخرين من النبيين ولا فخر .

وله عن ابن عباس قال : جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينظرون ، فخرج حتى دنا منهم ، فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً ! إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، وقال آخر : ماذا بأعجب من كلامه موسى تكليماً ، وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم

= بعضُهم هذا الحديث عن أبي نَضْرة عن ابن عباس الحديث بطوله .
والقَعْقَعَة : حكاية حركة لشيء يُسمع له صوت (لسان العرب) : ٨ / ٢٨٦ .

(١) سيأتي شرحه بعد قليل ، وفي (خ) : « بلسوا » ، « الكرم » .

(٢) سبق الإشارة إليه .

فسلم وقال : قد سمعتُ كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وهو كذلك ، وموسى نجيّ الله ، وهو كذلك ، وعيسى كلمته وروحه ، وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله ، وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة وتحته آدم ومن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق [باب][1] الجنة فيتفح الله لي ، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، [و][1] أنا أكرم الأولين والآخرين على الله عز وجل ولا فخر .

ورواه عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أرسلتُ إلى الجن والإنس ، [وإلى][2] كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم دون الأنبياء ، وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً ، ونصرت بالرعب أمامي شهراً ، وأعطيت خواتيم سورة البقرة[3] وكانت من كنوز العرش ، وخُصِصْتُ بها دون الأنبياء ، وأعطيت المثاني مكان التوراة ، [والمئين][5] مكان الإنجيل ، والحواميم[6] مكان الزبور ، وفضلت بالمفصَّل ، فأنا سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمتي ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ، آدم وجميع الأنبياء من ولد آدم تحته ولا فخر ، وإليّ مفاتيح الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وبي تفتح الشفاعة يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سابق[7] الخلق

---

(١) زيادة للسياق ، وأخرج الحاكم نحوه مختصراً في (المستدرك) : ٢/٦٢٩ حديث رقم (١٠٧/٤٠٩٨) .

(٢) زيادة من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) وهي من قوله تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون** ﴾ حتى آخر السورة [من الآية ٢٨٥ حتى الآية ٢٨٦] .

(٤) المثاني : سورة الفاتحة ، وسميت بالمثاني لأنها تثنى وتقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة . قال تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ [٨٧ : الحجر] .

(٥) كذا في (خ) ، وفي رواية البيهقي في (الدلائل) ، لكن في رواية أبي نعيم في (الدلائل) : « والمائدة مكان الإنجيل » ، أي سورة المائدة . والمئين : أي السور التي أولها ما يلي سورة الكهف لزيادة كل منها على مائة آية .

(٦) الحواميم : السور التي أولها ﴿ حمٓ ﴾ وهي سبع سور: [١] سورة غافر ، [٢] سورة فصلت ، [٣] سورة الشورى ، [٤] سورة الزخرف ، [٥] سورة الدخان ، [٦] سورة الجاثية ، [٧] سورة الأحقاف .

(٧) في (خ) : « سابق » ، وهي رواية السيوطي في (الخصائص) .

إلى الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أمامهم وأمتي بالأثر[1] .

وفي رواية مردان بن معاوية عن يحيى اللخمي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لواء الحمد بيدي يوم القيامة ، وأقرب الناس من لوائي العرب .

وله من حديث ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن صالح بن عطاء ، عن عطاء عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : أنا قائد المسلمين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا شافع ومشفع ولا فخر .

وله من حديث شريح بن النعمان قال : حدثنا عبد الله بن نافع عن عاصم ابن عمر ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ، عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من تنشق الأرض عنه ثم أبو بكر ثم عمر ، ثم يأتي أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين[2] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٥ ، حديث رقم (٢٥) من الفصل الرابع : ذكر الفضيلة الرابعة بإقسام الله بحياته ، وتفرده بالسيادة لولد آدم في القيامة ، وما فُضل هو وأمته على سائر الأنبياء وجميع الأمم ﷺ ، وقال فيه : « وأنا سائق الخلق .. » .

و (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٥ ، في باب ما جاء في تحدث رسول الله ﷺ بنعمة ربه عزَّ وجلَّ لقوله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ، وما جاء في خصائصه على طريق الاختصار : أخبرنا أبو بكر بن فورك ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال النبي ﷺ : « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، ومكان الزبور المئين ، ومكان الإنجيل المثاني ، وفضّلت بالمفصل » .

والسبع الطوال : من البقرة إلى براءة (التوبة) . والمفصَّل : من أول سورة الحجرات حتى آخر القرآن الكريم .

والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ، وأشار إليه السيوطي بالحسن .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٥٠٥ ، حديث رقم (٣٧٣٢ / ٨٦٩) : بدون قوله : « فأُحشر بين الحرمين » ، وزاد في رواية (المستدرك) : « وتلا عبد الله بن عمر : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير** ﴾ [قٓ : ٤٤] قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ذكره في باب (٥٠) تفسير سورة قٓ من كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين . و (دلائل أبي نعيم) : ٦٦/١ حديث رقم (٢٦) بمثله سواء .

وله من حديث حماد بن شعيب وزائدة وإسرائيل ، كلهم عن عاصم عن زر ابن حبيش عن عبد الله قال : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإن صاحبكم خليل الله ، وإن محمداً سيد ولد آدم يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] .

ورواه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإن صاحبكم خليل الله ، وإن نبي الله أكرم الخلائق على الله يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[2] .

وله من حديث كثير بن زيد عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه[3] .

وفي رواية سعيد بن رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد الخلائق يوم القيامة في اثنى عشر نبياً ، منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب .

---

(١) ونحوه باختلاف يسير بدون ذكر الآية في (المستدرك) : ٢ / ٥٥٠ ، حديث رقم (٤٠١٨ / ٢٧) ، ذكره في باب ذكر إبراهيم النبي ﷺ خليل الله عزَّ وجلَّ ، وبينه وبين نوح هود وصالح صلوات الله عليهما ، من كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ونحوه في (المستدرك) : ١ / ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، الأحاديث أرقام (٣٧٤١) ، (٣٧٤٢) ، (٣٧٤٣) ، (٣٧٤٤) بسياقات متقاربة .

(٢) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨٥ ، وقال فيه : « وأن محمداً ﷺ أكرم الخلاق على الله .. » ، والآية رقم ٧٩ : الإسراء .

(٣) ونحوه بدون قوله : « فمن بعده المؤمنين » ، وقال فيه : « ومن دونه » ، في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٤ ، حديث رقم (٢٣) ، بدون الآية .

ورواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري في (الجامع الصحيح) ، حديث رقم (٣١٤٨) ، وقال : حديث حسن صحيح ، (سنن الترمذي) : ٥ / ٢٨٨ ، كتاب (٤٨) باب (١٨) . ورواه الإمام أحمد في (المسند) من حديث ابن عباس في الشفاعة ، ورواه ابن ماجة في (السنن) : ٢ / ١٤٤٠ ، كتاب الزهد ، باب (٣٧) ذكر الشفاعة ، حديث رقم (٤٣٠٨) . والترمذي أيضاً في المناقب ، حديث (٣٦١٥) ، قال أبو عيسى : وفي الحديث قصة ، وهذا حديث حسن صحيح ، وقد روي بهذا الإسناد عن أبي نضرة ، عن ابن عباس .

وفي رواية بديل بن المحبّر قال : حدثنا عبد السلام بن عجلان قال : سمعت أبا يزيد المدني يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، وأنا بيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول شخص يدخل عليّ الجنة : فاطمة بنت محمد ، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل(١) .

ورواه يعقوب الحضرمي عن عبد السلام عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عن هامته ولا فخر ، وأنا أول مشفع ولا فخر ، لواء الحمد بيدي يوم القيامة ، حرم الله الجنة على كل آدمي يدخلها قبلي(٢) .

وله من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني أول من يرفع [رأسه](٣) بعد النفخة الأخيرة ، فإذا موسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذاك كان أو بعد النفخة(٤) ؟.

ومن حديث شعيب عن الزهري قال : حدثني أبو سلمة وسعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٦ ، حديث رقم (٢٧) . وأخرجه الترمذي بسند آخر وقال : حديث غريب . وتوقف غيره في الاحتجاج به ثم قال : عن بديل بن المحبّر ، عن عبد السلام بن عجلان ، عن أبي يزيد المدني ، عن أبي هريرة .. ، فذكره ، ثم قال : أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة عليها السلام .

(٢) وفي (صحيح مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٧٣ - ٧٤ ، كتاب الإيمان ، باب (٨٥) في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » ، حديث رقم (٣٣٣) ، حدثني عمرو الناقد ، وزهير بن حرب قالا : حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك .

وأخرجه البيهقي في (الدلائل) من حديث أنس بمثله سواء . (دلائل النبوة للبيهقي) : ٥ / ٤٨٠ .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٤٣) النفخ في الصور ، قال مجاهد : الصور كهيئة البوق ، زجرةٌ : صيحة ، وقال ابن عباس : الناقور الصور ، الراجفة : النفخة الأولى ، والرادفة : النفخة الثانية ، حديث رقم (٦٥١٧) : حدثني عبد العزيز بن عبد الله قال : حدّثني إبراهيم بن سعد عن =

ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعبد الرحمن الأعرج أنهما حدَّثاه أن أبا هريرة قال : « استبَّ رجلان ؛ رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين . قال : فغضب المسلم عند ذلك ، فلطم وجه اليهودي ، فذهب اليهوديُّ إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تخيّروني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطِش بجانب العرش ، فلا أدري أكان موسى فيمن صَعِق فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله عزَّ وجلَّ » .

وحديث رقم (٦٥١٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « يصعقُ الناس حين يصعقون ، فأكون أول من قام ، فإذا موسى آخذ بالعرش ، فما أدري أكان فيمن صُعق » . رواه أبو سعيد عن النبي ﷺ .

قوله : « باب نفخ الصور » تكرر ذكره في القرآن الكريم ، في الأنعام ، والمؤمنين ، والنمل ، والزمر ، وق ، وغيرها ، وهو بضم المهملة وسكون الواو ، وثبت كذلك في القراءات المشهورة والأحاديث ، وذكر عن الحسن البصري أنه قرأها بفتح الواو ، جمع صورة ، وتأوله على أن المراد النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح .

وقال أبو عبيدة في (المجاز) : يقال : الصور - يعني بسكون الواو - جمع صورة ، كما يقال : سور المدينة جمع سورة ، قال الشاعر :

[فلما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة]

فيستوي معنى القراءتين .

وحكى مثله الطبري عن قوم وزاد : كالصوف جمع صوفة ، قالوا : والمراد النفخ في الصُّوَر وهي الأجساد لتعاد فيها الأرواح، كما قال تعالى : ﴿ **ونفختُ فيه من روحي** ﴾ ، وتعقب قوله : « جمع » ، بأن هذه أسماء أجناس لا جموع ، وبالغ النحاس وغيره في الردّ على التأويل ، وقال الأزهري : إنه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : وقد أخرج أبو الشيخ في (كتاب العظمة) ، من طريق وهب بن منبه من قوله قال : خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة ، ثم قال للعرش : خذ الصور فتعلق به ، ثم قال : كن ، وكان إسرافيل ، فأمره أن يأخذ الصور ، فأخذه وبه ثقبٌ بعدد كل روح مخلوقة ، ونفس منفوسة ، فذكر الحديث وفيه : « ثم تجمع الأرواح كلها في الصور ، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه ، فتدخل كل روح في جسدها » ، فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولاً ، ليصل النفخ بالروح إلى الصور ، وهي الأجساد ، فإضافة النفخ إلى الصور الذي هو القرن ، حقيقه ، وإلى الصُّوَر التي هي الأجساد ، مجاز .

قوله : « قال مجاهد : الصور كهيئة البوق » ، وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال في قوله تعالى : ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ ، قال كهيئة البوق ، وقال صاحب الصحاح : البوق الذي يزمر به ، وهو معروف ، ويقال للباطل ، يعني يطلق ذلك عليه مجازاً ، لكونه من جنس الباطل .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : لا يلزم من كون الشيء مذموماً أن لا يشبه به

وفي رواية محمد بن يوسف الفرياني قال : حدثنا سفيان عن عمر بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن الناس يصعقون [يوم القيامة][١] فأكون أول من يفيق[٢] .

الممدوح ، فقد وقع تشبيه صوت الوحي بصلصلة الجرس ، مع النهي عن استصحاب الجرس ، كما تقدم تقريره في بدء الوحي .

قوله : « قال ابن عباس : الناقور الصور » ، وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **فإذا نُقِر في الناقور** ﴾ قال : الصور ، ومعنى نقر نفخ ، قاله في الأساس . وأخرج البيهقي من طريق أخرى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن » ؟ وللحاكم بسند حسن ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة رفعه « إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دُرِّيَّان » .

قوله : « الراجفة النفخة الأولى ، والرادفة النفخة الثانية » ، هو من تفسير ابن عباس ، وصله الطبري وابن أبي حاتم بالسند المذكور ، وقد تقدم بيانه في تفسير سورة النازعات ، فليراجع هناك .

وإذا تقرر أن النفخة للخروج من القبور فكيف تسمعها الموتى ؟ والجواب : يجوز أن تكون نفخة البعث تطول إلى أن يتكامل إحياؤهم شيئاً بعد شيء ، وتقدم الإلمام في قصة موسى مما ورد في تعيين من استثنى الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ **فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ ، وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال ذكرهم الحافظ ابن حجر في (الفتح) : ١١ / ٤٥١ باب (٤٣) من كتاب الرقاق فليراجع هناك .

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٧ ، حديث رقم (٢٨) . وخرَّج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه ، قال : « جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لُطِم وَجْهُه ، فقال : يا محمد ! إن رجلاً من الأنصار من أصحابك لطم وجهي ، فقال : ادعوه ، فَدَعَوْهُ ، فقال : لم لطمت وجهه ؟ قال : يا رسول الله ، إني مررتُ باليهودي ، فسمعته يقول : والذي اصطفى موسى على البشر ، فقلتُ : وعلى محمد ؟ فأخذتني غضبة ، فلطمتُه ، فقال : لا تخيِّروني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يُفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري : أفاق قبلي ، أو جوزى بصعقة الطور » .

وفي رواية : « فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ... » وذكر نحوه .

رواه البخاري في (الخصومات) ، باب ما يذكر من الأشخاص والخصُومة بين المسلم واليهودي ، وفي (الأنبياء) ، باب قول الله تعالى : ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر** ﴾ ، وفي تفسير سورة الأعراف ، باب ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك** ﴾ ، وفي (الديات) ، باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب ، وفي (التوحيد) ، باب وكان عرشه على الماء ﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾ . ورواه مسلم في (الفضائل) ، باب من فضائل موسى ﷺ .

وله من حديث يحيى الحماني وحبان بن موسى قالا : حدثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا حبان [عن] يحيى بن سعيد التيمي قال : حدثني أبو زرعة عن أبي هريرة قال : أُتي رسول الله ﷺ بلحم فَرُفِع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة . رواه مسلم[1] .

وفي رواية عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : وُضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد فتناول الذراع - وكانت أحب الشاة إليه - فنهس نهسة ثم قال : أنا سيد [الناس][2] يوم القيامة[3] .

ولأبي نعيم من حديث يحيى الحماني ، حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه أن النبي ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة ، كنت إمام الناس يوم القيامة وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولا فخر[4] .

وله من حديث عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد بيدي ، وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم[5] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٧) وهو حديث الشفاعة كاملاً ، والبيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٧٦ .

قوله : « فنهس منها نهسة » ، هو بالسين المهملة . قال القاضي عياض : أكثر الرواة رووه بالمهملة ، ووقع لابن ماهان بالمعجمة وكلاهما صحيح ، بمعنى أخذ بأطراف أسنانه . قال الهروي : قال ابن عباس : النهس بالمهملة بأطراف الأسنان ، وبالمعجمة الأضراس .

قوله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة » ، إنما قال هذا ﷺ تحدثاً بنعمة الله تعالى ، وقد أمره الله تعالى بهذا ، ونصيحة لنا بتعريفنا حقه ﷺ ، قال القاضي عياض : السيد الذي يفوق قومه ، والذي يفزع إليه في الشدائد ، والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة ، وإنما خصَّ يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيه، وتسليم جميعهم له ، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٦ - ٦٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين في (خ) : « سيد ولد آدم » وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٩ ، كتاب الإيمان باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٨) .

(٤) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨١ ، والترمذي في (المناقب) باب (١) في فضل النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٦١٣) ، وقال : هذا حديث حسن .

(٥) سبق الإشارة إليه .

وله من حديث أبي عوانة عن أبي بشير ، عن سعيد عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت عند النبي ﷺ فقال : أنا سيد ولد آدم .

وله من حديث أحمد بن أبي ظبية عن أبيه عن عبد الله بن جابر عن عطاء عن أم كرز أنها قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا ، وسابقهم[1] إذا وردوا ، ومبشرهم إذا أبلسوا[2] ، وإمامهم إذا سجدوا ، وأقربهم مجلساً من الرب تعالى إذا اجتمعوا ، [أقوم][3] ، فأتكلم فيصدِّقني ، وأشفع فيشفِّعني ، وأسأل فيُعطيني[4] .

وله من حديث الحرث بن أسامة قال : حدثنا عبد العزيز بن إبان ، حدثنا إسرائيل عن آدم بن علي قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول : تصير الأمم يوم القيامة تجيء كل أمة نبيها فيرقاهم على كوم فيقول : يا فلان إشفع ، فيردها بعضهم إلى بعض حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[5] .

---

(١) كذا في (خ) : وفي (الخصائص) : ٣ / ٢٢٢ ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « وسائقهم » .

(٢) أبلسوا : أسكتوا من الحزن ، ومنه إبليس لعنه الله ، وفي التنزيل : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** ﴾ ، ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ ، ﴿ **حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون** ﴾ ، ﴿ **لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون** ﴾ ، ﴿ **وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾ [١٢ : الروم] ، [٤٤ : الأنعام] ، [٧٧ : المؤمنون] ، [٧٥ : الزخرف] ، [٤٩ : الروم] على الترتيب .

(٣) في (خ) : « **أقول** » ، وما أثبتناه من رواية أبي نعيم .

(٤) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٦٧ ، الفصل الرابع ، ذكر الفضيلة الرابعة بإقسام الله تعالى بحياته ، وتفرده بالسيادة لولد آدم في القيامة ، وما فُضِّل به هو وأمته على سائر الأنبياء وجميع الأمم ﷺ ، حديث رقم (٢٩) . وقال السيوطي في (الخصائص) : ٣ / ٢٢٢ « أخرجه أبو نعيم عن أم كرز » .

(٥) ٧٩ : الإسراء ، و ﴿ **عسى** ﴾ ، مدلولها في المحبوبات الترجي ، فقيل : هي على بابها في الترجي تقديره لتكن على رجا من أن ﴿ **يبعثك** ﴾ . وقيل هي بمعنى كي ، وينبغي أن يكون هذا تفسير معنى .
والأجود أن هذه الترجية والإطماع بمعنى الوجود من الله تعالى ، وهو متعلق من حيث المعنى بقوله : ﴿ **فتهجد** ﴾ . و ﴿ **عسى** ﴾ هنا تامة ، وفاعلها ﴿ **أن يبعثك** ﴾ ، و ﴿ **ربك** ﴾ فاعل يبعثك ، و ﴿ **مقاماً** ﴾ الظاهر أنه معمول ليبعثك ، هو مصدر من غير لفظ الفعل ، لأن يبعثك بمعنى يقيمك ، تقول : أُقيم من قبره ، وبُعث من قبره . وقال ابن عطية : منصوب على الظرف أي في مقام =

= محمود . وقيل : منصوب على الحال ، أي ذا مقام محمود . وقيل : هو مصدر لفعل محذوف ، التقدير فتقوم ﴿ مقاماً ﴾ ، ولا يجوز أن تكون ﴿ عسى ﴾ هنا ناقصة ، وتقدم الخبر على الاسم فيكون ﴿ ربك ﴾ مرفوعاً اسم ﴿ عسى ﴾ و ﴿ أن يبعثك ﴾ الخبر في موضع نصب بها ، إلا في هذا الإعراب الأخير .

وفي تفسير المقام المحمود أقوال :

أحدها : أنه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي إليه ﷺ ، والحديث في الصحيح ، وهي عِدةٌ من الله تعالى له ﷺ ، وفي هذه الشفاعة يحمده أهل الجمع كلهم ، في دعائه المشهور : « وابعثه المقام المحمود الذي وعدته » واتفقوا على أن المراد منه الشفاعة .

الثاني : أنه في أمر شفاعته لأُمَّته في إخراجه لمذنبهم من النار ، وهذه الشفاعة لا تكون إلا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار ، وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء . وقد روي حديث الشفاعة وفي آخره : « حتى لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن » ، أي وجب عليه الخلود . قال : ثم تلا هذه الآية ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ . وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال : « المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي » فظاهر هذا الكلام تخصيص شفاعته لأمته ، وقد تأوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى ، التي يحمده بسببها الخلق كلهم ، على أن المراد لأمته وغيرهم ، أو يقال : إن كل مقام منها محمود .

الثالث : عن حذيفة : يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس ، فأول مدعوّ محمد ﷺ ، فيقول : لبيك وسعديك والشر ليس إليك ، والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك ، لا منجأ ولا ملجأ إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك رب البيت . قال : فهذا قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ .

الرابع : قال الزمخشري : معنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه ، وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات (ا . هـ) ، وهو قول حسن ولذلك نُكِّر ﴿ مقاماً محموداً ﴾ ، فلم يتناول مقاماً مخصوصاً ، بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ .

الخامس : ما قالت فرقة – منها مجاهد – وقد روي أيضاً عن ابن عباس أن المقام المحمود هو أن يُجلسه الله تعالى معه على العرش . وذكر الطبري في ذلك حديثاً ، وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ، مازال أهل العلم يتحدثون بهذا . قال ابن عطية : يعني من أنكر جوازه على تأويله . وقال أبو عمر ومجاهد : إن كان أحد الأئمة يتأول القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم هذا أحدهما ، والثاني تأويل ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ [٢٢ : القيامة] ، قال تنتظر الثواب ليس من النظر ، وقد يؤوَّل قوله معه على رفع محله وتشريفه على خلقه كقوله : ﴿ إن الذين عند ربك ﴾ [٢٠٦ : الأعراف] ، وقوله : ﴿ ابن لي عندك بيتاً ﴾ [١١ : التحريم] ، و ﴿ إن الله لمع المحسنين ﴾ [٦٩ : العنكبوت] ، كل ذلك كناية عن المكانة لا عن المكان .

وقال الواحدي : هذا القول مروي عن ابن عباس وهو قول رذل ، موحش ، فظيع ، لا يصح مثله عن ابن عباس ، ونَصُّ الكتاب ينادي بفساده من وجوه : ....

ورواه البخاري من حديث أبي الأَحْوَصِ عن آدم، وله من حديث أبي نعيم قال : حدثنا داود بن يزيد الأودي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾قال : الشفاعة[1] .

ورواه إدريس الأودي عن أبيه مثله ، قال الحافظ أبو نعيم : أحمد . وفيه عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وكعب بن مالك وجابر وأبي سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص في المقام المحمود[1] .

ورواه الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن رجل من أهل العلم عن النبي ﷺ في المقام المحمود[1] .

واعلم أن كل من خبرك عن نفسه بأمر يحتاج إلى علمه لو إخباره ما عرفته ، فليس يقبح ذكره وإن اتصل بمدحه ، ولهذه العلة مدحت الأنبياء عليهم السلام أنفسها مع تواضعها .

وخرج الحاكم من حديث إسحق بن إبراهيم ، أنبأنا يزيد بن أبي حكيم ، حدثنا الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول : قال ابن عباس [رضي الله عنهما][2] : إن الله فضل محمداً على أهل السماء وفضله على أهل الأرض قالوا : [ياابن عباس][2] :

الأول : أن البعث ضد الإجلاس ، بعث التارك ، وبعث الله الميت أقامه من قبره ، فتفسير البعث بالإجلاس تفسير الضد بالضد .

الثاني : لو كان جالساً – تعالى – على العرش لكان محدوداً متناهياً ، فكان يكون محدثاً .

الثالث : أنه قال : ﴿ **مقاماً** ﴾ ولم يقل مقعداً ﴿ **محموداً** ﴾ ، والمقام موضع القيام لا موضع القعود .

الرابع : أن الحمقى والجهال يقولون : إن أهل الجنة يجلسون كلهم معه تعالى ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية ، فلا مزِّية له بإجلاسه معه !

الخامس : إذا قيل : بعث السلطان فلاناً ، لا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه . (البحر المحيط) : ٧ / ١٠٠ – ١٠٢ ، تفسير سورة الإسراء .

(١) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨٤ ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة الإسراء ، حديث رقم (٣١٣٧) ٥ / ٢٨٣ وقال : هذا حديث حسن .

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

فبم[1] فضله على أهل السماء ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **ومن يقل منهم إني إلٰه من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾[2] ، وقال لمحمد : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفرك لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[3] الآية ، قالوا : فبم[1] فضله الله على أهل الأرض ؟ قال : إن الله تعالى قال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[4] الآية ، وقال لمحمد : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[5] ، فأرسله إلى الجن والإنس . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، فإن الحكم بن أبان قد احتج به جماعة من أئمة الإسلام [أيضاً][6] [ولم يخرجه الشيخان][7] .

* * *

(1) كذا في (خ) : وفي المرجع السابق : « فيما » .
(2) الأنبياء : ٢٩ .
(3) الفتح : ١ .
(4) إبراهيم : ٤ .
(5) سبأ : ٢٨ .
(6) زيادة في (خ) .
(7) تكملة من المستدرك . والحديث أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٣٨١ ، حديث رقم (٣٣٣٥ / ٤٧٢) ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح . وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨٦ – ٤٨٧ بالإسناد السابق . .

والحكم بن أبان العدني أبو عيسى ، روي عن عكرمة ، وطاووس ، وشهر بن حوشب ، وإدريس ابن سنان بن بنت وهب ، وغيرهم ، وعنه ابنه إبراهيم ، وابن عيينة ، ومعمر ، ومات قبله ، وابن جريج – وهو من أقرانه – ومعتمر بن سليمان ، وابن علية ، ويزيد بن أبي حكيم ، وموسى بن عبد العزيز القنباري ، وغيرهم .

قال ابن معين والنسائي : ثقة . وقال أبو زرعة : صالح ، وقال العجلي : ثقة صاحب سُنَّة ، كان إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبتيه يذكر الله تعالى حتى يُصبح . وقال سفيان بن عيينة : أتيتُ عدن فلم أر مثل الحكم بن أبان . وقال ابن عُيينة : قدم علينا يوسف بن يعقوب قاضٍ كان لأهل اليمن ، وكان يذكر منه صلاح ، فسألتُه عن الحكم بن أبان ، قال : ذاك سيد أهل اليمن . قال أحمد : مات سنة (١٥٤) وهو ابن (٨٤) سنة . ترجمته في : (تهذيب التهذيب) : ٢ / ٣٦٤ ، ترجمة رقم (٧٣٦) ، (الثقات) : ٦ / ١٨٥ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٣٣٦ ، ترجمة رقم (٦٦٢) .

فصل في ذكر المفاضلة بين المصطفى وبين إبراهيم الخليل صلوات الله عليهما وسلامه(*)

إعلم أنه لما ثبتت سيادة رسول الله ﷺ وأنه إمام الأنبياء والمرسلين وأفضلهم، قيل: فكيف طلب له من أمته من صلاة الله تعالى عليه ما لإبراهيم عليه السلام حين قالوا في صلواتهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ فاقتضى هذا أن يكون إبراهيم أفضل من محمد ﷺ.

(*) قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ [٢٥٣ : البقرة]، فأخبره بأنه فاوت بينهم في الفضل، فأما الأخبار التي وردت في النهي عن التخيير بين الأنبياء فإنما هي في مجادلة أهل الكتاب في تفضيل نبينا ﷺ على أنبيائهم عليهم السلام، لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين مختلفين لم يؤمن أن يخرج كل واحد منهما في تفضيل من يريد تفضيله إلى الإزراء بالآخر، فيكفر بذلك.

فأما إذا كانت المخايرة من مسلم يريد الوقوف على الأفضل، فيقابل بينهما ليظهر له رجحان الأرجح، فليس هذا بمنهي عنه، لأن الرسل إذا كانوا متفاضلين، وكان فضل الأفضل يوجب له فضل حق، وكان الحق إذا وجب لا يُهتدى إلى أدائه إلا بعد معرفته، ومعرفة مستحقه كانت إلى معرفة الأفضل حاجة، ووجب أن يكون لله عزَّ وجلَّ عليه دلالة، وطلب العلم المحتاج إليه من قبل إعلامه المنصوبة عليه ليس مما يُنكر والله تعالى أعلم. وهذا قول أبو عبد الله الحليمي رحمه الله.

قال البيهقي: ومن تكلم في التفضيل ذكر في مراتب نبينا ﷺ وخصائصه وجوهاً لا يحتمل ذكرها بأجمعها هذا الكتاب، ونحن نشير إلى وجه منها على طريق الاختصار.

فمنها: أنه ﷺ كان رسول الثقلين الإنس والجن، وأنه خاتم الأنبياء.

ومنها: أن شرف الرسول بالرسالة، ورسالته أشرف الرسالات بأنها نسخت ما تقدمها من الرسالات، ولا تأتي بعدها رسالة تنسخها.

ومنها: أن الله تبارك وتعالى أقسم بحياته ﷺ.

ومنها: أنه جمع له بين إنزال الملك عليه أو إصعاده إلى مساكن الملائكة، وبين إسماعه كلام الملك، وإرائه إياه في صورته التي خلقه عليها، وجمع له بين إخباره عن الجنة والنار وإطلاعه عليهما، وصار العلم له، واقعاً بالعالمين؛ دار التكليف ودار الجزاء عياناً.

ومنها: قتال الملائكة معه ﷺ.

ومنها: ما أخبر عن خصائصه التي يخُصُّهُ الله تعالى بها يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذي وعده بقوله: ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ [٧٩ : الإسراء]. .... =

قيل : قد اختلفت طرق العلماء في الجواب عن ذلك ؛ فقالت طائفة : هذه الصلاة علمها النبي ﷺ قبل أن يعرف أنه سيد ولد آدم ، ورُدَّ هذا بأن هذه هي الصلاة التي علمها أمته لما سألوه عن تفسير قول الله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يٰأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[1] ، وجعلها مشروعة في الصلاة إلى يوم القيامة ، وهو لم يزل أفضل ولد آدم قبل أن يعلم بذلك وبعده ، فلما علم بأنه سيد ولد آدم لم يغيّر نظم الصلاة عليه التي علمها أمته ، ولا أبدلها بغيرها ، ولا روي عن أحد خلافها ، [فَصَلُح][2] هذا الجواب .

وقالت طائفة : هذا السؤال والطلب شرع ليتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقد أجابه الله تعالى إلى ذلك كما ثبت في الصحيح : « ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن »[3] ، يعني نفسه ﷺ ، وهذا القول من جنس ما قبله ؛ فإن مضمونه أنه بعد أن اتخذ خليلاً لا تشرع الصلاة عليه على هذا الوجه ، وهذا من أبطل الباطل .

وقالت طائفة أخرى : إنما هذا التشبيه راجع إلى المصلي فيما يصير له من ثواب الصلاة عليه ، فطلب من ربه ثواباً وهو أن يصلي عليه كما صلى على إبراهيم ، لا بالنسبة إلى النبي ﷺ فإن المطلوب لرسول الله ﷺ من الصلاة وأعظم مما هو حاصل لغيره من العالمين ، وردّ هذا : بأن التشبيه ليس فيما يحصل للمصلّي ، بل فيما يحصل للمصلى عليه ، وهو النبي ﷺ وآله ، فمن قال : أن المعنى اللهم أعطني ثواب صلاتي عليه كما صليت على إبراهيم و [على][4] آل إبراهيم فقد حرف الكلام

ومنها : أن الله جلَّ ثناؤه لم يخاطبه في القرآن إلا بالنبي أو الرسول ، ودعا سائر الأنبياء بأسمائهم ، وحين دعا الأعرابُ نبينا ﷺ باسمه أو كنيته نهاهم عن ذلك ، وقال : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ [٦٣ : النور] ، وأمرهم بتعظيمه وبتفخيمه ، ونهاهم عن التقديم بين يديه ، وعن رفع أصواتهم فوق صوته ، وعاب من ناداه من وراء الحجرات ، إلى غير ذلك مما يطول بشرحه الكتاب ، وهو مذكور في كتب أهل الوعظ والتذكير .

ومنها : أنه ﷺ أكثر الأنبياء إعلاماً ، وقد ذكر بعض المصنفين أن أعلام نبينا ﷺ تبلغ ألفاً . (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٩١ ، باب ما جاء في التخيير بين الأنبياء .

(١) الأحزاب : ٥٦ .
(٢) في (خ) : « فطاح » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٣) سبق الإشارة إليه .
(٤) زيادة للسياق .

وأبطل في كلامه .

وقالت طائفة : التشبيه عائد إلى الآل فقط ، وتم الكلام عند قوله : اللهم صل على محمد ، ثم قال : وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، فالصلاة المطلوبة لآل محمد هي المشبهة بالصلاة الحاصلة لإبراهيم ، وهذا الجواب نقله العمراني عن الشافعي ، واستبعدت صحته عنه رحمه الله ، فإنه ورد في كثير من الأحاديث : « اللهم صل على محمد كما صليت على آل إبراهيم » ، وأيضاً فإنه لا يصح هذا الجواب من جهة العربية ، فإن العامل إذا ذكر معموله وعطف عليه غيره ، ثم قيد بظرف أو جار أو مجرور أو مصدر أو صفة مصدر ، كان ذلك راجعاً إلى المعمول وما عطف عليه ، هذا الذي لا تحتمل العربية غيره .

فإذا قلت : جاءني زيد وعمرو يوم الجمعة ، كان الظرف مقيداً بمجيئهما لا بمجيء أحدهما دون الآخر ، وكذلك إذا قلت : ضربت زيداً وعمراً ضرباً مؤلماً ، وأمام الأمير ، أو قلت : سلم عليّ زيد وعمرو يوم الجمعة .. ونحوه .

فإن قيل : هذا متجه إذا لم تُعد العامل ، فأمّا إذا أعيد العامل حسن ذلك ، تقول : سلِّم علي زيد وعلى عمرو إذا لقيته لم يمنع أن تختص ذلك بعمرو دون زيد ؛ وهنا قد أعيد العامل في قوله : وعلى آل محمد ، قيل : ليس هذا المثال بمطابق لمسألة الصلاة ، وإنما المطابق أن تقول : سلم علي زيد وعلى عمرو كما تسلم على المؤمنين ، ونحو ذلك ، وحينئذ فادّعاء أن التشبيه بسلامه على عمرو وحده دون زيد دعوى باطلة .

وقالت طائفة : لا يلزم أن يكون المشبه به أعلى من المشبه ، بل يجوز أن يكونا متماثلين ، وأن يكون المشبه أعلى من المشبه به ، قال هؤلاء : والنبي ﷺ أفضل من إبراهيم من جهات غير الصلاة عليه وإن كانا متساويين في الصلاة ، والدليل على أن المشبه قد يكون أفضل من المشبه به قولُ الشاعر :

بنونا بنو أبنـائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعـد

وعورض هذا القول بوجوه من الرد :

أحدها : أن هذا خلاف المعلوم من قاعدة تشبيه الشيء بالشيء ، فإن العرب

لا تشبه الشيء إلا بما فوقه[1] .

الثـاني : أن الصلاة من الله تعالى من أفضل المراتب وأجل وأتم من كل صلاة ، تحصل لكل مخلوق فلا يكون غيره مساوياً له فيها .

الثالث : أن الله تعالى أمر بها بعد أن أخبر أنه وملائكته يصلون عليه ، فأمر بالصلاة والسلام عليه ، وأكده بالتسليم ، وهذا الخبر والأمر لم يثبتهما لغيره في القرآن من المخلوقين .

الرابـع : أن النبي ﷺ قال : إن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير ، وهذا لا بتعلمهم الخير ، فلما هداهم إلى خير الدنيا والآخرة وتسبَّبُوا بذلك إلى سعادتهم وفلاحهم ، وذلك سبب دخولهم في جملة المؤمنين المهديين الذين يصلي عليهم الله وملائكته .

ومن المعلوم أنه لا أحد من معلمي الخير أفضل ولا أكثر تعليماً له من النبي ﷺ ، ولا أنصح لأمته ولا أصبر على تعليم الخير منه ، ولهذا أنال أمته من تعليمه لهم ما لم تنله أمة من الأمم سواهم ، وحصل للأمة من تعليمه من العلوم النافعة والأعمال الصالحة ما صارت به خير أمة أخرجت للعالمين ، فكيف تكون الصلاة على هذا الرسول المعلم للخير مساوية في الصلاة على من لم يماثله في التعليم ؟ وما بقول الشاعر على جواز كون المشبه به أفضل من المشبه ، فلا يدل ذلك لأن قوله :

* بنونا بنو أبنائنا *

إما أن يكون المبتدأ فيه مؤخراً والخبر مقدماً ، ويكون قد شبه بنو أبنائه ببنيه ، وكان تقديم الخبر لظهور المعنى وعدم وقوع اللبس ، وعلى هذا جاز على أصل التشبيه ، وإما أن يكون من باب عكس التشبيه كما يشبه القمر بالوجه الكامل في حسنه ، ويشبه الأسد بالكامل في شجاعته ، وعلى هذا فيكون الشاعر قد نزل

---

(١) ومع ذلك فقد ضرب الله تعالى مثلاً لنوره ﴿ **كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ [٣٥ : النور] .

بني أبنائه منزلة بنيه وأنه لم يفرقهم عنده ، ثم شبه بنيه بهم ، وهذا قول طائفة من أهل المعاني .

وظاهر البيت أن الشاعر لم يرد ذلك وإنما أرا دالتفريق بين بني بنيه وبين بني بناته ؛ فأخبر أن بني بناته تتبع لآبائهم ليسوا بأبناء لنا ، وإنما أبناؤنا بني أبنائنا لا بنو بناتنا و لم يرد تشبيه بني بنيه ببنيه ولا عكسه ، وإنما أراد ما ذكرنا من المعنى ، وهذا ظاهر .

وقالت طائفة : النبي ﷺ له من الصلاة الخاصة التي لا تساويها صلاة من لم يشركه فيها أحد ، والمسئول له إنما هو صلاة زائدة على ما أعطيته مضافاً إليه ، [وتكون تلك][1] الزائدة [مشبهة][2] بالصلاة على إبراهيم ، وليس بمستنكر أن يسأل للفاضل فضيلة أعطيها المفضول منضماً إلى ما اختص به من هو من الفضل الذي لم يحصل لغيره .

قالوا : ومثال ذلك أن يعطي السلطان رجلاً مالاً عظيماً ، ويعطي غيره دون ذلك فيسأل السلطان أن يعطي صاحب المال الكثير مثل ما أعطي صاحب من هو دونه لينضم إلى ما أُعْطِيَهُ فيحصل له مثل مجموع العطائين أكثر ما يحصل له من الكثير وحده ، وهذا جواب ضعيف ، لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه ، ثم أمر بالصلاة عليه ، ولا ريب أن المطلوب من الله سبحانه وتعالى هو الصلاة المخبر بها لا ما هو دونها ، وهو أكمل الصلاة عليه وأرجحها لا الصلاة المرجوحة المفضولة ، وعلى قول هؤلاء إنما يكون الطلب لصلاة مرجوحة لا راجحة ، وإنما تصير راجحة بانضمامها إلى صلاة لم تطلب ، ولا ريب في فساد ذلك ، فإن الصلاة التي تطلبها الأمة له ﷺ من ربه تعالى هي أجلّ صلاة وأفضلها .

وقالت طائفة : التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة لا في قدرها ولا كيفيتها ، إنما هو راجع إلى الهبة لا إلى قدرها ، وهذا كما تقول للرجل : أحسن إلى أبيك كما أحسنت إلى فلان ، وأنت لا تريد بذلك قدر الإحسان وإنما تريد به أصل الإحسان .

---

(١) في (خ) : « ويكون ذنك » .

(٢) في (خ) : « مشبها » .

وقد يحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾[1] ، ولا ريب أنه لا يقدر أحد أن يُحسن بقدر ما أحسن الله إليه ، وإنما أُريد به أصل الإحسان لا قدره .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾[2] ، وهذا التشبيه إنما هو في أصل الوحي لا في قدره وفضيلة الموحي به ، وقوله تعالى : ﴿ **فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون** ﴾[3] ، إنما مرادهم جنس الآية لا نظيرها .

وقوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم** ﴾[4] ، ومعلوم أن كيفية الاستخلاف مختلفة ، وإنما لهذه الأمة أكمل ما لغيرها .

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾[5] ، والتشبيه إنما هو في أصل الصوم لا في عينه وقدره وكيفيَّته .

وقال تعالى : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾[6] ، ومعلوم تفاوت ما بين النشأة الأُولى وهي المبتدأ ، وبين الثانية وهي المعاد .

وقال تعالى : ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** ﴾[7] ، ومعلوم أن الشبيه في أصل الإرسال لا يقتضي تماثل الرسولية .

وقال رسول الله ﷺ : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقنكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً » ، فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره ، ولا في كيفيته ، ونظائر ذلك [كثير] .

---

(١) القصص : ٧٧ . (٢) النساء : ١٦٣ . (٣) الأنبياء : ٥ .
(٤) النور : ٥٥ . (٥) البقرة : ١٨٣ . (٦) الأعراف : ٢٩ .
(٧) المزمل : ١٦ .

واعترض على هذا بوجوه :

أحدها : ما ذكروه يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى ، فلو قلت : أحسن إلى ابنك وأهلك كما أحسنت إلى مركوبك وخادمك ونحوه ، جاز ذلك .

ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة لحسن أن تقول : اللهم صل على محمد كما صليت على آل أبي أوفي ، أو كما صليت على آحاد المؤمنين ونحوه ، أو كما صليت على آدم ونوح ، وهود ولوط ، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا في صفتها ، ولا فرق في ذلك بين كل من صلى عليه ، وأيّ مزيَّة في ذلك لإبراهيم وآله ، وما الفائدة حينئذ . في ذكره وذكر آله ، وكان الكافي في ذلك أن يقال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقط .

الثاني : أن الأمثلة المذكور ليست بنظير الصلاة على رسول الله ﷺ فإنها نوعان : خبر وطلب ؛ فما كان منها خبراً فالمقصود بالتشبيه الاستدلال والتقريب إلى الفهم ، وتقرير ذلك الخبر وأنه لا ينبغي لعاقل إنكاره كنظيره المشبه به ، فكيف تنكرون الإعادة وقد وقع الاعتراف بالبداءة وهي نظيرها ، وحكم النظير حكم نظيره .

ولهذا يحتج سبحانه بالمبدأ على المعاد كثيراً ، قال تعالى : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾[3] ، وهذا كثير في القرآن .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** ﴾[4] ، أي كيف يقع الإنكار منكم وقد تقدم قبلكم رسل مني مبشرين ومنذرين ، وقد علمتم حال من عصى رسلي كيف أخذتهم أخذاً وبيلاً .

---

(١) الأعراف : ٢٩ .
(٢) الأنبياء : ١٠٤ .
(٣) يـس : ٧٨ .
(٤) المزمل : ١٦ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح** ﴾[1] الآية ، أي لست أول رسول طرق العالم ، قد تقدمت قبلك رسل أوحيت إليهم كما أوحيتُ إليك كما قال تعالى : ﴿ **قل ما كنت بدعاً من الرسل** ﴾[2] ، فهذا ردّ وإنكار على من أنكر رسالة محمد ﷺ مع مجيئه ﷺ ولست من الأمور التي لم تطرق العالم ، بل لم تخل الأرض من الرسل وآثارهم ، فرسولكم جاء على منهاج من تقدمه من الرسل في الرسالة لم يكن بدعاً .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾[3] ، إخباراً عن عادته سبحانه وتعالى في خلقه ، وحكمته التي لا تبديل لها ؛ من آمن وعمل صالحاً مكّن له في الأرض واستخلفه فيها ولم يهلكه ويقطع دابره كما أهلك من كذب رسله وخالفهم ، وأخبرهم سبحانه وتعالى عن معاملته من آمن برسله وصدقهم ، وأنه لم يفعل بهم كما فعل بمن قبلهم من أتباع الرسل .

وهكذا قول رسول الله ﷺ : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً » ، إخبار بأنه سبحانه وتعالى يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون ، وأنه لا يخليهم من رزق قط كما ترون ذلك في الطير فإنها تغدوا من أوكارها خماصاً فيرزقها سبحانه وتعالى حتى ترجع بطاناً من رزقه ، فأنتم أكرم على الله سبحانه وتعالى من الطير ومن سائر الحيوانات ، فلو توكلتم عليه سبحانه وتعالى لرزقكم من حيث لا تحتسبون ، ولم يمنع أحداً منكم رزقه ، هذا ما كان من قبيل الإخبار .

وأما في قسم الطلب والأمر ، فالمقصود منه التنبيه على العلة وأن الجزاء من جنس العمل ، فإذا قلت : علم كما علمك الله ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، واعْفُ كما عفا الله عنك .. ونحوه ، كان في ذلك تنبيهاً للمأمور على شكر النعمة التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه ، وأنه حقيق أن يقابلها بمثلها ويقيدها بشكرها ، وأن جزاء تلك النعمة من جنسها ، ومعلوم أنه يمتنع خطاب الرب سبحانه وتعالى بشيء

---

(١) النساء : ١٦٣ .　　(٢) الأحقاف : ٩ .　　(٣) النور : ٥٥ .

من ذلك ، ولا يحسن في حقه ، فيصير ذكر التشبيه لغواً لا فائدة فيه وهذا غير جائز .

الثالث : أن قوله : كما صليت على آل إبراهيم صفة لمصدر محذوف تقديره : صلاةً مثل صلاتك على آل إبراهيم ، وهذا الكلام حقيقته أن تكون الصلاة مماثلة في الصلاة المشبهة بها ، فلا تعدل عن حقيقة الكلام ووجهه .

وقالت طائفة : إن هذا التشبيه حاصل بالنسبة إلى كل صلاة من صلوات المصلين ، فكل مصل صلى على رسول الله ﷺ بهذه الصلاة فقد طلب من الله تعالى أن يصلي على رسوله صلاة مثل الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ، ولا ريب أنه إذا حصل من كل من طلب من الله مثل صلاته على آل إبراهيم حصل له من ذلك أضعافاً مضاعفة من الصلاة لا تُعَدّ ولا تحصى ، ولم يقاربه فيها ﷺ أحد ، فضلاً عن أن يساويه أو يفضله ﷺ .

ونظير هذا : أن يعطى ملكٌ لرجلٍ ألف درهم فيسأله كل واحد منهم أن يعطيه ألفاً، فيحصل له من الألوف بعدد كل واحد منهم ، وأورد على هذا أن التشبيه حاصل بالنسبة إلى أصل هذه الصلاة المطلوبة وكل فرد من أفرادها ، فالإشكال وارد كما هو ، وتقديره أن العطية التي [يعطاها] الفاضل لابد أن تكون أفضل من العطية التي يعطاها المفضول ، فإذا سُئل عطية دون ما يستحقه لم يكن لائقاً بمنصبه .

وأجيب بأن هذا الإشكال إنما يرد إذا لم يكن الأمر للتكرار ، فأما إذا كان الأمر للتكرار فالمطلوب من الأمة أن يسألوا الله سبحانه وتعالى له صلاة بعد صلاة ، كل صلاة منها نظير ما حصل لإبراهيم ، فيحصل لرسول الله ﷺ من الصلوات ما لا يحصى مقداره بالنسبة إلى الصلاة الحاصلة لإبراهيم عليه السلام .

وردَّ هذا الجواب بأن التشبيه إنما هو واقع في صلاة الله سبحانه وتعالى عليه ، لا في صلاة المصلي عليه ، ومعنى هذا الدعاء : اللهم أعطه نظير ما أعطيت إبراهيم ، فالمسئول له ﷺ صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم عليه السلام ، وكلما تكرر هذا السؤال كان هذا معناه ، فيكون كل مصل قد سأل الله سبحانه وتعالى أن يصلي عليه صلاة دون التي يستحقها ، وهذا السؤال والأمر به متكرر ، فهل هذا إلا تقوية

لجانب الإشكال ؟.

ثم إن التشبيه واقع في أصل الصلاة وأفرادها ولا يعني جوابكم عنه بقضية التكرار شيئاً ، فإن التكرار لا يجعل جانب المشبه به أقوى من جانب المشبه كما هو مقتضى التشبيه ، فلو كان التكرار يجعله كذلك لكان الاعتزار به نافعاً ، بل التكرار يقتضي زيادة تفضيل المشبه وقوته ، فكيف يشبه حينئذ بما هو دونه ، فظهر ضعف هذا الجواب .

وقالت طائفة : آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليست في آل محمد مثلهم ، فإذا طُلب لرسول الله ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل محمد من ذلك ما يليق بهم فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم عليه السلام لمحمد ﷺ فتحصل له بذلك من المزية ﷺ ما لم يحصل لغيره ، وتقدير ذلك : أن تجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد ﷺ وآله .

ولا ريب أنه لا يحصل لآله ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم عليه السلام وفيهم الأنبياء ، بل يحصل لهم ما يليق بهم ويبقى سهم رسول الله ﷺ مع الزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة به ﷺ ، فيصير الحاصل له ﷺ من مجموع ذلك أعظم وأفضل من الحاصل لإبراهيم عليه السلام ، وهذا أحسن من كل ما تقدم .

وأحسن منه أن يُقال : محمد ﷺ من آل إبراهيم بل هو خير آل إبراهيم ، كما روي عن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾[1] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام ، فدخول رسول الله ﷺ أولى فيكون قولنا : كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر الأنبياء الذين من ذرية إبراهيم ، ثم قد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلي عليه وعلى آله خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً وهو فيهم ،

---

(١) آل عمران : ٣٤ .

فيحصل لآله ﷺ ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له ﷺ .

وتقدير ذلك : أنه يكون قد صلى عليه خصوصاً ، وطلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم وهو داخل معهم ، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم عليه السلام ورسول الله ﷺ معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له ﷺ دونهم ، فيطلب له ﷺ هذا الأمر العظيم الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً .

وحينئذ تظهر فائدة التشبيه وجريه على أصله ، وأن المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشبه به ، وله أوفر نصيب منه ، صار له ﷺ من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم عليه السلام وغيره ، وتضاف إلى ذلك ما له من المشبه به من الحصة التي لم تحصل لغيره ، فظهر بهذا من فضله ﷺ وشرفه على إبراهيم عليه السلام وعلى كل من آله – وفيهم النبيون – ما هو اللائق به ، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له ، وهي من موجباته ومقتضياته .

واعلم أن الأحاديث الواردة في الصلاة والواردة لرسول الله ﷺ كلها صريحة بذكر رسول الله ﷺ وبذكر آله ، وأما في حق إبراهيم عليه السلام – وهو المشبه به – فإنما جاءت بذكر آل إبراهيم عليه السلام فقط دون ذكر إبراهيم ، أو بذكره عليه السلام دون ذكر آله ، ولم يجيء حديث صحيح فيه لفظ إبراهيم وآل إبراهيم كما تظاهرت على لفظ محمد وآل محمد ؛ وبيانه أن أشهرَ الأحاديث الواردة في الصلاة على النبي ﷺ حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد ، وهذا لفظهم إلا الترمذي فإنه قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم فقط ، وكذا في ذكر البركة ولم يذكر الآل ، وهي رواية لأبي داود ، وفي رواية : كما صليتَ على آل إبراهيم بذكر الآل فقط ، وكما باركت على إبراهيم (بذكره فقط) .

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي : قالوا : يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . هذا هو اللفظ المشهور ، وقد روي فيه : « كما صليت على إبراهيم وكما باركت على إبراهيم بدون لفظ الآل في الموضعين .

وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ فقال : « قولوا : اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلي عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم » .

وقد روي هذا الحديث بلفظ آخر : كما صليت على إبراهيم وكما باركت على إبراهيم (لم يذكر الآل فيهما) . وفي رواية أخرى : كما صليت على إبراهيم وكما باركت على آل إبراهيم بذكر إبراهيم عليه السلام وحده في الأولى ، والآل فقط في الثانية ، هذه هي الألفاظ المشهورة في هذه الأحاديث المشهورة ؛ أكثرها بلفظ آل إبراهيم في الموضعين ، وفي بعضها بلفظ آل إبراهيم فيهما ، وفي بعضها بلفظ إبراهيم في الأول والآل في الثاني ، وفي بعضها عكسه .

وأما الجمع بين إبراهيم وآل إبراهيم فرواه البيهقي في سننه من حديث حيي ابن السباق عن رجل من بني الحرث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ [أنه قال :] « إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، وارحم محمداً وآل محمد كما صليت

وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . وهذا إسناد ضعيف .

ورواه الدّارقطني من حديث ابن إسحق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه فذكر الحديث وفيه : « اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » ، ثم قال : هذا إسناد حسن متصل .

وفي النسائي من حديث موسى بن طلحة عن أبيه قال : قلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » ، ولكن رواه هكذا ورواه مقتصراً فيه على ذكر إبراهيم في الموضعين .

وقد روي ابن ماجة حديثاً موقوفاً آخر عن ابن مسعود فيه إبراهيم وآل إبراهيم ، قال في السنن : حدثنا الحسين بن بيان ، حدثنا زياد بن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعرض ، قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال : قولوا : « اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وهذا حديث موقوف ، وابن أبي فاختة اسمه نوير ، قال يونس بن أبي إسحق : كان رافضياً ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال أبو حاتم : ضعيف ، وقال الدارقطني : متروك .

وعامة الأحاديث التي في الصحاح والسنن كما ذكرنا باقتصار على الآل وإبراهيم

في الموضعين ، أو الآل في إحداهما وإبراهيم في [الأخرى][1] فحيث جاء ذكر إبراهيم وحده في الموضعين فلأنه الأصل في الصلاة المخبر بها وآله تبعاً له عليه السلام فيها ، فذلك ذكر المتبوع على التابع ، واندرج فيه وأغنى عن ذكره ، وحيث جاء ذكر آله فقط فلأنه داخل في آله كما تقرر في موضعه ، فيكون ذكر آل إبراهيم عليه السلام مغنياً عن ذكره وذكر آله بلفظين ، وحيث جاء في أحدهما ذكره عليه السلام فقط وفي الآخر ذكر آله فقط، كان ذلك جمعاً بين الأمرين فيكون ذكر المتبوع الذي هو الأصل ، وذكر أتباعه بلفظ يدخل هو فيهم .

وأما ذكر محمد ﷺ وذكر آله فقد جاء بالاقتران دون الاقتصار على أحدهما في عامة الأحاديث ، فلأن الصلاة عليه ﷺ وعلى آله ذكرت في مقام الطلب والدعاء بخلاف الصلاة على إبراهيم عليه السلام ، فإنها جاءت في مقام الخبر وذكر الواقع لأن قوله : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » جملة طلبية ، وقوله : « كما صليت على آل إبراهيم » جملة خبرية ، والجملة الطلبية إذا وقعت موقع الدعاء والسؤال كان بسطها وتطويلها أنسب من اختصارها وحذفها ، ولهذا شرع تكرارها وإبداؤها وإعادتها فإنها دعاء ، والله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء ، ولهذا تجد كثيراً من أدعية رسول الله ﷺ فيها من بسط الألفاظ وذكر كل معنى بصريح لفظه دون الاكتفاء بدلالة اللفظ الآخر عليه ، ما يشهد لذلك كقوله ﷺ في حديث علي الذي رواه مسلم في صحيحه : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخِّر ، لا إلٰه إلا أنت » .

ومعلوم أنه لو قيل : اغفر لي كل ما صنعت كان أوجز ، ولكن ألفاظ الحديث في مقام الدعاء والتضرع وإظهار العبودية والافتقار ، واستحضار الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلاً أحسن أوبلغ من الإيجاز والاختصار .

وكذلك قوله في الحديث الآخر : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، سره وعلانيته ، أوله وآخره » . وفي حديث آخر : « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي

---

(١) زيادة للسياق .

وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطأي وعمدي ، وكل ذلك عندي » . وهذا كثير في الأدعية المأثورة ، فإن الدعاء عبودية لله سبحانه وتعالى وافتقار إليه ، وتذلل بين يديه سبحانه وتعالى ، فكلما كثَّره العبد وطوله ، وأعاده وأبدأه ، ونوَّع جملته ، كان ذلك أبلغ في عبوديته ، وإظهار فقره ، وتذلله وحاجته ، فكان ذلك أقرب له من ربه سبحانه وتعالى وأعظم لثوابه .

وهذا بخلاف المخلوق ؛ فإنك كلما كثرت سؤالك إياه وعددت له حوائجك أبْرَمْتَهُ وثقلت عليه وهنْتَ في نفسه عنده ، وكلما تركت سؤاله كنت أعظم عنده وأحب إليه ، والله جل جلاله كلما سألته كنت أقرب إليه وأحب إليه ، وكلما ألححت في الدعاء أحبك ، ومن لم يسأل الله سبحانه وتعالى يغضب عليه ، فالله سبحانه وتعالى يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب[1] ، فالمطلوب منه سبحانه وتعالى يزيد بزيادة الطلب وينقص بنقصانه .

وأما الخبر ، فهو خبر عن أمر قد وقع وانقضى لا يحتمل الزيادة والنقصان ، فلم تكن في زيادة اللفظ فيه كبير فائدة ، ولا سيما والمقام ليس مقام إيضاح وتفهيم المخاطب ليحسُن معه البسط والإطناب ، فكان الإيجاز والاختصار فيه أكمل وأحسن ، فلهذا جاء فيه بلفظ إبراهيم تارة ، وبلفظ آله تارة أخرى ، لأن كلا اللفظين يدل على ما يدل عليه الآخر من الوجه الذي تقدم ذكره ، فكان المراد باللفظين واحداً مع الإيجاز والاختصار ، بخلاف ما لو قيل : صل على محمد ، لم يكن في هذا ما يدل على الصلاة على آله ، إذ هو طلب ودعاء ينشأ بهذا اللفظ ، ليس خبراً عن أمر قد وقع واستقر .

ولو قيل : صل على آل محمد لكان النبي ﷺ إنما يصلي عليه ضمناً في العموم ، فقيل : على محمد وعلى آل محمد ليحصل له ﷺ بذلك الصلاة عليه بخصوصه ،

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر :

لا تسألَنَّ بُنَيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تقضب

فالله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيّ آدم حين يُسأل يغضب

القضب : القطع . (لسان العرب) : ١ / ٦٧٨ .

والصلاة عليه ﷺ بدخوله في آله .

وهنا للناس طريقان في مثل هذا ، هل يقال : داخل في آله مع اقترانه بذكره فيكون قد ذكر مرتين : مرة بخصوصه ومرة في اللفظ العام ، وعلى هذا فيكون قد صلى عليه مرتين خصوصاً وعموماً ، وهذا على أصل من يقول : أن العام إذا ذكر بعد الخاص كان متناولاً له أيضاً ، ويكون الخاص قد ذكر مرتين ، وكذلك في ذكر الخاص بعض العام كقوله تعالى : ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾[1] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم** ﴾[2] الآية ، والطريق [الذي اختاره][3] إلى ذكره بلفظ الخاص يدل على أنه غير داخل في اللفظ العام ، فيكون ذكره بخصوصه مُغْنياً عن دخوله في العام ، وعلى هذه الطريقة فيكون في ذلك فوائد :

الأولى[4] : أنه لما كان ﷺ من أشرف النوع العام أفرد ﷺ بلفظه يخصه ﷺ ، فيكون في ذلك تنبيهاً على اختصاصه ﷺ ومزيته على النوع الداخل في اللفظ العام .

الثانية : أنه يكون فيه تنبيه على أن الصلاة عليه ﷺ أصل ، وأن الصلاة على آله تبع له ، وأنهم إنما نالوا ذلك بتبعيتهم له ﷺ .

الثالثة : أن إفراده ﷺ بالذكر يرفع عنه توهم التخصيص ، وأنه لا يجوز أن يكون مخصوصاً من اللفظ العام ، بل هو مراد قطعاً .

واعلم أن قوله : « وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم » دعاء يتضمن إعطاء محمد رسول الله ﷺ من الخير ما أعطاه الله سبحانه وتعالى لآل إبراهيم مع إدامة ذلك الخير وثبوته له ﷺ ومضاعفته وزيادته ، فإن هذا هو حقيقة البركة ، وقد قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين** ﴾ ، ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحق** ﴾[5] ، وقال تعالى فيه وفي

---

(١) البقرة : ٩٨ . (٢) الأحزاب : ٧ . (٣) زيادة للسياق .

(٤) زيادة للسياق ، وفي (خ) : « منها » . (٥) الصافات : ١١٢ - ١١٣ .

أهل بيته : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾[1] ، وتأمل كيف جاء في القرآن : ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحق** ﴾[2] ، ولم يذكر إسماعيل ، وجاء في التوراة ذكر البركة على إسماعيل ولم يذكر إسحق ، فقال بعد أن ذكر إسماعيل : وأنه سيلد اثنى عشر عظيماً ما حكايته سمعتك ها أنا باركته وأيمنته بماد ماد أي بمحمد ﷺ ، فجاء في التوراة ذكر البركة في إسماعيل إيذاناً بما حصل لبنيه من الخير والبركة ، ولا سيما خاتم بركتهم ، وأعظمهم وأجلهم محمد رسول الله ﷺ ، فنبههم سبحانه وتعالى بذلك على ما يكون في بني إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام من البركة العظيمة الموافية على لسان المبرك ﷺ .

وذكر لنا في القرآن الكريم بركته سبحانه وتعالى ، منها ما حصل في أولاده من نبوة موسى وغيره ، وما أوتوه من الكتاب والعلم ، مستدعياً سبحانه وتعالى من عباده الإيمان بذلك والتصديق به ، وأن لا يهملوا معرفة حقوق بيت إبراهيم عليه السلام ، إذا هو البيت المبارك ، وأهله أهل النبوة والعلم والكتاب .

ولا يقول القائل : هؤلاء أنبياء بني إسرائيل لا تعلق لنا بهم ، فإنه يجب علينا معشر المسلمين احترامهم وتوقيرهم والإيمان بهم ومحبتهم ، ومُوَالَاتهم والثناء عليهم ، وصلوات الله عليهم وسلامه .

ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على الإطلاق ، خص الله سبحانه وتعالى أهله بخصائص منها : أن جعل فيهم النبوة والكتاب ، فلم يأت بعد إبراهيم عليه السلام نبي إلا من أهل بيته .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعلهم أئمة يهدون بأمره تعالى إلى يوم القيامة ، فكل من دخل الجنة أولياء الله سبحانه وتعالى بعدهم فإنما دخل بدعوتهم من طريقهم .

ومنها : أنه اتخذ منهم سبحانه وتعالى الخليلين إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ ، فبدأ هذا البيت بإبراهيم عليه السلام ، وختمه بمحمد ﷺ ، أنه من ولد إبراهيم

---

(١) هود : ٧٣ . (٢) الصافات : ١١٣ .

عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلاً** ﴾[1] ، وثبت أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » ، ولم يكن لبيت من بيوت العالم مثل هذه الخصوصية .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل صاحب هذا البيت إماماً للعالمين ، قال تعالى : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً** ﴾[2] .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أجرى على يديه بناء بيته الحرام الذي جعله قبلة للناس وحجاً لهم ، فكان ظهور هذا البيت المحرم من أهل هذا البيت الأكرمين ، ومن تبحر في أحوال العالم علم أنه كان في الدهر الغابر سبعة بيوت في الأرض يحج الناس إليها ، لم يبلغ بيت منها عظمة هذا البيت ولا بركته ، ما منها إلا ما أباده الله وأبقى هذا البيت دونها ، وزاده تشريفاً وتكريماً وتعظيماً .

قال تعالى : ﴿ **جعل الله الكعبةَ البيت الحرام قياماً للناس** ﴾[3] ، أي صير الله الكعبة قواماً للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز ضعيفهم عن قويهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم ، فحجز سبحانه وتعالى بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض إذ لم يكن لهم قيام غيره ، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم ، فجعل سبحانه وتعالى الكعبة والشهر الحرام قواماً لمن كان يحترم ذلك من العرب ، ويعظمه بمنزلة الرئيس الذي يقوّم أمر أتباعه .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أخرج منهم الآيتين العظيمتين التي لم يخرج من أهل بيت غيرهم مثلهما ، وهما أمة موسى عليه السلام وأمة محمد ﷺ ، تمام سبعين أمة خيرها وأكرمها على الله سبحانه وتعالى .

ومنها : أن الله سبحانه وتعالى أبقى عليهم لسان صدق وثناءاً حسناً في العالم ، فلا يذكرون إلا بالثناء عليهم ، والصلاة والسلام عليهم ، قال تعالى : ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين** ﴾[4] .

---

(١) النساء : ١٢٥ . (٢) البقرة : ١٢٤ . (٣) المائدة : ٩٧ .
(٤) الصافات الآيات : ١٠٨ - ١١٠ .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل أهل هذا البيت فرقاناً بين الناس ، فالسعداء أتباعهم ومحبوهم ومن تولاهم ، والأشقياء من أبغضهم وأعرض عنهم وعاداهم ، فالجنة لهم ولأتباعهم ، والنار لأعدائهم ومخالفيهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل ذكرهم مقروناً بذكره تعالى ؛ فيقال : إبراهيم خليل الله ورسوله ونبيه ، وموسى كليم الله ورسوله ، وعيسى روح الله وكلمته ، ومحمد رسول الله ، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[1] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : إذا ذكرت ذكرت معي ؛ فيقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله في كلمة الإسلام وفي الأذان وفي الخطب وفي التشهد وغير ذلك .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل خلاص خلقه من شقاء الدنيا والآخرة على يدي أهل هذا البيت ، فلهم على الناس من النعم ما لا يمكن إحصاؤها ولا جزاؤها ، ولهم من المنن الجسام في رقاب الأولين والآخرين من أهل السعادة مع الأيادي العظام عندهم ما لا يمكن أن يجازيهم عليها إلا الله سبحانه وتعالى .

ومنها : أن كل خير ونفع وعمل صالح وطاعة لله سبحانه وتعالى حصلت وكانت في العالم فلهم من الأجر مثل أجور عاملها فضيلة خصهم الله سبحانه وتعالى بها من بين أهل العالم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى سد جميع الطرق بينه وبين البشر وأغلق دونهم الأبواب فلم يفتح لأحد إلا من طريقهم وبابهم ، قال الجنيد رحمه الله : يقول الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ : وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك .

ومنها : أنه سبحانه وتعلى خصهم من العلم بما لم يخص به أهل بيت سواهم ، فلم يطرق العالم أهل بيت أعلم بالله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله ، وثوابه وعقابه وشرعه ، ومواقع رضاه وغضبه ، وملائكته ومخلوقاته منهم ،

---

(١) الشرح : ٤ .

فجمع سبحانه وتعالى لهم علم الأولين والآخرين .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصهم من توحيده ومحبته وقربه والاختصاص به بما لم يخص أهل بيتٍ سواهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى مكن لهم الأرض واستخلفهم فيها ، وأطاع أهل الأرض لهم ، ما لم يحصل لغيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أيدهم ونصرهم وأظفرهم بأعدائهم وأعدائه ما لم يؤيد به غيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى مَحَا بِهِمْ من آثار أهل الضلال والشرك ، ومن الآثار التي يبغضها ويمقتها ، ما لم يمحه بسواهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل آثارهم في الأرض سبباً لبقاء العالم وحفظه ، فلا يزال العالم باقياً مادامت آثارهم باقية ، فإذا ذهبت آثرهم من الأرض فذاك أوان خراب العالم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد** ﴾ ، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : لو تركتْ الناسُ كُلُّهم الحج لوقعت السماء على الأرض ، وقال : لو ترك الناس الحج كلهم لما مطروا .

وأخبر النبي ﷺ أن في آخر الزمان يرفع الله بيته من الأرض وكلامه من المصاحف وصدور الرجال ، فلا يبقى في الأرض بيت يُحَجّ ولا كلامٌ يُتْلى ، فحينئذ يقرب خراب العالم .

وهكذا الناس اليوم ، إنَّما قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم ، وقيام أمورهم وحصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم بحسب ظهورها بينهم وقيامها ، وهلاكهم وحلول البلايا والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتخاذ سواها .

ومن عرف حوادث الزمان فإنه يقف على أن البلاد التي سلَّط الله سبحانه وتعالى عليها من سلَّطه حتى أخرب البلاد وأهلك العباد ، إنما كان سببه تعطيلهم لدينه بينهم

وشرائعه ، فكان ذلك انتقاماً منهم بتسليط الله سبحانه وتعالى عليهم ، وأن البلاد التي لآثار رسول الله ﷺ وسنته وشرائعه فيها ظهور دفع الله سبحانه وتعالى عنهم بحسب ظهور ذلك بينهم .

وهذه الخصائص وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله سبحانه وتعالى وبركاته على أهل هذا البيت الإبراهيمي ، فلهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نطلب له من الله سبحانه وتعالى أن يبارك عليه وعلى آله كما بارك على [آل][1] هذا البيت المعظم .

ومن بركاته : أنه سبحانه وتعالى أظهر على أيديهم من بركات الدنيا والآخرة ما لم يظهره على يدي أهل بيت غيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أعطاهم من خصائصهم ما لم يعط غيرهم ؛ فمنهم من اتخذه خليلاً[2] ، ومنهم الذبيح[3] ، ومنهم من كلَّمه تعالى تكليماً[4] ، ومنهم من آتاه الله سبحانه وتعالى شطر الحسن وجعله من أكرم الناس عليه[5] ، ومنهم من أتاه الله سبحانه وتعالى ملكاً لم يؤته أحداً غيره[6] .

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أهل هذا البيت وذرِّيتَهم أخبر أن كلهم فضَّله على العالمين[7] .

ومن خصائصهم : بركاتهم على أهل الأرض [أنه][8] يرفع العذاب عن سكان البسيطة بهم ويبعثهم ، فإن عادة الله سبحانه وتعالى كانت في أمم الأنبياء الذين قبلهم أن يهلكهم إذا كذبوا أنبياءهم ورسله بعذاب يعمهم كلهم كما فعل بقوم نوح إذْ أغرق الأرض كلها وأهلك من عليها بالطوفان إلا أصحاب السفينة[9] ، وكما

---

(١) زيادة للسياق . (٢) إبراهيم عليه السلام .

(٣) إسحاق أو إسماعيل على خلاف بين أهل التفسير فليراجع هناك .

(٤) موسى عليه السلام . (٥) يوسف عليه السلام .

(٦) سليمان عليه السلام .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وكلاً فضلنا على العالمين** ﴾ [٨٦ : الأنعام] .

(٨) زيادة للسياق .

(٩) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فأنجيناه وأصحاب السفينة** ﴾ [١٥ : العنكبوت] .

فعل تعالى بقوم هود إذ أهلك عاداً بريح دمَّرتهم كلهم[1] ﴿ **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾[2] ، وكما فعل سبحانه وتعالى بقوم صالح : ﴿ **أخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾[3] ، وكما فعل تعالى بقوم لوط جعل مدائنهم ﴿ **عاليها سافلها** ﴾[4] ، فلما أنزل الله سبحانه وتعالى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، رفع بنزولها العذاب العام عن أهل الأرض ، وأمر سبحانه وتعالى بجهاد من كذبها وخالفها ، فكان ذلك نصرة لأهل دينه بأيديهم ، وشفاءاً لصدورهم واتخاذ الشهداء منهم ، وإهلاك عدوّ الله بأيديهم لتحصل [نصرتُهُ] سبحانه وتعالى على أيديهم .

وحق لأهل بيت هذا من بعض فضائلهم وخصائصهم أن لا تزال الألسنة رطبة بالصلاة عليهم والسلام ، والثناء والتعظيم ، ولا تزال القلوب ممتلئة من محبتهم وتوقيرهم وإجلالهم ، وليعلم المصلي عليهم أنه لو صرف أنفاسه كلها في الصلاة عليهم لما وفىٰ القليل من حقهم ، فجزاهم الله سبحانه وتعالى [عنا][5] أفضل الجزاء ، وزادهم في الملأ الأعلى تعظيماً وتشريفاً ، ومهابة وتكريماً ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **واذكر أخا عادٍ إذا أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النّذر من بين يديه ومن خلفه** ﴾ [٢١ : الأحقاف] .

(٢) الذاريات : ٤٢ . (٣) الأعراف : ٧٨ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾ [الحجر : ٧٤] .

(٥) زيادة للسياق .

وأما اختصاصه ﷺ

بالشفاعة(1) العظمى يوم الفزع(2) الأكبر

قال الله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾(3) ، قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم : قدم صدق هو محمد ﷺ يشفع لهم .

وعن أبي سعيد الخدري : هي شفاعة نبيهم محمد ، وهو شفيع صدق عند ربهم .

---

(1) الشفاعة : الانضمام إلى آخر ناصراً له ومسائلاً عنه . وأكثر ما يستعمل في انضمام مَن هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى . ومنه الشفاعة في القيامة ، قال تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ [٤٨ : المدثر] ، أي لا تشفع لهم .

وقوله : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** ﴾ [٨٥ : النساء] ، أي من انضم إلى غيره وعاونه ، وصار شفعاً له أو شفيعاً في فعل الخير أو الشرّ وقوّاه ، شاركه في نفعه وضرّه .

وقيل الشفاعة هاهنا : أن يشرع الإنسان لآخر طريق خير أو طريق شرّ ، فيقتدي به ، فصار كأنه شفع له ، وذلك كما قال النبي ﷺ : « من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » . [رواه مسلم مطولاً] .

وقوله تعالى : ﴿ **يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه** ﴾ [٣ : يونس] ، أي يدبر الأمر وحده لا ثاني له في فصل الأمر ، إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه .

واستشفعتُ بفلان على فلان فتشفَّع لي إليه . وشفَّعه : أجاب شفاعته . ومنه الحديث : « القرآن شافع مشفَّع » . [رواه ابن حبان] . وإن فلاناً ليستشفع به . قال الشاعر :

مضى زمن والناس يستشفِعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ٣ / ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(2) الفزع : الذُّعْرُ والفَرَقُ . وربما جُمع على الأفزاع ، وإن كان مصدراً يقال : فزِع - بالكسر -: خفا . قال تعالى : ﴿ **وهم من فزعٍ يومئذ آمنون** ﴾ [٨٩ : النمل] . وفزع أيضاً : استغاث . والإفزاع : الإخافة والإغاثة .

والتفزيع من الأضداد ، يقال : فَزَّعه إذا أخافه . وفُزِّع عنه : كشف عنه الفزع . قال تعالى : ﴿ **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم** ﴾ [٢٣ : سبأ] ، أي كشف عنها الفزع . (المرجع السابق) : ٤ / ١٩١ .

(3) يونس : ٢ .

خرج البخاري وأبو داود من حديث مسدد قال : حدثنا يحيى عن الحسن بن ذكوان قال : حدثنا أيوب قال : حدثني عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يخرج قوم فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميون . ذكره البخاري في الرقاق في باب صفة الجنة والنار ، وذكره أبو داود في كتاب السنة في باب الشفاعة ولفظهما فيه سواء[1] .

وخرج البخاري من حديث همام عن قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة الجهنميون[1] . ذكره في الرقاق في كتاب التوحيد في باب قوله تعالى : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾[2] .

[و] من حديث هشام عن قتادة عن أنس : أن النبي ﷺ قال : ليصيبن أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضل رحمته يقال لهم : الجهنميون[3] .

وللترمذي من طريق عن الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه[4] .

وله من حديث سعيد عن قتادة عن أبي المليح عن عوف بن مالك الأشجعي قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني آت من عند ربي فخيَّرني بين أن يدخل نصف

---

(١) سبق الإشارة إليه وشرحه .

(٢) الأعراف : ٥٦ .

(٣) سبق الإشارة إليه .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٤٣٧) في صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ، وأبو داود رقم (٤٧٣٩) في السنة ، باب في الشفاعة ، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٤٣١٠) في الزهد ، باب ذكر الشفاعة ، وهو حديث صحيح ، وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مثله ، وزاد فيه : قال الراوي : فقال لي جابر : « يا محمد ! من لم يكن من أهل الكبائر ، فما له وللشفاعة ؟ » رقم (٢٤٣٨) في صفة القيامة ، باب رقم (١٢) وهو حديث حسن .

أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً[1] .

وخرج أبو بشر بن محمد بن أحمد بن حماد الدولابي من حديث محمد بن عوف ابن سفيان الطائي قال : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : حدثنا أنس بن مالك عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : أُريت ما [يلقى][2] أمتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض ، [فأحزنني وشق ذلك عليّ][3] ، وسبق ذلك من الله [تعالى][3] كما سبق في الأمم قبلهم ، فسألته [أن يوليني الشفاعة فيهم يوم القيامة ففعل][4] .

وخرج مسلم من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابراً رضي الله عنه يقول : سمعه من النبي ﷺ بأذنه يقول : إن الله تبارك وتعالى يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة[5] .

وخرج من حديث حماد بن زيد قال : قلت لعمرو بن دينار : أسمعت جابر ابن عبد الله يحدث عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يخرج قوماً من النار بالشفاعة ؟

---

(١) حديث رقم (٢٤٤٣) في صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ، وإسناده حسن ، وفي (خ) : « وهي لمن مات » ، وفي الترمذي : « وهي نائلة من مات .. » .

(٢) في (خ) : « تلقى » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن رواية (المستدرك) .

(٤) كذا في (خ) ، وفي (المستدرك) : « فسألته أن يوليني الشفاعة فيهم يوم القيامة ففعل » . والحديث رواه الحاكم في (المستدرك) : ١ / ١٣٨ - ١٣٩ ، حديث رقم (٢٢٧ / ٢٢٨) من كتاب الإيمان وقال في آخره : هذا حديث حسن صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والعلة عندهما فيه أن أبا اليمان حدَّث به مرتين ، فقال مرة : عن شعيب ، عن الزهري ، عن أنس ، وقال مرة : عن شعيب ، عن ابن أبي حسين ، عن أنس .. وقد قدمنا القول في مثل هذا أنه لا ينكر أن يكون الحديث عند إمام من الأئمة عن شيخين ، فمرة يحدث به هذا ، ومرة عن ذاك . وقد حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن عمر ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا إبراهيم بن هانيء النيسابوري قال : قال لنا أبو اليمان : الحديث حديث الزهري والذي حدثتكم عن ابن أبي حسين غلطت فيه بورقة قلبتها . قال الحاكم : هذا كالأخذ باليد ، فإن إبراهيم بن هانيء ثقة مأمون . وقال الذهبي في (التلخيص) بنحو كلام الحاكم .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣١٧) .

قال : نعم[1] .

وخرجه البخاري من حديث حماد عن عمرو عن جابر أن النبي ﷺ قال : « يخرج من النار [قوم][2] بالشفاعة كأنهم الثَّعاريرُ ، قلنا : ما الثعارير ؟ قال : الضغابيس » [وفي رواية][2] : « إن الله يُخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة » وفي أخرى : « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة »][3] .

وخرج من حديث حماد ، عن عمرو ، عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير » . قلت : وما الثعارير ؟ قال : الضغابيس . وكان قد سقط فمه ، فقلت لعمرو [بن دينار][3] : أبا محمد ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « يخرج بالشفاعة من النار » ؟ قال : نعم[4] . ذكره في كتاب الرقاق .

ولمسلم من حديث أبي أحمد الزبيري ، حدثنا قيس بن سيم العنبري ، قال : حدثني يزيد الفقير ، حدثنا جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أم قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها ، إلا دارات وجوههم حتى يدخلون الجنة »[5] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، من حديث رقم (٣١٨) . وكلاهما في (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٥١ .

(٢) زيادة للسياق من (جامع الأصول) : ١٠ / ٥٥٠ ، و (الثعارير) : صغار القثاء ، وهي الضغابيس أيضاً ، واللفظة بالثاء المعجمة والعين المهملة . وذكرها الهروي في حرف الغين المعجمة ، وبعدها الراء المهملة ، وبعدها الزاي المعجمة « كما تنبت التغاريز » والتاء معجمة بنقطتين من فوق قبل الغين ، وقال : هي فسيل النخل إذا حولت من موضع إلى موضع فغرزت فيه ، الواحدة تغريز وتنبيت . وقال مثله في التقدير : التناوير ، لنَوْر الشجر ، والتقاصيب لما قُصِّبَ من الشعر . قال : وقد رويت « الثعارير » يعني الأول ، والوجه الأول ، وهو الرواية ، وتعضده الرواية الأخرى التي قال فيها : « الضغابيس » .

(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من (جامع الأصول) ، والحديث أخرجه البخاري في الرقاق باب (٥١) ، حديث رقم (٦٥٥٨) ، ومسلم في الإيمان ، باب (٨٤) أدني أهل الحجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣١٧) ، (٣١٨) .

(٤) أنظر التعليق السابق .

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب (٨٤) أدني أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣١٩) .

وله من حديث ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود فقال : « نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا، أنظر أي ذلك فوق الناس ، قال : فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : من تنظرون ؟ فيقولون : ننظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ويتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ، ثم يطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم ، كأضواء نجم في السماء ، ثم كذلك ، ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ، ويذهب حراقه ، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها »[1] .

[قال كاتبه : هكذا وقع في رواية هذا الحديث « عن كذا وكذا ، أنظر » .

وقال الحفاظ : هو كلام فاسد غير مستقيم ، وصوابه : « على كُوَم » ، وهو جمع كَوْمة ، وهو المكان المشرف ، أي نحن فوق الناس ، فلم يذكر المؤلف اللفظة أو المكنى عنه ، فكنى عنها بكذا وكذا ، وفسرها بقوله : « أي ذلك فوق الناس » ، وقوله : « أُنظر » أي تأمل هذا الموضع واستثبت فيه ، فظنه الناسخ من الحديث

---

(١) (المرجع السابق) ، حديث رقم (٣١٦)

قوله : « حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حراقه ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها » ، وهكذا هو في جميع الأصول ببلادنا « نبات الشيء » ، وكذا نقله القاضي عياض عن رواية الأكثرين ، وعن بعض رواة مسلم « نبات الدمن » ، يعني بكسر الدال وإسكان الميم ، وهذه الرواية هي الموجودة في (الجمع بين الصحيحين) لعبد الحق ، وكلاهما صحيح ، لكن الأول هو المشهور الظاهر ، وهو بمعنى الروايات السابقة « نبات الحبة في حميل السيل » ، وأما « نبات الدمن » فمعناها أيضاً كذلك ، فإن الدمن البَعْر ، والتقدير : نبات ذي الدمن في السيل ، أي كما ينبت الشيء الحاصل في البعر ، والغثاء الموجود في أطراف النهر ، والمراد التشبيه به في السرعة والنضارة ، وقد أشار صاحب (المطالع) إلى تصحيح هذه الرواية ، ولكن لم ينقح الكلام في تحقيقها ، بل قال : عندي أنها رواية صحيحة ، ومعناه سرعة نبات الدمن مع ضعف ما ينبت فيه ، وحُسن منظره . والله تعالى أعلم .
(مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٥٠ - ٥١ .

فألحقه بمتنه ، ولا يخفى ما فيه من التخليط][1] .

[وقال الشيخ محي الدين النووي : « .... هكذا في جميع الأصول من صحيح مسلم ، واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف »][1] .

[وقال الحافظ عبد الحق في كتابه (الجمع بين الصحيحين) : « هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط »][1] .

[وقال القاضي عياض : « هذه صورة الحديث في جميع النُّسخ ، وفيه تغيير كثير وتصحيف »][1] .

[وفي طريق ابن أبي خيثمة من حديث أنس بن مالك : « يحشر الناس يوم القيامة على تل وأمتي على تل »][1] .

[وفي رواية : « يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل » ، قال القاضي عياض : « .... فجمع النقلة الكُلّ ونسَّقوه على أنه من متن الحديث كما تراه .... وقد تابعه عليه جماعة من المتأخرين »][1] .

وخرج من حديث محمد بن [بشر][2] حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : أُتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك[3] ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي[4] ، وينفذهم البصر[4] ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون ، من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة

---

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في التصوير الميكروفيلمي للمخطوطة (خ) ، وقد قمنا بصياغة هذه العبارات بحيث تفيد المعنى الذي أراده المصنف من خلال الأجزاء الواضحة في الميكروفيلم .

(٢) في (خ) : « عبيد » . (٣) في (خ) : « بم يجمع » .

(٤) في (خ) : « فيبصرهم الناظر » ، « ويُسمعهم الداعي » .

فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ .

فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى غيري ، إذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً ، فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض ، وسمّاك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، لا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها ، على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ .

فيأتون إبراهيم فيقولن : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ﷺ فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله فضَّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غصباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى عيسى ﷺ .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنباً ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى غيري ، إذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتون فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وغفر لك

ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشتفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده ، وحُسن الثناء عليه ، شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم قال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تُعطه ، اشفع تُشفّع ، فأرفع رأسي فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقال : يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين[1] من مصاريع الجنة ، لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبُصرى[2] .

---

(١) المصراعان – بكسر الميم – جانبا الباب ، وهجر – بفتح الهاء والجيم – مدينة عظيمة ، هي قاعدة بلاد البحرين ، وهَجَر هذه غير هَجَر المذكورة في حديث « إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر » ، تلك قرية من قرى المدينة ، كانت القلال تصنع بها ، وهي غير مصروفة . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٩ ، (معجم البلدان) موضع رقم (١٢٦٣٧) .

(٢) بُصرى – بضم الباء – مدينة معروفة ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل ، وهي مدينة حوران ، وبينها وبين مكة شهر (المرجع السابق) ، (معجم البلدان) موضع رقم (١٩٤٩) .

والحديث أخرجه مسلم في الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٧) ، قوله ﷺ : « يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر » ، أما الصعيد فهو الأرض الواسعة المستوية ، وأما ينفذهم البصر ، فهو بفتح الياء وبالذال المعجمة ، وذكر الهروي وصاحب (المطالع) وغيرهما ، أنه روي بضم الياء ، وبفتحها ، قال صاحب (المطالع) : رواه الأكثرون بالفتح ، وبعضهم بالضم .

وأما معناه ، فقال الهروي : قال أبو عبيد : معناه ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى ، حتى يأتي عليهم كلهم . وقال غير أبي عبيد : أراد تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد ، والله تبارك وتعالى قد أحاط الناس أولاً وآخراً . هذا كلام الهروي .

وقال صاحب (المطالع) : معناه أنه يحيط بهم الناظر ، لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض ، أي ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين . قال : وهذا أولى من قول أبي عبيد : يأتي عليهم بصر الرحمن سبحانه وتعالى ، لأن رؤية الله تعالى تحيط بجميعهم في كل حال ، في الصعيد المستوى وغيره ، هذا قول صاحب (المطالع) .

قال الإمام أبو السعادات الجزري بعد أن ذكر الخلاف بين أبي عبيد وغيره ، في أن المراد بصر الرحمن سبحانه وتعالى ، أو بصر الناظر من الخلق : قال أبو حاتم : أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة ، وإنما هو بالمهملة ، أي يبلغ أولهم وآخرهم ، حتى يراهم كلهم ويستوعبهم ، من نفد الشيء وأنفدته . قال : وحمْل الحديث على بصر الناظر أولى من حمله على بصر الرحمن تبارك وتعالى . مختصراً من (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٧ – ٦٨ .

ولمسلم من حديث عمارة بن القعقاع ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، قال : وضعتُ بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم ، فتناول الذراع ، وكانت أحب الشاة إليه ، فنهس نهسة فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهس أخرى فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كيفه ؟ قالوا : كيفه يا رسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين ، وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة . وزاد في قصة إبراهيم فقال : وذكر قوله في الكوكب : هذا ربي ، وقوله لآلهتهم : بل فعل كبيرهم هذا ، وقوله : إني سقيم . قال : والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجَرٍ ، أو هجرٍ ومكة ، قال : لا أدري أي ذلك قال[1] .

وله من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، وأبو مالك عن ربعي [بن خراش][2] ، عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون ، يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله ، قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذاك ، إنما كنت خليلاً من وراء وراء[3] أعمدوا إلى موسى ﷺ ، الذي كلّمه الله تكليماً ، فيأتون موسى ﷺ فيقول : لستُ بصاحب ذاك ، إذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذاك .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣ / ٦٩ - ٧٠ ، حديث رقم (٣٢٨) .

(٢) زيادة للنسب من (خ) .

(٣) قوله : « إنما كنت خليلاً من وراء وراء » ، قال صاحب (التحرير) : هذه الكلمة تذكر على سبيل التواضع ، أي لست لتلك الدرجة الرفيعة ، قال : وقع لي معنى مليح فيه ، وهو أن معناه أن المكارم التي أعطيتُها كانت بوساطة سفارة جبريل عليه السلام ، ولكن ائتوا موسى فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة ، قال : وإنما كرر « وراء وراء » ، لكون نبيناً محمد ﷺ حصل له السماع بغير واسطة ، وحصل له الروية ، فقال إبراهيم عليه السلام : أنا وراء موسى الذي هو وراء محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم . هذا كلام صاحب التحرير ، وأما ضبط « وراء وراء » ، فالمشهور فيه الفتح فيهما بلا تنوين ، ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم ، على خلاف بين أهل اللغة ، فليراجع في مظانه . (المرجع السابق) .

فيأتون محمداً ﷺ ، فيقوم فيؤذن له ، وتُرسل الأمانة والرحم[1] ، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ، فيمر أوّلكم كالبرق ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي ، أي شيء كمرّ البرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ، ثم كمرّ الريح ، ثم كمرّ الطير ، وشدّ الرجال تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم [قائم][2] على الصراط ، يقول : ربّ سلّم سلّم ، حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً .

قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة ، مأمورة بأخذ من أُمرت به ، فمخدوش ناجٍ ، ومكدوسٌ في النار ، والذي نفسُ أبي هريرة بيده ، إن قعر جهنم لسبعون خريفاً[3] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن أنس ، عن عمرو بن يحيى بن عمارة ، قال : حدثني أبي ، عن أبي سعيد الخدريّ ، أن رسول الله ﷺ قال : يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ،

---

(١) وأما إرسال الأمانة والرحم ، فهو لعظم أمرهما ، وكثير موقعهما ، فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى ، قال صاحب (التحرير) : في الكلام اختصار ، والسامع فهم أنهم تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما . (المرجع السابق) .

(٢) في (خ) : « ونبيم على الصراط » ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) قوله : « فيمر أولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم » ، أما شدّ الرجال فهو بالجيم جمع رجل ، هذا هو الصحيح المعروف المشهور .

ونقل القاضي أنه في رواية ابن ماهان بالحاء ، قال القاضي : وهما متقاربان في المعنى ، وشدّها : عدوها البالغ وجَرْيهَا . وأما قوله ﷺ : « تجري بهم أعمالهم » ، فهو كالتفسير ، لقوله ﷺ ، « فيمر أولكم كالبرق ، ثم كمر الريح .. إلخ » معناه أنهم يكونون في سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم .

قوله : « والذي نفس أبي هريرة بيده أن قعر جهنم لسبعون خريفاً » ، هكذا هو في بعض الأصول « لسبعون » بالواو ، وهذا ظاهر ، وفيه حذف تقديره أن مسافة قعر جهنم سير سبعين سنة ، ووقع في بعض الأصول والروايات : لسبعين بالياء ، وهو صحيح أيضاً ، أما على مذهب من يحذف المضاف ويبقى المضاف إليه على جره ، فيكون التقدير سير سبعين .

وأما على أن قعر جنهم مصدر ، قال : قعرتُ الشيء إذا بلغت قعره ، ويكون « سبعين » ظرف زمان ، وفيه خبر « أن » ، التقدير أن بلوغ قعر جنهم لكائن في سبعين خريفاً ، والخريف السنة . والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) .

(٣) والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٩) ، وفي (خ) بعد قوله : وراء وراء » « اعمدوا إلى ابني إبراهيم خليل الله » ، وهو تكرار من الناسخ .

ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حُمماً قد امتحشوا ، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا ، فينبتون فيه كما تبنت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية ؟ هذا لفظ مسلم ، وعند البخاري : « فيخرجون منها قد اسودّوا ، وقال : « من خردل من خير »[1] .

وأخرجاه من حديث وهيب ، حدثنا حجاج بن الشاعر ، حدثنا عمرو ابن عون ، أخبرنا خالد ، كلاهما عن عمرو بن يحيى بهذا الإسناد [وقالا][2] : فيلقون في نهر يقال له : الحياة ، ولم يَشُكّا ، وفي حديث خالد : كما تنبت الغثاءة في جانب السيل ، وفي حديث وهيب : كما تنبت الحبة في حمئة أو حميلة السيل[3] ، [ذكره البخاري في باب صفة الجنة والنار ، وذكره مسلم في باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار] .

وخرج مسلم من حدث بشر بن المفضل عن أبي مسلمة عن أبي نصرة عن أبي سعيد [الخدري][4] قال : قال رسول الله ﷺ : أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم – أو قال : – بخطاياهم – فأماتهم [الله][4] إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة[5] فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل[6] : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كأَنَّ رسول الله ﷺ قد كان بالبادية[7] .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار حديث رقم (٦٥٦٠) ، ومسلم في الإيمان باب (٨٤) أدني أهل الجنة منزلة فيها .

(٢) في (خ) : « وقال » .

(٣) ذكره مسلم في كتاب الإيمان باب (٨٢) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم (٣٠٥) ، والبخاري كما في تعليق (٧) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) في (خ) : « في الشفاعة » .

(٦) في (خ) : « فقيل » .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٢) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث رقم (٣٠٤) ، قوله ﷺ : « فأماتهم » ، أي أماتهم إماتة ، وَحُذِفَ للعلم به ، وفي بعض النسخ « فأماتتهم » بتاءين ، أي أماتتهم النار . ... =

وخرج البخاري ومسلم من حديث حماد بن زيد ، أخبرنا معبد بن هلال الغزي قال : انطلقنا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى ، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له [ثابت][1] : يا أبا حمزة ، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد [رسول الله ﷺ][1] قال : إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض ، فيأتون آدم [ﷺ][1] فيقولون[2] : اشفع لذريتك فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم [عليه السلام][3] فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم ﷺ فيقول : لست لها [بأهل][4] ، ولكن عليكم بموسى [عليه السلام][3] فإنه كليم الله ، فيؤتى موسى ﷺ فيقول : لست لها ، ولكن

وأما معنى الحديث ، فالظاهر أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها ، كما قال الله تعالى : ﴿ **لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ [٣٦ : فاطر] ، وكما قال تعالى : ﴿ **ثم لا يموت فيها ولا يحيى** ﴾ ، [١٣ : الأعلى] ، وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم ، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم .

وأما قوله ﷺ : « ولكن ناس أصابتهم النار ... إلخ » فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى ، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ، ثم يميتهم ، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدَّرها الله تعالى ، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحماً ، فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ، ويلقون على أنهار الجنة ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فيحيون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها ، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية ، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ، ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم . فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه .

وحكى القاضي عياض رحمه الله فيه وجهين : **أحدهما:** أنها إماتة حقيقية . **والثاني** : ليس بموت حقيقي ، ولكن يغيب عنهم إحساسهم بالآلام . قال : ويجوز أن تكون آلامهم أخفّ ، فهذا كلام القاضي ، والمختار ما قدمناه والله تعالى أعلم .

وأما قوله ﷺ ، « ضبائر » ، فكذا هو في الروايات والأصول ، « ضبائر ضبائر » مكررة مرتين ، وهو منصوب على الحال ، وهو بفتح الضاد المعجمة ، وهو جمع ضبارة ، بفتح الضاد وكسرها لغتان ، حكاهما القاضي عياض ، وصاحب (المطالع) ، وغيرهما ، أشهرها الكسر ، ولم يذكر الهروي وغيره إلا الكسر ، ويقال فيها أيضاً إضباره بكسر الهمزة ، قال أهل اللغة : الضبائر جماعات في تفرقة ، وروي : « ضبارات في ضبارات » . والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٤٠ - ٤١ .

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في (خ) ، والبخاري : « فيقولون : اشفع » ، وفي رواية مسلم : « فيقولون له : اشفع » .

(٣) زيادة من رواية مسلم . (٤) زيادة من (خ) .

عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى ﷺ فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ ، فأُوتي فأقول : أنا لها ، فأنطلق فاستأذن على ربي عزّ وجلّ فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه إلا أن[1] يلهمنيه الله عزّ وجلّ ، ثم أخرّ له[2] ساجداً فيقال[3] لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يا رب[4] أمتي أمتي ، فيقال : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأَخْرجه منها . قال البخاري : فيقال : انطلق فأَخْرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفّع ، فأقول : رب[5] أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه[6] مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها . وقال البخاري : فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي ، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه ... ، وقال البخاري : فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل . هذا حديث أنس الذي أنبأنا به ، فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان قلنا : لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة ، قال : فدخلنا عليه فسلمنا عليه ، قلنا[7]

---

(١) في مسلم : « الآن » ولعلها خطأ مطبعي ، وفي (خ) ، والبخاري : « إلا أن » .

(٢) في (خ) ، ومسلم : « ثم أخرّ له » ، وفي البخاري : « ثم أخرّ لربنا ساجداً » .

(٣) في (خ) ، ومسلم : « فيقال لي » ، وفي البخاري : « فيقول » .

(٤) في (خ) ، والبخاري : « يارب أمتي » ، وفي مسلم : « رب أمتي » .

(٥) في (خ) : « رب أمتي » ، وفي البخاري ومسلم : « يارب أمتي » .

(٦) في رواية مسلم أيضاً ، « فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار » ، وهو مطابق لرواية البخاري .

(٧) كذا في (خ) والبخاري ، وفي مسلم : « فقلنا » .

يا أبا سعيد ، جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثناه في الشفاعة ، [قال][1] : هيه ، قال : فحدثناه الحديث فقلنا هيه ، قلنا : ما زادنا ، قال : قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ، ولقد ترك شيئاً ما أدري أنسى الشيخ أم كره[2] أن يحدثكم فتتكلوا ، قلنا له ، حدثنا ، فضحك وقال : خلق الإنسان من عجل ، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه : ثم أرجع إلى ربي [عز وجل][3] في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب إئذن لي فيمن [قال][4] : لا إلٰه إلا الله ، قال : ليس[5] ذلك لك ، أو قال : ليس ذلك[6] إليك ، ولكن وعزتي وكبريائي ، وعظمتي وجبريائي[7] لأخرجن من قال : لا إلٰه إلا الله . قال : فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك ، أراه قال : قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع . اللفظ لمسلم[8] .

وقال البخاري في أوله : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك ، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي[9] الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة ، فقال : يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ .. الحديث وقال فيه : ويُلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد ، وقال فيه : خلق الإنسان عجولاً ، وقال في آخره : فأقول : يارب ائذن لي فيمن قال : لا إلٰه إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي ، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إلٰه إلا الله . هذا آخر الحديث عنده ، ذكره في كتاب التوحيد

---

(١) في (خ) : « فقال » ، وما أثبتناه من رواية البخاري ومسلم .
(٢) في رواية مسلم : « أو كره » .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) في (خ) : « يقول » .
(٥) في البخاري : « فليس » .
(٦) في مسلم : « ليس ذاك » .
(٧) كذا في (خ) ، ومسلم ، وفي البخاري : « وعظمتي لأخرجن » .
(٨) حديث رقم (٣٢٦) من كتاب الإيمان ، باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، من صحيح مسلم .
(٩) في (خ) : « فصلى » والتصويب من رواية البخاري .

في باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم[١] .

وخرج في هذا الباب حديث أبي بكر بن عيَّاش عن حُميد قال : سمعت أنساً قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إذا كان يوم القيامة [شُفعت][٢] فقلت : يارب أَدْخِل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون ، ثم أقول : أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء ، فقال أنس : كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ[٣] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث أبي عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك [وقال ابن عبيد : فيلهمون من ذلك][٤] فيقولون : لو استشفعنا [على][٥] ربنا عزّ وجلّ حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : أنت آدم أبو الخلق ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا[٦] فيقول : لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها [ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله ، فيأتون نوحاً ﷺ فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها][٧] ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً ، فيأتون إبراهيم عليه السلام

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧١٠) . قوله : « وهو يومئذ جميع » في رواية مسلم ، وفي رواية البخاري « وهو جميع » ، أي مجتمع العقل ، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر ، الذي هو مظنة تفرق الذهن ، وحدوث اختلاط الحفظ .

وأخرجه البخاري أيضاً في التوحيد ، باب (١٩) قول الله تعالى : ﴿ **لما خلقت بيديّ** ﴾ ، حديث رقم (٧٤١٠) ، وفي باب (٣٧) في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾ ، حديث رقم (٧٥١٥) ، وفي تفسير سورة البقرة ، باب (١) قول الله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ، حديث رقم (٤٤٧٦) ، وفي الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار حديث رقم (٦٥٦٥) .

(٢) في (خ) : « تشفعت » .

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد ، باب (٣٦) كلام الرب عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، حديث رقم (٧٥٠٩) .

(٤) ما بين الحاصرتين تكملة من صحيح مسلم .

(٥) في (خ) : « إلى » .

(٦) في (خ) بعد قوله : « مكاننا هذا » قال : فيأتون آدم عليه السلام وهو تكرار من الناسخ ، والتصويب من صحيح مسلم .

(٧) ما بين الحاصرتين سقط في (خ) .

فيقول : لست هناكم [ويذكر][1] خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة ، قال : فيأتون موسى عليه السلام فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته عليه السلام فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال : قال رسول الله ﷺ : فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، قل تُسمع ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع [فيحدّ لي حداً][2] فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال [لي][3] : يا محمد ، قل تُسمع ، وسل تعطه ، اشفع تُشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع [فيحد لي حداً][2] فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة . قال : [فلا][4] أدري في الثالثة أو في الرابعة قال : فأقول : يارب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ، أي وجب الخلود ، واللفظ لمسلم[5] ولم يذكر البخاري فيه قوله : فيهتمون لذلك ، ولا فيلهمون لذلك ، ولا قوله : التي اصاب فيستحي ربه منها في المواضع الثلاثة . وقال في آخره : حتى ما بقى في النار إلا من حبسهم القرآن ، فكان قتادة يقول عند هذا : إلا من وجب عليه الخلود . ذكره في كتاب الرقاق[6] .

وخرج مسلم من حديث ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون بذلك أو يلهمون ذلك ، بمثل حديث أبي عوانة ، وقال في الحديث : ثم آتيه الرابعة فأقول : يارب ، ما بقى إلا من حبسه القرآن[7] . لم يذكر مسلم من الحديث غير هذا ، وذكر بعده

---

(١) في (خ) : « فيذكر » .
(٢) في (خ) : «فنخر ساجداً» وهو خطأ بين .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) في (خ) : « ولا » .
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣٢٢) .
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٦٥) .
(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤.) ، أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣٢٣) .

حديث معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : يجمع الله المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك بمثل حديثهما ، وذكر في الرابعة : فأقول : يارب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ، أي وجب عليه الخلود[1] .

وأخرجه البخاري من هذه الطريق ولفظه : عن أنس أن النبي ﷺ قال : يجمع المؤمنون يوم القيامة لذلك فيقولون ، لو استشفعنا إلى ربنا ... الحديث بنحو حديث أبي عوانة عن قتادة ، وقال فيه في ذكر نوح وأنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، وقال فيه : فأستأذنُ على ربي ويؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد ، وهكذا في موضعين بعد هذا ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي كما قال في هذا ، وقال في الرابع : ثم أرجع فأقول : رب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود[2] .

وخرج البخاري في تفسير سورة البقرة من طريق مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا هشام ، [حدثنا][3] قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال : يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا مكاننا هذا ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحى ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم ، فيستحي ويقول : ائتوا خليل[4] الرحمن ، فيأتون فيقول : لست هناكم ، [ائتوا موسى ، عبداً كلمه الله وأعطاه التوارة ، فيأتونه فيقول : لست هناكم][5] فيستحي من ربه [فيقول][6] : ائتوا عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة الله وروحه ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمداً ، عبداً غفر

(١) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٢٤) .

(٢) سبق الإشارة إليه .

(٣) في (خ) : « أخبرنا » .

(٤) في (خ) : « كليم » .

(٥) ما بين الحاصرتين سقط من (خ) .

(٦) زيادة للسياق من البخاري .

الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني فأنطلق حتى[1] استأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء ثم يقال : ارفع رأسك [وسل][2] تعطه ، وقل يُسمع ، واشفع تُشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع [فيحدّ لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة][2] ثم أعود الرابعة : فأقول : ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود . قال أبو عبد الله[3] : إلا من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى : ﴿ **خالدين فيها** ﴾[4] .

وخرج في كتاب التوحيد من حديث همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال : يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يَهِمُّوا بذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا[5] فيريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس : خلقك الله بيده ، واسكنك جنته[6] ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، لتشفعْ[7] لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيقول لست هناكم ، قال : ويذكر خطيئته التي أصاب – أكله من الشجرة وقد نُهِيَ عنها – ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب – سؤاله ربه تعالى بغير علم – ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن ، قال : فيأتون إبراهيم فيقول : [إني][8]لستُ هناكم ويذكر ثلاث [كذبات][9] كذبهن ، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلّمه وقرَّبه نجياً ، قال : فيأتون موسى فيقول : إني لست هناكم ، ويذكر خطيئته ، التي أصاب – قَتْله النفس – ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله ، وروح الله وكلمته ، قال : فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،

---

(1) في (خ) : « فأستأذن » .

(2) زيادة للسياق من البخاري .

(3) هو الإمام البخاري .

(4) الحديث أخرجه البخاري في التفسير باب (١) ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ، حديث رقم (٤٤٧٦) ، واختلف في المراد بالأسماء : فقيل أسماء ذريته ، وقيل أسماء الملائكة ، وقيل أسماء الأجناس دون أنواعها ، وقيل أسماء كل ما في الأرض ، وقيل أسماء كل شيء حتى القصعة . (فتح الباري) : ٨ / ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(5) في (خ) : « إلى الله » .

(6) في (خ) : « الجنة » .

(7) في (خ) : « إشفع » .

(8) زيادة للسياق من البخاري .

(9) في (خ) : « كلمات » .

فيأتوني[1] فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيتُه وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعي ، فيقول : ارفع محمد ، وقل يُسمع ، واشفع تُشفع ، وسل تعطه ، قال : وأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه[2] ، فيُحدّ لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة .

قال قتادة : وسمعته أيضاً يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يُسمع ، واشفع تشفع ، وسل تُعطه[3] ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميدٍ يعلمنيه ، قال : ثم أشفع فيحدّ لي حداً ، فأخرج فأدخلهم الجنة ، قال قتادة : وسمعته[4] يقول : فأخرج فأُخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يُسمع ، واشفع تُشفع ، وسل تُعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميدٍ يعلمنيه ، قال : ثم أشفع فيحدّ لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة ، قال قتادة : وقد سمعته يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما[5] يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، قال : وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَهُ[6] نبيكم ﷺ[7] .

وخرج مسلم من حديث مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لكل نبي دعوة يدعوها[8] ،

---

(1) في (خ) : « قال : فيأتوني » .
(2) في (خ) : « يعلمنيه ثم أشفع » .
(3) في (خ) : « تعط » .
(4) في (خ) : « وقد سمعته » .
(5) في (خ) : « حتى لا يبقى » .
(6) في (خ) : « وعد » .
(7) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب (٢٤) قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ، حديث رقم (٧٤٤٠) .
(8) في (خ) : « يدعو بها » .

فأريد[1] أن أختبي[2] دعوتي شفاعة[3] لأمتي يوم القيامة[4] .

ومن حديث ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة ، وأردت إن شاء الله أختبي[5]دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[6] . خرجه البخاري من حديث شعيب عن الزهري ولفظه : لكل نبي دعوة ، وأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . ذكره في كتاب التوحيد في المشيئة والإرادة[7] .

وخرج مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي أخبره أن أبا هريرة قال لكعب الأحبار : أن النبي ﷺ قال : لكل نبي دعوة يدعوها ، فأنا أُريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فقال كعب لأبي هريرة : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال أبو هريرة : نعم[8] .

وخرج البخاري من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لكل نبي دعوة [مستجابة][9] يدعو بها ، وأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة[10] . ذكره في أول كتاب الدعاء .

وخرج مسلم من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة مستجابة ، [فتعجل كل نبي دعوته][11] وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي[12] نائلة إن

---

(١) في (خ) : « وأنا أريد » . (٢) في (خ) : « أختبي » .
(٣) في (خ) : « شفاعتي » .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٦) اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٤) . (٥) في (خ) : « أختبي » .
(٦) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣٥) . (٧) حديث رقم (٧٤٧٤) .
(٨) مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٦) اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٧) .
(٩) زيادة للسياق من البخاري .
(١٠) ذكره البخاري في أول كتاب الدعاء ، باب (١) لكل نبي دعوة مستجابة ، حديث رقم (٦٣٠٤) .
(١١) زيادة للسياق من صحيح مسلم . (١٢) في (خ) : « وهي » .

شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً[1] .

وأخرجه الترمذي من هذه الطريق ، ولم يقل فيه : فتعجل كل نبي دعوته . وقال : هذا حديث حسن صحيح[2] .

وخرج مسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[3] .

وله من حديث شعبة عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له ، وإني أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[4] .

[و][5] وله من حديث ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله رضي الله عنه يقول عن النبي لله : لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته ، وخبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[6] .

وله من حديث معاذ بن[7] هشام قال : أخبرنا[8] أبي عن قتادة ، أخبرنا[8] أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : لكل نبي دعوة دعاها[9] لأمته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[10] . وذكر له طرقاً أُخَر . وخرجه البخاري تعليقاً

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٦) ، اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٨) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٩٧) في الدعوات ، باب رق (١٤١) ، ط (الموطأ) : ١ / ٢٢ في القرآن ، باب ما جاء في الدعاء .

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب (٨٦) اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٩) .

(٤) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٤٠) ، في (خ) : « أدّخر » .

(٥) زيادة للسياق .

(٦) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٤٥) .

(٧) في مسلم : « معاذ يعنون ابن هشام » .

(٨) كذا في (خ) ، وفي مسلم : « حدثنا » .

(٩) في (خ) : « دعا بها » .

(١٠) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٤١) .

في كتاب الدعاء[1] .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث أحمد بن عبد الله قال : أخبرنا زهير ابن معاوية ، أخبرنا أبو خالد الأسدي ، أخبرنا عون بن أبي جحيفة السواري عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال : انطلقت في وفد فأتينا رسول الله ﷺ فأنخنا الباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه ، فما خرجنا حتى ما في الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه ، فقال قائل منا : يا رسول الله ! ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان بن داود ؟ فضحك ثم قال : لعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان بن داود ! إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة ؛ فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذا عصوه فأهلكوا بها ، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات ، باب (١) ، لكل نبي دعوة مستجابة ، حديث رقم (٦٣٠٤) ، (٦٣٠٥) .

قوله ﷺ : « وأريد أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة » ، وفي رواية أبي سلمة عن أبي هريرة « فأريد إن شاء الله أن أختبيء » ، وزيادة « إن شاء الله » في هذا للتبرك ، ولمسلم من رواية أبي صالح عن أبي هريرة « وإني اختبأت » ، وفي حديث أنس « فجعلت دعوتي » ، وزاد « يوم القيامة » ، وزاد أبو صالح « فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » .

وقوله ﷺ « من مات » في محل نصب على المفعولية ، و « لا يشرك » في محل نصب على الحال ، والتقدير : شفاعتي نائلة من مات غير مشرك ، وكأنه ﷺ أراد أن يؤخرها ثم عزم ففعل ، ورجا وقوع ذلك ، فأعلمه الله به ، فجزم به .

وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الدعوات المجابة ، ولا سيما نبينا ﷺ ، وظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط ، والجواب : أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها ، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة .

وقيل : معنى قوله ﷺ : « لكل نبي دعوة » ، أي أفضل دعواته ، ولهم دعوات أخرى ، وقيل : لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته ؛ إما بإهلاكهم وإما بنجاتهم ، وأما الدعوات الخاصة ، فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب ، وقيل : لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه ، كقول نوح : ﴿ **لا تذر على الأرض** ﴾ ، وقول زكريا : ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً يرثني** ﴾ ، وقول سليمان : ﴿ **وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾ ، حكاه ابن التين .

والمراد بهذا الحديث أن كل نبي دعا على أمته بالإهلاك إلا أنا فلم أدع ، أعطيتُ الشفاعة عوضاً عن ذلك للصبر على أذاهم ، والمراد بالأمة أمة الدعوة لا أمة الإجابة . ...

يوم القيامة[1] .

وخرج البخاري من حديث سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد [المقبري][2] عن سعيد عن أبي هريرة أنه قال : قيل[3] يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال [رسول الله ﷺ][4] لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو نفسه[5] . ذكره في كتاب العلم وترجم عليه باب الحرص

وتعقبه الطيبيّ – وفي نسخة القرطبي – بأنه ﷺ دعا على أحياء من العرب ، ودعا على أناس من قريش بأسمائهم ، ودعا على رعل ، وذكوان ، ودعا على مضر ، قال : والأولى أن يقال : إن الله جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته ، فنالها كل منهم في الدنيا ، وأما نبينا ﷺ فإنه لما دعا على بعض أمته ، نزل عليه ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم** ﴾ ، فبقى تلك الدعوة المستجابة مدخرة للآخرة ، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم ، وإنما أراد ردعهم ليتوبوا .

وأما جزمه أولاً بأن جميع أدعيتهم مستجابة ، ففيه غفلة عن الحديث الصحيح : « سألتُ الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة» . قال ابن بطال : في هذا الحديث بيان فضل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء ، حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ، ولم يجعلها أيضاً دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم .

وقال ابن الجوزي : هذا من حُسن تصرفه ﷺ ، لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي ، ومن كثرة كرمه أنه آثر أمته على نفسه ، ومن صحة نظره لأنه جعلها للمذنبين من أمته ، لكونهم أحوج إليها من الطائعين .

وقال النووي : فيه كمال شَفَقَته ﷺ على أمته ورأفته بهم ، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم ، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم .

وأما قوله : « فهي نائلة » ، ففيه دليل لأهل السنة أن من مات غير مشرك لا يخلد في النار ، ولو مات مُصراً على الكبائر . مختصراً من (فتح الباري) : ١١ / ١١٦ – ١١٧ .

(١) له شواهد من أحاديث الباب على صحته .

(٢) زيادة في النسب من البخاري . (٣) في (خ) : « قال » .

(٤) زيادة للسياق من البخاري .

(٥) ذكره البخاري في كتاب العلم ، باب (٣٢) الحرص على الحديث ، حديث رقم (٩٩) . قوله ﷺ : أولى منك » ، فيه فضل أبي هريرة رضي الله عنه ، وفضل الحرص على تحصيل العلم .

قوله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله » ، احتراز من المشرك ، والمراد مع قوله : محمد رسول الله ، لكن قد يكتفي بالجزء الأول من كلمتي الشهادة ، لأنه صار شعاراً لمجموعهما كما تقدم في الإيمان . ...

على الحديث . وخرجه في كتاب الرقاق من حديث إسماعيل بن جعفر عن عمرو ... إلى آخره ، وقال : خالصاًمن قبل نفسه [1] . وخرجه النسائي بنحوه[2] .

وخرج مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلى قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ **رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ...** ﴾[3] الآية ، وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾[4] ، فرفع يديه وقال : اللهم أمتي .. أمتي[5] ، وبكي ، فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد وربك أعلم ، فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال

قوله ﷺ : « خالصاً » احتراز من المنافق ، ومعنى أفعل في قوله : « أسعد » الفعل ، لا أنها أفعل التفضيل ، أي سيد الناس ، كقوله تعالى :﴿ **وأحسن مقيلا** ﴾ ، ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل على بابها ، وأن كل أحد يحصل له سعد بشفاعته ، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها ، فإنه ﷺ يشفع في الخلق لإراحتهم من هول الموقف ، ويشفع في الكفار بتخفيف العذاب كما صح في حق أبي طالب ، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها ، ويشفع في بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها ، ويشفع في بعضهم بدخول الجنة بغير حساب ، ويشفع في بعضهم برفع الدرجات فيها ، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة، وأن أسعدهم بها المؤمن المخلص .

قوله ﷺ : « من قلبه ، أو نفسه » شك من الراوي ، وللمصننف في الرقاق : « خالصاً من قبل نفسه » ، وذكر ذلك على سبيل التأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ **فإنه آثم قلبه** ﴾ .

وفي الحديث دليل على اشتراط النطق بكلمتي الشهادة ، لتعبيره بالقول في قوله ﷺ : « من قال » ، والله تعالى أعلم . مختصراً من (فتح الباري) ١ / ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(١) ذكره البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٧٠) ، وقال النووي : الشفاعة خمس :

[١] في الإراحة من هول الموقف . [٢] في إدخال قوم الجنة بغير حساب .

[٣] في إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا .

[٤] في إخراج من أدخل النار من العصاة .

[٥] في رفع الدرجات .

(٢) لم أجده في (سنن النسائي) .

(٣) ٣٦ : إبراهيم ، وتمامها : ﴿ **ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ .

(٤) ١١٨ : المائدة .

(٥) في (خ) : « اللهم أمتي اللهم أمتي » .

وهو أعلم ، فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤك[1] .

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (٨٧) دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم ، حديث رقم (٣٤٦) : وسنده : حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني عمرو ابن الحارث ، أن أبا بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص … وهذا أتم من السند المذكور في (خ) .

وهذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد :

منها بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ، واعتنائه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم .

ومنها استحباب رفع اليدين في الدعاء .

ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة ، زادها الله شرفاً بما وعدها الله تعالى بقوله : سنرضيك في أمتك ولا نسؤك ، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة ، أو أرجأها .

ومنها بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى ، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبي ﷺ ، وأنه بالمحل الأعلى ، فيسترضى ويكرم بما يرضيه والله تعالى أعلم .

وهذا الحديث موافق لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ ، وأما قوله تعالى : ولا نسؤك ، فقال صاحب (التحرير) : هو تأكيد للمعنى ، أي لا نحزنك ، لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ، ويدخل الباقي النار ، فقال تعالى : نرضيك ولا ندخل عليك حزناً ، بل ننجي الجميع والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٧٨ - ٧٩ .

ذكر المقام المحمود
الذي وعد الله تعالى به الرسول ﷺ

قال الله جل جلاله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] .

خرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**[1] قال : الشفاعة .

وخرج الحاكم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : يُبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ، ويكسوني ربي حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه][2] .

وله من حديث إسرائيل قال : أخبرنا أبو إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة ابن اليمان [سمعته يقول][3] في قوله عز وجل : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[4] قال : يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا ، سكوتاً لا تكلم نفس إلا بإذنه ، قال : فينادى محمد ﷺ

---

(١) ٧٩ : الإسراء .

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٣ / ٣٩٥ ، في كتاب التفسير ، تفسير سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٣٨٣) وما بين الحاصرتين زيادة منه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٤٩٢ من حديث كعب بن مالك الأنصاري ، حديث رقم (١٥٣٥٦) بنحوه سواء .

(٣) تكلمة من (المستدرك) .

(٤) ٧٩ : الإسراء .

فيقول : « لبيك وسعديك والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، المهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، ولك وإليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحان رب البيت » ، فذلك المقام المحمود الذي قال الله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ، إنما خرج مسلم حديث أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة ، ليخرجن من النار فقط[2] .

وخرج الإمام أحمد من حديث سعيد بن زيد قال : حدثنا علي بن الحكم عن عثمان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة ، فقال رجل من الأنصار : وما المقام المحمود ؟ قال : ذاك إذا جيء بكم عراة حفاة غُرْلاً ، فأقوم مقاماً لا يقومه أحد غيري يغبطني به الأولون والآخرون[3] .

وله من حديث وكيع قال : حدثنا داود بن عبد الله الأودي الزعافري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : المقام المحمود الشفاعة[4] ، وخرجه الترمذيّ وقال : هذا حديث حسن[5] ، وداود الزعافري هو داود الأودي ، وهو عم عبد الله بن إدريس وفي الباب عن كعب بن مالك وأبي سعيد وابن عباس .

وخرجه البغوي من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر ، حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودي عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] قال : هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي .

---

(1) ٧٩ : الإسراء .

(2) (المستدرك):٣ / ٣٩٥ في كتاب التفسير ، تفسير سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٣٨٤) ، وحديث مسلم المشار إليه قد سبق شرحه .

(3) هذا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في (المسند) من حديث عبد الله بن مسعود ، حديث رقم (٣٧٧٧) جـ ١ ص ٦٥٨ ، وأخرجه أيضاً الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٣٩٦ في كتاب التفسير ، تفسير سورة بني إسرائيل حديث رقم (٣٣٨٥) وقال في آخره : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(4) (مسند أحمد) : ٣ / ٢٥٣ ، حديث رقم (٩٨٤٤) .

(5) (صحيح سنن الترمذي) : ٣ / ٦٨ - ٦٩ ، حديث رقم (٣٣٥٨) ، وقال الألباني : صحيح ، و (المجموعة الصحيحة) برقم (٢٦٣٩) ، (٢٣٧٠) .

ورواه سفيان بن وكيع عن جرير بن عبد الحميد عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : [قال رسول الله ﷺ] : يقيمني رب العالمين مقاماً لم يُقمه أحداً قبلي ولن يقيمه أحداً بعدي .

وروى حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ قال : إن لمحمد من ربه مقاماً لا يقومه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، يبين الله للخلائق فضله على جميع الأولين والآخرين .

وقال أبو سفيان العمري عن معمر عن الزهري ، عن علي بن الحسن أن النبي ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون للإنسان إلا موضع قدميه ، قال النبي ﷺ : فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن فأقول : يارب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ ، فيقول تبارك وتعال : صدق ، ثم أشفع فأقول : يارب عبادك في أطراف الأرض ، فهو المقام المحمود .

قال أبو عمر بن عبد البر : على هذا أصل في تأويل قول الله عز وجل : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ أنه الشفاعة .

وقد روي عن مجاهد : أن المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش ، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية ، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته .

وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك فصار إجماعاً في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة .

ذكر ابن أبي شيبة عن شبابة عن ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، قال : شفاعة محمد ﷺ .

وذكر بقيّ ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، أخبرنا قيس عن عاصم عن عبد الله مثله ، وذكر الغرباني عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مثله .

وذكر ابن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال : المقام المحمود الشفاعة . وروى سفيان وإسرائيل عن أبي إسحق عن صله عن حذيفة قال : يجتمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي – زاد سفيان في حديثه – : حُفاة عراة سكوتاً ، كما خلقوا قياماً ، لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ثم اجتمعوا ، فينادي منادي : يا محمد ، على رءوس الأولين والآخرين ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، زاد سفيان : والشر ليس إليك ، ثم اجتمعا والمهدي من هديت تباركت وتعاليت ، ومنك وإليك ، لا ملجأ ولا منجى إلا إليك . قال حذيفة : فذلك المقام المحمود . وذكر له عن حذيفة عدة طرق ، قال : وروى يزيد عن زريع عن سعيد عن قتادة في قوله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً فأومأ إليه جبريل أن تواضع ، واختار نبي الله ﷺ أن يكون عبداً نبياً ، وأعطى بها اثنتين : أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع .

قال قتادة : وكان أهل العلم يرون أن المقام المحمود الذي قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾شفاعته يوم القيامة ، قال : وممن روى عنه أيضاً : أن المقام المحمود الشفاعة : الحسن البصري وإبراهيم النَّخْعِيّ وعلي ابن الحسين بن علي وابن شهاب وسعد بن أبي هلال وغيرهم .

* * *

تنبيه وإرشاد

قال الحافظ أبو نعيم : وهذه الأخبار وما يجانسها في الشفاعة وإجابة آدم عليه السلام فمن دونه في الشفاعة عليه كلها داخلة في علو مرتبة نبينا محمد ﷺ وشرف منزلته ورفعته عند ربه تعالى ، لأن النبوة لا يخص الله بها إلا المنتخبين من خلفة في الأمم ، وذوي الأخطار العظيمة ، والمناقب الرفيعة ، فإذا كان سائر الأنبياء يدفعون عن أنفسهم التشفيع والمسألة ، ويجيئون بها على محمد ﷺ بأن فضله وعلو مرتبته على مراتبهم ، وفي تعريف هذه المنزلة وإن لم تكن في نفسها معجزة ، وأن الله تعالى وضع نبيه ﷺ في أعلى المراتب وأشرف المناقب ، لتكون القلوب مقبلة على قبوله ، والنفوس مسرعة إلى طاعته ﷺ ، هذا له مع ما خصه الله من الخصال التي لم تعط من تقدمه من النّبيين والمرسلين من المنافع البهية والمرافع السنية . انتهى .

واعلم أن الشفاعة خمسة أقسام :

الأولى : الشفاعة في إراحة المؤمنين من طول الوقوف وتعجيل الحساب كما تقدم ذكره .

والثانية : الشفاعة في إدخال قوم من المؤمنين الجنة بغير حساب كم تقدم من حديث أنس ، وفيه : فيقال يا محمد أدْخِل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن .

والثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن يشاء الله .

والرابعة : الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجهم الله بشفاعة نبينا ﷺ وبشفاعة الملائكة وإخوانهم المؤمنين ، ثم يخرج الله عز وجل من النار كل من قال لا إله إلا الله ولا يبقى في النار إلا الكافرون .

والخامسة : الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .

واتفقوا على شفاعة الحشر وعلى الشفاعة في زياة درجات أهل الجنة ، وخالفت الخوارج والمعتزلة في الأقسام الثلاثة الأُخَر . وقال ابن عبد البر : وقد قيل إن الشفاعة

منه ﷺ تكون من مرتين : مرة في الموقف يشفع في قوم فينجون من النار ولا يدخلون الجنة ، ومرة بعد دخول قوم من أمته النار فيخرجون منها بشفاعته .

وقد رويت آثار بنحو هذا الوجه بنفي الوجه الأول ، ثم ذكر من طريق ثور ابن يزيد عن هشام بن عروة عن أسماء بنت عميس أنها قالت : يا رسول الله ، أُدع الله أن يجعلني ممن يشفع له يوم القيامة ، فقال لها رسول الله ﷺ : إذن تخمشك النار فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه[1] النار .

وذكر من طريق يحيى بن معين قال : حدثنا أبو اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن الزهري عن أنس بن مالك عن أم حبيب رضي الله عنها أن النبي ﷺ ذكر ما تلقى أمته بعده من سفك دم بعضها بعضاً ، وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم ، فسألته أن يوليني شفاعة فيهم ففعل .

وذكر من طريق أبي عوانة عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وأُحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، ونصرت بالرعب شهراً فيرعب العدو مني مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وقيل سل تُعط فاختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهي نائلة إن شاء الله من لم يشرك بالله شيئاً .

وذكر شيبان بن فروح قال : حدثنا حرب بن شريح ، أخبرنا أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : مازلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وقال إني ادخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .

---

(١) الخمش : الخدش في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد ، والخموش الخدوش ، قال الفضل بن عباس يخاطب امرأته :

هاشم جدُّنا ، فإن كنت غضبي فاملئي وجهَكِ الجميلَ خدوشاً

والخُماشة من الجراحات : ما ليس له أُرش [دية] معلوم ، كالخدش ونحوه ، والخماشة : الجناية . مختصراً من (لسان العرب) : ٦ / ٢٩٩ .

وذكر من طريق أبي داود الطيالسي قال : أخبرنا محمد بن ثابت عن جعفر ابن محمد بن على عن أبيه جابر بن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، قال : فقال لي جابر : من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة . قال أبو عمرو : والآثار في هذا كثيرة متواترة، والجماعة وأهل السنة على التصديق بها ، ولا ينكرها إلا أهل البدع .

وذكر من طريق قاسم بن أصبغ قال : أخبرنا الحرث بن أبي أسامة، أخبرنا إسحق بن عيسى ، أخبرنا حماد بن زيد عن على بن زيد عن يوسف بن عوان عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أيها الناس ، إن الرجم حق ولا تُخْدَعُنّ عنه ، وآية ذلك أن رسول الله ﷺ قد رجم ، وأبا بكر [قد رجم][1] ، ورجمنا بعدهما ، وأنه سيكون أناس يكذبون بالرجم ، ويكذبون باللعان ، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ، ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا ، قال أبو عمر : كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع والخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر الفرق المبتدعة ، وأما أهل السنة ، أئمة الفقه والأمر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه ، وهم أهل الحق ، والله المستعان .

* * *

(١) زيادة للسياق .

إيضـاح وتبيـــــان

قد استشكل ظاهر قوله : لكل نبي دعوة يدعو بها ، إنما وقع لكثير من الأنبياء من الدعوات المجابة ، ولا سيما نبينا ﷺ ، فإنه ظاهره أن لكل نبي دعوة واحدة مجابة فقط ، والجواب : أن المراد بالإجابة الدعوة المذكورة القطع بها ، وما عدا ذلك من دعوات فهو على رجاء الإجابة ، وقيل : مضى قوله : لكل نبي دعوة أي أفضل دعواته ، ولهم دعوات أُخَر ، وقيل : لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته إما بإهلاكهم أو بنجاتهم ، وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب . وقيل : لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه ، كقول نوح عليه السلام : ﴿ **لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً** ﴾[1] ، وقول زكريا عليه السلام : ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً** ﴾[2] ، وقول سليمان عليه السلام : ﴿ **وهب لي ملكاً لا ينبغي من بعدي** ﴾[3] ، حكاه ابن التين .

وقال بعض شراح (المصابيح) : اعلم أن جميع دعوات الأنبياء مستجابة ، والمراد بهذا الحديث أن لكل نبي دعاء على أمته بالإهلاك إلا أنا فلم أدع ، فأعطيت الشفاعة عوضاً عن ذلك للصبر على أذاهم ؛ والمراد بالأمة : أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، وتعقبه الطيبي بأنه ﷺ دعا على أحياء من العرب ، ودعا على الناس من قريش بأسمائهم ، فدعا على رعل وذكوان وغيرهم . قال : والأولى أن يقال : أن الله تعالى جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته ، فنالها كل منهم في الدنيا إلا نبينا فإنه لما دعا على بعض أمته نزل عليه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم** ﴾[4] ، فبقى تلك الدعوة المستجابة مدَّخرة للآخرة ، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم ، وإنما أراد ردعهم ليتوبوا[5] .

---

(١) ٢٦ : نوح .
(٢) ٥ : مريم .
(٣) ٣٥ : ص .
(٤) ١٢٨ : آل عمران .
(٥) (فتح الباري) : ١١ / ١١٦ - ١١٧ .

وأما جزمه أولاً بأن جميع أدعيتهم مستجابة ففيه غفلة عن الحديث الصحيح : سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة . وقال ابن بطال : في هذا الحديث بيان فضيلة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ، ولم يجعلها أيضاً دعاءً عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم[1] .

وقال ابن الجوزي : هذا من حسن تصرفه ﷺ ، لأنه جعل الدعوة بشيء ينبغي ، ومن كثرة كرمه أنه آثر أمته على نفسه ، ومن صحة نظره أنه جعلها للمذنبين من أمته لكونهم أحوج إليها من الطائعين .

وقال النووي : فيه كمال شفقته ﷺ على أمته ورأفته بهم ، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم ، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم[2] .

قال أبو عمر بن عبد البر : وأما قوله : لكل نبي دعوة يدعو بها ، فمعناه : أن كل نبي أُعطى أمنية وسؤلاً ودعوة يدعو بها ما شاء أُجيب وأعطيه . ولا وجه لهذا الحديث غير ذلك ، لأن لكل نبي دعوات مستجابات ، ولغير الأنبياء أيضاً ، دعوات مستجابات ، وما يكاد أحد من أهل الإيمان يخلو من أن تجاب دعوته ولو مرة في عمره ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **ادعوني استجب لكم** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء الله** ﴾[4] ، وقال ﷺ : ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث : إما يستجاب له فيما دعا به ، وإما أن يدخر له مثله ، أو يكفر عنه[5] . وقال : دعوة المظلوم لا تردّ ولو كانت من كافر ، والدعاء عند حضرة النداء ، والصف في سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وفي ساعة يوم الجمعة لا يرد ، فإذا كان هذا ، هكذا لجميع المسلمين ، فكيف يتوهم متوهم أن ليس للنبي ﷺ ولا لسائر الأنبياء إلا دعوة واحدة يجابون فيها ، هذا ما لا يتوهمه ذو لُب ولا إيمان ، ولا من له أدنى فهم ، وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) (فتح الباري) : ١١ / ١١٦ - ١١٧ .

(٢) أنظر شرح النووي لأحاديث الشفاعة بصحيح مسلم كتاب الإيمان .

(٣) ٦٠ : غافر . (٤) ٤١ : الأنعام .

(٥) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٨) في الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وهو حديث صحيح لكن باختلاف يسير ، وأخرجه مالك موقوفاً في القرآن ١ / ٢١٧ .

وأما حوض رسول الله ﷺ وهو الكوثر

قال الله جل جلاله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾[1] ، واختلف في المراد به ؛ فقيل إنه نهر في الجنة ، وقيل : الكوثر : الخير الكثير الذي أعطيه النبي ﷺ ، فقد بلغ التواتر عن جماعة من علماء الآثار ، ورواه الجم الغفير عن رسول الله ﷺ : وبان ، وجابر ، وأبو هريرة ، وجابر بن سمرة ، وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو ، وأبوه عمرو بن العاص ، وحارثة بن وهب ، والمستورد ، وأبو برزة ، وحذيفة ، وأبو أمامة ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وعبد الله بن زيد ، وسهل بن سعيد ، وسويد بن عبلة ، وبريدة وأبو سعيد ، والبراء بن عازب ، وعتبة ابن عبد السلمي وجندب ، والصنابجي ، وأبو بكرة ، وأبو ذر الغفاري ، وأسماء بنت أبي بكر ، وخولة بنت قيس ، ذكرهم اللالكاني وغيره .

قال القاضي عياض[2] : أحاديث الحوض صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه ، وحديثه متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة . قاله ابن عباس .

وقيل : هو العلم والقرآن ، قاله الحسن ، وقيل : النبوة ، قاله عكرمة ، وقيل : إنه حوض النبي ﷺ يكثر عليه الناس . قاله عطاء ، وقيل : إنه كثرة أتباعه وأمته ، قاله أبو بكر بن عياش ، وقال جعفر بن محمد الصادق : يعني بالكوثر نوراً في قلبك يدلّك عليّ ويقطعك عمن سواي . وعنه أيضاً أنه الشفاعة . وقال هلال بن يسار : هو قول لا إله إلا الله ، وقيل : هو الصلوات الخمس .

وأصح هذه الأقوال : ما ثبتَ عن رسول الله ﷺ ، [فقد][3] خرج البخاري في آخر كتاب الرقاق من حديث هدبة بن خالد ، حدثنا همام ، حدثنا

---

(1) ١ : الكوثر .

(2) (الشفا) : ١ / ١٨٥ .

(3) زيادة للسياق .

قتادة ، حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : [بينما][1] أنا أسير في الجنة ، [إذا][2] أنا بنهر [حَافَّتَاهُ][3] قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه أو طينه [مسك][4] أذفر شكَّ هُدْبَة[5] .

وخرج في التفسير من حديث شيبان ، حدثنا قتادة عن أنس : لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : أتيت على نهر حافاته قباب اللؤلؤ [مجوَّف][6] ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر[7] .

ومن حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال : سألتها عن قوله [تعالى][8] : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ قالت : هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه [عليه][9] درٌّ مجوف ، آنيته كعدد النجوم[10] . [رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق][8] .

ومن حديث أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في ﴿ **الكوثر** ﴾ : هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة هو الخير الذي أعطاه الله إياه[11] .

---

(١) في (خ) : « بينا » وما أثبتناه من البخاري .

(٢) في (خ) : « وإذا » .

(٣) في (خ) : « حافته » .

(٤) زيادة للسياق من البخاري .

(٥) حديث رقم (٦٥٨١) ، كتاب الرقاق ، باب (٥٣) في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .

(٦) في (خ) : « مجوفة » ، وما أثبتناه من البخاري .

(٧) حديث رقم (٤٩٦٤) من كتاب التفسير باب (١٠٨) ، سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .

(٨) زيادة للسياق من البخاري .

(٩) في (خ) : « عليهما » .

(١٠) حديث رقم (٤٩٦٥) ، من كتاب التفسير ، باب (١٠٨) ، سورة : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .

(١١) أخرجه البخاري في التفسير ، باب (١٠٨) ، سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٤٩٦٦) ، وفي الرقاق ، باب (٥٣) ، في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٧٨) .

وخرج مسلم من حديث على بن مسهر قال : أخبرنا المختار بن فلفل عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ثم رجع ، فرأيته مبتسماً !! فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت على آنفاً سورة ، فقرأ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾[1] ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر * فصلّ لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر** ﴾[2] ، ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عليه خير كثير ، أو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمتي ، فيقول : ما تدري ما أحدثت بعدك[3] . [زاد

---

(١) أول سورة الفاتحة . (٢) أول سورة الكوثر ١ - ٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب (١٤) ، حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى (براة) ، حديث رقم (٤٠٠) .

وقوله : « يختلج » ، أي ينتزع وينقطع ، وفي هذا الحديث فوائد ، منها : أن البسملة في أوائل السور من القرآن ، وهو مقصود مسلم بإدخال هذا الحديث هنا .

وفيه جواز النوم في المسجد ، وجواز نوم الإنسان بحضرة أصحابه ، وأنه إذا رآى التابع من متبوعه تبسماً أو غيره مما يقتضي حدوث أمر ، يستحب له أن يسأل عن سببه .

وفيه إثبات الحوض والإيمان به واجب .

قوله : « وهل تدري ما أحدثوا بعدك » ، وفي الرواية الأخرى : قد بدلوا بعدك فأقول: « سحقاً سحقاً » ، هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال :

أحدها : أن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيقال : ليس هؤلاء ممن وعدت بهم ، إن هؤلاء بدلوا بعدك ، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

والثاني : أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ، ثم ارتد بعده ، فيناديهم النبي ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء ، لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك .

والثالث : أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر ، الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين ينادون بالنار ، بل يجوز أن يزاد عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب .

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر : كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض ، كالخوارج ، والروافض ، وسائر أصحاب الأهواء . قال : وكذلك الظلمة المسرفون في الجور ، وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر . قال : وكل هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر . والله تعالى أعلم . مختصراً من (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ١٣٨ - ١٣٩ ، كتاب الطهارة ، باب (١٢) استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، حديث رقم (٢٤٦) ، ٤ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ، كتاب الصلاة ، باب (١٤) حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى (براءة) ، حديث رقم (٤٠٠) .

ابن حجر في حديثه : « بين أظهرنا في المسجد » وقال : « ما أحدث بعدك »][1] .

وفي رواية النسائي : « أحدثت بعدك » ، وهي رواية لمسلم أيضاً ، وقال النسائي في حديثه : « آنيته أكثر من عدد الكواكب » ، ذكره النسائي في كتاب الصلاة ، وفي كتاب التفسير .

[....][2]

وخرج الترمذي من حديث محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب عن محارب ابن دثار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ذكره في التفسير[3] .

وخرج البخاري في الرقاق من حديث شعبة عن عبد الملك [بن عمير][4] قال : سمعت جُنْدَباً يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : أنا فرطكم على الحوض[5] . وخرجه مسلم من حديث زائدة عن عبد الملك[6] ، وذكر له طرقاً ، وله من

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من المرجع السابق .

(٢) في (خ) بعد قوله : « في كتاب التفسير » طمس في الأصل ، لم يظهر في التصوير الميكروفيلمي، قال المقريزي بعده : « وخرجه أبو داود بهذا الإسناد وقال : فإنه نهر وعدنيه ربي في الجنة ، عليه خير كثير ، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب ، ذكره في كتاب شرح السنة ، في باب الحوض » .

(٣) رقم (٣٣٥٨) باب ومن سورة الكوثر ، وأخرجه ابن ماجه في الزهد حديث رقم (٤٣٣٤) باب صفة الجنة ، وأحمد في (المسند) ٢ / ٢٥٦ ، حديث رقم (٥٨٧٧) ، وإسناده صحيح ، فإن الراوي عن عطاء عنده هو حماد بن زيد ، وقد سمع منه قديماً . وذكره السيوطي في (الدر المنثور) : ٦ / ٤٠٣ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب (٥٣) ، في الحوض ، وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٨٩) .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٢٥) ، وجُندَب : هو أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وسبقت له ترجمة .

حديث سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال : ألا إني فرط لكم على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة ، كأن الأباريق فيه النجوم[1] .

وله من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن المهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص قال : كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع : أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ ، فكتب إليّ : أني سمعته يقول : أنا الفرط على الحوض[2] .

وخرج مسلم من حديث ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة أنه سمع النبي ﷺ قال : حوضه ما بين صنعاء والمدينة ، فقال له المستورد : ألم تسمعه قال الأواني ؟ فقال : لا ، فقال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب[3] .

وخرجه البخاري من حديث حرمي بن عمارة ، حدثنا شعبة عن معبد بن خالد « عن حارثة سمع النبي ﷺ وذكر الحوض فقال : كما بين المدينة وصنعاء »[4] [قال][5] : وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع

---

(١) المرجع السابق ، حديث رقم (٤٤) ، وصنعاء : منسوبة إلى جودة الصنعة ذاتها ، كقولهم : امرأة حسناء وعجزاء وشلاء ، والنسبة إليها صنعانيّ على غير قياس ، كالنسبة إلى بهراء بهراني . روى البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار ، باب (٢٩) من حديث خباب مرفوعاً ، وفيه : « وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله » قال البخاري : زاد بيان : « والذئب على غنمه » .

وصنعاء موضعان ، أحدهما باليمن ، وهي العظمى ، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق ، وقد ذكرهما ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بالتفصيل ، وفرَّق بين من نسب إلى هذه وهذه ، جـ٣ ص ٤٨٣ – ٤٨٩ ، فليراجع هناك ، و (تقويم البلدان) : ٩٤ – ٩٥ .

وأيلة : بالفتح : مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام ، قال أبو زيد : أيلة مدينة صغيرة ، عامرة ، بها زرع يسير ، وهي مدينة اليهود الذين حرَّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير . (معجم البلدان) : ١ / ٣٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وشفاعته ، حديث رقم (٤٥) .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣) .

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق باب (٥٣) في الحوض ، وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٩١) .

(٥) زيادة من (خ) .

النبي ﷺ قال : حوضه ما بين صنعاء والمدينة ، فقال له المستورد : ألم تسمعه قال الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : تُرى فيه الآنية مثل الكواكب[1] .

وخرج مسلم وأحمد من حديث عبد العزيز بن عبد الصمد العمى ، عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : والذي نفس محمد بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء ، وكواكبها ، ألا في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة ، من شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ؛ ما بين عمان إلى أيلة ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، ذكره في المناقب[2] .

وله من حديث يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد ، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال : إني فرطكم على الحوض ، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة[3] ،

---

(١) المرجع السابق ، حديث رقم (٦٥٩٢) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وشفاعته ، حديث رقم (٣٦) . وأخرجه أحمد في (المسند) : ٦ / ١٨٤ - ١٨٥ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، حديث رقم (٢٠٨٢٠) ، وأخرجه أحمد بنحو منه في المرجع السابق ٢ / ٢٥٦ ، حديث رقم (٥٨٧٧) مسند عبد الله بن عمر .

(٣) الجُحْفَةُ : بالضم ثم السكون ، والفاء : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا بالمدينة فيمقاتهم ذو الحُليفة ، وكان اسمها مَهْيَعَةُ ، وإنما سميت الجحفة ، لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، وهي الآن خراب ، وبينها وبين ساحل الحجاز نحو ثلاث مراحل ، وبينها وبين المدينة ست مراحل .

وقال السكري : الجحفة : على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة ، والجحفة أول الغور إلى مكة ، وكذلك هي من الوجه الآخر إلى ذات عِرْق ، وأول الثغر من طريق المدينة أيضاً الجحفة .

وقال الكلبي : إن العماليق أخرجوا بني عقيل ، وهم إخوة عاد بن رب ، فنزلوا الجحفة ، وكان اسمها يومئذ مهيعة ، فجاءهم سيل واجتحفهم ، فسميت الجحفة .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة استوبأها وحُمَّ أصحابه ، فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشدّ ، وصحّحها ، وبارك لنا في صاعها ومُدّها ، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة .

وروى أن النبي ﷺ نعس ليلة في بعض أسفاره ، إذ استيقظ فأيقظ أصحابه وقال : مرّت بي الحمى في صورة امرأة ثائرة الرأس منطلقة إلى الجحفة ، (معجم البلدان) : ٢ / ١٢٩ .

إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن [تنافسوا][1] فيها فهتلكوا كما هلك من كان قبلكم ، قال عقبة : فكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر[2] .

وذكره البخاري بهذا السند ولفظه : قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا شهيد عليكم ، إن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكانت آخر نظرة نظرها إليّ رسول الله[3] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ، أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أُحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وأني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها[3] . لفظهما متقارب جداً ، ذكره البخاري في باب الصلاة على الشهيد ، وفي كتاب الرقاق ، وفي آخر غزوة أُحد . وذكره في باب علامات النبوة في الإسلام وقال : مفاتيح خزائن الأرض (من غير شك) . وذكره أبو داود بهذا الإسناد[4] ، وانتهى من الحديث إلى قوله : ثم انصرف . وذكره النسائي[5] وانتهى إلى قوله : وأنا شهيد عليكم .

---

(1) في (خ) : « تتنافسوا » .

(2) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٣١) .

(3) كذا في (خ) ، وفي البخاري : « نظرتها إلى رسول الله ﷺ » . والحديث رواه البخاري في الرقاق ، باب في الحوض ، وباب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وفي الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ، وفي الأنبياء ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي المغازي ، باب غزوة أُحد ، وباب أحد يحبنا ونحبه . ومسلم في الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(4) (صحيح سنن أبي داود) : ٢ / ٦٢٠ ، باب (٧٥) ، الميت يصلى على قبره بعد حين ، حديث رقم (٢٧٦٠) ، قال الألباني : صحيح .

(6) (صحيح سنن النسائي) : ٢ / ٤٢٠ ، باب (٦١) ، الصلاة على الشهداء ، حديث رقم (١٨٤٦) ، قال الألباني : صحيح .

وخرج مسلم من حديث معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتادة عن سالم ابن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن ثوبان ، أن النبي ﷺ ، قال : إني لبعُقْرِ حوضي أذود الناس [عنه][1] لأهل اليمن ، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم ، فسئل عن عرضه فقال : من مقامي إلى عمان ، وسئل عن شرابه فقال : أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من الذهب والآخر من وَرِق[2] .

وخرج أيضاً من حديث الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل[3] .

وخرج البخاري في كتاب الشرب من حديث شعبة عن محمد بن زياد سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده لأذودن رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض[4] .

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن وهب قال : أخبرني عمرو – وهو ابن الحرث – أن بكيرا حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن م سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ، ولم سمع ذلك من رسول الله ﷺ ، فلما كان [يوماً][5] من ذلك – والجارية تمشطني – فسمعت رسول الله ﷺ يقول : [أيها][6] الناس ، فقلت للجارية : استأخري عنها ، قالت : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء ، فقلت : إني من الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إني لكم فرط على الحوض ؛ فإياي لا يَأْتِيَنَّ

---

(1) زيادة من (خ) .

(2) أخرجه مسلم في الفضائل باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٣٧) ، وعقر الحوض : مؤخره .

(3) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٨) ، وفي (خ) : « تزاد » .

(4) (جامع الأصول) : ١٠ / ٤٧٣ ، في ورود الناس على الحوض ، حديث رقم (٨٠٠٤) ، وإسناده صحيح .

(5) في (خ) : « يوم » .

(6) في (خ) : « يا أيها » .

أحدكم فيذبّ عني كما يذب البعير الضال ، فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : [سحقاً][1] .

وخرج البخاري من حديث نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : قال عبد الله بن عمرو ، قال النبي ﷺ : حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبداً . ذكره في الرقاق في باب الحوض[2] .

وله فيه من حديث نافع بن عمر ، حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم ، [وسيؤخذ][3]ناس دوني ، فأقول : يارب [مني][4] ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم . فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا . على أعقابهم ينكصون : يرجعون على العقب ، ذكره في كتاب الفتن[5] .

وخرج مسلم في المناقب من حديث نافع بن عمر الجمحي ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن عمرو بن العاص : قال رسول الله ﷺ : حوضي مسيرة شهر ، زواياه سواء وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، كيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً . قال : وقالت أسماء بنت أبي بكر : قال رسول الله ﷺ : إني على الحوض [حتى][6] أنظر من يرد عليّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يارب مني ومن أمتي ، فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم ، قال : وكان ابن أبي مليكة

---

(١) في (خ) : « فسحقاً » ، أخرجه مسلم في الفضائل باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٢٩) .
(٢) حديث رقم (٦٥٧٩) .
(٣) في (خ) : « وسيوجد » .
(٤) في (خ) : « أمتي » .
(٥) باب (١) ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ ، وما كان النبي ﷺ يُحذّر من الفتن ، حديث رقم (٧٠٤٨) وذكره أيضاً في كتاب الرقاق ، باب (٥٣) في الحوض ، وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٩٣) .
(٦) تكملة من رواية البخاري .

يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن عن ديننا[1] .

وله من حديث ابن خيثم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، سمع عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول بين ظهراني أصحابه : إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم ، فوالله ليقتطعن دوني رجال فلأقولن : أي رب ، مني ومن أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ما عملوا بعدك ، مازالوا يرجعون على أعقابهم[2] .

وخرج البخاري في الرقاق من حديث أبي عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله عن النبي ﷺ [أنه قال] : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعنّ إليّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي ! يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك[3] . وخرجه مسلم من طرق[4] .

وخرج البخاري من حديث عبد الله قال : حدثني نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال لي : إنَّ أمامكم حوضاً ما بين جرباء وأَذْرُح[5] .

وخرجه مسلم من طرق في بعضها : حوضي ، وفي بعضها : إن أمامكم حوضاً ما بين ناحيتيه . وخرجه كذلك أبو داود وفي بعضها : إن أمامكم حوضاً كما بين جرباء وأذرح ، فيه أباريق كنجوم السماء ، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً[6] .

---

(١) وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٥٣) الحوض ، حديث رقم (٦٥٩٣) ، وفي كتاب الفتن ، باب (١) ، حديث رقم (٧٠٤٨) .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب (٩) حديث رقم (٢٨) .

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب (٥٣) الحوض بسند آخر وسياقة أخرى ، حديث رقم (٦٥٧٦) .

(٤) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب (٩) ، حديث رقم (٤٠) .

(٥) كتاب الرقاق ، باب (٥٣) ، حديث رقم (٦٥٧٧) .

(٦) مسلم في الفضائل ، باب (٩) ، حديث رقم (٣٤ ، ٣٥) ، والجرباء : كأنه تأنيث الأجرب ، موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام ، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز ، وهي قرية من أذرُح ، وبينهما كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعريّ . والجرباء أيضاً : ماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم بين البصرة واليمامة . (معجم البلدان) : ٢ / ١٣٧ .
وأَذْرُح : بالفتح ، ثم السكون ، وضم الراء ، والحاء المهملة : اسم بلد في أطراف الشام من أعمال =

وخرج البخاري من حديث ابن وهب عن يونس ، قال ابن شهاب : حدثني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة[1] . وخرجه مسلم من طرق ، في بعضها : ما بين لابتي حوضي . وله من حديث خالد بن الحرب عن سعيد عن قتادة ، قال أنس : قال نبي الله ﷺ ترى فيه : أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء[2] . وفي لفظ : أو أكثر من عدد نجوم السماء[3] .

وذكر البخاري ومسلم أحاديث فيها ذكر الحوض من حديث سهل بن سعد بمعنى ما تقدم ، وجاءت أحاديث أُخَر في ذكر الحوض ، وفيما أوردتُه من الصحيحين والسنن ما يشبع ويكفي إن شاء الله .

وقال أبو عمر بن عبد البر : وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ، ولم يأذن به الله ، فهو من المطرودين عن الحوض ، المبعدين عنه ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ؛ مثل الخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، هؤلاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق ، وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ، كل هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا عُنوا بهذا الخبر ، ولا يخلد في النار إلا كل فاجرٍ جاحدٍ ، ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .

وقد قال أبو القاسم : قد يكون من غير أهل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء ، وكان يقال : تمام الإخلاص تجنب المعاصي . (انتهى) .

= الشراة ، ثم من نواحي البلقاء ، وفي كتاب مسلم بن الحجاج : بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام ، (المرجع السابق) : ١ / ١٥٧ .

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب (٥٣) ، حديث رقم (٦٥٩١) ، وقال فيه : « كما بين المدينة وصنعاء » ، ورواية مسلم في الفضائل : « بين صنعاء والمدينة » .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل باب (٩) ، حديث رقم (٤٣) .

(٣) المرجع السابق في الباب .

والظاهر أن الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، وقيل : يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار . والله الرحيم الرحمن[1] .

* * *

---

(١) قال القاضي عياض رحمه الله : أحاديث الحوض صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأوّل ولا يختلف فيه .

قال القاضي : وحديثه متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة ، فذكره مسلم من رواية ابن عمرو ابن العاص ، وعائشة ، وأم سلمة ، وعقبة بن عامر ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وحارثة بن وهب ، والمستورد ، وأبي ذر ، وثوبان ، وأنس ، وجابر بن سمرة .

ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق ، وزيد بن أرقم ، وأبي أمامة ، وعبد الله بن زيد ، وأبي برزة ، وسويد بن جبلة ، وعبد الله بن الصنابحي ، والبراء بن عازب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وخولة بن قيس ، وغيرهم .

قال الإمام النووي : ورواه البخاري ومسلم أيضاً من رواية أبي هريرة ، ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب ، وعائذ بن عمر ، وآخرين .

وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه (البعث والنشور) بأسانيده ، وطرقه ، المتكاثرات . قال القاضي : وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً .

قوله ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض » ، قال أهل اللغة : الفرط بفتح الفاء والراء ، والفارط : هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض ، والدلاء ، ونحوها من أمور الاستقاء . فمعنى « فرطكم على الحوض » : سابقكم إليه كالمهيء له . (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٥٩ .

وأما كثرة أتباعه ﷺ

فخرج مسلم من حديث جرير عن المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً[1] .

وفي رواية سفيان عن مختار : أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة[2] . وفي رواية زائدة عن المختار : أنا أول شفيع في الجنة ، لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد[3] .

وخرج البخاري[4] ومسلم[5] والنسائي من حديث الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي [أوتيته] وحياً أوحي إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم [تابعاً] يوم القيامة .

وخرج الترمذي من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أكثرهم واردة ، وإني

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٥) في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » ، حديث رقم (٣٣٠) .

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣١) .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣٢) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب (١) كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل ، حديث رقم (٤٩٨١) ، وفي (خ) : « أوتيت » ، و « تبعاً » ، والتصويب من رواية البخاري ، وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الاعتصام بالسنة ، باب (١) قول النبي ﷺ : بُعثت بجوامع الكلم ، حديث رقم (٧٢٧٤) .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ، حديث رقم (٣٢٩) .

لأرجو أن أكون أكثرهم واردة[1] . قال هذا حديث غريب ، وقد روى الأشعث ابن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ، ولم يذكر عن سمرة ، وهذا أصح .

* * *

(1) (صحيح سنن الترمذي) : ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦ ، باب (١٢) صفة الحوض ، حديث رقم (١٩٨٨) ، قال الألباني : صحيح ، و (الصحيحة) : حديث رقم (١٥٨٩) .

وأما الخمس التي أُعطيها ﷺ

وقد روى ست ، وروى ثلاث وأربع ، وهي تنتهي إلى أزيد من سبع ، قال : فهن لم يؤتهن أحد قبلي .

فخرج البخاري من حديث هشيم ، أخبرنا سيار ، حدثنا يزيد الفقير ، قال : أخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة . ذكره في باب التيمم[1] ، وخرجه في كتاب الصلاة[2] ولفظه : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي .. الحديث إلى آخره ، وقال : وبعثت إلى كافة الناس . وخرجه مسلم[3] بهذا السند ولفظه : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة .

وخرجه النسائي[4] ، ولفظه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : جعلت لي الأرض مسجداً طهوراً ، فأينما أدرك رجل من أمتي الصلاة صلى . لم يذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم . قول الله تعالى : ﴿ **فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ [المائدة : ٦] باب (١) ، حديث رقم (٣٣٥) .

(٢) باب (٥٦) قول النبي ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » ، حديث رقم (٤٣٨) .
وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب فرض الخمس ، باب (٨) قول النبي ﷺ : « أُحلَّت لي الغنائم .
وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** ﴾ [الفتح : ٢٠] ، وهي للعامة حتى بينه الرسول ﷺ ، حديث رقم (٣١٢٢) ، ورقم (٣١٢٤) .

(٣) ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٥٢١) .

(٤) ذكره النسائي في كتاب المساجد ، باب (٤٢) الرخصة في الصلاة في أعطان الإبل ، حديث رقم (٧٣٥) .

منه غير هذا[1] .

وخرج مسلم من حديث محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربعيّ عن حذيفة رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : فضلنا على الأنبياء بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء ، وذكر خصلة أخرى[2] .

وخرجه أبو داود الطيالسي من حديث أبي عوانة عن أبي مالك بسنده ولفظه : فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفاً كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجداً وترابها طهوراً ، وأعطيت آخر سورة البقرة وهي كنز من العرش .

وروى أبو داود السجستاني من حديث جرير عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد ابن عمير عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً[3] .

وخرج ابن الجارود من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا محمد – يعني ابن عمرو – عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : مثله سواءاً .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة بسنده ولفظه . وخرجه ابن الجارود أيضاً من حديث حماد عن ثابت وحميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : جُعلت لي كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً .

---

(1) قال محققه : لكن ذكره النسائي أيضاً في كتاب الغسل ، باب (٢٦) التيمم بالصعيد ، حديث رقم (٤٣٠) : أخبرنا الحسن بن إسماعيل بن سليمان ، حدثنا هشيم قال : أنبأنا سيَّار عن يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعطيت خمساً لم يعطهن أحداً قبلي ، نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأينما أدرك الرجل من أمتي الصلاة يصلي ، وأعطيت الشفاعة ، ولم يعط نبي قبلي ، وبعثت إلى الناس كافة وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة » . (سنن النسائي) ١ / ٢٢٩ – ٢٣١ .

(2) ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٤) .

(3) ذكره في كتاب الصلاة ، باب (٢٤) في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ، حديث رقم (٤٨٩) .

وخرج أبو نعيم من حديث شعبة عن واصل عن مجاهد عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي قبلي : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ونصرت بالرعب على مسيرة شهر ، وبعثت إلى الأحمر والأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي ، وأعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً . قال أبو نعيم : هكذا رواه شعبة عن واصل عن مجاهد عن أبي ذر ، وتابعه عليه عمرو بن ذَرْ[1] .

وخرجه الإمام أحمد من حديث ابن إسحق قال : حدثني سليمان الأعمش عن مجاهد بن جبير أبي الحجاج عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي كان قبلي : نصرت بالرعب فيرعب مني العدو من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي ، وبعثت إلى الأحمر والأسود ، وقيل لي : سل تعطه فاختبأتها شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم - إن شاء الله - من لقى الله عز وجل لا يشرك به شيئاً ، وكان مجاهد يرى أن الأحمر الإنس والأسود الجن[1] .

ولأبي نعيم من حديث جرير عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قال : طلبتُ رسول الله ﷺ ليلاً فوجدته قائماً يصلي فأطال الصلاة ثم قال : أوتيت الليلة خمساً لم يؤتها نبي قبلي : أرسلت إلى الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب فيرعب العدو وهو مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي ، وقيل لي : سل تعطه فاختبأتها شفاعة لأمتي ، وهي نائلة لمن لا يشرك بالله شيئاً[1] .

قال أبو نعيم : تابع جرير استدل ابن علي وأبو معاوية ومحمد بن إسحاق على عبيد بن عمير وقال مرة : متن هذا الحديث وخصائص النبي ﷺ راتب مشهور ومتفق عليه من حديث يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله وغيره، وحديث عبيد بن عمير عن أبي ذر مختلف في سنده ، فمنهم من يرويه عن الأعمش عن مجاهد عن أبي ذر من دون عبيد ، وتَفَرَّدَ جرير بإدخال عبيد بين مجاهد وأبي ذر عن الأعمش .

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها في فصل (اختصاصه ﷺ بالشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر) فتراجع هناك .

وله من حديث سلمة عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي : بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وإنما كان النبي يبعث إلى قومه ، ونصرت بالرعب يرعب مني عدوي شهراً ، وأطعمت المغنم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً[1] .

وله من حديث سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله ، قال : وتابعه عليه الحكم بن عيينة ، ورواه يزيد بن أبي زياد مثله عن مجاهد وفيه : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، ولا أقول فخراً : بعثت إلى الأحمر والأسود ، فذكر مثله سواءاً .

وله من حديث ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على بن رباح عن رجل سمع عبادة بن الصامت قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : إن جبريل أتاني فبشرني أن الله أمدني بالملائكة وأتاني النصر ، وجعل بين يدي الرعب ، وأتاني السلطان والملك ، وطيب لي ولأمتي الغنائم ، و لم يكن لأحد قبلنا . والله يؤتي فضله من يشاء وبه يكتفى[1] .

* * *

(١) سبق تخريجه أو نحوه والتعليق عليه .

وأما أنه بعث بجوامع الكلم وأوتي مفاتيح خزائن الأرض

فخرج البخاري في الجهاد من حديث عقيل عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، فبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي ، قال أبو هريرة : وقد ذهب رسول الله وأنتم تنتثلونها[1] .

وخرجه في كتاب التعبير في باب المفاتيح في اليد ولفظه : بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أتيت مفاتيح خزائن الأرض وضعت[2] في يدي ، قال محمد : وبلغني أن جوامع الكلم : أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك[3] .

وخرجه في كتاب الاعتصام من حديث إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم رأيتني أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي ، قال أبو هريرة : فقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تلغثونها أو ترغثونها ، أو كلمة تشبهها[4] .

وخرجه مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب ، ومن حديث الزبيدي عن الزهري ، أخبرنا سعيد بن المسيب وأبو سلمة أن أبا هريرة قال : سمعت رسول

---

(١) باب (١٢٢) قول النبي ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ، حديث رقم (٢٩٧٧) .

(٢) في (خ) : « فوضعت » .

(٣) حديث رقم (٧٠١٣) ، قوله : (باب المفاتيح في اليد) أي إذا رؤيت في المنام ، قال أهل التعبير : المفتاح مال ، وعز ، وسلطان ، فمن رأى أنه فتح باباً بمفتاح فإنه يظفر بحاجته ، بمعونة من له بأس ، وإن رأى أن بيده مفاتيح فإنه يصيب سلطاناً عظيماً . (فتح الباري) : ١٢ / ٤٩٦ .

(٤) باب (١) قول النبي ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » ، حديث رقم (٧٢٧٣) ، واللغث والرغث كناية عن سعة العيش ، وأصله من رغث الجدي أمه إذا ارتضع منها ، وأرغثته هي أرضعته . (فتح الباري) : ١٣ / ٣٠٨ .

الله ﷺ يقول : .. فذكره[1] ، وخرجه من حديث معمر عن الزهري[2] ، وخرجه النسائي أيضاً من حديث معمر ويونس عن الزهري[3] ، وأخرجه أيضاً من حديث الزبيدي عن الزهري عن سعيد[4] ، وأبي سلمة عن أبي هريرة[5] .

وقال ابن إسحق : حدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت الأمصار في زمان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعده : افتحو ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا الله قد أعطى محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

وخرج البخاري من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : أعطيت مفاتيح الكلم ونصرت بالرعب ، وبينما أنا نائم البارحة إذا أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي ، قال أبو هريرة : فذهب رسول الله وأنتم تنتقلونها . ذكره في كتاب التعبير في باب رؤيا بالليل[6] .

وخرج مسلم من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن أبي يونس مولى أبي هريرة أنه حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : نصرتُ بالرعب على العدو ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي[7] .

وله من حديث عبد الرزّاق ، حدثنا معمر عن هشام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم ، ذكره والذي قبله في كتاب الصلاة[8] .

---

(١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٦) من (صحيح مسلم) .
(٢) الحديث الذي يليه بالمرجع السابق .
(٣) (سنن النسائي) : ٦ / ٣١٠ كتاب الجهاد ، باب (١) وجوب الجهاد ، حديث رقم (٣٠٨٧) .
(٤) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٠٨٩) .
(٥) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٠٨٨) .
(٦) حديث رقم (٦٩٩٨) .
(٧) ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها ، حديث رقم (٧) .
(٨) المرجع السابق، حديث رقم (٨) .

وخرج من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون[١] .

وخرجه أبو نعيم من حديث أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : فضلت على النبيين بست : أوتيت جوامع الكلم ، ونصت بالرعب ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، وأرسلت إلى الناس كافة ، وأحلت لي الغنائم ، وختم بي النبيون[٢] .

وله من حديث محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت فواتح الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم إذ أتيت بمفاتح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي[٢] .

وله من حديث الحسن بن سفيان قال : حدثنا شيبان بن فروح ، حدثنا عيسى ابن ميمون ، حدثنا محمد بن كعب قال : سمعت ابن عياش رضي الله عنه يقول : كان النبي ﷺ يقول : أوتيت خصالاً لا أقولها فخراً ، قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وجعلت أمتي خير الأمم ، وأوتيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأوتيت الكوثر آنيته عدد نجوم السماء .

وله من طريق الغرياني جعفر بن محمد قال : حدثنا أبو جعفر النفيلي ، حدثنا موسى بن أمين عن عطاء بن السائب عن أبي جعفر عنه أبيه عن جده عن أبي طالب عن النبي ﷺ ، قال : أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي : أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي ، وأعطيت جوامع الكلم ، يعني القرآن[٢] .

---

(١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٦) من صحيح مسلم .

(٢) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها .

وخرج مسلم من حديث مالك بن مغول عن الزبير بن عديّ عن مرة الهمداني عن عبد الله قال : لما أسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلى سدرة المنتهى ، أُعطي ثلاثاً : أُعطي الصلوات الخمس ، وأُعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن كان من أمته لا يشرك بالله المقحمات[1] .

وذكر قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع قال : قال النبي ﷺ : أعطيتُ مكان التوراة السبع ، ومكان الزبور المئين ، ومكن الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل[2] .

* * *

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان . باب (٧٦) في ذكر سدرة المنتهى ، حديث رقم (٢٧٩) ، والمقحمات : الذنوب الكبائر التي تقحم أصحابها في النار .

(2) (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٥ ، وأخرجه الطبراني في الكبير ، وأشار إليه السيوطي بالحسن ، (فيض القدير) : ١ / ٥٦٥ .

وأما تأييده بقتال الملائكة معه

فخرج البخاري من حديث يحيى ين سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة[١] .

ومن حديث خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب[٢] .

ولمسلم قال أبو زميل : فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه ، وشق وجهه كضربة السوط ، فَاخْضَرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[٣] .

ولعثمان بن سعيد الدارمي من حديث معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين** ﴾[٤] ، قال : أقبلت عير مكة تريد الشام ، فبلغ أهل مكة ذلك ، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعو السير إليها لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ ، وكان الله عز وجل قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا أن يلقوا

---

(١) أخرجه في كتاب المغازي ، باب (١١) شهود الملائكة بدراً ، حديث رقم (٣٩٩٢) .

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٩٩٥) ، وأخرجه أيضاً في باب (١٧) غزوة أحد برقم (٤٠٤١) وفيه : « قال النبي ﷺ يوم أحد .... » وباقي الحديث بمثله سواء .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب (١٨) الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، حديث برقم (٥٨) ، وهو حديث طويل .

(٤) ٧ : الأنفال .

العير أحب إليهم وأيسر شوكة ، وأحضر مغنماً ، فلما سبقت العير وفاتت سار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبي ﷺ والمسلمين بينهم وبين الماء رملة دَعْصَةٌ ، فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم القنط يوسوسهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ، فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وصار الرمل كذا ، ذكر كلمة أخبر أنه أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم ، وأمدّ نبيَّهُ والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، [وميكائيل في خمسمائة مجنبة][1] ، وجاء إبليس في جند من الشياطين معه ، رأيته في صورة رجال بني مُدّلج ، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جشعم ، فقال الشيطان للمشركين : ﴿ **لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم** ﴾[2] ، فلما اصطف القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره .

ورفع رسول الله ﷺ يده فقال : يارب إنك إن تُهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً ، فقال جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه تراباً من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس – لعنهُ الله – فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة!! لم تزعم أنك جار لنا ؟ ﴿ **وقال إني أرى ما لاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾[2] ، وذلك حين رأى الملائكة .

وقال يونس عن ابن إسحق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : وحدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله ابن أبي بكر وغيرهم من علمائنا ، فذكر الحديث في يوم بدر إلى أن قال : فكان رسول الله ﷺ في العريش هو وأبو بكر رضي الله عنه ما معهما غيرهما ، وقد تداني القوم بعضهم من بعض ، فجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من

---

(١) زيادة للسياق من تفسير ابن كثير .

(٢) ٤٨ : الأنفال .

نصره ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، وأبو بكر رضي الله عنه يقول : بعض مناشدتك يا رسول الله فإن الله موفيك ما وعدك من نصره .

وخفق رسول الله ﷺ خفقة [ثم هب][1] ، فقال رسول الله ﷺ : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع - يقول الغبار -، ثم خرج رسول الله ﷺ فعبأ[2] أصحابه وهيأهم وقال : لا يعجلن رجل بقتالٍ[3] حتى نؤذنه ، فإذا أكثبوكم[4] القوم - يقول : اقتربوا منكم - فانضحوهم [عنكم][5] بالنبل ، ثم تزاحم الناس ، فلما تدانى بعضهم من بعض خرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من حصباء[6] ثم استقبل بها قريشاً فنفخ بها في وجوههم وقال : شاهت الوجوه - يقول : قَبُحت الوجوه - ثم قال رسول الله ﷺ : احملوا يا معشر المسلمين ، فحمل المسلمون ، وهزم الله قريشاً ، وقتل من قتل من أشرافهم ، وأسر من أسر منهم[7] .

وقال يزيد بن هارون عن محمد بن إسحق : قال عبد الله بن أبي بكر : حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهد بدراً - قال بعد أن أذهب بصره : لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري ، لأريتكم الشِّعب الذي خرجت منه الملائكة[8] .

وقال موسى بن عقبة : فمكث رسول الله ﷺ بعد قتل ابن الحضرمي شهرين ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب في عير لقريش من الشام ، فذكر قصة بدر ، إلى أن قال : وعجَّ المسلمون إلى الله تعالى يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نشب ، ورفع رسول الله ﷺ يديه إلى الله تعالى يسأله ما وعده ويسأله النصر ويقول : اللهم إن ظُهر على هذه العصابة ظَهر الشرك ولم يقم لك دين ، وأبو بكر رضي الله عنه

---

(1) في (خ) : « ثم قال هب » .
(2) في (خ) : « فعبى » .
(3) في (خ) : « لقتال » .
(4) في (خ) : « أكثبكم » .
(5) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(6) في (خ) : « حصاه » .
(7) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٨١ .
(8) المرجع السابق ، و (ابن هشام) : ٣ / ١٨١ ، وزاد : « لا أشك فيه ولا أتمارى » .

يقول له : يا رسول الله ، والذي نفسي بيده لينصرنك الله عز وجل ، وليبيض وجهك ، فأنزل الله عز وجل من الملائكة جنداً في أكتاف العدو ، فقال رسول الله ﷺ : قد أنزل الله ونزلت الملائكة ، أبشر يا أبا بكر فإني قد رأيت جبريل مُعتجراً يقود فرساً بين السماء والأرض ، فلما هبط إلى الأرض جلس عليها فتغيب عني ساعة ، ثم رأيت على شفته غباراً .

وقال ابن إسحق في رواية محمد بن عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي : حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس رضي الله عنه قال : حدثني رجل من بني غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ، ننظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فننتهب مع من ينتهب ، فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه مات مكانه ، وأما أنا فكدت أن أهلِك ثم تماسكت[1] .

قال ابن إسحق : وحدثني أبي إسحق عن يسار عن رجال من بني مازن ابن النجار عن أبي داود المازني – وكان شهد بدراً – فقال : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع على رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري[2] .

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء وأرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراً[3] .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : العمائم تيجان العرب ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فقد كانت عليه عمامة صفراء[4] .

---

(١) المرجع السابق ، وقال : « على من تكون الدَّبْرة » وهي بمعنى الدائرة .
(٢) المرجع السابق ، وقال : « وقع رأسُه » .
(٣) المرجع السابق : ١٨٢ ، وقال : « بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم » .
(٤) المرجع السابق ، وقال : « عمائم بيضاً » .

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم عن مِقْسَم[1] عن ابن عباس قال : ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون[2] .

وقال الواقدي : فحدثني عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس قال : سمعت ابن عباس يقول : لما تواقف الناس – يعني يوم بدر – أُغمى على رسول الله ﷺ [ساعة][3] ، ثم كشف عنه ، فبشر المؤمنين بجبريل في جند من الملائكة [في][3] ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر [في][3] ميسرة رسول الله ﷺ ، وإسرافيل في جند آخر بألف[4] ، قال : وكانت سيما الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم ، خضراً وصفراً [وحمراً][3] من نور ، والصوف في نواصي خيلهم[5] .

وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن الملائكة قد سوَّمت فسوِّموا ، فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم .

وحدثني موسى بن محمد عن أبيه قال : كان أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون في الزحوف : حمزة بن عبد المطلب معلم يوم بدر بريشة نعامة ، وكان علّي معلماً بصوفة بيضاء ، وكان الزبير معلماً بعصابة صفراء ، وكان الزبير يحدث : إن الملائكة نزلت يوم بدر على خيلٍ بُلق عليها عمائم صفر ، وكان على الزبير يومئذ عصابة صفراء ، وكان أبو دجانة يعلم بعصابة حمراء[6] .

وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح بن عبد الله ابن عروة بن الزبير ، عن هشام بن عروة عن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير أنه بلغه أن الملائكة نزلت يوم بدر وهم طير بيض عليهم عمائم صفر ، وكانت

---

(١) في (خ) : « مغنم » ، والتصويب من المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .
(٤) المرجع السابق : ١ / ٧٠ – ٧١ .
(٥) المرجع السابق : ١ / ٧٥ .
(٦) المرجع السابق : ١ / ٧٦ ، وقال : « فكان على الزبير » .

على الزبير يومئذ عمامة صفراء من بين الناس ، فقال النبي ﷺ : نزلت الملائكة اليوم على سيما أبي عبد الله ، وجاء النبي ﷺ وعليه عمامة صفراء .

حدثني أبو المكرم عقبة بن مكرم الضبي قال : حدثني مصعب بن سلام التميمي عن سعد بن طريف عن أبي جعفر محمد بن علي قال : كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء ، فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر .

حدثني محمد بن حسن عن محمد بن يحيى عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : نزلت الملائكة يوم بدر على سيما الزبير ؛ عليهم عمائم صفر، وقد أرخوها في ظهورهم ، وكانت على الزبير عمامة صفراء ، وفي ذلك يقول عامر بن صالح ابن عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنه :

جُدَيّ بن عمة أحمد ووراء عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس شهد الوغى في لَأْمَةٍ الصفراء
نزلت بسيماه الملائكة قصره بالحوض يوم بسالة الأعداء

وقال الواقدي : وحدثني عبد الله بن موسى بن أمية بن عبد الله بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولي لسهيل قال : سمعتُ بن عمرو يقول : لقد رأيتُ يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون[1] .

وحدثني خارجة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه قال : سأل رسول الله ﷺ جبريل : من القائل يوم بدر من الملائكة : « أَقْدِمْ حَيْزوم » ؟ فقال : يا محمد ، ما كلّ أهل السماء أعرف[2] .

وحدثني عبد الرحمن بن الحرث عن أبيه عن جده عبيد بن أبي [عبيد ، عن أبي][3] رهم الغفاري عن ابن عم له قال : بينما أنا وابن عم لي على ماء بدر ، فلما رأينا قلة مع محمد وكثرة قريش قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١ / ٧٦ .
(٢) المرجع السابق : ١ / ٧٧ .
(٣) زيادة في النسب من المرجع السابق .

وأصحابه فانطلقنا إلى المجنَّبة اليسري من أصحاب محمد ونحن نقول : هؤلاء رُبْع قريش ، فبينا نحن نمشي [في][1] الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا إليها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا رجلاً يقول لفرسه : « أَقْدِمْ حيزوم » ، وسمعناهم يقولون : رُويداً تتامّ أُخراكم » ، فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ ، ثم جاءت أخرى مثل تلك ، فكانت مع النبي ﷺ ، فنظرنا إلى النبي ﷺ وأصحابه ، فإذا هم الضِّعْف على قريش ، فمات ابن عمي وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي ﷺ. وأسلم وحسُن إسلامه[2] .

قالوا : قال رسول الله ﷺ : ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدْحَر ولا أغيظ منه في يوم عرفة – وماذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام – إلا ما رأى يوم بدر ، قيل : وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما أنه قد رأى جبريل يزع الملائكة . قالوا : قال رسول الله ﷺ يومئذ : هذا جبريل يسوق الريح كأنه دِحْية الكلبي ، إني نصرت بالصَّبا ، وأُهلكت عاد بالدَّبُور[3] .

وحدثني أبو إسحق بن أبي عبد الله ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن صالح ابن إبراهيم قال : كان عبد الرحمن بن عوف يقول : رأيت يوم بدر رجلين ، عن يمين النبي ﷺ أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم ثلثهما ثالث من خلفه ، ثم ربعهما رابع أمامه[4] .

وحدثني أبو إسحق بن أبي عبد الله عن عبد الواحد بن أبي عون عن زياد مولى سعد ، عن سعد قال : رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن النبي ﷺ ، أحدهما عن يساره والآخر عن يمينه ، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة ، وإلى ذا مرة ، سروراً بما ظفَّره الله تعالى[5] .

حدثني إسحق بن يحيى عن حمزة بن صُهَيب عن أبيه قال : ما أدري كم يدٍ مقطوعة ، أو ضربة جائفة لم يدم كَلمُها يوم بدر ، قد رأيتها[6] !! .

---

(١) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق : ١ / ٧٨ .
(٦) المرجع السابق : ١ / ٧٨ .

وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عفير عن رافع بن خديج ، عن أبي بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رءوس فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث ، فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه فَتَدَهْدَى أمامه ، فأخذتُ رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : ذاك فلان من الملائكة . وكان ابن عباس يقول : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر[1] .

وحدثني أبو حبيبة[2] عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول : إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيء ، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾[3] إلى آخر الآية .

وحدثني موسى بن محمد عن أبيه قال : كان السائب بن أبي حُبيش الأسديّ يحدث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : والله ما أسرني أحد من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمت قريش ما انهزمتُ معها ، فيدركني رجل طويل أبيض على فرس أبلق بين السماء والأرض ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر[4] : من أسر هذا ؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني ، حتى انتهيت[5] إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ : من أسرك ؟ قلت : لا أعرفه[6] ، وكرهتُ أن أخبره بالذي رأيت ، فقال رسول الله ﷺ : أسره ملك من الملائكة كريم ، اذهب يا ابن عوف بأسيرك ، فذهب بي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقال السائب ، فمازلت تلك الكلمة أحفظها ، وتأخر إسلامي حتى [كان][7] ما كان من إسلامي .

---

(١) المرجع السابق : ١ / ٧٨ - ٧٩ .
(٢) في المرجع السابق : « ابن أبي حبيبة » .
(٣) الأنفال : ١٨ ، وتمامها : ﴿ **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب** ﴾ .
(٤) في المرجع السابق : « العسكر » .
(٥) في المرجع السابق : « حتى انتهى بي » .
(٦) في المرجع السابق : « لا أعرف » .
(٧) زيادة للسياق من المرجع السابق .

وحدثني عائذ بن يحيى عن ابن الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثي عن حكيم ابن حزام قال : لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق ، فإذا الوادي يسيل نملاً ، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أُيِّد به محمد ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة[1] .

حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن رجل من بني أود قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول وهو يخطب بالكوفة : بينا أنا [أسيح][2] في قليب ببدر جاءت ريح لم أر مثلها قط شدة ، ثم ذهبتْ فجاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلا التي كانت قبلها ؛ فكانت الأولى جبريل في ألف مع رسول الله ، والثانية ميكائيل في ألف عن ميمنة رسول الله وأبي بكر ، وكانت الثالثة إسرافيل في ألف نزل عن ميسرة رسول الله ، وأنا في الميسرة ، فلما هزم الله أعداءه حملني رسول الله على فرس [ ][3]فلما جرت خررت على عنقها ، فدعوت ربي فأمسكني حتى استويت ، ومالي والخيل ، إنما كنت صاحب غنم ، فلما استويت طعنتُ بيدي هذه حتى اختضبت مني ذا ، يعني إبطه .

وفي مغازي ابن عقبة : أن ابن مسعود وجد أبا جهل جالساً لا يتحرك ولا يتكلم ، فسلبه درعه ، فإذا في بدنه نكت سود ، فحلّ سبغة البيضة وهو لا يتكلم ، واخترط سيفه - يعني سيف أبي جهل - فضرب به عنقه ثم سأل رسول الله ﷺ حين احتمل رأسه إليه عن تلك النكت السود التي رآها في بدنه ، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته ، وأن تلك آثار ضرب الملائكة له[4] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد قال : حدثنا سعد عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لقد رأيت يوم أُحد عن يمين

---

(١) المرجع السابق : ١ / ٨٠ ، والبجاد : الكساء .

(٢) كذا في (خ) ، ولم أجد لها توجيها .

(٣) في (خ) كلمة لم أتبين معناها لعدم وضوحها .

(٤) (مغازي الواقدي) : ١ / ٩٠ ، و (ابن هشام) : ٣ / ١٨٥ [هامش] ، (شرح ابن أبي الحديد على النهج) : ٤ / ١٤٣ .

رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين عليها ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد[1] . وذكره البخاري في [المغازي][2] ، وخرجاه من حديث مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال : رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ، ما رأيتهما قبل ولا بعد ، يعني جبريل وميكائيل ، لم يقل البخاري : يعني جبريل وميكائيل ، ذكره البخاري في كتاب اللباس[3] .

وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح قال : قال مجاهد : لم تقاتل الملائكة يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر ، قال البيهقي : إنما أراد أنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به[4] .

وحدث الواقدي عن شيوخه في قوله تعالى : ﴿ **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾[5] ، قال : فلم يصبروا فانكشفوا فلم يمدوا[6] .

وقال ابن لهيعة : حدثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال : وكان الله عزَّ وجلَّ وعدهم على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وكان قد فعل ، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم ، وتركت الرماة عهد الرسول إليهم أن لا يبرحوا منازلهم ، وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة ،

---

(١) ذكره البخاري في المغازي ، باب (١٨) ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ ، حديث رقم (٤٠٥٤) .

(٢) في (خ) : « المناقب » ، والصواب ما أثبتناه ، وذكره مسلم في الفضائل باب (١٠) في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد ، حديث رقم (٤٧) . و (مغازي الواقدي) : ١ / ٢٣٤ .

(٣) باب (٢٤) الثياب البيض ، حديث رقم (٥٨٢٦) ولفظه : « رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين عليهما ثياب بيض يوم أُحد ، ما رأيتهما قبل ولا بعد » .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٥) آل عمران : ١٢٤ . .

(٦) المرجع السابق : ٢٥٦ ، و (مغازي الواقدي) : ١ / ٣١٩ - ٣٢٠ ، باب ما نزل من القرآن بأُحد .

وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾[1] ، فصدق الله وعده وأراهم الفتح ، فلما عصوا الرسول أعقبهم البلاء .

وقال ابن هشام : مسوَّمين : معلَّمين ، بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن [البصري][2] أنه قال : أُعلموا أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض[3] .

وذكر يونس بن بكير عن عبد الله بن عون عن عمير بن إسحق قال : لما كان يوم أحد انكشفوا عن رسول الله ﷺ ، وسعد يرمي بين يديه ، وفتى ينبل له ، كلما ذَهَبَتْ نبله أتاه بها قال : ارم أبا إسحق ، فلما فرغوا نظروا من الشاب فلم يروه ولم يعرف .

ورواه الواقدي عن عبيدة بنت نائل عن عائشة بنت سعد عن أبيها سعد بن أبي وقاص قال : لقد رأيتني أرمي بالسهم يومئذ فيرده عليّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بَعُد فظننت أنه ملك[4] .

وقال الواقدي : حدثني الزبير بن سعيد عن عبد الله العضل قال : أعطى رسول الله ﷺ مصعب بن عمير اللواء ، فقيل : فأخذه ملك في صورة مصعب ، فجعل رسول الله ﷺ يقول لمصعب في آخر النهار : يا مصعب ، فالتفت إليه الملك فقال : لست بمصعب ، فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أيّد به[5] . [وسمعت أبا معشر يقول مثل ذلك][6] .

وحدثني عبد الملك بن سليم عن قَطَن بن وَهْبٍ عن عبيد بن عمير قال : لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا ويقولون : لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر ، قال عبيد بن عمير : ولم تقاتل الملائكة يوم أحد[7] .

---

(١) آل عمران : ١٥٢ .
(٢) زيادة للسياق من ابن هشام .
(٣) (سيرة ابن هشام) : ٤ / ٥٨ .
(٤) (مغازي الواقدي) : ١ / ٢٣٤ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من المرجع السابق .
(٧) المرجع السابق : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

وحدثني ابن أبي سبرة عن عبد الحميد بن سهيل ، عن عمر بن الحكم قال : لم يمد رسول الله ﷺ يوم أُحد بملك واحد ، وإنما كانوا يوم بدر[1] .

وحدثني ابن خديج عن عمرو بن دينار عن عكرمة مثله[2] .

وحدثني معمر بن راشد عن أبي لحيحٍ عن مجاهد قال : حضرت الملائكة يومئذٍ ولم تقاتل[3] .

وحدثني سفيان بن[4] سعيد عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد قال : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر[5] .

وحدثني ابن أبي سبرة عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قد وعدهم الله أن يمدهم لو صبروا ، فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكة يومئذٍ[7] .

وحدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض ، عن جدته – وهي مولاة جويرية – [قالت][8] : سمعت جويرية بنت الحارث تقول : أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع ، فأسمع أبي يقول : أتانا ما لا قبل لنا به ، قالت : فكنت أرى من [الخيل والناس][9] [والسلاح][10] ما لا أصف من الكثرة ، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ ورجعنا ، جعلت أنظُر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى ، [فعرفت][11] أنه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين ، [فكان رجل منهم][12] قد أسلم فحسن إسلامه يقول : لقد كنا نرى رجالاً بيضاً على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد[13] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) في (خ) : « ابن أبي سعيد » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق .
(٦) في (خ) : « الليث » .
(٧) (مغازي الواقدي) : ١ / ٢٣٥ .
(٨) في (خ) : « قال » .
(٩) في المرجع السابق : « من الناس والخيل » .
(١٠) زيادة من (خ) .
(١١) في المرجع السابق : « فعلمت » .
(١٢) في (خ) : « وكان منهم » .
(١٣) (مغازي الواقدي) : ٤٠٧/١ ، ٤٠٨ .

وقال ابن إسحاق : حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أنه حدَّث : أن مالك بن عوف بعث عيوناً [من رجاله][1] ، فأتوه وقد تقطعت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : أتانا رجال بيض[2] على خيل بُلق ، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فما رده[3] ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد[4] يعني في يوم حنين .

وخرج بقي بن مخلد من حديث النضر بن شميل قال : أخبرنا عوف عن عبد الرحمن مولى أم برثن صاحب السقاية – سقاية المربد – قال : حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وصحابة رسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة[5] أن كشفناهم ، قال : فبينما نحن نسوقهم في آثارهم فإذ صاحب البغلة البيضاء ، قال : فتلقَّانا عنده رجال بيض الوجوه وقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، قال : فانهزمنا من قولهم ، وركبوا أجيادنا فكانت إياها[6] .

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحق قال : حدثني والدي إسحق بن يسار عن من حدثه عن جبير بن مطعم قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون ، إذ نظرت إلى مثل البجاد[7] الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا

---

(١) تصويب من (ابن هشام) . (٢) في المرجع السابق : «رأينا رجالاً بيضاً » .

(٣) في المرجع السابق : « فوالله ما ردّه » .

(٤) (سيرة ابن هشام) : ٥ / ١٠٧ ، عيون مالك بن عوف ونزول الملائكة ، وهي رواية ابن إسحاق .
وقال الواقدي : وبعث مالك بن عوف رجالاً من هوازن ينظرون إلى محمد وأصحابه – ثلاث نفر – وأمرهم أن يتفرقوا في العسكر ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ما شأنكم ؟ ويلكم ! قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ، ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ! وقالوا له : ما نقاتل أهل الأرض ، إن نقاتل إلا أهل السموات – وإن أفئدة عيونه تخفق ، وإن أطعتنا رجعت بقومك ، فإن الناس إن رأوا مثل ما رأينا أصابهم مثل الذي أصابنا .
قال : أفٍ لكم ! بل أنتم قوم أجبن أهل العسكر ، فحبسهم عنده فَرَقاً أن يشيع ذلك الرعب في العسكر ، وقال : دلوني على رجل شجاع ، فأجمعوا له على رجل ، فخرج ، ثم رجع إليه وقد أصابه نحو ما أصاب من قبله منهم .
فقال : ما رأيت ؟ قال : رأيت رجالاً بيضاً علي خليل بُلق ، ما يطاق النظر إليهم ؛ فوالله ما تماسكتُ أن أصابني ما ترى، فلم يُثنه ذلك عن وجهه ، (مغازي الواقدي) : ٣ / ٨٩٢ – ٨٩٣ .

(٥) كناية عن الزمن اليسير ، وهو ما يساوي زمن حلب الشاة .

(٦) ونحوه في (المرجع السابق) : ٣ / ٩٠٦ . (٧) البجاد يعني الكساء من النمل مبثوثاً .

وبين القوم ، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة[1] .

وقال الواقدي[2] : حدثني عبد الله بن علي عن سعيد بن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن جده قال : لما تراءينا نحن والقوم ، رأينا سواداً لم نر مثله قط كثرة ، وإنما ذلك السواد نَعَم ، فحملوا النساء عليه ، قال : فأقبل مثله الظُّلَّة السوداء من السماء حتى أظلت علينا وعليهم وسترت الأفق ، فنظرت فإذا وادي حنين يسيل بالنمل - نمل أسود مبثوث - لم أشك أنه نصر أيدنا الله به فهزمهم الله عزَّ وجلَّ .

وحدثني ابن أبي سبرة ، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن شيوخ من قومه من الأنصار قال : رأينا يومئذ كالبُجُد[3] الأسود هَوَتْ من السماء ركاماً[4] ، فنظرنا فإذا نمل مبثوث ، فإن كنا لننفضه عن ثيابنا ، فكان نصر أيدنا الله به[5] .

وكان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم ، وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يوم حنين ، فكان يزيد بن عامر السوائيُ يحدث وكان حضر يومئذ فسُئِل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة يرمي بها في الطست فيطن ، فقال : كنا نجد في أجوافنا مثل[6] هذا .

وكان مالك بن أوس بن الحدثان يقول : حدثني عدَّة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون : لقد رمى رسول الله ﷺ بتلك الكف من الحصا ، فما منا أحد إلا يشكو القذى في عينه ، وقد كنا نجد في صدورنا خفقاناً كوقع الحصا في

---

(١) وقريب منه في (سيرة ابن هشام) : ٥ / ١١٧ - ١١٨ .
(٢) (المغازي) : ٣ / ٩٠٥ .
(٣) البُجُد : جمع البجاد ، وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب .
(٤) الركام : السحاب المتراكم ، وفي التنزيل : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً ﴾ [٤٣ : النور] .
(٥) (مغازي الواقدي) : ٣ / ٩٠٥ .
(٦) المرجع السابق) : ٣ / ٩٠٥ - ٩٠٦ .
(٧) في المرجع السابق .

الطساس ، ما يهدأ ذلك الخفقان عنا ، ولقد رأينا يومئذ رجالاً بيضاً على خيل بلق ، عليهم عمائم حمر ، أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض ، كتائب كتائب ، ما يلقون شيئاً ، وما نستطيع أن نتأملهم من الرعب[1] [منهم] .

* * *

(١) (المرجع السابق) : ٣ / ٩٠٦ ، وما بين الحاصرتين زيادة منه .

وأما أنه خاتم الأنبياء

فقد قال الله تعالى : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[1] ، قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : ﴿ خاتم النبيين ﴾[1] : الذي ختم النبوة فطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿ وخاتم النبيين ﴾[1] ، فقرأ ذلك الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين ، بمعنى أنه ختم النبيين ، ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ، ولكنَّ نبياً ختم النبيين ، فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء ، بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء ﷺ . وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم ﴿ وخاتم النبيين ﴾ بفتح التاء ، بمعنى أنه آخر النبيين ، كما قرأ ﴿ مختوم ختامه مسك ﴾ بمعنى آخره مسك ، من قرأ ذلك كذلك[2] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً – وقال البخاري : بيتاً – فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وُضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين ، ولم يذكر البخاري قوله : من زواياه[3] .

ولمسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد[4] عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه

---

(١) الأحزاب : ٤٠ ، وتمامها ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

(٢) (تفسير الطبري) : ١٢ / ١٦ ، تفسير سورة الأحزاب .

(٣) ذكرهُ البخاري في كتاب المناقب ، باب (١٨) خاتم النبيين ، حديث رقم (٣٥٣٥) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، حديث رقم (٢٢) .

(٤) في (خ) : « النهاد » .

وأجمله ، فجعل الناس يطيفون به ويقولون : ما رأينا بنياناً أحسن من هذا[1] ، إلا هذه اللبنة ، فكنت أنا تلك اللبنة[2] .

وله من حديث عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها ، قال : وقال أبو القاسم ﷺ : ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها [وأجملها][3] وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس [يطوفون][4] ويعجبهم البنيان فيقولون : ألا وَضَعْتَ هاهنا لبنة فيتم [بنيانك][5] ؟ فقال محمد ﷺ : فكنت أنا اللبنة[6] .

وخرج البخاري[7] ومسلم[8] من حديث سليم بن حيان قال : حدثنا سعيد ابن مينا عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها – وقال البخاري فأكملها وأحسنها – إلا موضع لبنة ،

---

(١) في (خ) : « هذه » .

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم (٢٠) .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٤) في (خ) : « يطيفون » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٥) في (خ) : « بناؤك » .

(٦) (صحيح مسلم) : كتاب الفضائل ، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، حديث رقم (٢١) ، وفيه فضيلته ﷺ ، وأنه خاتم النبيين ، وجواز ضرب الأمثال في العلم وغيره ، واللبنة ، بفتح اللام وكسر الباء – ويجوز إسكان الباء مع فتح اللام وكسرها ، كما في نظائرها ، والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٥٦ – ٥٧ .

(٧) (صحيح البخاري) : كتاب المناقب ، باب (١٨) خاتم النبيين ، حديث رقم (٣٥٣٤) ، قال الحافظ في (الفتح) : أي أن المراد بالخاتم في أسمائه أنه ﷺ خاتم النبيين ، ولمح بما وقع في القرآن ، وأشار إلى ما أخرجه في التاريخ من حديث العرباض بن سارية يرفعه : « إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » ، الحديث ، وأخرجه أيضاً أحمد وصححه ابن حبان والحاكم ، فأورد فيه حديثي أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما ، ومعناهما واحد ، وسياق أبي هريرة أتم ، ووقع في آخر حديث جابر عند الإسماعيلي من طريق عفان عن سليم بن حيان : « فأنا موضع اللبنة ، جئتُ فختمتُ الأنبياء » ، وفي الحديث : ضرب الأمثال للتقريب للأفهام ، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين ، وأن الله تعالى ختم به المرسلين ، وأكمل به شرائع الدين . (فتح الباري) : ٦ / ٦٩٤ .

(٨) (صحيح مسلم) : كتاب الفضائل ، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، حديث رقم (٢٣) .

فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة ، قال رسول الله ﷺ : فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمتُ الأنبياء . انتهى حديث البخاري عند قوله : إلا موضع اللبنة . وترجم عليه وعلى حديث إسماعيل بن جعفر : باب خاتم الأنبياء .

و [خرج] الإمام أحمد من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال : مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ! فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة[1] .

ولمسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : خُتم بي النبيون . وله من حديث حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي[2] . انفرد بإخراجه مسلم .

وله من حديث محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[3] .

وخرج البخاري من حديث شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد[4] عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً رضي الله عنه فقال :

---

(١) (مسند أحمد) : ٦ / ١٦٤ ، حديث الطفيل بن أُبيّ بن كعب عن أبيه رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٢٠٧٣٧) .

(٢) (جامع الأصول) : ١٠ / ٣٦ - ٣٧ ، حديث رقم (٧٤٩٦)، ١١ / ٣١٦ ، حديث رقم (٨٨٧٩) .

(٣) (صحيح مسلم) : كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤) من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (٣٠) .

(٤) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه .

أتخلفني في النساء والصبيان ؟ قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي[1] ؟.

وخرجه مسلم وأبو داود مثله سواءاً . وفي لفظٍ لمسلم : خلف رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب في غزاة تبوك فقال : يا رسول الله ! أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[2] ؟. وخرجه النسائي بإسناده ومتنه[3] . وفي لفظٍ لمسلم والترمذي[4] والنسائي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟

* * *

(١) (صحيح البخاري) : كتاب المغازي ، باب (٧٩) غزوة تبوك ، وهي غزوة العُسْرة ، حديث رقم (٤٤١٦) ، وقال في آخره : « وقال أبو داود : حدثنا شعبة عن الحكم ، سمعتُ مصعباً » ، قال الحافظ في (الفتح) : أراد بيان التصريح بالسماع في رواية الحكم عن مصعب ، وطريق أبي داود هذه وصلها أبو نعيم في (المستخرج) ، والبيهقي في (الدلائل) من طريقه . (فتح الباري) : ٨ / ١٤١ .

(٢) (صحيح مسلم) : كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤) من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حديث رقم (٣١) .

(٣) يشهد له ما قبله .

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (٣٧٣٢) ، وهو حديث صحيح بشواهده ، منها الذي قبله .

وأما أن أمته خير الأمم

قال الله جل ذكره : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[١] .

خرج الحاكم من حديث سفيان عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة في قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[١] ، تجروهم بالسلاسل فتدخلونهم الإسلام . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[٢] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة[٢] ، [وشهدوا بدراً والحديبية][٣] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من فعل فعلهم كان مثلهم ، وقيل : هم أمة محمد ﷺ ؛ يعني الصالحين منهم وأهل الفضل ، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة .

وقال مجاهد[٣] : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[١] على الشرائط المذكورة في الآية ، وقيل معناه : كنتم في اللوح المحفوظ ، وقيل : كنتم مذ أنتم خير أمة ، وقيل : جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبي ﷺ وأمته ، فالمعنى : كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة .

وقال الأخفش[٣] : أي خير أهل دين ، وقيل : خلقتم ووجدتم خير أمة ، وقيل : أنتم خير أمة ، وقيل : كنتم للناس خير أمة .

وقيل : ﴿ **كنتم خير أمة** ﴾[١] إذا أنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

---

(١) آل عمران : ١١٠ ، (صحيح البخاري) : كتاب التفسير ، باب (٣) حديث رقم (٤٥٥٧) .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٣٢٣ ، كتاب التفسير ، باب (٣) تفسير سورة آل عمران ، حديث رقم (٣١٦٠ / ٢٧٧) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في (التخليص) : على شرط مسلم .

(٣) (فتح البيان) : ٢ / ١١٤ .

وقيل : إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى ، وقيل : هذا لأصحاب النبي ﷺ كما قال ﷺ : خير الناس قرني : أي الذين بُعث فيهم .

وقال الحافظ أبو نعيم : ومن إكرام الله تعالى [لنبيه][1] ﷺ ، أن فضل أمته على سائر الأمم ، كما فضله على سائر الأنبياء ، وكما أنه فاتح نبيه ﷺ بالعطية قبل المسألة ، كذلك أعطى أمته أفضل العطية قبل المسألة إعظاماً له وإكراماً .

وخرج الحاكم من طريق عبد الرزاق [عن] معمر عن بُهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ ، قال : أنتم متمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[2] .

ومن حديث يزيد بن هارون [عن] سعيد بن إياس الجريري عن حكيم بن معاوية عن أمية قال : قال رسول الله ﷺ : أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم أكرمهم على الله وأفضلهم[3] .

وخرج أبو نعيم من حديث محمد بن يوسف الفريابي قال : حدثنا سفيان الثوري عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن عمرو بن عبسة قال : سألت النبي ﷺ عن قوله : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾[4] ، ما كان النداء[5] ؟ وما كانت

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) (المستدرك) : ٥ / ٦٢٣ ، حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، حديث رقم (١٩٥٢٥) ، ولفظه : « ألا إنكم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله عزَّ وجلَّ » .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (١٩٦٤٥) ، ولفظه : « إنكم وفّيتم سبعين أمة ، أنتم آخرها وأكرمها على الله عزَّ وجلَّ » . وما بين الحاصرتين في هذا الحديث والذي قبله غير واضح في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) القصص : ٤٦ ، وتمامها : ﴿ **ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون** ﴾ .

(٥) قال الطبري : ﴿ **إذ نادينا** ﴾ بأن : ﴿ **سأكتبها للذين يتقون** ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، وعن أبي هريرة : أنه نودي من السماء حينئذ : يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني ، وغفرت لكم قبل أن تسألوني ، فحينئذ قال موسى عليه السلام : اللهم اجعلني من أمة محمد ، فالمعنى : إذ نادينا بأمرك ، وأخبرنا بنبوتك ، (البحر المحيط) : ٨ / ٣١٠ .

الرحمة[1] ؟ قال : كتاب كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام ، وستمائة عام على وزن عرشه ، ثم نادى : يا أمة محمد ، سبقت رحمتي غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ، فمن لقيني منهم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة[2] .

وله من حديث أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد الواقدي ، قال : حدثنا سفيان ابن عيينة عن منصور عن ربعي عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : في قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾[3] ، قال : نودوا يا أمة محمد ، ما دعوتمونا إذ استجبنا لكم ، ولا سألتمونا إذ أعطيناكم[4] .

ومن حديث حمزة الزيات عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير عن أبي هريرة في قوله : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، قال : نودي يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم

---

(١) ﴿ **رحمةً** ﴾ بالنصب ، فَقُدِّر : ولكن جعلناك رحمة ، وقد أعلمناك ونبأناك رحمة . وقرأ عيسى وأبو حيوة : ﴿ **رحمةٌ** ﴾ بالرفع ، وقدر : ولكن هو رحمة ، أو هو رحمة ، أو أنت رحمة ﴿ **لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك** ﴾ : أي في زمن الفترة بينك وبين عيسى عليه السلام ، وهو خمسمائة وخمسون عاماً ونحوه . (المرجع السابق) .

(٢) أخرج الفريابي ، والنسائيُّ ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وصححه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي معاً في (الدلائل) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، قال : نودوا يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني . وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً . وأخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن عساكر عنه من وجه آخر بنحوه ، (فتح القدير) : ٤ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) القصص : ٤٦ .

(٤) أخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن حذيفة في قوله : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ مرفوعاً قال : نودوا : يا أمة محمد ما دعوتمونا إذ استجبنا لكم ، ولا سألتمونا إذ أعطيناكم . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً : « إن الله نادى : يا أمة محم أجيبوا ربكم قال : فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم إلى يوم القيامة ، فقالوا : لبيك أنت ربنا حقاً ، ونحن عبيدك حقاً ، وقال صدقتم أنا ربكم وأنتم عبيدي حقاً ، قد عفوت عنكم قبل أن تدعوني ، وأعطيتكم قبل أن تسألوني ، فمن لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة . (المرجع السابق) ، (تفسير ابن كثير) : ٣ / ٤٠٢ .

قبل أن تدعوني[1] .

وله من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا جبارة بن المغَلِّس ، حدثنا الربيع بن النعمان عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها ، فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال : يا ربي ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون[2] فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال يارب إني أجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يا رب ، إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يارب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونه[3] ظاهراً ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أمد ، [قال يارب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتي، قال تلك أمة أحمد][4]، قال: يارب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يارب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة [واحدة][4] ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال يارب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بسيئة و لم يعملها لم تكتبْ ، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة ؛ فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يارب إني أجد في الألواح أمة يُؤْتَوْن العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون [قرون الضلالة][4] المسيح الدجال ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ،

---

(١) أخرجه ابن مردويه ، وأبو نعيم في (الدلائل) ، وأبو نصر السجزي في (الإبانة) ، والديلمي في (مسند الفردوس) [٧٤٠٢] ، عن عمرو بن عبسة قال : سألت النبي ﷺ عن قول الله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، ما كان النداء ؟ وما كانت الرحمة ؟ قال : كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام ، ثم وضعه على عرشه ، ثم نادى : يا أمة محمد ، سبقت رحمتي غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إلّه إلا الله ، وأن محمداً عبدي ورسولي صادقاً أدخلته الجنة . (المرجع السابق) .

(٢) أي يأتون آخر الأمم في الترتيب التاريخي في الدنيا ، ويكونون في مقدمة الأمم في دخول الجنة يوم القيامة .

(٣) في (خ) : « يقرأونه » .

(٤) مابين الحاصرتين زيادة للسياق من أبي نعيم .

قال : يارب فاجعلني من أمة أحمد ، فأعطى عند ذلك خصلتين ؛ فقال : ﴿ **يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين** ﴾[1] ، قال : قد رضيت يارب .

قال أبو نعيم : وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل ، لا أعلم أحداً رواه مرفوعاً إلا من هذ الوجه ، تفرَّد به الربيع بن نعمان ، وبغيره من الأحاديث عن سهيل ، وفيه لين[2] .

[وخرَّج البيهقي من حديث سلام بن مسكين ، عن مقاتل بن حيَّان قال : وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبي ﷺ وما أوحي إليه في الزبور : يا داود ، إنه سيأتي من بعدك نبي يسمى : أحمَدَ ومحمداً ، صادقاً سيداً ، لا أغضب عليه أبداً، ولا يغضبني أبداً، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيتُ الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتون يوم القيامة نورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أني افترضتُ عليهم أن يتطهروا لِي لكل صلاة ، كما افترضتُ على الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرتُ الرسل قبلهم][3] .

[يا داود ، فإني فضَّلتُ محمداً وأمته على الأمم كلها : أعطيتهم ستة خصال لم أعطها غيرهم من الأمم : لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إذا استغفروني منه غفرته لهم ، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة ، ولهم في المدخور عندي أضعافاً مضاعفة وأفضل من

---

(١) الأعراف : ١٤٤ .

(٢) هذا الحديث تفرد به أبو نعيم ، وفيه جبارة بن المغلّس ، قال عنه ابن حجر في (التقريب) : ضعيف ، وقال عنه الدارقطني : متروك ، وقال البخاري : حديثه مضطرب ، وقال عنه ابن معين : كذاب ، ترجمته في : (ميزان الاعتدال) ، (تهذيب التهذيب) . والحديث ذكره أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ٦٨ - ٦٩ ، حديث رقم (٣١) .

(٣) ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) : ١ / ٣٨٠ ، وابن كثير في (البداية والنهاية) عن البيهقي أيضاً .

ذلك ، وأعطيتهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا : ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم ، فإن دعوني استجبت لهم ، فإما أن يروه عاجلاً ، وإما أن أصرف عنهم سوءاً ، وإما أن أدّخره لهم في الآخرة][1] .

[يا داود ، من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي صادقاً بها فهو معي في جنتي وكرامتي . ومن لقيني وقد كذَّب محمداً ، وكذَّب بما جاء به ، واستهزأ بكتابي صببتُ عليه في قبره العذاب صباً ، وضربتْ الملائكةُ وجْهَهُ ودُبُرَهُ عند منشره من قبره ، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار][1] .

وذكر من حديث شيبان عن قتادة قال : حدثنا رجال من أهل العلم أن موسى عليه السلام لما أخذ الألواح قال : يارب ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة – الآخرون في الخلق ، السابقون في دخول الجنة – فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ... وذكره بطوله .

وله من حديث سفيان بن الحرث بن مضر عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صفتي أحمد المتوكل ، مولده مكة ، ومهاجره طيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، يجزي بالحسنة الحسنة ، ولا يكافيء بالسيئة ، وأمته الحمادون ، يأتزرون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم في صدورهم ، يُصَفّون للصلاة كما يُصفّون للقتال ، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار .

وله من حديث شريك عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح عن كعب أنه قال : محمد ﷺ في التوراة مكتوب : محمد المختار ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون ، يوضئون أطرافهم ، ويأتزرون على أوساطهم ، يصلون الصلاة لوقتها

---

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) : ١ / ٣٨١ ، وابن كثير في (البداية والنهاية) عن البيهقي إيضاً .

ولو على رأس كناسة ، لهم دوي بالقرآن حول العرش كدوي النحل ، مولده مكة ، ومهاجره بالمدينة ، وملكه بالشام .

وذكر أبو نعيم حديث كعب من طرق باختلاف ألفاظ وزيادة ونقصان .

وله من حديث موسى بن عقبة قال : أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار أنه سمع رجلاً يقول : رأيت في المنام كأن الناس جمعوا للحساب ، فدعى الأنبياء فجاء مع كل نبي أمته ، ورأى لكل نبي نورين ، ولكل من اتبعه نوراً يمشي به ، فدعى محمد ﷺ فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نوراً ، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما ، فقال كعب وهو لا يشعر أنها رؤيا : من حدثك هذا ؟ فإني أنا والله الذي لا إلٰه إلا هو رأيت هذا في المنام ، فقال : بالله الذي لا إلٰه إلا هو رأيت هذا في منامك ؟ قال : نعم ، قال : والذي نفس كعب بيده إنها لصفة محمد ﷺ وأمته ، وصفة الأنبياء وأممها في كتاب الله ، لكأنما قرأه من التوراة .

وذكر الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال : حدثني البكالي قال : كان عمرو البكالي إذا افتتح موعظة قال : ألا تحمدون ربكم الذي حضر غيبتكم ، وأخذ سهمكم ، وجعل وفادة القوم لكم ، وذلك أن موسى عليه السلام وفد ببني إسرائيل فقال الله لهم : إني قد جعلت لكم الأرض مسجداً حيث ما صليتم منها تقبلتُ صلاتكم إلا في ثلاثة مواطن ؛ من صلى فيهن لم أقبل صلاته : المقبرة ، والحمام ، والمرحاض ، قالو : لا إلا في كنيسة ، قال : وجعلت لكم التراب طهوراً إذا لم تجدوا الماء ، قالوا : لا إلا بالماء ، قال : وجعلت لكم حيث ما صلى الرجل مكان وجده تقبلت صلاته ، قالوا : لا إلا في جماعة .

* * *

وأما ذكره في كتب الأنبياء وصحفهم وإخبار العلماء بظهوره حتى كانت الأمم تنتظر بعثته

فقد قال الله جل ذكره : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[1] ؛ فقوله : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي** ﴾ ، يخرج اليهود والنصارى من عموم قوله : ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون** ﴾ ، ويخصها بأمة محمد ﷺ . قاله ابن عباس وسعيد بن جبير . وقوله : ﴿ **الذي يجدونه** ﴾ ، أي يجدون نعته أو اسمه أو صفته ، مكتوباً عندهم . وقوله : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾ ، قال عطاء : يأمرهم بالمعروف بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام ، ﴿ **وينهاهم عن المنكر** ﴾ ، عبادة الأصنام وقطع الأرحام ، ﴿ **ويحل لهم الطيبات** ﴾ ، وهو ما كانت العرب تستطيبه ، وقيل : هي الشحوم التي حرمت على بني إسرائيل ، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، ﴿ **ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ ، وهو ما كانت العرب تستخبثه ، وما كانوا يستحلون من الميتة والدم ولحم الخنزير ، ﴿ **ويضع عنهم إصرهم** ﴾ ، الإصر الثقل ، قاله قتادة ومجاهد وسعيد ابن جبير ، والإصر : العهد ، قاله ابن عباس والضحاك والحسن ، فجمعت الآية المعنيين ؛ فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال ، فوضع بمحمد ﷺ ذلك العهد ، وثقل تلك الأعمال من تحريم السبت والشحوم والعروق ، والتشديد في البول ، ومجانبة الحائض في كل حال ، وتحريق الغنائم بالنار .

وقال الزجاج : ذكر الأغلال تمثيل ؛ فقد كان عليهم أن لا يُقبل في القتل دية ، ولا يعمل في يوم السبت عمل ، وأن لا تقبل توبتهم إلا بقتل أنفسهم ... إلى غير ذلك .

---

(١) ١٥٧ : الأعراف .

وقد ذُكر ﷺ في عدة مواضع من التوراة باسمه وصفته على ما سَيَرِدُ إن شاء الله . وذكرت صفته في الإنجيل في فصل (الفارقليط) من إنجيل يوحنا[1] ، هذا مع ما لحق الكتابين من التحريف والتبديل ، فبقي ذكره ﷺ فيهما من قبيل المعجزة ، لأن اجتهاد أمتين عظيمتين على إزالة ذكره من كتابين لطيفي الحجم ثم لا يستطيعون ذلك معجزة لاشك فيه ، وتعجيز إلٰهي لا ريب فيه .

حدَّث سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب قال : أوحى الله تعالى إلى أشعياء[2] أن قم من قومك ، أوحِ على لسانك ، فقام أشعياءُ خطيباً ، فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي ، فحمد الله وسبحه وقدسه وهلله ، ثم قال : يا سماء اسمعي ، ويا أرض أنصتي ، ويا جبال أوبي ، فإن الله يريد أن [يفُضَّ][3] شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطفاهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، فذكر معاتبة الله إياهم ، ثم قال : وزعموا أنهم[4] لو شاءوا أن يطلعوا على الغيب [بما][5] توحي إليهم الشياطين والكهنة اطلعوا ، وكلهم مستخف بالذي يقول ويُسرُّه ، وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يبدون وما يكتمون ، وأني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاءاً أثبته ، وحتماً حتمتُه على نفسي ، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً ، لابد أنه واقع . فإن صدَّقوا بما ينتحلون من علم الغيب [فليخبروك][6] متى هذه [المدة][7] ، وفي أي زمان تكون ، [وإن][8] كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون [فليأتوا][9] بمثل هذه القدرة التي بها أمضيتُه ، فإن كانوا يقدرون على أن يؤلفوا ما يشاءون [فيؤلفوا][9] مثل هذه الحكمة التي بها أدبِّر مثل ذلك القضاء إن كانوا صادقين ، وإني قضيت يوم خلقتُ السموات

---

(١) لعله في نسخة لم تمتد إليها يد التحريف ، حيث لم أجد ذلك في النسخة التي عندي ، وهي المترجمة من اللغة اليونانية .

(٢) أشعياء : أحد أنبياء بني إسرائيل .

(٣) (في دلائل أبي نعيم) : « يفضّ » ، وفي (خ): « يقصّ » .

(٤) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « إن شاءوا » .

(٥) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق . « لما » .

(٦) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « فيخبرونك » .

(٧) في المرجع السابق : « العدَّة » .

(٨) في المرجع السابق : « فإن » .

(٩) في المرجع السابق : « فلْيؤلفوا » .

والأرض أن أجعل النبوة في غيرهم ، وأن أحول الملك عنهم ، وأجعله في الرعاء ، والعز في الأذلاء ، والقوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والكثرة في الأقلاء ، والمدائن في الفلوات ، والآجام [والمفاوز][1] في الغيطان ، والعلم في الجهلة ، [والحكمة][2] في الأميين ، فسلهم متى هذا ، ومن القائم بهذا[3] ، وعلى يدي من أثبته ، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ؟[4] .

وزاد وهب بن منبه في روايته[5] فإني [سأبعث][6]لذلك نبياً أمياً ، أعمى من عميان ، ضالاً من ضالين ، أفتح به آذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وأعيناً عمياً ، مولده بمكة ، ومهاجره بطيبة ، وملكه بالشام ، عبدي المتوكل ، المصطفى المرفوع ، الحبيب المتحبب المختار . لا يجزي [بالسيئة][7] السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، بالمؤمنين رحيم[8] ، يبكي للبهيمة المثقلة ، ويبكي لليتيم في حجر الأرملة ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، لا يتزيىء بالفحش ، ولا قوال بالخنا[9] ، أسدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى زاد ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ،

---

(١) في (خ) : « والمعادن » . (٢) في (خ) : « والحكم » .

(٣) في (خ) : « على هذا » .

(٤) هذا الحديث لم أجده غير عند أبي نعيم ، وسعيد بن بشير أربعة كلهم ضعفاء ، وهم : [١] سعيد ابن بشير الأزدي ، ويقال : البصري ، مولاهم أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو سلمة من البصرة ، ويقال : من واسط .[٢] سعيد بن بشير الأنصاري النجاري أو البخاري . [٣]سعيد بن بشير القرشيّ . [٤] سعيد بن بشير صاحب قتادة . ترجمتهم في : (المغني في الضعفاء) : ١ / ٢٥٦ ، (الضعفاء المتروكين) : ١ / ٣١٤ ، ٣١٥ ، (الضعفاء الكبير) : ٢ / ١٠٠ ، ١٠١ ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ١٠ ، (الكامل في ضعفاء الرجال) : ٣ / ٣٦٩ ، ٣٩٠ ، (لسان الميزان) : ٣ / ٣٠ ، (المجروحين) : ١ / ٣١٨ ، ٣١٩ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٤٦٠ ، ولعل في بعض أسمائهم تشابه ، والله تعالى أعلم .

(٥) [الآجام في الصحاري ، والبراري في المفاوز والغيطان] ، هذه الزيادة من (دلائل أبي نعيم) .

(٦) في المرجع السابق : « مُبتعث » .

(٧) زيادة للسياق من (خ) .

(٨) في (دلائل أبي نعيم) : « رحيماً بالمؤمنين » .

(٩) الخنا : الفاحش من القول ، وفي (الخصائص) بعد قوله : « بالخنا » : [لو يمر إلى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو مشى على القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشراً ونذيراً] .

والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأُسمِّي به بعد النكْرة ، وأكثر به القلَّة ، وأغنى به بعد العيله ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأُؤلِّف به بين قلوبٍ وأهواءَ مُتشتته ، وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أُخرجت للناس ، آمراً[1] بالمعروف وناهياً[2] عن المنكر ، وتوحيداً بي[3] ، وإيماناً بي ، وإخلاصاً وتصديقاً لما جاءت به رسلي ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب والأرواح والوجوه[4] التي أخلصت إلي[5] الهمم ، أُلهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ، ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم . يصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي ، هم أوليائي وأنصاري ، أنتقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان ، يصلون لي قياماً وقعوداً وركعاً وسجداً[6] ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً ، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً ، أختم بكتابهم الكتب ، وبشريعتهم الشرائع ، وبدينهم الأديان ، فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ، ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني ، وهو مني بريء ، وأجعلهم أفضل الأمم ، وأجعلهم أمة وسطاً ، [ليكونوا][7] شهداء على الناس ، إذا غضبوا هللوني ، وإذا قبضوا كبروني ، وإذا تنازعوا سبحوني ، يطهرون الوجوه والأطراف ، ويشدون الثياب إلى الأنصاف ، ويكبرون ويهللون على التلال والأشراف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهباناً بالليل ليوثاً بالنهار ، ينادي مناديهم في جو السماء ، لهم دوي كدوي النحل ، طوبى لمن كان منهم وعلى دينهم ومنهاجهم وشريعتهم ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم[8] .

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : أمراً . (٢) في (المرجع السابق) : ونهياً .
(٣) في (المرجع السابق) : « بي » في الموضعين ، وما أثبتناه من (خ) ، فهو أجود للسياق .
(٤) في (دلائل أبي نعيم) : « الوجوه والأرواح » .
(٥) في (المرجع السابق) : « لي » ، وفي (خ)« إلى الهمم » ، « ألهمتهم » .
(٦) كذا في (خ) ، وفي (الخصائص) ، لكن في (المرجع السابق) : « وركوعاًوسجوداً » .
(٧) زيادة من المرجع السابق . (٨) هذا الحديث أخرجه ابن أبي حاتم وأبو نعيم ، عن وهب بن منبه ، وفيه عبد المنعم بن إدريس القصاص المشهور ، قال الذهبي : ليس يعتمد عليه ، وقال أحمد بن حنبل : كان يكذب على وهب بن منبه ، وقال ابن حبان : يضع الحديث على أبيه وعلى غيره ، (أنظر ميزان =

وفي رواية : ولا صخاب في الأسواق ، ولو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشراً ونذيراً ، وأستنقذ به قياماً من الناس عظماء من الهلكة ، أجعل في أهلِ بيته وذريته السابقين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وأمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، أُعِزُّ من نصرهم ، وأؤيد من دعا إليهم ، أجعل دائرة السوء على من خالفهم وبغى عليهم ، وأراد أن ينزع شيئاً مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم ، أختم بهم الخير الذي بدأتُ به أوَّلهم ، ذلك فضلي أُوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم .

وقال عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بخت نصَّر عليهم ، وفرقتهم وذلتهم تفرقوا ، وكانوا يجدون محمداً رسول الله ﷺ في كتابهم ، وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية ، في قرية ذات نخل ، ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يميزون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن ، يجدون نعتها نعت يثرب ، فينزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعونه ، حتى نزل من بني هارون من حمل التوراة بيثرب منهم طائفة ، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد ﷺ أنه [آت][1] ، ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء ، فأدركه من أدركه من أبنائهم وكفروا به وهم يعرفونه .

وقال محمد بن إسحق : حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد[2] عن سلمة بن سلامة[3] قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، فخرج علينا يوماً من بيته[– وذلك قبل مبعث النبي ﷺ

= الاعتدال) : ٢ / ٦٦٨ ، ترجمة رقم (٥٢٧٠) .

وفيه أيضاً إدريس بن سنان ، وقد ضعفه ابن عدي ، وقال عنه الدارقطني : متروك .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) [أخي بني عبد الأشهل] ، زيادة من رواية ابن إسحاق .

(٣) [ابن وقش ، وكان سلمة من أصحاب بدر] ، زيادة من رواية ابن إسحاق .

بيسير -][1] حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً، عليَّ بردة لي مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة، والحساب والميزان، والجنة والنار، قال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا: ويحك وتكون داراً فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي أحلف به، ولودَّ أن حظه من تلك النار أعظم تنور في [هذه][1] الدار، يحمونه ثم يدخلونه إياه [فيطبقونه][2] عليه، [ثم][3] ينجو من تلك النار غداً، [قالوا][4] ويحك. وما آية ذلك؟ قال: نبي [يبعث][5] من هذه البلاد - وأشار بيده نحو مكة واليمن - قالوا: [فمتى][6] تراه؟ [فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي][7] وأنا أحدث القوم سناً فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يُدركْه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله نبيه ﷺ، وهو حيّ بين أظهرنا فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: [ويلك][8] يا فلان، ألستَ الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به. وذكر الواقدي أن اليهودي اسمه يوشع[9].

وقال الخرائطي[10]: حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثنا حازم بن عقال ابن حبيب بن المنذر بن أبي الحصن بن السموأل بن عاديا قال: حدثني جامع بن حيران ابن جميع بن عثمان بن سماك بن أبي الحصن بن السموأل بن عاديا قال: لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة، اجتمع إليه قومه من غسان فقال: إنه حضر من أمر الله ما ترى، وقد كنا نأمرك في شبابك أن تتزوج فتأبى، وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين، وليس لك ولد غير مالك، فقال: لن يهلك هالك،

---

(١) زيادة للسياق من (خ). (٢) رواية ابن إسحاق: « فيطينونه ».
(٣) رواية ابن إسحاق: « بأن ينجو ».
(٤) رواية ابن إسحاق: « فقالوا له: ويحك يا فلان، فما .. ».
(٥) رواية ابن إسحاق: « نبي مبعوث من نحو هذه البلاد .. ».
(٦) رواية ابن إسحاق: « ومتى ».
(٧) كذا في (خ)، وفي رواية ابن إسحاق: « قال فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً ».
(٨) في رواية ابن إسحاق: « ويحك » (٩) (سيرة ابن هشام): ٢ / ٣٨.
(١٠) في (خ): « الخوائطي »، والخبر بتمامه وزيادة في (البداية والنهاية): ٢ / ٤٠٤ - ٤٠٥.

ترك مثل مالك ، إن الذي يُخرج النار من [الورسة][1] ، قادر [على][2] أن يجعل لمالك نسلاً ، ورجالاً بسلاً ، وكل إلى موت ، ثم أقبل على مالك وقال : أي بني ، المنيّة ولا الدنيّة ، العقاب ولا العتاب ، التجلدد ولا التلدد ، القبر خير من الفقر ، ومن قَلَّ ذلّ ، ومن كرم الكريم الدفع عن الحريم ، الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، إنه ليس ينفلت منها ملك متوج ، ولا لئيم معلج ، سلم ليومك ، حياك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدتُ السبايا يومَ آلِ محرِّق	وأدركُ عمري صيحة الله في الحجرِ
فلم أَرَ ذَا مُلكٍ من الناس واحداً	ولا سوقه إلا إلى الموت والقبرِ
فعلّ الذي أردى ثموداً وجرهما	سيعقب لي نسلاً على آخر الدهرِ
يقربهم من آل عمرو بن عامرٍ	عيون لدى الداعي إلى طلب الوترِ
فإن تكن الأيام أبلين جِدَّتي	وَشَيَّبْنَ رأسي والمشيب مع العمرِ
فإن لنا فاعلاً فوق عرشه	عليماً بما نأتي من الخير والشرِّ
ألم يأت قومي أن لله دعوة	يفوز بها أهل السعادة والبِشْر
إذا بُعث المبعوث من آل غالب[3]	بمكه فيما بين زمزم[4] والحجْرِ
هنالك فابغوا نُصْرةً ببلادكم	بني عامرٍ إن السعادة في النَّصْرِ

ثم قضى من ساعته .

وقال ابن اسحق : حدثني صالح بن إبراهيم [بن عبد الرحمن بن عوف][5] ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن [سعد][6] بن زرارة قال : حدثني من [شئت] من رجال قومي عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال : والله إني

(١) في (خ) : « الوسة » ، لعل الصواب ما أثبتناه ، فهو يخدم المعنى ، لأن « الورسة » من وَرَسَ النبتُ رءوساً : اخضَرَّ . (لسان العرب) : ٦ / ٢٥٤ ، قال محققه : وهذا من أبلغ الإعجاز ، حيث تخرج النار من الورسة ، وهذا ما لا يستطيعه إلا اللطيف الخبير جلَّ وعلا .

(٢) زيادة في السياق .

(٣) إشارة إلى النبي محمد ﷺ .

(٤) في (البداية والنهاية) : « بين مكة والحجر » .

(٥) زيادة في النسب من رواية ابن إسحاق (٢) في (خ) : « أسعد » .

(٦) في (خ) : « تثبت » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

[لغلام][1] [يفعه][2] ابن [سبع سنين أو ثمان][3] ، أعقل [كل][4] ما سمعتُ ، إذا سمعت يهودياً يصرخ [بأعلى صوته][4] على أطمة بيثرب : يا معشر يهود ! فلما اجتمعوا إليه[5] وقالوا له : ويلك ، مالك ؟ قال : طلع الليلة نجمُ أحمد الذي ولد به . وفي رواية : طلع الليلة نجم أحمد نبي هذه الأمة الذي ولد به[6] .

وفي رواية الواقدي : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد . وفيه قصة . وفي رواية له : قال : لما صاح اليهودي من فوق الأطم : هذا كوكب أحمد قد طلع ، وهو لا يطلع إلا بالنبوة ؛ قال : وكان أبو قيس من بني عدي بن النجار قد ترهَّب ولبس المسوح ، فقالوا : يا أبا قيس ! أُنظر ما يقول هذا اليهودي ، قال : فانتظاري الذي صنع بي هذا ، فأنا أنتظره حتى أصدقه وأتبعه .

وقال ابن اسحق : عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدثت عن صفية بنت حُيي أنها قالت : كنتُ أَحَبُّ وَلَدِ أبي[7] إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع [ولدٍ لهما][8] إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة [ونزل][9] قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي حُيَي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب [مغلّين][10] ، قالت : فلم يرجعا حتى [كانا][11] مع غروب الشمس فأتيا

---

(١) في (خ) : « غلام » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(٢) في (خ) : « يومئذ » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(٣) في (خ) : « ابن ثمان سنين أو سبع » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(٤) زيادة للسياق من المرجع السابق.

(٥) في المرجع السابق : « حتى إذا اجتمعوا إليه » .

(٦) قال ابن إسحاق «فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت : ابنُ كمْ كان حسان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله ﷺ المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقدمها رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين » (سيرة ابن هشام) ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٧) في (خ) : « والداي » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(٨) في (خ) : « ولدهما » .

(٩) في (خ) : « فنزل في قباء » .

(١٠) في (خ) : « مغلبين » .

(١١) في (خ) : « كان » .

كالّين كسلانين [ساقطين][1] ، يمشيان الهوينا ، قالت : فمشيت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفتَ إليَّ واحد منهما مع مابهما من الهم[2] ، قالت : وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيَيّ بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله قال[3] : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال[3] : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت [أبداً][4] .

قال ابن إسحق : وكان من حديث مخيريق وكان حَبْراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه [وغلب عليه إلف دينه][5] ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أُحد – وكان يوم أُحد يوم السبت – قال : يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت [لكم][5] ، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأُحُد ، وعهد إلى مَن وراءَه مِن قومه : إن قتلت هذا اليوم [فأموالي][6] لمحمد ﷺ يصنع [فيها][7] ما أراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل ، فكان رسول الله ﷺ – فيما بلغني[8] – يقول : مخيريق خير يهود ، وقبض رسول الله ﷺ أمواله فعامةُ صدقاتِ رسول [الله][9] ﷺ بالمدينة فيها .

وقال يونس بن بكير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في قوله : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾[9] : ذكر قصة المعراج وما أعطي الأنبياء ، فقال له ربُّه : قد

---

(١) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق .
(٢) في ابن إسحاق : « الفمّ » .
(٣) في (خ) : « قالت » .
(٤) زيادة من (خ) ، والأثر في (سيرة بن هشام) : ٣ / ٥٢ .
(٥) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق .
(٦) في (خ) : « فمالي » .
(٧) في (خ) : « فيه » .
(٨) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق .
(٩) سقط في (خ) ، وأثبتناه من رواية ابن إسحاق . (سيرة ابن هشام) : ٣ / ٥١ – ٥٢ .
(٩) أول سورة الإسراء .

اتخذتك خليلاً فهو في التوراة مكتوب : محمد حبيب الرحمن ، وأرسلتك إلى الناس كافة ، وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خُطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً ، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً ، وشرحت صدرك ، ورفعت ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك أمة وسطاً ، وأرسلتك رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأنزلت عليك الفرقان فيه تبيان كل شيء ، فقال إبراهيم عليه السلام للأنبياء : بهذا فضلكم محمد ﷺ .

وقال داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال سموأل اليهودي لتبع – وهو يومئذ أضلهم – : أيها الملك ، إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي مولده مكة ، واسمه أحمد ، وهذه دار هجرته .

وقال عكرمة عن ابن عباس ، قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر ، يجدون صفة رسول الله ﷺ عندهم قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة ، فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة ، هذا الكوكب قد طلع ، فلما تنبأ قالوا : قد تنبأ أحمد ، كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه .

وقال عاصم بن عمرو بن قتادة عن نملة بن أبي نملة عن أبيه أبي نملة قال : كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ، ويعلمون الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلى المدينة ، فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوا ، وبغوا ، وأنكروا .

وقال عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : سمعت أبي مالك بن سنان يقول : جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم – ونحن يومئذ في هدنة من الحرب – فسمعتُ يوشع اليهودي يقول : أظلَّ خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم ، فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي – كالمستهزىء به – : ما صفته ؟ قال : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حمرة ، يلبس الشملة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه ، وهذا البلد مهاجره ، قال : فرجعت إلى قومي بني خدرة . وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟

كل يهود يثرب تقول هذا . قال أبي مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبي ﷺ ، فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره ، ولم يبق أحدٌ إلا أحمد ، وهذا مهاجره . قال أبو سعيد : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلم كلهم ، إنما هم له تبع .

وقال عاصم بن عمرو بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد بن مسلمة قال : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له يوشع فسمعته يقول : وإني لغلام في إزار قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ، ثم أشار بيده إلى بيت الله ، فمن أدركه فليصدقه ، فَبُعِثَ رسول الله ﷺ فأسلمنا وهو بين أظهرنا ، ولم يسلم حسداً وبغياً .

وعن عبد الله بن سلام قال: ما تمت سبع حتى صدق بالنبي ﷺ أحمد لما كان يهود يثرب يخبرونه ، وأن تبع مات مسلماً . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه : كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي ﷺ ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نُبِّيء ، وأنه لا نبي بعده ، اسمه أحمد ، مهاجره إلى يثرب ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزلها أنكروه وحسدوا وبغوا .

وعن زياد بن لبيد أنه كان على أطم من آطام المدينة فسمع : يا أهل يثرب !! — ففزع عنا وفزع الناس — : قد ذهبت والله نبوة بني إسرائيل ، هذا نجم طلع بمولد أحمد ، وهو نبي آخر الأنبياء ، ومهاجره إلى يثرب .

وقال داود بن الحصين ، عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن عن الحرث بن خزمة قال : كان يهود المدينة ويهود خيبر ويهود فدك يخبرون بصفة النبي ﷺ ، وأنه خارج [من نحو هذاالبيت][1] ، وأن مهاجره إلى يثرب واسمه أحمد ، وأنه يقتلهم قتل الذَّر حتى يدخلهم في دينهٍ ، وأنه ينزل عليه كتاب الله كما نزل على موسى التوراة ، ويخبرون بصفته ، فلما نزل النبي ﷺ المدينة أنكروه وحسدوه .

---

(١) زيادة للسياق .

وقال مسلم بن يسار عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد ﷺ منه - يعني من بني عامر - كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ، ويخبرونه بصفة رسول الله ، وأنَّ هذه دار هجرته ، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى ، فأخبروه بصفة النبي ﷺ ، وأن مهاجره يثرب .

فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا على دين الحنفية ، فأقام مترهباً لبس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام ، وأنه ينتظر خروج النبي ، فلما ظهر رسول الله ﷺ بمكة لم يخرج إليه ، وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسد وبغى ونافق ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ! بم بُعثت ؟ فقال : بالحنفية ، فقال : أنت تخلطها بغيرها ، فقال النبي ﷺ : أتيتُ بها بيضاء ، أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟ فقال : لست بالذي وصفوا ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، فقال : ما كذبت ، فقال رسول الله ﷺ : الكاذب أمانة الله وحيداً طريداً ، قال : آمين ، ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم ، وترك ما كان عليه[1] .

وذكر محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة قال : هل تدري علام كان إسلام ثعلبة بن سعية ، وأُسيد بن سعية[2] ، وأسد بن

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣ / ١٢٨ .

(٢) قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني ، عن ابن إسحاق - وهو أحد رواه المغازي - عنه : أُسيد بن سعية بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق - وهو قول الواقدي وغيره - : أَسيد بفتحها ، قال الدارقطني : وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق .

وبنو سعية هؤلاء ، فيهم أنزل الله عزَّ وجلّ : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين** ﴾ [١١٣ - ١١٥ : آل عمران] ، وسعية أبوهم يقال له : ابن العريض ، وهو بالسين المهملة ، والياء المنقوطة باثنتين .

وأما سُعْنة بالنون ، فزيد بن سُعْنه ، حبر من أحبار اليهود ، كان قد داين النبي ﷺ ، فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تقضيني يا محمد ؟! فإنكم يا بني عبد المطلب مُطّل ، وما أردت إلا =

عبيد ، نفر من بني [هدل][1] ، [أو هُذيل ، أتوا بني قريظة ، فكانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الإسلام ، قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلاً من يهود أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيِّبان][2] ، قدم علينا قُبيل الإسلام [بسنوات][3] فحل بين أظهرنا [قال لي :][4] والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا ، فكنا إذا أقحطنا[5] قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسق ، فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ، فيقولون[6] : كم ؟ فيقول : صاع[6] من تمر أو مدان[6] من شعير [عن كل إنسان حي][7] ، قال : فنخرجها ، فيخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمرّ [السحاب الشراج سائله][8] ونسقي [به][9] ، فعل[10] ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث[11] ، قال : ثم حضرته الوفاة [عندنا][12] ، فلما عرف أنه ميت قال : أيا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض الجوع والبؤس ؟ قال : قلنا : إنك[13] أعلم ، قال : فأني قدمت هذا[14] البلد

أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه في فلك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا لرسول الله يا عدوّ الله ؟! فقال له رسول الله ﷺ : أنا إلى غير هذا منك أحوك يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحُسن التِّبِعة ، قُم فاقضه عني ، فوالله ما حلَّ الأجل ، وزده عشرين صاعاً بما روعته .

وفي حديث آخر أنه قال : دعه ، فإن لصاحب الحق مقالاً ، ويُذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة وصف النبي ﷺ لما كان عنده في التوراة ، وكان يجده موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم ، وتوفي غازياً مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك . ويقال في اسمه : سعْية بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(1) في (خ) : « وهل » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(2) في (خ) : السياق مضطرب فيما بين الحاصرتين ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق ، والهَيّبان : من المسمين بالصفات ، يقال : قطن هَيِّبان : أي منتفش ، والهيبان : أيضاً الجبان .

(3) في رواية ابن إسحاق : « بسنين » .

(4) زيادة من رواية ابن إسحاق .

(5) في رواية ابن إسحاق : « فكنا إذا قحط عنا المطر » .

(6) في رواية ابن إسحاق : « فنقول » ، « صاعاً » ، « مُدَّيْن » .

(7) ما بين الحاصرتين ليس في رواية ابن إسحاق .

(8) ما بين الحاصرتين ليست في رواية ابن إسحاق .

(9) زيادة من (خ) .

(10) في رواية ابن إسحاق : « قد فعل » .

(11) في (خ) : « ثلاثاً » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق ، وهو حق اللغة .

(12) زيادة من رواية ابن إسحاق .

(13) في (خ) : « الله أعلم » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(14) في رواية ابن إسحاق : « هذه البلدة » .

أتوَكف[1] خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسْبَقُنَّ[2] إليه يا معاشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة ، قال : هؤلاء الفتية – كانوا شباباً أحداثاً – : يا بني قريظة ، والله إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم [وأهليهم][3] .

وقال ابن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ منهم[4] ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية – ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب – فكانوا يقولون : إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظلّ زمانه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله من قريش واتَّبعناه كفروا به ، يقول الله تعالى : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **عذاب مهين** ﴾[5] .

وعن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، قد كنتم تستفتحون علينا بمحمد وإنا أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم : ما هو بالذي كنا نذكر لكم ، ما جاءنا بشيء نعرفه ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿ **ولما**

---

(١) التوكف : التوقع والانتظار ، وفي حديث ابن عمير : أهل القبور يتوكفون الأخبار ، أي ينتظرونها ويسألون عنها . وفي التهذيب : أي يتوقعونها ، فإذا مات الميت سألوه : ما فعل فلان وما فعل فلان ؟ يُقال : هو يتوكف الخبر أي يتوقعه ، ونقول : ما زلتُ أتوكفه حتى لقيته . (لسان العرب) : ٩ / ٣٦٤ .

(٢) في (خ) : « يسبقنكم » .

(٣) في (خ) « وأهاليهم » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحق فهي أجود ، وبها جاء التنزيل : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ [٦ : التحريم] (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٣٩ – ٤٠ وهامشهما ، وفي آخر هذا الأثر قال ابن إسحاق : (فهذا ما بلغنا من أخبار يهود) .

(٤) في رواية ابن إسحاق : « عن رجال من قومه » .

(٥) هذا الأثر مختصر من رواية ابن إسحاق ، (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٣٧ .

جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾[1] .

وقال عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه : كانت يهود [بني][2] قريظة و [بني][2] النضير من قبل مبعث محمد ﷺ يستفتحون – يدعون – على الذين كفروا يقولون : اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي ألا تنصرنا عليهم فيُنصرون ، فلما جاءهم ما عرفوا – يريد محمداً ﷺ ولم يشكوا فيه – وكانوا يتمنونه ويقولون لجميع العرب : هذا محمد قد أظلنا ، هذا أوان مجيئه ، والله لنقتلنكم معه قتل عاد وإرم ، وكان الناس من لدن اليمن إلى الشام وجميع الدنيا قد عظموا شأن قريظة والنضير لخصال كثيرة : أنهم أهل كتاب وأحبار ورهبان وربانيون ، لكثرة الأموال التي كانت لهم ، ولأنهم كانوا من ولد هارون عليه السلام ، وكان الناس يرغبون إليهم ، ويسألونهم عن الدين ، وكانوا إذا استنصروا على أحد من العرب استنصروا بالنبي ﷺ ، ويذكرونه بالجميل .

عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان يهود أهل المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة يستفتحون عليهم ، يستنصرون يدعون عليهم باسم نبي الله فيقولون : اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك ، وبكتابك الذي تنزل عليه ، وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان ، وكانوا يرجون أن يكون منهم ، فكانوا إذا قالوا ذلك نُصروا على عدوهم .

وعن قتادة قال : كانت اليهود تستفتح بمحمد على كفار العرب يقولون : اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم ، فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ كفروا به حين رأوه بعث من غيرهم ، حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله .

وعن ابن أبي نجيح عن علي البارقيّ في قوله تعالى : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ ، أن اليهود كانوا يقولون : اللهم ابعث هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس ، يستفتحون ويستكثرون على الناس .

---

(١) ٨٩ : البقرة .

(٢) زيادة للسياق والبيان .

وقال قتادة عن كعب الأحبار : كان سبب استنقاذ بني إسرائيل من أرض بابل ، رؤيا بختنصر ، فإنه رأى رؤيا فزع منها ، فدعا كهنته وسحرته فأخبرهم بما أصابه من الكرب في رؤياه ، وسألهم أن يعبروها له ، فقالوا : قُصَّها علينا ، قال : قد نسيتها ! فأخبروني بتأويلها ، قالوا : فإنا لا نقدر حتى تقصها علينا ، فغضب وقال : اخترتكم واصطفيتكم لمثل هذا ، أذهبوا فقد أجلتكم ثلاثة أيام ، فإن أتيتموني بتأويلها وإلا قتلتكم ! وشاع ذلك في الناس ، فبلغ دنيال وهو محبوس ، فقال لصاحب السجن وهو إليه محسن : هل لك أن تذكرني للملك ؟ فإن عندي [تأويل][1] رؤياه ، وإني أرجو أن تنال عنده بذلك منزلة ، ويكون سبب عافيتي ، قال له صاحب السجن : إني أخاف عليك سطوة الملك ، لعل غم السجن حملك على أن تتروح بما ليس عندك فيه علم ، مع أني أظن إن كان أحد عنده في هذه الرؤيا علم فأنت هو ، قال دانيال : لا تخف عليّ فإن لي رباً يخبرني بما شئت من حاجتي ، فانطلق صاحب السجن فأخبر بختنصَّر بذلك ، فدعا دانيال فأُدخل عليه – وكان لا يدخل عليه أحد إلا سجد – فوقف دانيال فلم يسجد ، فقال الملك لمن في البيت : اخرجوا ، فخرجوا ، فقال بختنصَّر لدانيال : ما منعك أن تسجد لي ؟ قال دانيال : إن لي رباً آتاني هذا العلم الذي سمعت به على أن لا أسجد لغيره ، فخشيت أن أسجد لك فينسلخ عني هذا العلم ، ثم أصير في يدك أمياً لا يُنتفع بي فتقتلني ، فرأيت ترك سجدة أهون من القتل ، وخطر سجدة أهون من الكرب والبلاءالذي أنت فيه ، فتركت السجود نظراً إلى ذلك ، فقال بختنصَّر : لم يكن قط أوثق في نفسي منك حين وفيت لإلهك ، أعجب الرجال عندي الذين يوفون لأربابهم العهود ، فهل عندك علم بهذه الرؤيا التي رأيت ، قال نعم عندي علمها وتفسيرها ، رأيتَ صنماً عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضة ، وسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينا أنت تنظر إليه قد أَعْجَبَكَ حُسْنُهُ وإحكام صنعته ، قذفه الله بحجر من

---

(١) زيادة للسياق .

السماء فوقع في قبة رابية فدقه حتى طحنه ، فاختلط ذهبه وفضته ، ونحاسه وحديده وفخاره ، حتى تخيل إليك أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك ، ولو هبت ريح لأذرته ، ونظرتَ إلى الحجر الذي قذف به يربو ويعظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها ، فصرت لا ترى إلا السماء والحجر ، قال له بختنصَّر : صدقتَ ! هذه الرؤيا التي رأيتُ ، فما تأويلها ؟ قال دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة في أوَّل الزمان وفي أوسطه وفي آخره ، وأما الذهب فهذا الزمان وهذه الأمة التي أنت فيها وأنت ملكها ، وأما الفضة فابنك يملكها من بعدك ، وأما النحاس فإنه الروم ، وأما الحديد ففارس ، وأما الفخار فأُمتان يملكهما من بعدك امرأتان : إحداهما في مشرق اليمن والأخرى في غربي الشام ، وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الأمم في آخر الزمان ليُظْهره عليها ، فيبعث الله نبياً أمياً من العرب فيدوّخ الله به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوَّخ أصناف الصنم ، ويظهره على الأديان والأمم ، كما رأيت الحجر ظهر على الأرض وانتشر فيها حتى يملأها ، فيمحص الله به الحق ويزهق الباطل ، ويهدي [به][1] أهل الضلالة ، يعلم به الأميين ، ويقوي به الضعيف ويعزّ به الأذلاء ، وينصر به المستضعفين . قال بختنصَّر : ما أعلم أحداً استعنت منذ وليت الملك على شيء غلبني غيرك ، ولا أحد له عندي يداً أعظم من يدك ، وأنا جازيك بإحسانك ..وذكر القصة .

ورويت هذه القصة أيضاً عن وهب بن منبه ، وقال ابن إسحق : كان فيما بلغني عما وَضَعَ عيسى ابن مريم عليه السلام فيما جاءه من الله تعالى لأهل الإنجيل في الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ[2] : اللهم[3] من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتكم[4] صنائع ما كانت لكم[5] خطيئة ، ولكن [من][6] الآن بَطِروا وظنوا أنهم يعزونني ولكن لابد أن تتم الكلمة[7] التي في الناموس أنهم

---

(١) زيادة للسياق ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٨٣ - ٨٥ ، حديث رقم (٤٤) تفرد به أبو نعيم .

(٢) [مما أثبت يُحَنَّس الحواري لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم أنه قال : من أبغضني ...] ما بين الحاصرتين تكملة من رواية ابن إسحاق .

(٣) زيادة في (خ) .

(٤) في رواية ابن إسحاق : « بحضرتهم لم يصنعها أحد قبلي ما كانت .. » .

(٥) « لهم »

(٦) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق . في (خ) : « المملكة » .

(٧) في (خ) : « فجاءوا » .

أبغضوني [مجّاناً][2] ، أي باطلاً ، فلو قد جاء المُنْحمنّا [هذا][1] الذي أرسله الله إليكم من عند الرب وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج[3] ، فهو شهيد[4] عليّ وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معي [في][1] هذا قُلتُ لكم كي لا تشكوا . قالوا : والمُنْحَمَنّا بالسريانية محمد ، وهو بالرومية الْبرقْليطِس[5] ، ﷺ .

قال ابن إسحق : وقد ذكر لي بعض أهل العلم ، أنه وجد عند حَبْرٍ من أحبار يهود عهداً من كتاب إبراهيم خليل الرحمن فيه : (مود مود) ، فقلت له : أنشدك بالله ما هذان الحرفان ؟ قال : اللهم عمِّر من ذكر محمد . وحدثني علي بن نافع الجُرشيُّ قال : قرأت في بيت مجرش كتاباً كتبه الحبشة حين ظهروا على اليمن - وكانوا نصارى أهل كتاب - : مصلحاً محمداً رشيداً أمماً . وقال زياد : سيد الأمم .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن سعيد الثقفي ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عثمان بن سهل بن حنيف ، وعبد الملك بن عيسى الثقفي ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلي بن كعب الثقفي ، ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم ، كل قد حدثني من هذا الحديث طائفة ؛ قال : قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك أنهم لما دخلوا على المقوقس قال لهم : كيف خلصتم إلَيَّ ومحمد وأصحابه بيني وبينكم ؟ قالوا : لصقنا بالبحر وقد خضناه على ذلك ، قال : فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه ؟ قالوا : ما تبعه منا رجل واحد ، قال : ولم ذاك ؟ قالوا : جاءنا بدين مجدد لا يدين به الآباء ولا يدين به الملك ، ونحن على ما كان عليه آباؤنا ، قال : فكيف صنع قومه ؟ قالوا : تبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه من قومه وغيرهم من العرب في مواطن : مرة تكون عليهم الدبرة ، ومرة تكون له .

قال : ألا تحدثونني وتصدقونني ؟ إلى ماذا يدعو ؟ قالوا : يدعو إلى أن يُعبد الله وحده لا شريك له ، ونخلع ما كان يعبد الآباء ، ويدعو إلى الصلاة والزكاة ، قال : وما الصلاة والزكاة ؟ ألهما وقت يعرف وعدد ينتهى إليه ؟ قال : يصلون

---

(1) زيادة للسياق . (2) في (خ): « فجاءوا » . (3) في (خ) : « يخرج » .

(4) في (خ) : « وهو يشهد » .

(5) في (خ) : « البلقليطس » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٦٣ - ٦٤ ، باب صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل .

في اليوم والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت ، وعدد قد سموه له ، ويؤدون من كل ما بلغ عشرين مثقالاً نصف دينار ، وكل إبل بلغت خمساً شاة ، قال : ثم أخبروه بصدقة الأموال كلها .

قال : أفرأيتم إذا أخذها أين يضعها ؟ قال : يردها على فقرائهم ، ويأمر بصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزّنا والرّبا والخمر ، ولا يأكل ما ذبح لغير الله . قال : هو نبي مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم تبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى ابن مريم ، وهذا الذي تصفون منه بعثت به الأنبياء من قبله ، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد فيظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر ومقطع النحور ، ويوشك قومه أن يدافعونه بالراح .

قال : فقلنا لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا ، قال : فأخفض رأسه وقال : أنتم في اللعب !؟ قال : كيف نسبه في قومه ؟ قلنا : هو أوسطهم نسباً ، قال : كذلك والمسيح ، الأنبياء تبعث في نسب قومها ، قال : فكيف صدق حديثه ؟ قال : قلنا : ما يسمى إلا الأمين من صدقه ، قال : انظروا في أمركم ، أترونه يصدق فيما بينكم وبينه ويكذب على الله ؟ .

قال : فمن اتبعه ؟ قلنا : الأحداث ، قال : هم والمسيح أتباع الأنبياء قبله ، قال : فما فعلت يهود يثرب ، فهم أهل التوراة ؟ قلنا : خالفوه فأوقع بهم وسباهم وتفرقوا في كل وجه ، قال : هم قوم حُسَّدٌ حسدوه ، أما إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف .

قال المغيرة : فقمنا من عنده وقد سمعنا كلاماً ذلّلَنا لمحمد ﷺ وخضعنا وقلنا : ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بُعد أرحامهم منه ، ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا ؟ .

قال المغيرة : فرجعت إلى منزلنا فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها ، وسألت أساقفتها من قبطها وورومها عما يجدون من صفة محمد ﷺ .

وكان أسقف من القبط هو رأس الكنيسة ، أبى [يحسر][1] كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم ، لم أر أحداً إلا يصلي الصلوات الخمس أشدَّ اجتهاداً منه ، فقلت : أخبرني هل بقي أحد من الأنبياء ؟ قال : نعم ، وهو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى ابن مريم أحد ، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبي الأمي العربي ، اسمه أحمد .

ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حمرة ، ليس بالأبيض ولا بالأدم ، يعفي شعره ويلبس ما غلظ من الثياب ، ويجتزىء بما لقى من الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يبالي بمن لاقى ، يباشر القتال بنفسه ، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم ، هم له أشد حباً من أولادهم وآبائهم ، يخرج من أرض القرظ ، ومن حرم يأتي وإلى حرم يهاجر إلى أرض سباخ ونخل ، يدين بدين إبراهيم عليه السلام .

قال المغيرة بن شعبة : زدني في صفته ، قال : يأتزر على وسطه ، يغسل أطرافه ، ويخص بما لا يخص به الأنبياء قبله ، كان النبي يبعث إلى قومه وبعث إلى الناس كافة ، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى ، ومن كان قبله مُشدَّداً عليهم ؛ لا يصلون إلا في الكنائس والبيع ، قال المغيرة : فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره وما سمعت من ذلك .

فذكر الواقدي[2] حديثاً طويلاً في رجوعه من عند المقوقس ومجيئه إلى النبي ﷺ وقال : فأسلمت ثم أخبرته ﷺ عن مخرجنا من الطائف وقدومنا الأسكندرية ، وأخبرته بما قال الملك وما قال الأساقفة الذي كنت أسائلهم وأسمع منهم ومن رؤساء القبط والروم فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وأحب أن يُسمعه أصحابه ، فكنت أحدثهم ذلك في اليومين والثلاثة .

وخرج الحسن بن سفيان من حديث ملازم بن عمرو ، حدثنا عبد الله بن بدر عن قيس بن طلق عن أبيه قال : خرجنا وفد إلى النبي ﷺ فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا واستوهبناه من فضل طهوره ، فدعا بماء فتوضأ منه

---

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) (المغازي) : ٣ / ٩٦٤ - ٩٦٥ .

رمضمض منه وصبَّ لنا في إداوة ثم قال : إذهبوا بهذا الماء ، فإذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعكم وانضحوا مكانها من هذا الماء ، واتخذوا مكانها مسجداً ، قلنا : إن البلد [بعيد][1] والحر شديد والماء ينشف ، قال : فأمدّوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيباً ، قال : فخرجنا وتشاححنا على حمل الإداوة أينا يحملها ؟ فجعلها نبي الله ﷺ بيننا نُوَباً ؛ على كل رجل يوماً وليلة ، فخرجنا حتى قدمنا بلدنا ، ففعلنا الذي أمرنا به النبي ﷺ – وراهبُنا يومئذ من طيء – فأذَّنا، فقال الراهب لما سمع الأذان: دعوة حق ، ثم استقبل تلعة من تلاعنا[2] ثم هرب فلم يُر بعد[3] .

وللطبراني من حديث يحيى بن عبد الحميد قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم بن كليب قال : حدثني أبي قال : أخبرني الفلتان بن عاصم قال : كنا قعوداً مع رسول الله ﷺ في المسجد فشخص بصره إلى رجل يمشي في المسجد فقال : أفلان ، قال : لبيك يا رسول الله – ولا ينادي الكلام إلا قال برسول الله – فقال له النبي ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا ! قال : أتقرأ في التوراة ؟ قال : نعم ، قال : والإنجيل ؟ قال : نعم ، قال : والقرآن ؟ قال : لا ، قال : والذي نفسي بيده لو تشاء لقرأته ، قال : ثم ناشده : هل تجدني في التوراة والإنجيل ؟ فقال : سأحدثك مثَلك ومثَل هيئتك ومخرجك ، وكنا نرجوا أن تكون منّا ، فلما خرجت تخوفنا أن تكون هو أنت ، فنظرنا فإذا ليس هو أنت ! قال : فلم ذاك ، قال : إن معه من أمته سبعين ألفاً ليس عليهم حساب ولا عذاب ، وإنما معك نفر يسير ، قال : فوالذي نفسي بيده لأنا هو ، إنهم لأمتي ، وإنهم لأكثر من سبعين ألفاً ، وقد بشر برسول الله ﷺ كعب بن لؤي بن غالب كما ستراه في أخباره .

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن جدعان عن سعيد بن المسيب قال : بينما العباس في زمزم إذ جاء كعب الأحبار فقال له العباس : ما منعك أن تُسْلم في عهد النبي ﷺ وأبي بكر حتى أسلمت الآن في عهد عمر رضي الله عنهم ؟

---

(١) في (خ) : « ببعد » .

(٢) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، فهي من أسماء الأضداد .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٩٠ – ٩١ ، حديث رقم (٤٧) قال في (الخصائص): ١ / ٢١٧ : أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن سعد ، والبيهقي ، وأخرجه أيضاً النسائي في كتاب المساجد من طريق رجاله ثقات .

فقال : إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إليّ وقال : اعمل بهذا واتبعه ، وأخذ علي حق الوالد على الولد أن لا أُفضَّ هذا الخاتم ، وختم على سائر كتبه ، فلما رأيت الإسلام قد ظهر ولم أر إلا خيراً قالت لي نفسي : لعل أباك غيب عليك علماً ، ففضضت هذا الخاتم فإذا فيه صفة محمد ﷺ وأمته ، فجئت الآن وأسلمت . وقد تقدم في ذكر حلم رسول الله ﷺ وصفحه ، حديث إسلام زيد بن سعنة ، وفيه : قال زيد : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد سوى آيتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً .

وخرَّج ابن حبان من حديث أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد[1] قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : قال لي حبر من أحبار الشام : قد خرج نبي في بلدك أو هو خارِج قد خرج نجمه ، فارجع فصدِّقه واتَّبِعْهُ وآمن به .

ولأبي نعيم من حديث سلمة بن كهيل عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، عن دحية الكلبي قال : بعثني النبي ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب ، فاستأذنت فقلت : استأذنوا لرسول رسول الله ، فأتى قيصر فقيل : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله ، ففزعوا لذلك وقال : أُدخلوه ، فدخلت عليه وعنده بطارقته ، فأعطيته الكتاب فقُرىء عليه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط الشعر فقال : لا يُقرأ الكتاب اليوم ، لأنه بدأ بنفسه ، وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال : فقُرىء الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم قيصر فخرجوا من عنده ثم بعث إليّ فدخلتُ إليه فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه وكان صاحب أمرهم يصدرون عن قوله ورأيه ، فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذي بشرنا به عيسى وموسى الذي كنا ننتظره ، قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقف : أما أنا فإني مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : إني أعرف أنه كذلك ، ولكن

---

(١) مرويات أسامة بن زيد في (صحيح ابن حبان) (١٦) حديثاً ليس من بينها هذا الحديث – ر : (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٨ / ٩٧ (فهرس الرواة) .

لا استطيع أن أفعل ، فإن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم[1] .

وله من حديث العلاء بن الفضل بن أبي سوية بن خليفة قال : حدثني أبي عن جده أبي سوية بن خليفة – وكان خليفة مسلماً – قال : سألت محمد بن عدي ابن ربيعة بن سوادة بن حبتم بن سعد فقلت كيف سماك أبوك محمداً ؟ فضحك ثم قال : أخبرني – أي عدي بنَ ربيعة – قال : خرجت أنا وسفيان بن مجاشع ويزيد ابن ربيعة وأسامة بن مسكة نريد ابن جَفْنَة ، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير فقلنا : لو اغتسلنا وادهنا ولبسنا ثيابنا من قشف السفر ، فجعلنا نتحدث فأشرف علينا دَيْراني[2] من قائم له فقال : إني أسمع بلغة قوم ليس بلغة أهل هذه البلاد ، قلنا : نحن قوم من مُضَر ، قال : من أي المضريين ؟ قلنا : من خِنْدف[3] ، قال : إنه سيبعث وشيكاً نبي منكم فخذوا نصيبكم منه تسعدوا ، قلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد .

فأتينا ابن جَفْنَة فقضينا حاجتنا ثم انصرفنا ، فولد لكل رجل منا ابن فسماه محمداً يدور على ذلك الاسم[4] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠١ – ١٠٢ ، حديث رقم (٥٣) ، وقال الحافظ في (الفتح) : « وأخرجه ابن إسحاق مرسلاً عن بعض أهل العلم » ، (سيرة ابن هشام) : ٦ / ١٤ ، هامش (١) ، (٢) ، (مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة) : ٣٥ – ٣٧ ، (المصباح المضّي) : ٢ / ٦٨ – ٧١ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٦١ ترجمة دحية الكلبي رقم (٧٠١) .

(٢) الديرانّي : صاحب الدير ، أو المقيم فيه ، نسبة إلى الدَّيْر ، على غير قياس .

(٣) خندف : هي ليلى بنت حُلوان بن عمران ، زوجة إلياس بن مضر والد مُدركة ، قال مجد الدين الفيروزآبادي في (القاموس المحيط) : ٢ / ١١٥ : خرج إلياس في نجعة فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها ابنه عمرو فأدركها ، وخرج عامر – ابنه الثاني – فتصيدها وطبخها ، وانقمع عمير . ابنه الثالث في الخباء ، وخرجت أمهم – تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فقالت : مازلت أخندف في أثركم ، فلقبوا : مدركة ، وطابخة ، وقمعة ، وخندف .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٩٣ – ٩٤ ، حديث رقم (٤٩) ، والحديث أخرجه البيهقي والطبراني ، والخرائطي في (الهواتف) – ر : (الخصائص) : ١ / ٥٧ ، وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : رواه البغوي وابن سعد ، وابن شاهين ، وابن السكن وغيرهم . وقال في (الإصابة) : هو من طريق العلاء بن الفضل بن أبي سويَّة المنقري ، حدثني أبو الفضل بن عبد الملك ، عن أبيه عبد الملك بن أبي سوية ، عن أبيه أبي سوية ، عن أبيه خليفة بن عبدة . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٣٢ : رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم .

وسيأتي في التعريف لعبد المطلب ذكر اليهودي الذي نظر في أنفه وقال له : أُرى في إحدى يديك مُلكاً وفي أنفك نبوة ، وذكر وفادته على سيف بن ذي يزن وإخباره إياه أنه يولد له ولد اسمه محمد ، وبشَّر بنبوته .

قال أبو بكر بن عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده قال : سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال : بينما أنا نائم في الحِجْر إذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قريش فقلت : إني رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء ، وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً .

ورأيت العرب والعجم ساجدين لها ، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تختفي وساعة تزهر .

ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنوا منها أخَّرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها .

فانتبهت مذعوراً فزعاً ، فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقتْ رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، يدين له الناس ، فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث ، والنبي ﷺ قد خرج ، ويقول : كانت الشجرة أبا القاسم الأمين ، فيقال له : ألا تؤمن به فيقول : السُّبة والعار[1] !! .

عن الحرث بن عبد الله الأزدي قال : لما نزل أبو عبيدة اليرموك وضم إليه قواصيه وجاءتنا جموع الروم فذكر أن ماهان صاحب جيش الروم بعث رجلاً من كبارهم وعظمائهم يقال له : جرجير إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فأتى أبا عبيدة فقال : إني رسول ماهان إليك ، وهو عامل ملك الروم على الشام ، وعلى هذه الحصون ،

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٩٩ - ١٠٠ ، حديث رقم (٥١) ، انفرد به أبو نعيم ، وفيه خالد بن إلياس ، متروك الحديث ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٨٧ - ٣٨٨ .

وهو يقول لك : أرسل إلى الرجل الذي كان قبلك أميراً ، قد ذكر لي أن ذلك الرجل له عقل وله فيكم حسب ، وقد سمعنا أن ذوي الأحساب أفضل عقولاً من غيرهم ، فنخبره بما نريد ، ونسأله عما تريدون ، فإن وقع بيننا وبينكم أمر لنا فيه ولكم صلاح أخذنا الحظ من ذلك وحمدنا الله عليه ، وإن لم يتفق ذلك بيننا وبينكم فإن القتال من وراء ما هناك .

فدعا أبو عبيدة خالداً فأخبره بالذي جاء فيه الرومّي وقال لخالد : ألقهم فادعهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا وإلا فافرض عليهم الجزية ، فإن أبوا فأعلمهم أنا سنناجزهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم . قال : وجاءهم رسولهم الرومي عند غروب الشمس فلم يمكث إلا يسيراً حتى حضرت الصلاة فقام المسلمون يصلون ، فلما قضوا صلاتهم قال خالد للرومي : قد غشينا الليل ، ولكن إذا أصبحت غدوت إلى صاحبك إن شاء الله ، فارجع إليه فأعلمه .

فجعل المسلمون ينتظرون الرومي أن يقوم إلى صاحبه فيرجع إليه ويخبره بما اتعدوا عليه ، فأخذ الرومي لا يبرح وينظر إلى رجال من المسلمين وهم يصلون فيدعون الله ويتضرعون إليه ، ثم أقبل على أبي عبيدة فقال : أيها الرجل ! متى دخلتم هذا الدين ومتى دعوتم الناس إليه ؟ فقال : منذ بضع وعشرين سنة ؛ فمنا من أسلم حين أتاه الرسول ، ومنا من أسلم بعد ذلك .

فقال : هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعده رسول ؟ قال : لا ، ولكن أخبرنا أنه لا نبي بعده ، وأخبرنا أن عيسى ابن مريم قد بشر به قومه ، قال الرومي ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، وأن عيسى قد بشرنا براكب الجمل ، وما أظنه إلا صاحبكم ، فأَخْبِرْني هل قال صاحبكم في عيسى شيئاً ؟ وما قولكم أنتم فيه ؟ .

قال أبو عبيدة : قول صاحبنا هو قول الله وهو أصدق القول وأبرّه : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **ولا الملائكة المقربون** ﴾ .

---

(١) ٥٩ : آل عمران .   (٢) ١٧١ : النساء .

قال : ففسَّر له الترجمان هذا بالرومية ، فقال : أشهد أن هذا صفة عيسى نفسه ، وأشهد أن نبيكم صادق ، وأنه الذي بشرنا به عيسى وأنكم قوم صدق ، وقال لأبي عبيدة : أُدع لي رجلين من أوائل أصحابك إسلاماً هما فيما ترى أفضل .

فدعا له معاذ بن جبل وسعيد بن جبير وزيد بن عمرو بن نفيل ، فقيل له : هذا من أفضل المسلمين فضلاً ومن أوائل المسلمين إسلاماً ، فقال لهم الرومي : أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم ؟ قالوا : نعم ، إن أنت أسلمت واستقمت ولم تُغيّر حتى تموت وأنت على ذلك فإنك من أهل الجنة ، قال : فإني أشهدكم أني من المسلمين ، فأسلم ، ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ودعوا له بخير .

وخرج أبو نعيم من حديث أبي بشر محمد بن عبيد الله قال : حدثني عطاء بن عجلان عن بهز بن حوشب عن كعب بن ماتع الحميري أن إسلامه كان [عند] مقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام ، وأخبرني كيف كان بدء أمره ، قال : إن أبي كان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى عليه السلام ، وكان لم يدخر عني شيئاً مما كان يعلم .

فلما حضره الموت دعاني فقال لي : يا بني ! إنك قد علمت أني لم أدخر عنك شيئاً مما كنت أعلم إلا أني قد حبست عنك ورقتين فيهما نبي يبعث قد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك ولا آمن عليك أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيعه ، وقد جعلتهما في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما، لا تعرض لهما ولا تنظرن فيهما حينك هذا ، فإنّ الله إنْ يُرد بك خيراً ويخرج ذلك الذي تتبعه .

قال : ثم إنه مات فدفناه ، ولم يكن شيء أحب إلي من أن يكون المأتم قد انقضى حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ، ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما : محمد رسول الله ، خاتم النبيين لا نبي بعده ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ويجزىء بالسيئة الحسنة ، ويعفو ويصفح .

أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ، تذلل ألسنتهم بالتكبير ، وينصر نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم ويأتزرون على أوساطهم ، أناجيلهم في

صدورهم ، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم .

قال : فلما قرأت ذلك قلت في نفسي : وهل علمني أبي شيئاً هو خير لي من هذا ؟ فمكثت ما شاء الله ، ثم بلغني أن النبي ﷺ قد خرج بمكة وهو يظهر مرة ويستخفي أخرى فقلت : هو ذا ، فلم يزل كذلك حتى قيل لي : قد أتى المدينة ، فقلت في نفسي إني لأرجو أن يكون إياه ، وكانت تبلغني وقائعه : مرة له ، ومرة عليه ، ثم بلغني أنه توفى ، فقلت في نفسي : لعله ليس بالذي كنت أظن حتى بلغني أن خليفته قد قام مقامه ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى جاءتنا جنوده ، فقلت في نفسي : لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أنهم هم الذين أرجو وأنظر سيرتهم وأعمالهم .

فلم أزل أدافع ذلك وأؤخره لأستثبت حتى قدم علينا عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رأيت وفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر ، فحدثتُ نفسي بالدخول في دينهم ، فوالله إني ذات ليلة فوق سطحي فإذا رجل من المسلمين يتلو قول الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً** ﴾[1] ، قال : فلما سمعت هذه الآية خشيتُ أن لا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي ، فما كان شيء أحبّ إليّ من الصباح فغدوت على المسلمين .

قال : وحدثني عطاء عن شهر بن حوشب عن كعب قال : قلت لعمر رضي الله عنه بالشام عند انصرافه أنه مكتوب في الكتب: أن هذه البلاد التي كان بنو إسرائيل أهلها مفتوحة على رجل من الصالحين ، رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكافرين ، سره مثل علانيته ، وقوله لا يخالف فعله ، والقريب والبعيد سواء في الحق عنده ، أتباعه رهبان بالليل وأُسْدٌ بالنهار ، متراحمون متواضعون متبارون ، فقال عمر رضي الله عنه : ثكلتك أمك ! أهو ما تقول ؟ فقال : إي والذي يسمع ما أقول ، فقال : الحمد لله الذي أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا بنبينا محمد ﷺ .

---

(١) النساء : ٤٧ .

وله من حديث المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد عن أبيه ، عن جده سعيد بن زيد ، أن زيد بن عمرو وورقة ابن نوفل خرجا يلتمسان الدين ، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ قال : من بيت إبراهيم ، قال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين ، قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك ، فرجع وهو يقول : لبيك حقا حقا ، تعبُّداً ورقّاً ، البرّ أبغي لا الحال ، وهو كمن قال : آمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول : أبقي لك فإني واهم ، مهما تجشمني فإني جاشم ، ثم يخر فيسجد .

وله من حديث النضر بن مسلمة قال : حدثنا محمد بن موسى أبو غزية ، عن علي بن عيسى بن جعفر عن أبيه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه عامر ابن ربيعة العدوي قال : لقيتُ زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حراء يصلي فيها ، وإذا هو قد كان بينه وبين قومه يوفي صدر النهار في ما أظهر من خلافهم ، واعتزال آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم .

فقال زيد بن عمرو : يا عمر إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم خليل الله وما كان يعبد وابنه اسماعيل من بعده ، وما كانوا يصلون إلى هذه القبلة ، وأنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب اسمه أحمد ، ولا أراني أدركه ، فأنا يا عامر أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام ، وسأخبرك يا عامر ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك ، قلت : هلم .

قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس يفارق عينيه حمره ، وهو خاتم النبوة واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه منها ، ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تُخدع عنه فإني بلغت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم عليه السلام ، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقول : هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعته لك ويقولون : لم يبق نبي غيره .

قال عامر : فوقع في نفسي الإسلام من يومئذ ، فلما تنبأ رسول الله ﷺ كنت حليفاً في قومي ، وكان قومي أقل قريش عدداً ، فلم أقدر على اتباعه ظاهراً فأسلمت

سراً ، وكنت أخبرت رسول الله ﷺ بما أخبرني به زيد بن عمرو فترحم عليه وقال : قد رأيته في الجنة يسحب ذيلاً له أو ذيولاً له[1] .

وله من حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة بن عباس قال : قال العباس : خرجتُ في تجارة إلى اليمن في ركب منهم أبو سفيان بن حرب فقدمتُ اليمن ، وكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان والنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليَّ غداك ؟ قلت : نعم .

فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت [إليه][2] الغداء ، فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ قلت أيُّ بني أخي ؟ قال : إياي تكتم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد ، قلت : وأيهم ؟ هو محمد بن عبد الله ؟ .

قلت : قد فعل ؟ قال : قد فعل[3] ، وأخرج كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان : أخبرك أن محمداً أقام بالأبطح فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله ، قال العباس : قلت : لعله يا أبا حنظلة صادق ، فقال : مهلاً يا أبا الفضل ، فو الله ما أحب أن تقول هذا ، إني لأخشى أن تكون كنت على صبر من هذا الحديث ، يا بني عبد المطلب إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنة وهنة كل واحد منهما قامته ، نشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ .

قلت : نعم قد سمعت ، قال : فهذه والله شؤمتكم ، قلت : فلعلها يُمنتنا ، قال : فما كان يبعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدم عبد الله بن خرافة بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث وفيه حَبْر من أحبار اليهود ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر ؟! بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠٠ - ١٠١ ، حديث رقم (٥٢) ، رواه ابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١٦١ ، والفاكهي بإسناده ثم ذكر الحديث . وانظر الإصابة أيضاً ، ويظهر أن إسناده عنده مقبول ، و (الخصائص) : ١ / ٦١ .

(٢) في (خ) : « إلى » ، وما أثبتناه أجود للسياق .

(٣) في (خ) : « بلى قد فعل » ، وما أثبتناه حق اللغة .

قال أبو سفيان : صدقوا ، وأنا عمه ، قال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال نعم ، قال : فحدثني عنه ، قال : لا تسألني ، ما كنت أحب أن يدعي هذا الأمر أبداً ، وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه ، فرأى اليهودي أنه يغمص عليه ولا يحب أن يعيبه ، فقال : ليس به بأس على اليهود وتوراة موسى .

قال العباس : فنادى إلى الحبر فحمت وخرجت حتى جلست هذا المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان والحبر ، فقلت للحبر : بلغني أنك سألت ابن عمي عن رجل منا ، زعم أنه رسول الله فأخبرك أنه عمه وليس بعمه ، ولكن ابن عمه ، وأنا عمه وأخو أبيه ، قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه ، فأقبل على أبي سفيان فقال : صدق ، قال نعم صدق ، فقلت : سلني ، فإن كذبت فيرده عليّ .

فقلت : نشدتك هل كانت لابن أخيك صبوة أو سفهة ؟ قلت : لا ، وإلّه عبد المطلب ، ولا كذب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش الأمين ، قال : هل كتب بيده ؟ قال العباس : فظننت أنه خير له أن يكتب بيده ، فأردت أن أقولها ، ثم ذكرت مكان أبي سفيان أنه مكذّبي ورادّ عليّ ، فقلت : لا يكتب ، فوثب الحبر وترك رداءه وقال : ذُبِحَتْ يهود وقُتِلَتْ يهود .

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل إن اليهود تفزع من ابن اخيك ، قلت : قد رأيت ، فهل لك أيا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقاً كنت قد سبقتك ، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك .

قال : لا أؤمن به حتى أرى الخيل في كذا ، قلت : ما تقول ؟ قال : كلمة جاءت على فمي إلا أني أعلم أن الله لا ينزل خيلاً تطلع من كذا .

قال العباس : فلما استفتح رسول الله ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كذا ، قلت : يا أبا سفيان ! تذكر الكلمة ؟ قال : إي والله ، إني أذكرها ، والحمد لله الذي هداني للإسلام .

وله من حديث إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي قال : حدثني أبي عن عمران بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه قال : خرجت أنا وأمية بن معاوية

ابن أبي الصلت الثقفي تجاراً إلى الشام، فكلما نزلنا منزلاً أخذ أمية سفراً له يقرؤه علينا، وكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاءوه وأكرموه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيوتهم ، ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي : يا أبا سفيان ، هل لك في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب نسأله ؟ قلت : لا أرب لي فيه ، والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به ، ولئن حدثني بما أكره لأرحل منه .

قال : فذهب وخالفه فتى من النصارى فدخل عليه فقال : ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟ قلت : لست على دينه ، قال : وإن ، فإنك تسمع منه عجباً وتراه ، ثم قال لي الثقفيّ : أنت قلت : لا ، ولكني قُرَيشيّ، قال : فما يمنعك من الشيخ ؟ فوالله إنه ليحبكم ويوصي بكم ، قال : وخرج من عندنا ومكث أمية حتى جاءنا بعد هدأه من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجذل إلى فراشه ، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح كئيباً حزيناً ساقطاً غبوقه على صبوحه[1] ، ما يكلمنا وما نكلمه .

ثم قال : ألا ترحل ؟ فرحلنا ، فسرنا بذلك ليلتين من همه ، ثم قال لي في الليلة الثالثة : ألا تحدث أبا سفيان ؟ قلت : وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك ، قال : أما إن ذلك شيء لست فيه ، إنما ذلك شيء وجلت به من منقلبي ، قال : قلت : هل أنت قابل أمانتي ؟ قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تبعث ولا تحاسب ، فضحك ثم قال : بلى والله يا أبا سفيان لنبعثن ولنحاسبن ، وليدخلن فريق الجنة وفريق النار ، قلت : ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟ قال : لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه .

قال : فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني وأضحك منه ، حتى قدمنا على غوطة دمشق فبعنا متاعنا فأقمنا شهرين وارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه جاءوه أهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، حتى جاء بعدما انتصف النهار ، فلبس ثوبيه وذهب إليهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه ، فو الله ما نام ولا قام ، وأصبح كئيباً حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه .

---

(١) الغبوق : شراب اللبن في المساء ، والصبوح : شرابه في الصباح ، والمقصود هنا كناية عن الاضطراب وعدم الاتزان .

ثم قال : ألا نرحل ؟ قلت : بلى إن شئت ، فرحلنا لذلك [من بيته وحزبه][1] ليالي ثم قال لي : يا أبا سفيان ! هل لك في المسير فنقدم أصحابنا ؟ فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال : هيا صخر ، قلت : ما تشاء ، قال : حدثني عن عتبة بن ربيعة ، أيجتنب المظالم والمحارم ؟ قلت : إي والله ، قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها ؟ قلت : أى والله ، قال : وكريم الطرفين وسيط في العشيرة ؟ قلت : نعم ، قال : فهل تعرف في قريش من هو أفضل منه ؟ قلت : لا والله ما أعلمه ، قال : أمحوج ؟ قلت : لا ، بل هو ذو مالك كثير ، قال : وكم أتى له من السن ؟ قلت : قد زاد على المائة ، قال : فالشرف والسن والمال أزرين به ، قلت : ولم ذلك يُردى به ؟ قال : لا والله بل يزيده خيراً .

قال : هو ذاك ، هل لك في المبيت ؟ قلت : لي فيه ، فاضطجعنا حتى مرَّ الثقل ، فسرنا على ناقتين نحيلتين حتى إذا برزنا قال : هيا صخر[2] [عن][1] عتبة ابن ربيعة ، قلت : هيا فيه ، [ ][3] قال : وذو مال ؟ قلت : وذو مال ، قال : أتعلم في قريش أسود[4] ؟ قلت : لا والله ما أعلمه ، قال : كم أتى له من السن ؟ قلت قد زاد على المائة ، قال : فإن الشرف والمال أزرين به ، قلت : كلا والله ، ما أرى ذلك به وأنت قائل شيئاً فقلته ، قال : لا تذكر حديثي حتى يأتي منه ما هو آت ، ثم قال : فإن الذي رأيت أصابني أني جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت : أخبرني من هذا النبي الذي ينتظر .

قال : هو رجل من العرب ، قلت : قد علمت أنه من العرب ، فمن أي العرب هو ؟ قال : من أهل بيت تحجه العرب ، قلت : وفينا بيت تحجه العرب ؟ قال : هو في إخوانكم من قريش ، قال : فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط ، وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون إياه .

فقلت : فإذا كان فصفه لي ، قال : رجل شاب حين دخل في الكهوله ، بدء

---

(١) كذا في (خ) .
(٢) في (خ) هيا فيه .
(٣) في (خ) : تكرار من الناسخ لعبارة : « أيجتنب ..... إلى ويفعل ذلك » .
(٤) من السيادة .

أمره يجتنب المظالم والمحارم ، ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشيرة ، أكثر جنده الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟ قال : قد رجعت الشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثلاثين رجعة كلها مصيبة ، وبقيت رجعة عامة فيها مصائب ، قال أبو سفيان : فقلت له : هذا والله الباطل ، لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه إلا مسناً شريفاً .

قال أمية : والذي أحلف به إن هذى لكذا يا أبا سفيان يقول : إن قول النصراني حق ، هل لك في المبيت ؟ قلت : لي فيه ، فبتنا حتى جاءنا الثقل ، ثم خرجنا حتى إذا كنا بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا فسألناه ، فإذا هو يقول : أصاب أهل الشام بعدكم رجفة دمَّرت أهلها ، وأصابهم فيها مصائب عظيمة .

قال أبو سفيان : فأقبل على أمية فقال : كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان ، قلت : أى والله ، وأظن أن ما حدَّثك صاحبك حق ، قال : وقَدِمْنا مكة فقضيت ما كان معي ، ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فكنت بها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة ، فبينا أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون ويسألون عن بضائعهم .



[ثم جاءني محمد بن عبد الله ﷺ][1]

وهند عندي تلاعب صبياً لها ، فسلم عليّ ورحب بي ، وسألني عن سفري ومقامي ، ولم يسألني عن بضاعته ، ثم قام ، فقلت لهند : والله إن هذا ليعجبني ؛ ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها ، وما سألني هذا عن بضاعته ، فقالت: وما علمت شأنه ؟ قلت : — وفزعت — ما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله ، فأيقظتني وذكرت قول النصراني ووجمت[2] حتى قالت هند : مالك ؟ فانتبهت وقلت : إن هذا لهو الباطل ، هو أعقل من أن يقول هذا ، قالت : بلى ، والله إنه ليقول ذلك ، فبوأنا عليه ، وإن له لصاحبه على دينه ، قلت : هذا الباطل ، وخرجت ، فبينا أنا أطوف بالبيت لقيته فقلت : إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا ، وكان فيها خيرٌ ، فأرسلْ فخذها ، ولست بآخذ منك فيها ما آخذ من قومك ، فأبى عليّ وقال : إذاً لا آخذها ، قلت : فأرسل وخذها وأنا آخذ منك ما آخذ من قومك ، فأرسل إلي بضاعته فأخذها ، وأخذت منه ما كنت آخذ من قومه غيره .

ولم أنشب أن خرجت تاجراً إلى اليمن فقدمت الطائف ، فنزلت على أمية بن أبي الصلت فقلت له : أبا عثمان ! هل تذكر حديث النصراني ؟ قال : أذكره ، قلت : قد كان ، قال : ومن ؟ قلت : محمد بن عبد الله ، قال : ابن عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب ، ثم قصصت عليه خبر هند ، قال : فالله يعلم يتصبب عرقاً ثم قال : والله يا أبا سفيان لعله ، إنَّ صفته لهي ، ولئن ظهر وأنا حيّ لأبلين الله نصره عذراً .

قال : ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله ، فأقبلت حتى نزلت إلى أمية بن أبي الصلت بالطائف فقلت : يا أبا عثمان ! قد كان من أمر الرجل

---

(١) ما بين الحاصرتين عنوان في (خ) ، إلا أنها بداية فقرة جديدة ، وقد أثبتناها كما هي في (خ) .
(٢) وجم : سكت على غيظ . (لسان العرب) ١٢ / ٦٣٠ .

ما قد بلغك وسمعت ، قال : قد كان لعمري ، قلت : فأين أنت يا أبا عثمان عنه ؟ قال : والله ما كنت لأؤمن لرسول من غير ثقيف أبداً ، قال أبو سفيان : وأقبلت إلى مكة ، فو الله ما أنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدتُ أصحابه يضربون ويعزفون ، فجعلت أقول : فأين جنده من الملائكة ؟ قال : فدخلني ما يدخل الناس من النفاسة[1] .

وله من حديث الليث بن سعيد عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن معاوية ابن أبي سفيان ، أن أمية بن أبي الصلت كان بغزة أو قال : بإيلياء ، فلما قفلنا قال لي : يا أبا سفيان ! هل لك أن تتقدم على الرفقة فنتحدث ؟ قلت : نعم ، ففعلنا ، فقال لي : يا أبا سفيان ، إيه عن عتبة بن ربيعة ، قلت : إيه عن عتبة بن ربيعة ، قال : كريم الطرفين ، ويجتنب المظالم والمحارم ؟ قلت : نعم ، قال : وشريف حسن ، قال : السن والشرف أزريا به ، فقلت له : كذبت ، ما ازداد شيئاً إلا ازداد شرفاً ، قال : يا أبا سفيان ! إنها لكلمة ما سمعت أحداً يقولها لي منذ تنصرت ، لا تعجل عليّ حتى أخبرك ، قلت : هات .

قال إني أجد في كتبي نبياً يبعث من حرتنا هذه ، فكنت أظن بل كنت لا أشك أني هو ! فلما دارست أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف ، فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحداً يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة ، فلما أخبرتني بسنه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه ، قال أبو سفيان : فضرب الدهر من ضربه .

[وأوحي إلى رسول الله ﷺ][2]

وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة ، فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به : يا أمية ! قد خرج النبي الذي كنت تنعته ، قال : أما إنه حق فأتبعه ، قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟ قال : ما يمنعني إلا الاستحياء من نسيات

---

(١) نَفِسْتُ عليه بالشيء أنفَسه نفاسة ، إذا ضَنِنْتَ به ولم تحب أن يصل إليك . (القاموس المحيط) : ٦ / ٢٣٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين عنوان في (خ) ، إلا أنها بداية فقرة جديدة ، وقد أثبتناها كما هي في (خ) .

ثقيف ، كنت أحدثهن أني هو ، ثم يرينني تابعاً لغلام من بني عبد مناف ، ثم قال ابن مية : فكأني بك يا أبا سفيان إن خالفته قد ربطت كما يربط الجدي ، ثم يؤتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد ! .

وله من حديث ابن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يهودي سكن مكة يتَّجر بها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس : يا معشر قريش ! هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قال القوم : ما نعلمه ، قال : الله أكبر ، أما إنْ أخطأكم فلا بأس ، أنظروا واحفظوا يا معشر قريش ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الآخر ، بين كتفيه علامة فيها شعيرات متواترات كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذاك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعه في فيه ومنعه من الرضاع ، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منزلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا : ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وأسموه محمداً .

فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديث اليهودي وقد بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر فقال : اذهبوا بي حتى أنظر إليه ، فخرجوا به حتى دخلوا على آمنة بنت وهب فقالوا : أخرجي إلينا ابنك فأخرجته آمنة ، فكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع مغشياً عليه ، فلما أفاق قالوا له : ويلك ! ما لك ؟ قال : ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب .

وكان في النفر يومئذ هشام والوليد ابنا المغيرة ، ومسافر بن أبي عمرو وعبيدة ابن الحرث بن عبد المطلب ، وعتبة بن ربيعة في نفر من بني عبد مناف وغيرهم من قريش .

وله من حديث محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى (عيصا) من أهل الشام ، وكان متخفّراً[1] بالعاص بن وائل، وكان الله قد أتاه علماً كثيراً ، وجعل فيه منافع كثيرة

---

(١) خفير القوم : مُجيرهم ، الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده .

لأهل مكة من طب ورفق وعلم ، وكان يلزم صومعة له ، ويدخل مكة في كل سنة فيلقي الناس ويقول : يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة ، يدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته ، وتالله ما تركت الخمر والخمير [والأمّي][1] ، ولا حللتُ بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه .

فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول : ما جاء بعد ، فيقال له : فصفه ، فيقول : لا ، ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لا نبي من قومه مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى أدنى ما يفضي إليه من الأذى يوماً .

ولما كان ظهور اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى (عصيا) فوقف في أصل صومعته ثم نادى : يا (عصيا) ، فناداه : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله ، فأشرف عليه فقال : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عليه يوم الأثنين ، ويبعث يوم الأثنين ، ويموت يوم الأثنين .

قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود ، قال : فما سميته ؟ قال : محمداً ، قال : والله لقد كنت أشتهي أن يكون فيكم هذا المولود أهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه ؛ فقد أتى عليه منها أن نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمداً ، انطلق إليه فإن الذي كنت أحدثكم عنه ابنك .

قال : فما يمنعك أن تأتيني ؟ ولعله لن يولد يومنا هذا مولودون عدة ، قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله يشبّه علمه على العلماء لأنه حجة ، وآية ذلك أنه الآن وَجِعٌ فيشتكي أياماً ثلاثة ؛ يظهر الوجع ثم يعافي ، فاحفظ لسانك فإنه لم يُحسد حسده أحدٌ قط ، ولم يُبغ على أحد كما يبغى عليه ، وإن تعش حتى تبدو معالمه ثم يدعو يظهر لك من قومك ما لا يحتمله إلا على ذُلّ ، فاحفظ لسانك ودارِ عنه .

قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وتر دونها من السنين ، في إحدى وستين أو ثلاث وستين ، أعمار جُلِّ أمته ، قال :

---

(١) كذا في (خ) .

وحُمل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرم ، وولد يوم الاثنين لثنتي عشر ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وله من حديث النضر بن سلمة قال : حدثنا يحيى بن إبراهيم بن أبي قُتَيْلة عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن جده أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية أن يسرح نضلة بن معاوية الأنصاري وهو من أصحابه في ثلاثمائة فارس إلى حلوان فيغير على قراها ، لعل الله يفيدهم إبلاً ورقيقاً ، فلما انتهى كتاب عمر إلى سعد دعا سعدٌ نضلة فعقد له [لواءاً][1] وقال : اخرج ، فسار نضلة حتى إذا شارف حلوان فَرَّق أصحابه في ثلاث رساتق منها ، فأغاروا فأصابوا إبلاً ورقيقاً وشاءاً كثيراً ، فانصرفوا فتبعهم المشركون ، فكرَّ عليهم نضلة وأصحابه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن الله صرف وجوه المشركين وولوا ، وسار نضلة في أصحابه معهم الغنائم ، وأرهق القوم صلاة العصر ، فنادى نضلة أصحابه فقال لهم : سوقوا الغنائم إلى سفح الجبل وعليكم بالصلاة .

ثم نزل فأَذَّنَ فقال : الله أكبر الله أكبر ، فأجابه كلام من الجبل : كبرَّت كبيراً يا نضلة ، فقال نضلة : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : اخلصت لله إخلاصاً حرمت جسدك على النار ، قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : نبي بعث خاتم النبيين ، وصاحب شفاعة يوم القيامة ، قال : حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح ، قال : البقاء لأمة محمد وهو الفلاح ، قال : الله أكبر الله أكبر ، قال : كبَّرت كبيراً ، قال : لا إله إلا الله ، قال أخلصت لله إخلاصاً .

قال : فتعجب نضلة وأصحابه ، فقال نضلة : من أنت يرحمك الله ؟ أهاتف من الجن ؟ أم عبد صالح جعل الله لك في هذا الجبل رزقاً ؟ حدثنا ما حالك ؟ أرنا وجهك ، قال : فانشق الجبل عن رأس كأن هامته رحى ، شديد بياض الرأس واللحية ، عليه ثياب الصوف ، فقال : أنا زريب بن يرثلمي وَصِيُّ العبد الصالح عيسى ابن مريم ، سألته فطلب إلى ربه حين رُفع ، فوهب لي عمراً إلى أن يهبط عليّ . فإن لي في هذا الجبل رزقاً ، فأقرىء عمر بن الخطاب السلام وقل : سدّدْ

---

(١) زيادة للسياق .

وقارِبْ وأبشِرْ ، حضر الأمر ونعم العبد أنت .

ثم انسدَّ الجبل فنادوا كثيراً فلا جواب ، فأخبر نضلة سعداً فكتب بذلك سعد إلى عمر رضي الله عنه فأجابه : يا سعد ، ذاك رجل من أوصياء عيسى ابن مريم عليه السلام ، أعطى فيها رزقاً وعمراً فسل عنه ، فركب سعد فأقام بفناء الجبل أربعين يوماً فلم يُجَب بشيء ، فكتب سعد بذلك إلى عمر رضي الله عنه .

ورواه الواقدي : حدثني عبد العزيز بن عمر ، حدثنا جعونة بن نضلة قال : كنت في الجبل يوم فتح حلوان ، فطلبنا المشركين في الشعب فأمعنَّا فيه ، فحضرت الصلاة فانتهيت إلى ماء فنزِلت [عن فرسي][1] فأخذت بعنانه ، فتوضأت ثم صعدت صخرة فأذّنت ، فلما قلت : الله أكبر الله أكبر .. فذكره .

وقد روى من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر تفرد [به][2] عبد الرحمن الراسبي وفيه ضعف ولين .

وله من حديث إسحق بن أبي إسحق الشيباني عن أبيه عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال : إني أجد فيما أقرأ من الكتب أنه ترفع راية بمكة ، الله مع صاحبها ، وصاحبها مع الله ، يظهره الله على جميع القرى .

وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : إعلام نبينا ﷺ الموجودة في كتب الله المتقدمة ، قول الله عز وجل في السفر الأول من التوراة لإبراهيم عليه السلام : قد أجبت دعاءك في إسماعيل ، وباركت عليه وكثّرتُه وعظَّمتُه جداً جداً ، وسيلد اثنى عشر عظيماً ، وأجعله لأمة عظيمة ، ثم أخبر موسى عليه السلام مثل ذلك في السفر وزاد فقال : لما هربت من سارة تراءى لها ملك الله وقال : يا هاجر أَمَة سارة ! إرجعي إلى سيدتك واخضعي لها ، فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يُحْصَوَا كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسميه إسماعيل ، لأن الله قد سمع خشوعك ، وتكون يده فوق الجميع ، ويدُ الجميع مبسوطة إليه بالخضوع .[3]

---

(١) في (خ) : « عرفوسي » . (٢) في (خ) : « عنه » .

(٣) (العهد القديم) : سفر التكوين ، الإصحاح السادس عشر ، وفيه : ٧ ـــ فوجدها ملاك الرب على

قال ابن قتيبة : فتدبَّر هذا القول فإن فيه دليلاً بينا على أن المراد به رسول الله ﷺ ، لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحق ، ولا كانت يد إسحق مبسوطة إليه بالخضوع ، وكيف يكون ذلك والنبوة والملك في ولد إسرائيل والعيص ، وهما ابنا إسحق ؟ فلما بعث رسول الله ﷺ انتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل ، فدانت له الملوك وخضعت له الأمم ، ونسخ الله به كل شرعة ، وختم به النبيين ، وجعل الخلافة والملك في أهل بيته إلى آخر الزمان ، فصارت أيديهم فوق أيدي الجميع ، وأيدي الجميع مبسوطة بالخضوع ، قال :

* * *

= عين الماء في البرية . على العين التي في طريق شور * ٨ ــ وقال ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت وإلى أين تذهبين . فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى * ٩ ــ فقال لها ملاك الرب : ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يدها * ١٠ ــ وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أُكثّر نسلك فلا يعد من الكثرة * ١١ ــ وقال لها ملاك الرب : ها أنت حُبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك * ١٢ ــ وإنه يكون إنساناً وحشياً . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن » .

ومن إعلامه في التوراة

قال : جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير[1] ، واستعلن من جبال فاران[2] ، وليس بهذا خفاء على من يُدَبِّرهُ ولاغموض ، لأن مجيء الله من سيناء : إنزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء هو عند أهل الكتاب وعندنا ، لذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله على المسيح عليه السلام الإنجيل ، وكان المسيح يسكن ساعير بأرض الجليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى ، وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران بإنزال القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران وهي جبال مكة ، وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر من تحريفهم وإفكهم .

قلنا : ليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ، وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل الله عليه كتاباً بعد المسيح ، أوليس استعلن وعَلَن بمعنى واحد ، وهما ظهر وانكشف ؟ فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟

* * *

(١) ساعير ، سعير : كلمة عبرانية معناها « كثير الشعر » ، وهي اسم الأرض التي كان يسكنها الحواريون ، ثم استولى عليها (عيسو) ونسله ، وكانت تسمى أيضاً جبل سعير ، لأنها أرض جبلية على الجانب الشرقي من البرية العربية ، ويصل ارتفاع أعلى قمة في هذه الأرض ١٦٠٠ متراً ، وهي قمة جبل هور . وساعير أيضاً جبل في أرض يهوذا ، بين قرية يعاريم وبيت شمس ، وربما كانت سلسلة الجبال التي تقع عليها قرية ساريس إلى الجنوب الغربي من قرية يعاريم ، وإلى الشمال الغربي من أورشليم ، ولا زالت آثار الغابات التي كانت تنمو فوقه موجودة إلى اليوم . (قاموس الكتاب المقدس) : ٤٦٦ — ٤٦٧ .

(٢) جبال فاران : برية واقعة إلى جنوب جبل يهوذا وشرق برية بئر سبع وشور . (المرجع السابق) : ٦٦٧ .

ومن إعلامه في التوراة أيضاً

قال الله لموسى في السفر الخامس : إني أقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامي على فمه ، فمن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل كما تقول بكر وتغلب أبناء وائل ، ثم تقول : تغلب أخو بكر ، وبنو تغلب إخوة بني بكر ، ترجع في ذلك إلى أخوة الأبوين ، فإن قالوا : إن هذا النبي الذي وعد الله نقيمه لهم هو أيضاً من بني إسرائيل ، لأن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، كذبتهم التوراة وألد بهم النظر ، لأن في التوراة أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى ، وأما النظر : فإنه لو أراد إني أقيم لهم نبياً من بني إسرائيل مثل موسى لقال : أقيم لهم من أنفسهم مثل موسى و لم يقل : من إخوتهم ، كما أن رجلاً لو قال لرسوله : ائتني برجل من إخوة بكر بن وائل لكان يجب أن يأتيه برجل من بني تغلب بن وائل ، ولا يجب أن يأتيه برجل من بني بكر .

قال : ومن قول حبقوق[1] المتنبي في زمن دانيال قال حبقوق : وجاء الله من [اليتير][2] ، والتقديس من جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميده وتقديسه ، وملك الأرض بيمينه ورقاب الأمم .

وقال أيضاً: تضيء له الأرض، ومحمد خيله في البحر، قال : وزادني بعض أهل الكتاب أنه قيل في كلام حبقوق : وستنزع في قِسِيكَ إغراقاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءاً ، وهذا إفصاح باسمه وصفاته ، فإن ادعوا غير نبينا وليس ينكر ذلك من جحودهم وتحريفهم ، فمن أحمد هذا الذي امتلأت الأرض من تحميده ، والذي جاء من جبال فاران فملك الأرض ورقاب الأمم ؟ قال : -

* * *

---

(١) يبدو أن (حبقوق) تنبأ أثناء حكم يهويا قيم (٦٠٧ - ٥٩٧ ق . م .) لكن من الصعب تعيين العصر بدقة ، ويعتقد غالبية النقاد أن النبوة ترجع إلى زمن وقوع معركة كركميش (بين الكلدانيين والمصريين ٦٠٥ ق . م .) . ويعتقد آخرون أن تاريخ النبوة كان قبل تلك المعركة بزمن وجيز (قاموس الكتاب المقدس) : ٢٨٨ ، وفيه أن حبقوق كان سبط لاوي .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، ويتير : اسم عبري معناه « رفعه » وهي مدينة في جبال اليهودية خصصت للكهنة (المرجع السابق) : ١٠٥٣ .

ومن ذكر شعيا له

قال شعيا عن الله تعالى : عبدي الذي سرت به نفسي ، وفي ترجمه أخرى قال : عبدي خيرتي رضى نفسي أفيض عليه روحي ، وفي ترجمة أخرى قال : أنزل عليه وحيي فيظهر في الأرض [وفي][1] الأمم عدله ، ويوصي الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحي القلوب الغلف ، وما أعطيته لا أعطي غيره ، أحمد يحمد الله حمداً ، حديثاً يأتي من أقصى الأرض ، يفرح البرية وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية .

وزاد آخر في الترجمة : لا يضعف ولا يُغلب ولا يميل إلى الهوى ، ولا يسمع في الأسواق صوته ، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يُقوى به الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهم نور الله الذي لا يُطفَأ ولا يخصم حتى يثبت في الأرض حجتي ويقطع به العذر ، وإلى توراته تنقاد الجن ، وهذا إيضاح باسمه وصفاته . فإن قالوا : أي توراة له ؟ قلنا : أراد أنه يأتي بكتاب يقوم مقام التوراة لكم . ومنه قول كعب : شكا بيت المقدس إلى الله عز وجل الخراب ، فقيل له : لأبدلنّك توراة محدثة ، وعمالاً محدثين ، يدفون بالليل دفيف النسور ، ويتحنّنون عليك تحنّ الحمامة على بيضها ، ويملئونك خدوداً سجداً . قال ابن قتيبة :

* * *

(١) زيادة للسياق . .

ومن ذكر شعيا له

قال : أنا الله عظمتك بالحق وأيدتك ، وجعلتك نور الأمم وعهد الشعوب ، لتفتح أعين العميان وتنقذ الأسرى من الظلمات إلى النور ، وقال في الفصل الخامس من إليا : إن سلطانه على كتفه - يريد علامة نبوته - هذا في التفسير السرياني ، وأما في العبراني فإنه يقول : إن على كتفه علامة النبوة .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر داود عليه السلام له في الزبور : سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً ، سبحوا الذي هيكله الصالحون ، ليفرح اسرائيل بخالقه ، وبيوت صهيون من أجل أن الله اصطفاه لكرامته ، وأعطاه النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقموا لله من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال ، قال : فمن هذه الأمة التي سيوفها ذات شفرتين غير العرب ؟ ومن المنتقم بها من الأمم الذين لا يعبدون الله ؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء غير نبينا محمد ﷺ ؟ ومن خرت الأمم تحته غيره ؟ ومن قرنت شرائعه بالهيبة ، فإما القبول أو الجزية أو السيف ونحوه ، فقوله ﷺ : نصرت بالرعب .

قال : وفي مزمور آخر : أن الله أظهر من صهيون إكليلاًد محموداً ، قال : ضرب الإكليل مثلاً للرياسة والأمانة ، ومحمود هو محمد ﷺ . قال : وفي مزمور آخر : من صفته أنه يجوز من البحر إلى البحر ، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، أنه تخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويلحس أعداؤه التراب ، تأتيه الملوك بالقرابين وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، وليخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وأنه يعطي من ذهب من بلاد سبأ ، ويُصلي عليه ويُبارك في كل يوم ، ويدوم ذكره إلى الأبد .

قال ابن قتيبة : فمن هذا الذي ملك ما بين البحر والبحر ، وما بين دجلة

والفرات إلى منقطع الأرض، ومن ذا الذي يصلي عليه ويبارك في كل وقت من الأنبياء غيره ﷺ ؟ . قال : وفي موضع آخر من الزبور قال داود : اللهم ابعث صاحب إنه بشر ، وهذا إخبار عن المسيح وعن محمد صلى الله عليهما قبلهما بأحقاب ، يريد : ابعث محمداً حتى يُعلّم الناس أن المسيح بشر لعلم داود أنهم سيدّعوا في المسيح ما ادّعوا .

قال : وفي كتاب أشعيا قيل : قم فانظر ترى فخبِّر به ، قلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل ، يقول أحدهما للآخر : سقطت بابل وأصنامها المبخرة ، قال : فصاحب الحمار عندنا وعند النصارى المسيح ، فإذا كان صاحب الحمار المسيح فلم لا يكون محمد ﷺ صاحب الجمل ؟ أو ليس سقوط بابل والأصنام المبخرة به وعلى يديه لا بالمسيح ؟ و لم يزل في إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام ؟ أو ليس هو بركوب الجمل أشهر من المسيح بركوب الحمار ؟ .

قال ابن قتيبة : فأما ذكر النبي ﷺ في الإنجيل : فقد قال المسيح للحواريين : أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط[1] روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ، إنما هو كما يقال له وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون ، لأنكم مع من قتل الناس ، فكل شيء أعده الله لكم يخبركم به . قال :

* * *

(١) في بعض كتب النصارى : « البارقليط »

وفي حكاية يوحنا عن المسيح

أنه قال : الفارقليط لا يجيئك ما لم أذهب ، فإذا جاء سبح العالم من الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه ، ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب .

وفي حكاية أخرى : أن الفارقليط[1] روح الحق الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء ، وقال : إني سائل أبي أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد ، وهو يعلمكم كل شيء .

وفي حكاية أخرى : أن البشر ذاهب والفارقليط من بعده ، يجيء لكم الأسرار ويقر لكم [كل] شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل .

قال ابن قتيبة : وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة ، وإنما اختلفت لأن من نقل الإنجيل عن المسيح عليه السلام عدة ، فمن هذا الذي هو روح الحق سبحانه ، الذي لا يتكلم إلا بما يوحى إليه ؟ ومن العاقب للمسيح والشاهد له بأنه قد بلَّغ ؟ ومن الذي أخبر بالحوادث في الأزمنة مثل خروج الدجال ، وظهور الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه هذا ؟ وأخبر بالغيوب من أمر القيامة والحساب ، والجنة والنار ، وأشباه ذلك مما لم يذكر في التوراة والإنجيل غير نبينا محمد ﷺ ؟ وقال :

* * *

---

(١) في بعض كتب النصارى : « البارقليط »

وفي إنجيل متى

أنه لما حبس يحيى بن زكريا ليقتل ، وبعث تلاميذه إلى المسيح وقال لهم : قولوا له : أنت هو الآتي ، أو يتوقع غيرك ؟ فأجابه المسيح وقال : الحق أقول لكم ، أنه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا ، وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى ، فأما الآن فإن شئتم فأقبلوا أن ألياهو مزمع أن يأتي ، فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع .

قال ابن قتيبة : وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال : إما أن يكون قال : إن أحمد مزمع أن يأتي ، فغيروا الاسم كما قال تعالى : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾[1] ، وجعلوه إلياهو ، وإما أن يكون قال : إن إيل مزمع أن يأتي ، وإيل هو الله عز وجل ، ومجيء الله مجيء رسوله بكتابه ، كما قال في التوراة : جاء الله من سيناء ؛ فمعناه : جاء موسى من سيناء بكتاب الله ، ولم يأت كتاب بعد المسيح إلا القرآن ، وإما أن يكون أراد النبي المسمى بهذا الاسم ، وهذا لا يجوز عندهم لأنهم مجمعون على أن لا نبي بعد المسيح .

قال ابن قتيبة : وقد وقع ذكر مكة والبيت والحرم في الكتب المتقدمة فقال في كتاب شعيا : أنه ستمتلي البادية والمدن من قصور قيدار يسبحون ، ومن رءوس الجبال ينادون ، هم الذين يحصلون لله الكرامة ، ويبثون تسبيحه في البر والبحر ، وقال : ارفع عَلَماً بجميع الأمم من بعيد ، فيصفر بهم من أقاصي الأرض ، فإذا هم سراع يأتون .

قال ابن قتيبة : وبنو قيدار هم العرب ، لأن قيدار بن إسماعيل باجماع الناس ، والعلم الذي يرفع هو النبوة ، والصفير بهم : دعاؤهم من أقاصي الأرض للحج ، فإذا هم سراع يأتون ، وهو قول الله تعالى : ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾[2] ، وقال في موضع آخر من كتاب

---

(١) ١٣ : المائدة . (٢) ٢٧ : الحج .

شعيا : سأبعث من الصبا قوماً فيأتون من المشرق مجيبين بالتلبيه أفواجاً ، كالصعيد كثرة ، ومثل الطيان تدوس برجله الطين ، والصبا تأتي من مطلع الشمس ، يبعث عز وجل من هناك قوماً من أهل خراسان وما صاقبها ، وممن هو نازل بمهب الصبا فيأتون مجيبين بالتلبية أفواجاً كالتراب كثرة ومثل الطيان يدوس برجله الطين ، يريد أن منهم رجاله كالين ، وقد يجوز أن يكون أراد الهرولة إذا طافوا بالبيت .

قال ابن قتيبة : وقال في ذكر الحجر المسلَّم : قال شعيا : قال الرب السيد : هأنذا مؤسس بصهيون ، وهو بيت الله حجراً في زاوية مكة ، والحجر في زاوية البيت ، والكرامة أن يُستلم ويُلثم .

وقال شعيا في ذكر مكة : سُرِّى واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد ، وانطقي بالتسبيح وافرحي إن لم تحبلي ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي ، يعني بأهله : أهل بيت المقدس من بني إسرائيل ، [أو] أراد أن أهل مكة يكون ممن يأتيهم من الحجاج والعمار أكثر من أهل بيت المقدس ، فأشبه مكة بامرأة عاقر لم تلد ، لأنه لم يكن فيها قبل نبينا محمد ﷺ إلا إسماعيل وحده ، ولم ينزل بها كتاب ، ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومهبط الوحي ، ولا يشبه بالعاقر من النساء .

وفي كتاب شعيا أيضاً من ذكر مكة : قد أقسمت بنفسي كقسمي أيام نوح ألا أغرق الأرض بالطوفان كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ولا أرفضك ، وأن الجبال تزول ، والقلاع تنحط ، ونعمتي عليك لا تزول ، ثم قال : يا مسكينة يا مضطهدة ، هأنذا بان ، بالحسن حجارتك ومزينك بالجوهر ، ومكلل باللؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم ولا تخافين ، ومن الضعف لا تضعفي ، وكل سلاح يصنع لايعمل فيك ، وكل لسان ولغة يقوم معك بالخصومه تفلحين معها .

ثم قال : وسيسميك الله اسماً جديداً – يريد أنه سمى المسجد الحرام وكان قبل ذلك يسمى الكعبة – فقومي فأشرقي ، فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك ، أنظري بعينك حولك ، فانهم مجتمعون ، يأتوك بنوك وبناتك عَدْواً ، فحينئذ تسرين

ويخاف قدرك ويتبع قلبك ، وكل غنم قيدار مجتمع إليك ، وسادات نباوث يخدمونك (ونباوث هو ابن إسماعيل ، وقيدار أبو النبي ﷺ هو أخو نباوث) .

ثم قال : وتفتح أبوابك دائماً الليل والنهار لا تغلق ، وتتخذونك قبلة ، وتدعون بعد ذلك مدينة الرب (أي بيت الله تعالى) .

وقال أيضاً : ارفعي إلى ما حولك بصرك تبتهجين وتفرحين من أجل أنه تميل إليك ذخائر البحر ، ويحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك قطر الإبل الموبلة ، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، ويأتيك أهل سبأ ، ويسير إليك بأغنام قاذار ، ويخدمك رجالات نباوث (يعني سدنة البيت ، أنهم من ولد نباوث بن إسماعيل) . قال ابن قتيبة :

* * *

وذكر شعيا طريق مكة فقال :

عن الله عز وجل : أني أعطي البادية كرامة وبها الكرمان ، ولبنان وكرمان الشام وبيت المقدس ، يعني أريد الكرامة التي كانت هناك بالوحي وظهور الأنبياء للبادية بالحج وبالنبي ﷺ ، ويشق في البادية مياه وسواقي أرض الفلاة ، ويكون الفيافي والأماكن العطاش ينابيع ومياها ، ويصير هناك محجة فطريق الحريم لا يمر به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يصل هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين .

وفي كتاب حزقيل أنه ذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم بكرمة فقال : ما تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض فأحرقت السمائم ثمارها ، فعند ذلك عرشها في البدو ، وفي الأرض المهملة العطش ، فخرجت من أغصانها الفاضلة نارٌ أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصى قوية ولا قضيب .

قال ابن قتيبة : وذكر الحرم في كتاب شعيا فقال : إن الذئب والحمل فيه يرعيان معاً ، وكذلك جميع السباع لا تؤذي ولا تفسد في كل حرمي ، ثم ترى بذلك الوحش إذا خرجت من الحرم عاودت الذعر وهربت من السباع ، وكان السبع في الطلب والحرص في الصيد كما كان قبل دخوله الحرم .

قال : وذكر أصحاب النبي ﷺ وذكر يوم بدر فقال شعيا وذكر قصة العرب ويوم بدر : ويدوسون الأمم كدياس البيادر ، وينزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون ، ثم قال : ينهزمون بين يدي سيوف مسلولة ، وقسيّ موتورة ، ومن شدة الملحمة .

قال ابن قتيبة : فهذا ما في كتب الله المتقدمة الباقية في أيدي أهل الكتاب ، يتلونه ولا يجحدون ظاهره ، ما خلا اسم نبينا محمد ﷺ ، فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً ، ولن يخفى ذلك عنهم ، لأن اسم النبي ﷺ بالسريانية عندهم مشفح ، ومشفح هو محمد بغير شك ، واعتباره أنهم يقولون شفحا لإلاهيا إذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله .

فإذا كان الحمد شفحاً فمشفح محمد ، لأن الصفات التي أقروا أنها هي وفاق لأحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشرعته فليدلونا على من له هذه الصفات ، ومن خرت الأمم بين يديه وانقادت لطاعته ، واستجابت لدعوته ، ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل وأصنامها به ، وأن هذه الأمة من ولد قيدار بن إسماعيل الذين ينادون من رءوس الجبال بالتلبية والأذان ، والذين نشروا تسبيحه في البر والبحر ، هيهات أن يجدوا ذلك إلا في محمد وأمته .

قال ابن قتيبة : ولو لم تكن هذه الأخبار في كتبهم بدليل قوله تعالى ﴿ **الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾[4] ، وكيف جاز لرسول الله ﷺ أن يحتج عليهم بما ليس عندهم ويقول : من علامة نبوتي أنكم تجدوني مكتوباً عندكم ، ولا تجدونه وقد كان عيباً أن يدعوهم بما ينفرهم ، ولما أيقن الحال عبد الله بن سلام ومن أسلم أسلموا .

وقد ذكر يوحنا الإلهي الذي كتب الإنجيل في كتاب اسمه الأبوعلمسيس نبينا محمداً ﷺ وسماه : ماما ديوس ، ومعنى ماما بالعبرية ميم ، ومعنى ديوس ح م د ، وقال ابن الجوزي : وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله ﷺ بصفاته ويقرون به ويعدون بظهوره ، ويوصون أهاليهم بالايمان به ، فلما ظهر آمن عقلاؤهم ، وحمل الحسدُ آخرين على العناد كحيي بن أخطب ، وأبو عامر الراهب ، وأمية بن أبي الصلت ، وقد أسلم جماعة من علماء متأخري أهل الكتاب ، وصنفوا كتباً يذكرون فيها صفاته التي في التوراة والإنجيل ، فالعجب ممن يتيقن وجود الحق ثم يحمله الحسد على الرضا بالخلود في النار .

* * *

---

(١) ١٥٧ : الأعراف .
(٢) ٧٠ ــ ٧١ : آل عمران .
(٣) ١٤٦ : البقرة .
(٤) ٤٣ : الرعد .

وأما سَمَاعُ الأَخْبَارِ
بِنُبُوَّتِهِ من الجِنِّ وأجْوافِ الأَصْنَامِ
ومِنَ الكُهَّان

فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث عبيد الله بن عمرو بن محمد بن عقيل عن جابر رضي الله عنه قال : أول خبر قدم المدينة عن رسول الله ﷺ أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع فجاء في صورة طائر فوقع على حائط[1] دارها فقالت : انزل بخبرنا وبخبرك ، قال : إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار وحرم علينا الزنا[2] .

وخرج من حديث الزهري عن علي بن الحسين قال : إن أول خبر قدم المدينة عن رسول الله ﷺ من امرأة تدعى فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع فجاءها ذات يوم فقام على الجدار ، فقالت : انزل ، قال : لا ، قد بعث الرسول الذي حرم الزنا .

ومن حديث أشعث بن شعبة عن أرطأة بن المنذر قال : سمعتُ ضمرة يقول : كانت امرأة بالمدينة يغشاها جان ، فكان يتكلم ويسمعون صوته ، قال : فغاب[3] فلبث ما لبث فلم يأتها و لم يختلف إليها ، فلما كان بعد إذ هو يطلع من كوة فنظرت إليه فقالت : يا ابن لوذان ! ما كانت لك عادة تطلع من الكوة فما بالك ؟ فقال : إنه خرج نبي بمكة وإني سمعت ما جاء به فإذا هو يحرم الزنا ، فعليك السلام[4] .

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « الحائط لهم » ، « ألا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك وتخبرنا ونخبرك ؟ ، قال لها : إنه قد بُعِث نبيٌّ بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار » .

(٢) المرجع السابق : ١ / ١٠٧ ، حديث رقم (٥٦) ، أخرجه ابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١٨٩ ، وأحمد ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي ، كلهم عن جابر ، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٤٣ : ورجاله وثقوا .

(٣) ف (خ) : « فغاب بعد » .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠٧ ، حديث رقم (٥٧) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٨٥ : أخرجه أبو نعيم عن أرطأة بن المنذر

ومن حديث الواقدي قال : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه : خرجنا في عير إلي الشام قبل[1] مبعث رسول الله ﷺ ، فلما كنا بأفواه الشام وبها كاهنة ، فتعرضنا لها فقالت : أتاني صاحبي فوقف على بابي فقلت : ألا تدخل ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد بمكة[2] يدعو إلى الله[3] .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري قال : كان الوحي يسمع ، فلما كان الإسلام منعوا ، وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سعيدة ، لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يُستطاع أتاها فدخل في صدرها يصيح فذهب عقلها ، فجعل يقول من صدرها : وضع العناق[4] ، ورُفع الرفاق[5] ، وجاء أمر لا يطاق ، أحمد حرم الزنا .

قال الواقدي : وحدثنا أبو داود سليمان بن سالم عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي ، أن رجلاً مر على مجلس بالمدينة فيه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فنظر إليه فقال : أكاهن أنت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! هُدي بالاسلام كل جاهل ، ودُفع بالحق كل باطل ، وأُقيم بالقرآن كل مائل ، وَغُني بمحمد ﷺ كل عائل ، فقال عمر : متى عهدك بها ؟ - يعني صاحبته - قال : قبيل الإسلام ؛ أتتني فصرخت : ياسلامُ ياسلامُ ، الحق المبين والخير الدائم ، خير حلم النائم ، الله أكبر .

فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين ! أنا أحدثك مثل هذا ، والله إنا لنسير في « دَويَّه »[6] ملساء لا يسمع فيها إلا الصدى ، إذ نظرنا فإذا راكب مُقْبِل أسرع

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « قبل أن يُبعث » .

(٢) في المرجع السابق : « خرج أحمد ، وجاء أمر لا يُطاق ، ثم انصرفتُ فرجعتُ إلى مكة ، فوجدتُ رسول الله ﷺ قد خرج بمكة يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ » .

(٣) (المرجع السابق) : ١ / ١٠٨ ، حديث رقم (٥٨) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٥٨ : أخرجه أبو نعيم ، وفيه الواقدي ، وهو متروك .

(٤) العَنَاق : الكذب الفاحش . (القاموس المحيط) : ١٠ / ٢٧٦ .

(٥) الرفاق : النزع إلى الهوى (المرجع السابق) : ١٠ / ١١٩ .

(٦) في (خ) : « دواية » . والدوية مؤنث الدَّوّ ، وهو الفلاة الواسعة ، أو المستوية من الأرض . (المرجع السابق) : ١٤ / ٢٧٦ .

من الفرس حتى كان منا على قدر ما يسمعنا صوته ، قال : يا أحمد ، يا أحمد ، الله أعلى وأمجد ، أتاك ما وعدك من الخير يا أحمد ، ثم ضرب راحلته حتى أتى من ورائنا ، فقال عمر رضي الله تعالى عنه : الحمد لله الذي هدانا بالإسلام وأكرمنا .

فقال رجل من الأنصار : أنا أحدثك يا أمير المؤمنين مثل هذا وأعجب ، قال عمر : حدِّث ، قال : انطلقتُ أنا وصاحبان لي نريد الشام حتى إذا كنا بقفرة من الأرض نزلنا بها ، فبينا نحن كذلك لحقنا راكب وكنا أربعة قد أصابنا سَغَبٌ[1] شديد فالتفت فإذا أنا بظبية عضباء[2] ترتع قريباً مني ، فوثبت إليها ، فقال الرجل الذي لحقنا : خلِّ سبيلها لا أباً لك ، والله لقد رأيتها ونحن نسلك هذه الطرق ونحن عشرة أو أكثر من ذلك فيختطف بعضنا فما هو إلا أن كانت هذه الظبية فما هاج بها أحد فأبيت وقلت : لا لعمر الله لا أخلها ، فارتحلنا وقد شددتها حتى إذا ذهب سَدَف[3] من الليل إذا هاتف يقول :

يا أيها الركب السراع الأربعهْ   خلوا سبيل النافر المفزعـهْ
خلوا عن العضباء في الوادي سعهْ   لا تـذبحن الظبيـة المروّعـهْ
فيها لأيتام صغار منفعهْ

قال : فخليت سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام ، فقضينا حوائجنا ثم أقبلنا حتى إذا كنا بالمكان الذي كنا فيه هتف هاتف من خلفنا :

إياك لا تعجل وخذها من ثقهْ   فإن شر السير سير الحقحقهْ[4]
قد لاح نجم فأضاء مَشْرِقُهْ   يخرج من ظلماء ضوق[5] موبقه[6]
ذاك رسول مفلح من صدَّقهْ   الله أعـلا أمـره وحققـهْ

---

(١) السَّغَبُ : الجوع الشديد ، وفي التنزيل : ﴿ **أو إطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾ [البلد : ١٤] .
(٢) قال الزمخشري : هو منقول من قولهم : ناقة عضباء : أي قصيرة اليد .
(٣) السَدَف : ظلمة الليل ، وهو بعد الجُنح . (القاموس المحيط) : ١٩ / ١٤٦ .
(٤) الحقحقة : سير الليل في أوله ، وقد نُهي عنه (المرجع السابق) : ١٠ / ٥٨ .
(٥) ضوق من الضيقة ، وهي منزلة للقمر ، وهو مكان نحس على ما تزعم العرب (المرجع السابق) : ١٠ / ٢٠٩ .
(٦) موبقة : مُهلكة : (المرجع السابق) : ١٠ / ٣٧٠ .

وله من حديث القسم بن محمد بن بكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أنها كانت تحدث عن عمر بن الخطاب ، ومن حديث محمد بن عمران بن موسى ابن طلحة ، عن أبيه طلحة قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحدث قال : كنت جالساً مع أبي جهل وشيبة بن ربيعة ، فقام أبو جهل فقال : يا معشر قريش ! إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أنه من مضى من آبائكم يتهافتون في النار تهافت الحمير ، ألا ومن قتل محمداً فله عليّ مائة ناقة حمراء وسوداء ، وألف أوقية من فضة .

قال عمر فقمت فقلت : يا أبا الحكم ، الضمان صحيح ؟ قال : نعم ، عاجل غير آجل ، قال عمر : فقلت : واللات والعزى ؟ قال أبو جهل : نعم يا عمر فأخذ أبو جهل بيدي فأدخلني الكعبة ، فأشهد عليّ هُبل – وكان هبل عظيم أصنامهم – وكانوا إذا أرادوا سفراً أو حرباً أو سلماً أو نكاحاً ، لم يفعلوا حتى يأتوا هبل فيستأمروا ، فأشهد عليه هبل وتلك الأصنام . قال عمر : فخرجت متقلداً السيف متنكباً[1] كنانتي أريد النبي ﷺ ، فمررت على عِجْل وهم يريدون قتله ، فقمت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العِجْل : يا آل ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ! فقلت إن هذا لشأن ! ما يراد بهذا إلا لحالي ، ثم مررت بغنم فإذا هاتف [يهتف وهو يقول][2] :

يا أيها الناس ذوو[3] الأجسام	ما أنتم وطائش الأحلامِ
ومسندو[4] الحكم إلى الأصنام	فكلكم أراه كالنعامِ
أما ترون ما أرى أمامي	من ساطع يجلو لذي الظلامِ
أكرمه الرحمٰن من إمام	قد جاء بعد الكفر بالإسلامِ

---

(١) في (خ) : « كانتي » ، والكِنانة : بالكسر كنانة السهام ، جعبة من جلد . (ترتيب القاموس) : ٤ / ٩١ .

(٢) السياق مضطرب في (خ) ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) في (خ) : « ذوي » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .

(٤) في (خ) : « ومسند » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .

وبالصلاة والزكاة والصيام والبر والصلوات للأرحامِ
ويزع[1] الناس عن الآثام [مستعلن في البلد الحرام][2]

فقلت : والله ما أراه إلا أن يرادني ، ثم مررت بهاتف الضماد[3] وهو يهتف من جوفه فقال :

ترك الضماد[3] وكان يُعبد وحده بعد الصلاة مع النبي محمدِ
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدِ
سيقول من عبد الضماد ومثله ليت الضماد[3] ومثله لم يُعبدِ
فاصبر أبا حفص فإنك لا مردّ يأتيك عزّ غير عزّ بني عدي
لا تعجلن فأنت ناصر دينه حقاً يقيناً باللسان وباليدِ
وتظهر دين الله إن كنت مسلماً وتسطح بالسيف الصقيل المهنَّدِ
جماجم قومٍ لا يزال حلومها عكوفاً على أصنامها بالمهنَّدِ

قال عمر : فو الله لقد علمت أنه أرادني ، فجئتُ حتى دخلت على أختي ، وإذا خَبَّاب بن الأَرتّ عندها ، وزوجها سعيد بن زيد ، فلما رأوني ومعي السيف

---

(١) في (خ) : « ويزعر » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .

(٢) هذا العجزُ من (المرجع السابق) : ١٧ / ١١٧ ، وهي مذكورة عقب قصة أخرى في الحديث رقم (٦٤) ، وهي : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المنجاب قال : حدثنا أبو عامر الأسدي عن ابن خَرَّبوذ المكي عن رجل من خثعم قال : كانت العرب لا تحرِّم حلالاً ، ولا تحلّ حراما ، وكانوا يعبدون الأوثان ، ويتحاكمون إليها ، فبينا نحن ذات ليلة عند وثن جلوس وقد تقاضينا إليه في شيء قد وقع بيننا أن يفرق بيننا ، إذ هتف هاتف وهو يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندو الحكم إلى الأصنام هذا نبيّ سيدُ الأنام
أعدل في الحكم من الحكام يصدع بالنور وبالإسلام
ويزع الناس عن الآثام مستعلن في البلد الحرام

قال : ففزعنا وتفرقنا من عنده ، وصار ذلك الشعر حديثاً ، حتى بلغنا أن النبي ﷺ قد خرج بمكة ، ثم قدم المدينة ، فجئتُ فأسلمت .

قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٦٥ : وأخرجه الخرائطي وابن عساكر .

(٣) الضماد : كما في (القاموس) ، (أساس البلاغة) ، (اللسان) : هو أن تصادق المرأة اثنين أو ثلاثة في القحط ، لتأكل عند هذا وهذا لتشبع ، ولم أدر المقصود بها في سياق الباب ، ولعله اسم لصنم كان يُعبد من دون الله قبل بعث النبي ﷺ .

أنكروا ، فقلت لهم : لا بأس عليكم ، فدخلت ، فقال خباب : يا عمر ! ويحك أسلم ، فدعوت بالماء فأسبغت الوضوء ، وسألتهم عن محمد ﷺ فقالوا : في دار أرقم بن الأرقم ، فأتيتهم فضربت عليهم الباب ، فخرج حمزة بن عبد المطلب ، فلما رآني والسيف صاح بي – وكان رجلاً عبوباً[1] – فصحت به ، فخرج إليَّ رسول الله ﷺ ، فلما رآني ورأى ما في وجهي عرف فقال : استُجيب لي فيك يا عمر ! أسلم ، [فقلت] : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأنك رسول الله ، فسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون ، وكنت رابع أربعين رجلاً ممن أسلم ، ونزلت على رسول الله ﷺ ، ﴿ **يـٰأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾[2] ، فقلت : يا نبي الله ! اخرج ، فو الله لا يغلبنا المشركون أبداً ، فخرجنا وكبَّرنا حتى طاف النبي ﷺ ورجعت معه ، فلم أزل أقاتل واحداً واحداً حتى أظهر الله الدين .

وله من حديث الواقدي عن ابن ذؤيب عن مسلم عن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه قال : خرجنا في عير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومعان عَرَّسْنا من الليل ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض :

أيها [النيام][3] هُبّوا فليس هذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد وطردت الجنّ كل مطرد ، ففزعنا ونحن رفقة حزاورة[4] كلهم قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش لنبي خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد[5] .

وله من حديث خرّبوذ عن موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : هتف هاتف من الجن على أبي قبيس[6] بمكة فقال :

---

(١) كذا في (خ) ، ولعلها « عُبْعَاباً » وهي صفة للرجل إذا كان واسع الحلْق والجوف ، جليل الكلام . (لسان العرب) : ١ / ٥٧٥ .

(٢) الأنفال : ٦٤ . (٣) في (خ) : « النيا » .

(٤) جمع حَزَوَّر ، وهو الغلام إذا اشتَّد وقوى . (لسان العرب) : ٤ / ١٨٧ .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠٨ ، حديث رقم (٥٩) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٥٩ : أخرجه ابن سعد : ١ / ١٦١ ، وأبو نعيم وابن عساكر .

(٦) جبل بمكة .

قبّح الله رأي كعبِ بنِ فهرٍ ما أرق العقول والأحلامِ
دينها أنها يُعَنَّفُ فيها دين آبائها الحماةِ الكرامِ
حالف الجن حين يقضى[1] عليكم ورجال النخيل والآطامِ
يوشك الخيل أن تراها[2] تهادى تُقتل القوم في بلاد التهامِ[3]
هل كريم منكم له نفس حُرٍّ ما جد الوالدين والأعمامِ ؟
ضارب ضربة تكون نكالاً ورواحاً من كربة واغتمامِ

قال [ابن عباس][4] : فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة وأصبح[5] المشركون يتناشدونه بينهم ، وهمّوا بالمؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : هذا شيطان يكلم الناس في الأوثان يقال له : مِسْعَر والله يخزيه ، قال : فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى واستكبرا
وسفه الحق وسنَّ المنكرا قنّعته سيفا جروفاً مبتّرا
بشتمه نبيَّنا المطَهَّرا

فقال رسول الله ﷺ : ذلكم عفريت من الجن يقال له سمحج سميتُه عبد الله ، آمن بي فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام ، فقال علي بن أبي طالب : جزاك الله خيراً يارسول الله[6] .

وروى من حديث ابن شهاب وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف سمعا كلاهما حميد بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف قال : لما ظهر

---

(١) في (خ) : « بُصرى » . (٢) في (خ) : « تردها » .
(٣) في (الخصائص) : ١ / ٢٦١ : « في البلاد العظام » .
(٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) . (٥) في المرجع السابق : « فأصبح » .
(٦) (المرجع السابق) : ١ / ١٠٩ - ١١٠ ، حديث رقم (٦٠) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٦١ : ذكره أبو نعيم عن ابن عباس ، ثم قال : وأخرج الفاكهي في (أخبار مكة) من حديث ابن عباس عن عامر بن ربيعة ، فذكر مثله ، وفيه موسى بن عبد الملك بن عمير ، ضعَّفه أبو حاتم ، وذكره البخاري في كتاب (الضعفاء) .

- أي رسول الله - ﷺ قام رجل من الجن على أبي قبيس يقال له مسعر فقال :

قبَّح الله رأي كعب بن فهرٍ ... ما أرقَّ العقول والأحلاما
حالف الجن حين [يقضي] عليكم ... ورجال النخيل والآطاما
هل غلام منكم له نفس حُرٍّ ... ما جدُ الوالدين والأعماما

فأصبحت قريش يتناشدونه بينهم ، [فإذا رجل من الجن يقال له سمحج يقول :][1]

نحن قتلنا مسعراً لما طغى واستكبرا ... بشتمه نبينا المطهرا
أوردته سيفاً جروفاً مبتراً ... إنا نذود من أراد البطرا

فسماه رسول الله ﷺ عبد الله .

ومن حديث ابن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال خُزَيْم بن[2] فاتك لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ألا أخبرك ببدء[3] إسلامي ؟ بينا أنا في طلب نَعَم لي إذ جَنَّ الليل بأبرق العزاف[4] ، فناديت بأعلى صوتي : أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهائه ، وإذا هاتف يهتف بي :

عُذْ يا فتى بالله ذي الجلال ... والمجد والنَّعماء والأفضالِ
[واقرأ بآيات][5] من الأنفال ... ووحد الله ولا [تبالِ][6]

[قال :][7] فرعُت من ذلك رَوْعاً شديداً ، فلما رجعت إلى نفسي قلت :

يا أيها الهاتف ما تقولُ ... أَرَشَدٌ عندك أم تضليلُ
بين لنا هديت ما السبيل[8]

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق حيث أن السياق مضطرب في (خ) .
(٢) في (خ) : « خزيم فاتك » ، في (المستدرك) : « خريم » .
(٣) في (خ) : « بيدو » . (٤) ماء لبني أسد .
(٥) في (خ) : « واقتن آيات » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
(٦) في (خ) : « تبالي » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .
(٧) زيادة من المرجع السابق .
(٨) في المرجع السابق : « ما العويل » ، وما أثبتناه من (خ) ، وهو أجود للسياق .

قال : فقال :

هذا رسول الله ذو الخيرات يدعو إلى الخيرات والنجاةِ
يأمر بالصوم والصلاة ويزع الناس عن الهِناتِ

قال فأتبعتُ راحلتي وقلت :

أرشدْني رشداً بهاهديتَ لا جعت يا هذا ولا عريتَ
ولا صبحت صاحباً مَقيتَ لا يثوينَّ الخير إن ثويْتَ[1]

قال : فأتبعني وهو يقول :

صاحبك الله وسلم نفسكا وبلغ الأهل [وسلَّم][2] رَحْلَكَا
آمنْ به أَفْلَح ربي حقكا وانصر نبياً عزَّ ربي نصركا

قال : فدخلت المدينة فاطلعت في المسجد ، فخرج إليَّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال : ادخل رحمك الله ، قد بَلغَنا إسلامك ، فقلت : لا أُحسن الطهور فَعُلِّمت ودخلتُ المسجد ، ورسول الله ﷺ على المنبر كأنه البدر وهو يقول : ما من مسلم توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى صلاة يعقلها ويحفظها إلا دخل الجنة . فقال عمر رضي الله تعالى عنه لتأتيني على هذا ببينة أو لأنكِّلنَّ بك ، قال : فشهد له شويخ[3] قريش عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فأجاز شهادته[4] .

* * *

---

(١) في المرجع السابق : « هديتا » ، « عريتا » ، « مقيتا » ، « ثويتا » .
(٢) في (خ) : « وأدى » .
(٣) في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٦٢ : « شيخ من قريش » .
(٤) أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١١٠ - ١١١ ، حديث رقم (٦١) ، قال في (الخصائص) : ٢ / ١٨٨ : أخرجه الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر .
وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٣ / ٧٢٠ - ٧٢١ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر خريم ابن فاتك الأسدي رضي الله عنه ، حديث رقم (٦٦٠٦ / ٢٢٠٤) ، (٦٦٠٧ / ٢٢٠٥) ، وساق الحديث باختلاف يسير ... إلى أن قال : فإذا هاتف يهتف بي ويقول : =

=

ويحك عُذْ بالله ذي الجلالِ	منــــــزل الحرام والحلال
ووحِّــد الله ولا تبـــالِ	ما هو ذو الحزم من الأهوالِ
إذ يذكروا الله على الأميالِ	وفي سهول الأرض والجبالِ
وما وكيل الحق في سفالِ	إلا التقى وصالح الأعمالِ

قال : فقلتُ : يا أيها الداعي بما يحيـل — رشد يُرى عندك أم تضليلُ ؟

فقال : هذا رسول الله ذو الخيراتِ — جاء بيـاسين وحاميمـاتِ

في سور بعد مـفصلاتِ — محرمـــات محلــــلاتِ

يأمــر بـــالصوم والصلاةِ — ويزجر الناس عن الهنـاتِ

قد كُنّ في الأيام منكرات

قال : فقلت من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا مالك بن مالك ، بعثني رسول الله ﷺ من أرض أهل نجده ، قال : فقلت : لو كان لي من يكفيني إبلي هذه لأتيته حتى أؤمن به ، فقال : أنا أكفيكها حتى أؤديها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى ، فاعتقلتُ بعيراً منها ثم أتيتُ المدينة فوافقتُ الناسَ يوم الجمعة وهم في الصلاة ، فقلت : يقضون صلاتهم ثم أدخل فإني لذاهب أنيخ راحلتي إذ خرج أبو ذر رضي الله تعالى عنه فقال : يقول لك رسول الله ﷺ : أدخُل ، فدخلت ، فلما رآني قال : ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي إبلك إلى أهلك سالمة ؟ أما أنه قد أدَّاها إلى أهلك سالمة ، قلت : رحمه الله ، فقال النبي ﷺ : أجل رحمه الله ، قال خريم : أشهد أن لا إلّه إلا الله ، وحسنُ إسلامه .

قال الذهبي في التخليص : « لايصح » .

الفهـرس

* * *

تم بحمد الله تعالى وحُسن توفيقه
الجزء الثالث من
إمتاع الأسماع للمقريزي
ويليه الجزء الرابع وأوله:
(ومن حديث محمد بن كعب القرظي قال:)

* * *